دار الكتب المصرية



فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى

السفر الرابع

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م



السَفر الرابع

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

للنـــويرى

الباب الثالث :

صحيفة

صحيفة

الباب الخامس :

الباب السادس :

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلّ أفضل صلاة على أفضل خلقك سيدنا محمد وآله وسلّم .

الباب الثالث

(١)

من القسم الثالث من الفن الثانى

(فى المجون والنوادر والفكاهات والمُلَح)

وهذا الباب مما تنجذب النفوس اليه وتشتمل الخواطر عليه ، فإن فيه راحة للنفوس إذا تعبت وكلّت ، ونشاطا للخواطر إذا سئمت وملّت ، لأن النفوس لا تستطيع ملازمة الأعمال ، بل ترتاح الى تنقّل الأحوال ، فإذا عاهدتها بالنوادر فى بعض الأحيان، ولاطفتها بالفكاهات فى أحد الأزمان ، عادت الى العمل الجدّ بنشطة جديدة، وراحةٍ فى طلب العلوم مديدة .

١٠ وقد روِى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلّت عميت» .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : أجمّوا[1] هذه القلوب، والتمسوا لها طرق الحكمة، فإنها تملّ كما تملّ الأبدان، والنفس مؤثرة للهوى، آخذة بالهوينا، جانحة الى

---

(١) أى أريحوها من تعبها .

اللهو ، أمّارة بالسوء، مستوطنة بالعجز ، طالبــة للراحة ، نافرة عن العــمل ، فإن[١] أكرهتها أنصبتها، و إن أهملتها أدبتها .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى تبدوَ نواجذه . وكان محمد بن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه .

وقال هشام بن عبد الملك : قد أكلت الحلو والحامض، حتى ما أجد لواحد منهما طعما، وشممت الطِّيب، حتى ما أجد له رائحة، وأتيت النساءَ، حتى ما أبالى آمرأة أتيت أم حائطا؟ فما وجدت شيئا ألذ إلىّ من جليس تسقط بينى و بينه مروءة التحفظ.

وقال أحمد بن عبد ربه : المُلَح نزهة النفس ، و ربيع القلب ، ومرتع السمع ، ومجلب الراحة ، ومعدِن السرور. وقال أيضا : إن فى بعض الكتب المترجمة أن يوحنا وشمعون كانا من الحوارِيّين ، فكان يوحنا لا يجلس مجلسا إلا ضحك وأضحـك من حوله ، وكان شمعون لا يجلس مجلسا إلا بكى وأبكى من حوله ، فقال شمعون ليوحنا : ما أكثر ضحِكك ! كأنك قد فرغت من عملك ! فقال له يوحنا : ما أكثر بكاك ! كأنك قد يئست من ربك ، فأوحى الله الى عيسى بن مريم عليه السلام : أن أحبَّ السيرتين إلىّ سيرة يوحنا .

والعرب إذا مدحوا الرجل قالوا : هو ضحوك السنّ ، بسّام العشيّات[٢] ، هشٌّ الى الضيف ، و إذا ذمّته قالت : هو عبوس الوجه ، جهم المحيّا ، كريه المنظر ، حامض الوجه ، كأنما وجهه بالخلّ منضوح ، وكأنما أُسعِط خيشومه بالخردل .

وقيل لسفيان : المِزاح هُجنة ، فقـال : بل سنّة ، لقوله عليه الصلاة والسلام : «إنى لأمزح ولا أقول إلا الحق» ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) كذا بالأصل وفى العقد الفريد : فان أكرهتها أنضيتها ، و إن أهملتها أرديتها .
(٢) كذا بالأصل وفى العقد الفريد : بسّام الثنيّات .

ذكر مزاحات رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك : أنه قال صلى الله عليه وسلم لرجل ٱستحمله : «نحن حاملوك على ولد الناقة» يريد : البعير . وقال صلى الله عليه وسلم لأمرأة من الأنصار : «ألحق زوجك ففى عينه بياض» فسعتِ المرأة نحو زوجها مرعوبة، فقال لها : ما دهاكِ ؟ فقالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه ٥ وسلم : إن فى عينك بياضا ، فقال : إن فى عينى بياضا لا لسوء . وأتته عجوز أنصارية فقالت : يا رسول الله ، ٱدع لى بالمغفرة، فقال لها : «أما علمتِ أن الجنة لا يدخلها العُجُز !» فصرخت، فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها : أما قرأت (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا) .

١٠ ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أعرابىّ قد صلى صلاة خفيفة فلما قضاها قال : اللهم زوّجنى بالحورِ العِينِ ، فقال عمر : يا هذا ! أسأتَ النقد، وأعظمتَ الخطبــة .

ذكر من ٱشتهر بالمزاح من الصحابة
رضوان الله عليهم

١٥ كان أشهرهم بالمزاح رضى الله عنهم نُعَيمان ، وهو أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم البدريّين، وله رضى الله عنه مزاحات مشهورة، منها ما روى : أنه خرج مع أبى بكر الصديق الى بُصْرَى وكان فى الحملة سُوَيبِط ، وهو بدرِىّ أيضا ، وكان سويبط على الزاد، فجاءه نعيمان، فقال له : أطعمنى، قال : لا، حتى يأتىَ أبو بكر، فقال نعيمان : والله لأغيظنك، وجاء الى أناس جلبوا ظهرا، فقال: ٱبتاعوا منى غلاما ٢٠ عربيا فارها[1] إلا أنه دعّاء له لِسان لعله يقول : أنا حر فإن كنتم تاركيه لذلك فدعوه،

---

(١) الفاره : الحسن الوجه .

لا تفسدوا علىّ غلامى، قالوا : بل نبتاعه منك بعشر قلائص ، فأقبل بها يسوقها، وأقبل بالقوم حتى عقلها، ثم قال : دونكم! هذا هو، فقالوا : قد آشتريناك، فقال سويبط : هو كاذب، أنا رجل حر، فقالوا : قد أُخبِرنا خبرك، ووضعوا فى عنقه حبلا، وذهبوا به، فجاء أبو بكر رضى الله عنه، فأُخبِر بذلك، فذهب هو وأصحابه، فردّوا القلائص على أربابها وأخذوه، وأُخبر النبىّ صلى الله عليه وسلم بالقصة فضحِك منها حولا .

ومن مزاحاته : أنه أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرّةَ عسل آشتراها من أعرابىّ، وأتى بالأعرابىّ الى باب النبىّ صلى الله عليه وسلم، فقال: خذ الثمن من هاهنا، فلما قسمها النبىّ صلى الله عليه وسلم نادى الأعرابىّ : ألا أُعطَى ثمن عسلى؟ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : إحدى هنات نعيمان، وسأله : لِم فعلت هذا؟ فقال : أردت بِرَّك يارسول الله، ولم يكن معى شىء، فتبسم النبىّ صلى الله عليه وسلم وأعطى الأعرابىّ حقه .

ومن مزاحاته أيضا : أنه مرّ يوما بمَخْرَمَة بن نوفل الزُّهرىّ ، وهو ضرير، فقال له : قدنى حتى أبول ، فأخذ بيده حتى إذا كان فى مؤخر المسجد، قال له : آجلس، فجلس مخرمة ليبول، فصاح الناس : يا أبا المِسور، أنت فى المسجد، فقال : من قادنى ؟ فقيل له : نعيمان، قال : لله علىّ أن أضربه بعصاى إن وجدته، فبلغ ذلك نعيمان، فجاء يوما فقال : لمخرمة يا أبا المِسور، هل لك فى نعيمان ؟ قال : نعم، قال : هو ذا يصلى، وأخذ بيده ، وجاء به الى عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو يصلى، فقال : هـذا نعيمان، فعلاه مخرمة بعصاه ، فصاح به الناس : ضربت أمير المؤمنين! فقال : من قادنى؟ قالوا : نعيمان، فقال : لا جرم لا عرضت له بسوء أبدا .

ومنهم آبن أبي عتيق ، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنهم ، وكان ذا ورع وعفاف وشرف ، وكان كثير المجون ، وله نوادر مستظرفة ، منها : أنه لقى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : ما تقول في إنسان هجانى بشعر؟ وهو

٥ أذهبتَ مالك غير مـتَّرِكٍ * فى كلّ مؤنسـة وفى الخمرِ
ذهب الإله بمـا تعيش به * و بقِيت وحدك غير ذى وفرِ

فقال عبد الله بن عمر : أرى أن تأخذ بالفضل وتصفح ، فقال له عبد الله بن عبد الرحمن : والله أرى غير ذلك ، فقال : وما هو ؟ قال : أرى أن أنيكه ، فقال آبن عمر : سبحان الله ما تترك الهزل! وآفترقا ، ثم لقيه بعد ذلك ، فقال له : أتدرى ١٠ ما فعلت بذلك الإنسان؟ فقال : أى إنسان؟ قال : الذى أعلمتك أنه هجانى ، قال : ما فعلت به؟ قال : كل مملوك لى حرّ إن لم أكن نِكته ، فأعظم ذلك عبـد الله بن عمر وآضطرب له ، فقال له : آمرأتى والله التى قالت الشـعر وهجتنى به ، وكانت آمرأته أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله .

وقد مدح الشعراء اللعبَ فى موضعه ، كما مُدحَ الجِدُّ فى موضعه ، فقال أبو تمـام

١٥ الجِدّ شيمته وفيه فكاهـة * طورا ولا جدٌّ لمن لم يلعبِ

وقال الأبيرِد رحمة الله عليه

إذا جدّ عند الجدّ أرضاك جِدُّه * وذو باطلٍ إن شئت ألهاك باطِلُهْ

ومن مجونِ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ما حكِى : أنـ جاريته قالت له : إن فلانا القارئ ، وكان يُظهِر النسك ، قد قطع علىّ الطريق وآذانى ويقول لى : ٢٠ أنا احبـكِ ، فقال لهـا : قولى له : وأنا أُحبكَ أيضـا ، وواعديه المنزل ، ففعلت

وأدخلته المنزل ، وكان عبد الله قد واعد جماعة من أصحابه ليضحكوا من الرجل ، ودخلت الجارية الى البيت الذى فيه الرجل ، فدعاها فاعتلّت فوثب إليها [(1) فاحتملها وضرب بها الأرض ، فدخل عليه ٱبن أبى عتِيق وأصحابه ، وقد تورّكها فخجل وقام وقال : يا فُسّاق ، ما تجمّعتم هاهنا إلا لريبة ، فقال له ٱبن أبى عتِيق : ٱستر علينا ستر الله عليك ، ثم لم يرتدع عن العبث بها ، فشكت ذلك الى سيدها ، فقال لها : هيِّئى من الطعام طِحْن ليلة الى الغداةِ ، ففعلت ، ثم قال لها : عِدِيه الليلة ، فإذا جاء فقولى له : إن وظيفتى الليلة طَحْن هذا كله ، ثم ٱخرجى الى البيت وٱتركيه ، ففعلت ، فلما دخل طحنت الجارية قليلا ، ثم قالت له : أدر الرحى حتى أفتقد سيدى فاذا نام وأَمِنا أن يأتِيَنا أحد ، صرت إلى ما تحب ، ففعل ومضت الجارية الى مولاها ، وأمر ٱبن أبى عتِيق عدّة من موالياته أن يتراوحن على سهرِ ليلتِهِنّ ويتفقدن أمر الطحن ويحثثن عليه ، ففعلن وجعلن ينادِين الفتى كلما كفّ عن الطحن : يا فلانة إن مولاكِ مستيقظ والساعة يعلم أنك قد كففت عن الطحن فيقوم إليك بالعصا كعادته مع من كانت نوبتها قبلك إذا هى نامت وكفّت عن الطحن ، فلم يزل كلما سمع ذلك الكلام منهن ٱجتهد فى العمل والجارية تتفقّده وتقول له : استيقظَ مولاى والساعة ينام فأصير الى ما تحب وهو يطحن حتى أصبح وفرغ القمح فأتته الجارية بعد فراغه ، فقالت له : قد أصبح فانج بنفسك ، فقال : أو قد فعلتِها يا عدوة الله ؟ وخرج تعِبا نصِبا ، وأعقبه ذلك مرضا شديدا أشرف منه على الموت وعاهد الله أن لا يعود الى كلام الجارية ، فلم تر منه بعد ذلك شيئا تكرهه . قال : وتعشى عبد الله ليلة ومعه رجل من الأنصار ، فوقع حجر فى الدار ووقع آخر وثالث ، فقال للجارية :

(1) الكلام الذى يبتدئ بهذا المربع [و ينتهى فى صحيفة ١١ بهذا المربع] ساقط من الأصل وموجود بالنسخة الراغبية .

آخرجى فانظرى، أذّنوا المغرب أم لا ؟ فخرجت وجاءت بعد ساعة، وقالت : قد أذّنوا وصلّوا، فقال الرجل الذى كان عنده : أليس قد صلّينا قبل أن تدخل الجارية؟ قال : بلى، ولكن لو لم أرسلها تسأل عن ذلك لرُجمنا الى الغداة، أفهمت ؟ قال : نعم قد فهمت . قال وسمع عبد الله بن أبى عتِيق قول عمر بن أبى ربيعة

٥ مَنْ رسولى الى الثريّا فإنى * ضِقت ذرعا بهجرها والكتّابِ(١)

فركب بغلته من المدينة، وسار يريد مكة، فلما بلغ الخليفة قيل له : أحرم، قال : ذو الحاجة لا يحرِم، وجاء حتى دخل على الثريا، فقال لها : آبن عمك يقول

* ضِقت ذرعا بهجرها والكتّاب *

ثم ركب بغلته وعاد .

---

١٠ ذكر شىء من مجون الأعراب

سئل أعرابىّ عن جارية له، يقال لها زُهرة ، فقيل له : أيسرّك أنك الخليفة وأن زهرة ماتت؟ فقال : لا والله تذهب الأَمة وتضيع الأُمّة . وجد أعرابىّ مِرآة وكان قبيح الصورة ، فنظر فيها ، فرأى وجهه فاستقبحه فرمى بها وقال : لشرٍّ مّا طرحك أهلك . وقيل لأعرابىّ : لِمَ يقال : باعك الله فى الأعراب ؟ فقال : ١٥ لأنا نجيع كبِده، ونعرى جلده، ونطيل كدّه . وتزوّج أعرابىّ على كبر سِنه، فقيل له فى ذلك، فقال : أبادِره باليتم، قبل أن يبادِرنى بالعقوق . ومرّ أعرابىّ وفى يده رغيف برجل فى يده سيف فقال : بِعنى هذا السيف بهذا الرغيف فقال : أمجنون أنت ؟ فقال الأعرابىّ : ما أنكرت منى؟ أنظر أيهما أحسن أثرا فى البطن .

---

(١) أى وحق الكتّاب .

وحكى أن المهدى خرج للصيد فغلبه فرسه حتى انتهى به الى خِباء لأعرابى، فقال: يا أعرابى، هل من قِرًى؟ قال نعم، وأخرج له فضلة من مُلّة فأكلها وفضلة من لبن فسقاه، ثم أتى بنبيذ فى زُكْرة[1] فسقاه قَعْبا[2]، فلما شرب قال: أتدرى من أنا؟ قال: لا والله، قال: أنا من خدم الخاصة، قال: بارك لك الله فى موضعك، ثم سقاه آخر، فلما شربه، قال: أتدرى من أنا؟ قال: نعم زعمت أنك من خدم الخاصة، قال: بل أنا من قوّاد أمير المؤمنين، فقال له الأعرابى: رحبت بلادك وطاب مزادك ومرادك، ثم سقاه قدحا ثالثا، فلما فرغ منه قال: يا أعرابى، أتدرى من أنا؟ قال: زعمت أخيرا أنك من قوّاد أمير المؤمنين، قال: لا ولكنى أمير المؤمنين، فأخذ الأعرابى الزكرة فأوكاها[3] وقال: والله لئن شربت الرابع لتقولن: إنك لرسول الله، فضحك المهدى ثم أحاطت بهم الخيل، فنزل أبناء الملوك والأشراف، فطار قلب الأعرابى فقال له المهدى: لا بأس عليك وأمر له بصلة، فقال: أشهد أنك صادق، ولو ادّعيت الرابعة لخرجت منها .

ودخل أعرابى على يزيد بن المهلب وهو على فرشه والناس سماطان فقال: كيف أصبح الأمير؟ قال يزيد: كما تحب، فقال الأعرابى: لو كنت كما أحب كنت أنت مكانى وأنا مكانك فضحك يزيد .

ذكر شىء من نوادر القضاة

قيل: أتى عدى بن أرطاة شُرَيحا القاضى ومعه امرأة له من أهل الكوفة يخاصمها اليه فلما جلس عدى بين يدى شريح، قال عدى: أين أنت؟ قال: بينك

(١) الزكرة بالضم: زِقّ للخمر . (٢) القَعْبُ: القدح الضخم .
(٣) أوكاها: ربطها .

وبين الحائط، قال : إنى امرؤ من أهــل الشام ، قال : بعيد الدار، قال : وإنى قدمت العراق ، قال : خير مقــدم، قال : وتزوجت هــذه المرأة، قال : بالرفاء والبنين، قال : وإنها ولدت غلاما ، قال : ليهنك الفارس، قال : وقد أردت أن أنقلها إلى دارى، قال : المرء أحق بأهله، قال : كنت شرطت لها دارها، قال : الشرط أملك ، قال : آقض بيننا، قال : قد فعلت، قال : فعــلى من قضيت ؟ قال : على ابن أمّك .

ودخل على الشعبىّ فى مجلس قضائه رجل وآمرأته، وكانت المرأة من أجمل النساء، فاختصما اليــه ، فأدلت المرأة بحجتها، وقويت بيّنتها ، فقال للزوج : هل عندك من دافع ؟ فأنشأ يقول

فُتِن الشعبِىّ لــا * رفع الطرف إليها
فتنتـــه بِدلال * وتخطى حاجِبيها
قال للجلواز[1] قــرّ * بْها وقدّم شاهِديها
فقضى جورا على الخصم ولم يقضِ عليها

قال الشعبىّ : فدخلت على عبد الملك بن مروان، فلما نظر إلىّ تبسم، وقال

فِتن الشعبِىّ لــا * رفع الطرف اليها

ثم قال : ما فعلت بقائل هذه الأبيات ؟ قلت : أوجعته ضربا يا أمير المؤمنين بمــا آنتهك من حرمتى فى مجلس الحكومة وما آفترى به علىّ، قال : أحسنت .

وأحضر رجل امراته الى بعض قضــاة البصرة، وكانت حسنة المنتقِب، قبيحة المسفر، فمال القاضى لها على زوجها وقال : يعمد أحدكم الى المرأة الكريمة فيتروّجها

(١) الجلواز : الشرطى .

ثم يسيء اليها ، ففطن الرجل لميـله اليها ، فقال : أصلح الله القاضى ، قد شككت فى أنها آمرأتى ، فمـرها تسفر عن وجهها ، فوقع ذلك بوفاق من القاضى ، فقال لها : آسفرى رحمكِ الله ، فسفرت عن وجه قبيح ، فقال القاضى لمـا نظر الى قبح وجهها : قومى عليكِ لعنة الله ، كلام مظلوم ، و وجه ظالم .

قيل بينا رَقَبَة بن مَصْقَلة القاضى فى حلقته ، إذ مرّ به رجل غليظ العنق ، فقال له بعض جلسائه : يا أبا عبد الله ، هذا أعبد الناس ، فقال رقبة : إنى لأرى لهذا عنقا ما دقّتْها العبادة ، فقال : فمضى الرجل وعاد قاصـدا اليهم ، فقال رجل لرقبة : يا أبا عبدالله ، أخبره بما قلت حتى لا تكون غِيبة ، قال : نعم ، أخبره أنت حتى تكون نميمة . ودخل رقبة الى المسجد الأعظم فألقى نفسه الى حلقة قوم ، ثم قال : قتيل فالوذج رحمكم الله ، قالوا : عند من؟ قال : عند من حكم فى الفرقة وقضى فى الجماعة ، يعنى : بلال بن أبى بردة .

وآختصم رجلان الى إياس بن معاوية وهو قاضى البصرة لعمر بن عبـد العزيز فى مطرف خزّ وأنبجانىّ ، وآدّعى كل واحد منهما أن المطرف له وأن الأنبجانىّ لصاحبه ، فدعا إياس بمشط وماء ، فبلّ رأس كل واحد منهما ، ثم قال لأحدهما : سرّح رأسك ، فسرحه ، فخرج فى المشط عفر المطرف ، وفى مشط الآخر عفر الأنبجانىّ فقال : يا خبيث ! الأنبجانىّ لك ، فأقرّ ، فدفع المطرف لصاحبه . وقال رجل لإياس : هل ترى علىَّ من بأس إن أكلت تمرا ؟ قال : لا ، قال : فهل ترى علىَّ من بأس ان أكلت معه كَيْسوما ؟ قال : لا ، قال : فإن شربت عليهما ماء ؟ قال : جائز ، قال : فلم تحرّم السكر و إنما هو ما ذكرت لك؟ قال له إياس لو صببت عليك ماء هل

كان يضرك؟ قال : لا ، قال : فلو نثرت عليك ترابا هل كان يضرك؟ قال : لا ، قال : فإن أخذت ذلك فخالطته وعجنته وجعلت منه لبنة عظيمة فضربت بها رأسك هل كان يضرك؟ قال : كنت تقتلني، قال : فهذا مثل ذاك .

دعا الرشيد أبا يوسف القاضى فسأله عن مسألة فأفتاه، فأمر له بمائة ألف درهم، ٥ فقـال] إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بتعجيلها قبل الصبح، فقال : عجلوها له، فقيل: إن الخازن فى بيته، والأبواب مغلقة، فقال أبو يوسف : وقد كنت فى بيتى والدروب مغلقة ، فلمـا دعِيتُ فتِحتْ، فقال له الرشيد : بلغنى أنك لا ترى لبس السواد، فقال : يا أمير المؤمنين ولِمَ؟ وليس فى بدنى شىء أعزّ منه، قال : وما هو؟ قال : السواد الذى فى عينىّ .

١٠ وسأل الرشيدُ الأوزاعىَّ عن لبس السواد فقال : لا أحرّمه، ولكنى أكرهه ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأنه لا تجلى فيه عروس ، ولا يلبّى فيه محرِم ، ولا يكفّن فيه ميت، فالتفت الرشيد الى أبى يوسف، وقال : ما تقول أنت فى السواد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، النور فى السواد ، فاستحسن الرشيد ذلك ، ثم قال : وفضيلة أخرى يا أمير المؤمنين، قال : وما هى؟ قال : لم يكتب كتاب الله إلا به ، فاهتز ١٥ الرشيد لذلك .

تقدّم رجل الى أبى حازم عبد الحميد بن عبد العزيز السَّكُونىّ قاضى المعتمد، وقدّم أباه يطالبه بدين له عليه، فاقر الأب بالدين، وأراد الابن حبس والده ، فقال القاضى : هل لأبيك مال؟ قال لا أعلمه، قال : فمذ كم داينته بهذا المـال؟ قال : منذ كذا وكذا، قال قد فرضت عليك نفقة أبيك من وقت المداينة ، فحبس الابن ٢٠ وخلّى الأب .

كان عبد الملك بن عمر قاضى الكوفة، فهجاه هذيل الأشجعىّ بأبيات منها

إذا ذات دلّ كلّمتْـه بحاجةٍ * فهمّ بأن يقضى تنحنح أو سعلْ

فكان عبد الملك يقول : قاتله الله، والله لربمـا جاءتنى النحنحة وأنا فى المتوضّأ فأذكر ما قال فأردّها .

٥ وقيل شهد سلمىّ الموسوس عند جعفر بن سليمان على رجل، فقال : هو ـــ أصلحك الله ـــ ناصِبىّ، رافِضىّ، قدرِىّ، مجبِرِىّ، يشتم الحجاج بن الزبير الذى هدم الكعبة على علىّ بن أبى سفيان، فقال له جعفر : ما أدرى على أى شىء أحسدك ! على علمك بالمقالات، أم على معرفتك بالأنساب ؟ فقـال : أصلح الله الأمير، ما خرجت من الكُتّاب، حتى حذقت هذا كلّه ورائى .

١٠ وٱستُفتِى بعض القضاة وقد نُسِبت الى القاضى أبى بكر بن قُرَيعة، فقيل له: مايقول سيدنا القاضى أيّده الله فى رجل باع حِجْرا(١) من رجل فحين رفع ذنبها ليقلّبها، خرجت منها رِيح مصوتة ٱتصلت بحصاة ففقأت عين المشترى؟ أفتنا فى الدية والرد يرحمك الله، فأجاب : لم تجرِ العادة بمثل هذه البدائع، بين مشترٍ وبائع، فلذلك لم يثبت فى كتب الفقهاء، ولم يستعمل فى فتوى العلماء، لكن هذا وما شاكله يجرِى مجرى الفضول، ١٥ المستخرج من أحكام العقول، والقول فيه ـــ وبالله العصمة من الزلل والخطل ـــ : أن دِية ما جنته الحِجرُ ملغى فى الهدر عملا بقول النبىّ المختار، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار، « جُرح العَجْماء جُبَار » لا سيما والمشترى عنـد كشفه لعورتها، ٱستثار كامِن سَورتِها، وعلى البائع لها ٱرتجاعها، وردّ ما قبض من ثمنها ، لأنه دلّس حِجرا مضِيقها منجنيقها، وإذا كانت السهام طائشة، فهى من العيوب الفاحشة، وكيف ٢٠ يمتنع ردّها، وأغراضُها نواظر الحدق، وقلّما يستظهِر المقلّبون الخيلَ بالدرق .

(١) الحِجْر : الأنثى من الخيل .

ذكر شيء من نوادر النحاة

قدّم رجلٌ من النحاة خصما الى القاضى، وقال : لى عليه مائتان وخمسون درهما، فقال لخصمه : ما تقول ؟ فقال : أصلح الله القاضى، الطلاق لازم له، إن كان له إلا ثلثمائة، وإنما ترك منها خمسين ليعلم القاضى أنه نحوِىّ .

٥ ومرّ أبو علقمة بأعدال قد كُتِبَ عليها : رُبٌّ سُلّم لأبو فلان، فقال لأصحابه : لا إله إلا الله، يلحنون ويربحون .

وجاء رجل الى الحسن البصرىّ فقال : ما تقول فى رجل مات، فترك أبيه وأخيه؟ فقال الحسن : ترك أباه وأخاه، فقال : ما لأباه وأخاه، فقال الحسن : ما لأبيه وأخيه، فقال الرجل : إنى أراك كلما طاوعتك تخالفنى . وقيل سكِر هارون بن محمد

١٠ آبن عبد الملك ليلة بين يدى الموفّق، فقام لينصرف فغلبه السكر فنام فى المضرب، فلما آنصرف الناس جاء راشد الحاجب فأنبهه، وقال : ياهارون آنصرف، فقال : هارون لا ينصرف، فأعاد راشد القول على هارون، فقال هارون : سل مولاك فهو يعلم أن هارون لا ينصرف، فسمع الموفّق فقال : هارون لا ينصرف، فتركه راشد، فلما أصبح الموفّق، وقف على أن هارون بات فى مضربه، وقال : يا راشد، يبيت

١٥ فى مضربى رجل لا أعلم به؟ فقال : أنت أمرتنى بهذا، فقلت : هارون لا ينصرف، فضحك، وقال : ما أردتُ إلا الإعراب وظننتَ أنت غيره .

وقيل : قدم العُريان بن الهيثم على عبد الملك فقيل له : تحفَّظْ من مَسلَمة فإنه يقول : لَأَنْ يُلقِمنِى رجل بحجر أحبّ إلىّ من أن يسمِعنى رجل لحنا، فأتاه العريان ذات يوم فسلّم عليه، فقال له مسلمة : كم عطاءَك ؟ قال : ألفين، فنظر الى رجل

٢٠ عنده وقال له : لحن العراقِىّ، فلم يفهم الرجل عن مسلمة، فأعاد مسلمة القول على

العريان ، وقال : كم عطاؤك ؟ فقال ألفان، فقال : ما الذى دعاك الى اللحن أولا والإعراب ثانيـا ؟ قال : لحن الأمير فكرهت أن أعرِب، وأعرب فأعربت ، فاستحسن قوله وزاد فى عطائه .

ووقف نحوِىّ على بقّال يبيع الباذنجان فقال له كيف تبيع؟ قال: عشرين بدانق، فقال : وما عليك أن تقول : عشرون بدانق؟ فقدّر البقال أنه يستزيده، فقال ثلاثين بدانق، فقال : وما عليك أن تقول : ثلاثون؟ فما زال على ذلك الى أن بلغ سبعين، فقال: وما عليك أن تقول: سبعون؟ فقال: أراك تدور على الثمانون وذلك لايكون أبدا .

ذكر شىء من نوادر المتنبئين

قيل : آدعى رجل النبوّة فى أيام المهدىّ، فأُدخِل عليه، فقال له : الى من بُعثتَ؟ فقال : ما تركتمونى أذهب الى من بعثت اليهم، فإنى بُعثتُ بالغـداة وحبستمونى بالعشىّ، فضحك المهدىّ منه، وأمر له بجائزة وخلَّى سبيله .

وتنبأ رجل وآدعى أنه موسى بن عِمران، فبلغ خبره الخليفة فأحضره وقال له : من أنت؟ قال : أنا موسى بن عمران الكليم، قال : وهذه عصاك التى صارت ثعبانا! قال : نعم، قال : فألقها من يدك ومرها أن تصير ثعبانا كما فعل موسى، قال : قل أنت (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) كما قال فرعون حتى أصيّر عصاى ثعبانا كما فعل موسى، فضحك الخليفة منه وآستظرفه، وأُحضِرتِ المـائدة فقيل له : أكلت شيئا؟ قال : ما أحسن العـقل! لو كان لى شىء آكله، ما الذى كنت أعمل عنـدكم ؟ فأعجِب الخليفةُ وأحسن اليه .

وآدّعت آمرأة النبوّة على عهـد المأمون فأحضِرت اليـه، فقال لها : من أنتِ؟ قالت : أنا فاطمة النبيّة، فقال لها المأمون : أتؤمنين بمـا جاء به محمد صلى الله عليه

وسلم ، قالت : نعم، كل ما جاء به فهو حق، فقال المأمون : فقد قال محمد صلى الله عليه وسلم « لا نبِيّ بعدى » قالت : صدق عليه الصلاة والسلام، فهل قال : لا نبية بعدى؟ فقال المأمون لمن حضره : أمّا أنا فقد ٱنقطعتُ، فمن كانت عنده حجة فليأت بها، وضحِك حتى غطّى على وجهه .

٥ وٱدّعى رجل النبوّة، فقيل له : ما علامات نبوّتك؟ قال : أنبئكم بما فى نفوسكم، قالوا : فما فى أنفسنا؟ قال : فى أنفسكم أنى كذبت ولست بنبيّ .

وتنبأ رجلٌ فى أيام المأمون فأُتِى به إليه، فقال له : أنت نبيّ؟ قال : نعم، قال : فما معجزتك؟ قال : ماشئت، قال : أَخرِج لنا من الأرض بِطيخة، قال : أمهلنى ثلاثة أيام، قال المأمون : بل الساعة أريدها، قال : يا أمير المؤمنين، أنصفنى،
١٠ أنت تعلم أن الله ينبِتها فى ثلاثة أشهر، فلا تقبلها منى فى ثلاثة أيام! فضحك منه، وعلم أنه محتال فٱستتابه ووصله .

وٱدّعى آخر النبوّة فى زمانه فطالبه بمعجزة، فقال : أطرحُ لكم حصاةً فى الماء فأذيبها حتى تصير مع الماء شيئا واحدا، قالوا : قد رضِينا، فأخرج حصاةً كانت معه فطرحها فى الماء فذابت، فقالوا : هذه حيلة، ولكن أَذِبْ حصاةً غيرَها نأتيك
١٥ بها نحن، فقال لهم : لا تتعصّبوا فلستم أضلّ من فرعون، ولا أنا أعظم من موسى، ولم يقل فرعون لموسى : لا أرضى بما تفعله بعصاك حتى أُعطِيَك عصًا من عندى تجعلها ثعبانا، فضحك المأمون منه وأجازه .

وٱدّعى رجل النبوّة فى أيام المعتصم، فأحضِر بين يديه، فقال له : أنت نبِيّ؟ قال : نعم، قال : إلى من بُعثتَ؟ قال : إليك، قال : أشهد أنك لسفيه أحمق، قال : إنما
٢٠ يذهب إلى كلّ قوم مثلُهم، فضحِك منه وأمر له بشىء .

وآدعى آخر النبوّة فى أيام المأمون، فقال له : ما معجزتك؟ قال : سل ما شئت، وكان بين يديه قُفْل، فقال خذ هــذا القفل فافتحه، فقال : أصلحك الله، لم أقل إنى حدّاد، فضحك منه وآستتابه وأجازه .

وآدّعى آخر النبوّة، فطلب ودعىَ له بالسيف والنطع، فقال : ما تصنعون؟ قالوا : نقتلك، قال : ولِمَ تقتــلوننى؟ قالوا : لأنك آدّعيت النبوّة، قال : فلست أدّعيها، قيل له : فأىّ شىء أنت؟ قال : أنا صِدّيق، فدعِىَ له بالسياط، فقال: لم تضربوننى؟ قالوا : لآدّعائك أنك صِــدّيق، قال : لا أدّعى ذلك، قالوا : فمن أنت؟ قال : من التابعين لهم بإحسان، فدعى له بالدِّرّة[1]، قال : ولِمَ ذلك؟ قالوا : لآدّعائك ما ليس فيك، فقال : ويحكم ! أدخل إليكم وأنا نبىّ تريدون أن تحطّونى فى ساعة واحدة الى مرتبة العوامّ، لا أقلّ مما تصبرون علىّ الى غد حتى أصير لكم ما شئتم.

وآدّعى آخر النبوّة، وسمى نفسه نوحا، فنهاه صديق له عن ذلك، فلم ينته، فأخذه السلطان وصلبه، فمرّ به صديقه الذى كان ينهاه، فقال : يانوح ! ما حصل لك من السفينة غير الدقل .

ذكر شىء من نوادر المغفلين وآلحمق

قال بعضهم : رأيت آبن خلف الهمدانىّ فى صحراء وهو يطلب شيئا، فقلت له : ما تبغى هاهنا ؟ قال : دفنتُ شيئا ولست أهتــدى اليه، قلت : فهلا علّمت عليه بشىء؟ قال : جعلت علامتى قطعة من الغيم كانت فوقه، وما أراها الساعة . ونظر مرة فى الحُبّ وهو الزير، فرآى وجهه، فعدا الى أمّه، فقال : يا أمّى فى الحب لِص، فجاءت أمه وتطلعت فيــه، فقالت : إى والله ومعه قحبــة . ورئى فى وسط داره

(١) الدرّة بالكسر : التى يضرب بها .

وهو يعدو عَدْواً شديدا ويقرأ بصوت عال، فسئِل عن ذلك، فقال : أردت أن أسمع صوتى من بعيد؛ ودخل إلى رجل يعزيه، فقال عظم الله مصيبتكم، وأعان أخاك على ما يرِد عليه من يأجوج ومأجوج، فضحِك الناس، فقال : تضحكون مما قلت، وإنما أردت هاروت وماروت .

٥ وقيل كتب المنصور إلى زِياد بن عبد الله الحارثى، ليقسِّم بين القواعد والعميان والأيتام مالا ، فدخل عليه أبو زياد التميمى، وكان مغفلا ، فقال أصلحك الله : آكتبنى فى القواعد ، فقال له : عافاك الله ، القواعد هنّ النساء اللاتى قعدن عن أزواجهنّ، فقال : فآكتبنى فى العميان . قال : آكتبوه منهم ، فإن الله تعالى يقول : (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ) قال أبو زياد :
١٠ وآكتب آبنىْ فى الأيتام ، قال : نعم، من كنت أباه فهو يتيم .

وسُئِل بعضهم عن مولده، فقال : وُلِدت رأسَ الهِلال للنصف من رمضان بعد العيد بثلاثة أيام، فاحسبوا الآن كيف شئتم .

ذكر شىء من نوادر النبيذيّين

قال رجل لبعض أصحاب النبيذ : وجهتُ إليك رسولا عِشية أمس فلم يجدك،
١٥ فقال : ذاك وقت لا أجد فيه نفسى .

وقيل لبعضهم : كم الصلاة ؟ فذكر الغداة والظهر، قالوا : فالعصر؟ قال : نعرِف وننكر، قالوا : فالعِشاء ؟ قال : يبلغها الجواد ، قالوا : فالعَتَمة ؟ قال : ما كانت لنا فى حساب قط .

شرب الأُقَيْشِر فى حانوت خمّار حتى نفد ما معه، ثم شرب بثيابه و بقى عُرْيانا،
٢٠ فجلس فى تِبن يستدفئ به، فمرّ رجل ينشُد ضالّة ، فقال الأقيشِر : اللهم آردد عليه،

وآحفظ علينا، فقال له الحمّار : سخنت عينك، أىّ شىء يحفظ عليك ربّك؟ قال : هذا التبن، لئلا يأخذه صاحبه فأهلك من البرد .

وباع بعضهم ضيعة له ،فقال له المشترى : بالعشىّ أشهد عليك،فقال: لو كنتُ ممن يفرغ بالعشىّ ما بعت ضيعتى .

ذكر شىء من نوادر النساء والجوارى ٥

قال رجل : قلت لجارية أريد شراءها : لا يُريبكِ شيبى فإن عندى قوة ، فقالت : أيسرّك أنّ عندك عجوزا مغتلِمة ؟

أُدخِل على المنصور جاريتان فأعجبتاه، فقالت التى دخلت أوّلا : يا أميرالمؤمنين، إن الله فضّلنى على هذه بقوله : ﴿وَٱلسَّابِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾، وقالت الأخرى : لا، بل الله فضّلنى عليها بقوله : ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ . ١٠

وعُرِض على المعتصم جاريتان بِكر وثيِّبٌ، فمال إلى البِكر، فقالت الثّيب : ما بيننا إلا يوم واحد . فقالت البكر : ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ .

قيل لامرأة ظريفة : أبِكر أنتِ ؟ قالت : أعوذ بالله من الكساد .

وقال المتوكل لجارية آستعرضها : أنت بكر أم إيش ؟ قالت : أنا إيش يا أمير المؤمنين . ١٥

وآستعرض رجل جارية فآستقبح قدميها فقالت : لا تُبالِ، فإنى أجعلهما وراء ظهرك .

وقال الرشيد لنعيض جاريته : إنك لدقيقة الساقين، قالت : أحوج ما تكون اليهما لا تراهما .

وروى أبو الفرج الأصفهانى عن إسحاق : أن الرشيد أحضره مجلسَه ذاتَ ليلة، وقد مضى شَطْر الليل، قال : فأخرج جارية كأنها مَهَاة، فأجلسها فى حِجره، ثم قال غنينى، فغنته

جِئْن من الروم وقَاليقلا * يرفُلْنَ فى المِرْط ولِينِ المُـلَا
٥ مُقَرْطَقَات بصنوف الحُلى * ياحبذا البيضُ وتلك الحلَى

فاستحسنه وشرب عليه، ثم آستؤذن للفضـل بن الربيع فأُذِن له، فلما دخل، قال : ما وراءك فى هذا الوقت؟ قال : خير يا أمير المؤمنين، ولكن جرى لى الساعة سببٌ لم يحز كتمانه، قال : وما ذاك؟ قال أُخرِج إلىّ فى هذا الوقت ثلاثُ جوارٍ: مكيّة، ومدنيّة، وعِراقيّة، فقبضت المدنية على ذكَرى، فلما أَنْعظ، وثبت المكية ١٠ فقعدتْ عليه . فقالت لها المدنية : ما هذا التعدّى؟ ألم تعلمى أن مالكا حدّثنا عن الزهرىّ عن عبد الله بن ظالم عن سعيد بن زيد أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « من أحيا أرضا ميتة فهى له » ؟ فقالت الأخرى : أو لم تعلمى أن سُفيان حدّثنا عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه : أَنّ النبىّ صلى الله عليـه وسـلم قال : «الصّيد لمن صاده، لا لمن أثَارَه» فدفعتها العراقية عنه، ووثبت عليه ١٥ وقالت : هذا لى وفى يدى حتى تصطلحا، فضحك الرشيد، وأمر بحملهنّ إليه ففعل وحظِينَ عنده، وفيهنّ يقول

ملَك الثلاثُ الآنساتُ عِنانى * وحللْنَ من قلبى بكلّ مكانِ

طُلبت جارية محمود الورّاق للمعتصم بسبعة آلاف دينار، فامتنع من بيعها، وآشتريتْ له بعد ذلك من ميراثه بسبعمائة دينار، فذكر المعتصمُ ذلك لها، فقالت :

إن كان أمير المؤمنين ينتظر بشهواته المواريث فسبعون دينارا فى ثمنى كثيرٌ فكيف بسبعمائة .

آقترح بعضهم على جاريته أن تغنى له

سرّى وسرّك لم يسمعهما أحدٌ * إلا الإله وإلا أنت ثمّ أنا

فقالت : يا سيدى والقوادة لا تنساها فهى الأصل . ٥

وآستعرض رجل جارية فقال لها : فى يديك عمل؟ قالت : لا ، ولكن فى رجلىّ .

وحُكى أن بعض المُجّان كان يعشق جارية أمجن منه ، فاضاق يوما ، فكتب إليها : قد طال عهدى بك يا سيدتى وأقلقنى الشوق إليك ، فإن رأيتِ أن تستدركى رَمَق بمُضغة علك وتجعليه بين دينارين وتنفذيه إلىّ لأستشفى به فعلتِ إن شاء الله ، ففعلتْ ذلك وكتبتْ إليه : ردُّ الظَّرف من الظَّرف ، وقد سارعتُ إلى إنفاذ ما طلبت فأنعِمْ بردّ الطبق والمكبّة ، وآستعملِ الخبر : آستدِرّوا الهدايا بردّ الظّروف . ١٠

وطلب آخر من عشيقته خاتما كان معها ، فقالت : يا سيدى ، هذا ذهب وأخاف أن تذهب ، ولكن خذ هذا العود حتّى تعود .

وكتب رجل الى عشيقته : مرِى خيالك أن يلم بى ، فكتبت اليه ، آبعث إلىّ بدينارين حتى آتيك بنفسى . ١٥

قدّم بعضهم عجوزا دلّالة الى القاضى وقال : أصلح الله القاضى ، زوّجتنِى هذه آمرأةً فلما دخلت بها ، وجدتها عرجاء ، فقالت : أصلح الله القاضى ، زوّجته آمرأة يجامعها ، ولم أعلم أنه يريد أن يحج عليها أو يسابق بها فى الحلبة أو يلعب عليها بالكرة والصولجان .

كتب رجل الى عشيقته رقعة ، قال فى أولها : عصمنا الله و إياكِ بالتقوى، فكتبت اليه فى الجواب : يا غليظ الطبع ، إن آستجاب الله دعاءك لم نلتق أبدا .

قال عقيل بن بلال : سمعتنى أعرابية أنشد

وكم ليلةٍ قد بِتّها غير آثم * بمهضومةالكشحينِ ريّانةِ القُلْبِ[1]

٥ فقالت : هل لا أثمت؟ أخزاك الله !

كان أبو نواس يوما عند بعض إخوانه ، فخرجت عليه جارية بيضاء، عليها ثياب خضر ، فلما رآها مسح عينيه وقال : خيرا رأيت إن شاء الله تعالى ، فقالت : وما رأيت؟ قال : ألكِ معرفة بعلم التعبير؟ قالت : ولا أعرف غيره ، قال : رأيت كأنى راكب دابة شهباء ، وعليها جُلٌّ أخضر ، وهى تمرح تحتى ، فقالت : إن صدقت رؤياك ١٠ فستدخِل بخلة . وقد روى أن هذه الحكاية آتفقت له مع عنان جاريةِ النّطّاف .

وكان بعضهم جالسا مع آمرأته فى منظرة ، فمرّ غلام حسن الوجه ، فقالت : أعيذ هذا بالله ما أحسنه وأحسن وجهه وقدّه ! فقال الزوج : نعم لولا أنه خصىّ ، فقالت : لعنه الله ، ولعن من خصاه .

ولما زفّت عائشة بنت طلحة إلى مصعب ، قال : والله لأقتلنها الليلة جِماعا ، ١٥ فواقعها مرة ونام فلم ينتبه الى السحر ، فحركته وقالت : آنتبه يا قتّال .

قال أبو العيناء : خطبت آمرأة فاستقبحتنى ، فكتبت اليها

فإن تنفرِى من قبح وجهى فإننى * أريب أديب لا غبِىّ ولا فدمُ

فأجابتنى : ليس لديوان الرسائل أريدك .

(١) القلب بالضم : سوار المرأة .

وخطب ثُمامة العوفىّ آمراة فسألت عن حِرفته، فكتب اليها يقول

وسائلةٍ عن حِرفتى قلت حِرفتى * مقارعة الأبطـال فى كل مازِقِ
وضربى طُلَى الأبطال بالسيف معلما * إذا زحف الصفان تحت الخوافِقِ

فلما قرأتِ الشعر، قالت للرسول : قل له : فديتك أنت أسد فاطلب لك لبؤة، فإنى ظبية أحتاج الى غزال . ٥

خرجت حُبَّى المدنيّـة فى جوف الليل فلقيها إنسان فقال لها : تخرجين فى هــذا الوقت ؟ قالت : ما أبالى، إن لقينى شيطان فأنا فى طاعته، وإن لقينى رجل فأنا فى طلبه، وجاءت الى شيخ يبيع اللبن، ففتحت ظرفا فذاقته، ودفعته إليه، وقالت : لا تعجل بشدّه، ثم فتحت آخر فذاقته، ودفعته إليه، فلمـا أشغلت يديه جميعا، كشفت ثوبه من خلفه، وجعلت تَصْفِقُ[1] بظاهر قدميها آسته وخصييه، وتقول : ١٠ يا ثارات ذات النحيينِ، والشيخ يستغيث فلم يخلص منها إلا بعد جهد .

غاب رجل عن آمرأته فبلغها أنه آشترى جارية، فاشترت غلامين، فبلغه ذلك، فجاء مبادرا، وقال لها : ما هذا؟ فقالت : أما علمت أن الرحى الى بغلين أحوج من البغل الى رحيينِ، ولكن بع الجارية حتى نبيع الغلامين، ففعل ذلك ففعلت .

ومثل ذلك ما حكِى عن الأحنف : أنه اعتمّ ونظر فى المرآة، فقالت له آمرأته : ١٥ كأنك قد هممت بخطبة آمرأة، قال : قد كان ذلك، قالت : فإذا فعلت فاعلم أن المرأة الى رجلين أحوج من الرجل الى آمرأتين، فنقض عِمته وترك ما كان قد همّ به .

نظر المتوكل الى جارية له متكئة فلم يرض عجيزتها، فقـال لها : إنك لرسْحاء، فقالت يا أمير المؤمنين، ما نقصناه من الطستِ زدناه فى المسِّينة[2] .

(١) تصفقُ : تضربُ، والصفق الضرب يُسمع له صوتٌ .
(٢) كذا بالأصل ولم نقف لهـا على معنى . ٢٠

ذكر شيء من نوادر العميان

قال إبراهيم بن سَيّابة لبشّار الأعمى : ما سلب الله من مؤمن كريمتيه إلا عوّضه عنهما : إما الحفظ والذكاء ، وإما حسن الصوت ، فما الذى عوّضك الله عن عينيك؟ قال : فقد[1] النظر لبغيض ثقيل مثلِك .

٥ ونظير هذه الحكاية ، ما حكِى عن بعضهم ، قال : خرجت ليلة من قرية لبعض شأنى ، فإذا أنا بأعمى على عاتقه جرّة ، وبيده سِراج ، فلم يزل حتى آنتهى إلى النهر ، وملأ جرّته وعاد ، قال : فقلت له : يا هذا ، أنت أعمى ، والليل والنهار عندك سواء ، فما تصنع بالسراج؟ قال : يا كثير الفضول ، حملته لأعمى القلب مثلِك ، يستضيء به لئلا يعثر فى الظلمة ، فيقع علىّ ويكسِر جرّتى .

١٠ قالوا : بلغ أبا العتاهية أن المتوكل يقول : لولا عمى أبى العتاهِية لاستكثرت منه ، فقال : قولوا لأمير المؤمنين : إن كان يريدنى لرؤية الأهلة ، ونظم اللآلئ واليواقيت ، وقراءة نقوش الخواتيم ، فأنا لا أصلح لذلك ، وإن كان يريدنى للمحاضرة والمذاكرة والمسامرة ، فناهيك بى ، فانتهى ذلك إلى المتوكل فضحِك منه ، وأمر بإحضاره ، فحضر ونادمه .

١٥ تزوّج بعض العميان بسوداء ، فقالت له : لو نظرت الى حسنى وجمالى وبياضى لازددت فىّ حبا ، فقال لها : لو كنتِ كما تقولين ما تركك لِى البصراء .

ذكر شيء من نوادر السؤّال

سأل أبو عونٍ رجلا فمنعه ، فألحّ عليه فأعطاه ، فقال : اللهم آجرنا وإياهم ، نسألهم إلحافا ويعطوننا كرها ، فلا يبارك الله لنا فيها ولا يؤجرهم عليها .

٢٠ (١) هكذا فى الأصل . والذى فى إحدى النسخ الخطية : الراحة مِن النظر ...

وقف أعرابىّ سائل على باب وسأل ، فأجابه رجل وقال : ليس ها هنا أحد، فقال : إنك لأحد لو جعل الله فيك بركة .

(١١) ووقف سائل على باب ، وكانت صاحبة الدار تبول فى البالوعة ، فسمع السائل صوت بولتها فظنه نشيش المقلى ، فقال : أطعمونا من هذا الذى تقلونه ، فضرطت المرأة وقالت : حَطَبُنا رَطْبٌ ليس يُشعل . ٥

وقف سائل على باب وقال : تصدّقوا علىّ فإنى جائع ، قالوا : إلى الآن لم نخبز، قال : فكفّ سويق ، قالوا : ليس عندنا سويق ، قال : فشربة من ماء فإنى عطشان، قالوا : ما أتانا السقّاء ، قال : فيسير دهن أجعله فى رأسى ، قالوا : من أين لنا دهن ، فقال : يا أولاد الزنا ، فما قعودكم هنا؟ قوموا وآشحتوا معى !

ذكر شىء من نوادر من آشتهر بالمجون ١٠

كان مُزَبِّد ممن آشتهر بالمجون والنوادر، وله نوادر، فمنها قيل : إنه أخذه بعض الولاة ، وقد آتهم بالشرب ، فاستنكهه ، فلم يجد منه رائحة ، فقال : قيّئوه ، فقال مزبّد : ومن يضمن عشائى أصلحك الله ، فضحك منه وأطلقه . وهبّت ريح شديدة فصاح الناس : القيامة ، القيامة ، فقال مزبّد : هذه قيامة على الريق بلا دجّال ، ولا دابّة ، ولا القائم ، ولا عيسى بن مريم ، ولا يأجوج ومأجوج . وقيل له : ١٥ لِم لا تكون كفُلانٍ؟ يعنون رجلا موسِرا ، فقال : بأبى أنتم ، كيف أشبّه بمن يضرِط فيُشمَّت[1] ، وأعطِسُ فأُلطم . وقيل له : ما بال حمارك يتبلّد إذا توجّه نحو المنزل ، وحمير الناس إلى منازلها أسرع ؟ قال : لأنه يعرف سوء المنقلَب . ونظرت آمرأته وهى حبلى الى قبح وجهه ، فقالت : الويل لى ، إن كان الذى فى بطنى يشبهك ،

(١) التشميت بالشين المعجمة والسين المهملة : الدعاء للعاطس . ٢٠

فقال لها : الويل لك، إن لم يكن يشبهنى . وسمع رجلا يقول عن آبن عباس : من نوى حِجّةً، وعاقه عائق، كُتبت له ، فقال مزبّد : ما خرج العام كِراء أرخص من هذا . وحكِي عنه : أنه جمع بين رجل وعشيقته فى منزله ، فعاتبها ساعة ومدّ يده اليها، فقالت : ليس هـذا موضعه، فسمع مزبّد قولها، فقال : يا زانية ! فأين موضعه،
٥ بين الركن والمقام؟ هذه الدار ما بنيت إلا للقحاب والقيادة، ولا آخذ ثمن أخشابها إلا من القِمار، ولا موضع أحقّ منها بهذا .

ومن آشتهر بالمجون أشعب .

ذكر شىء من نوادر أشعب وأخباره

هو أشعب بن جُبَير، وآسمه شُعَيب وكنيته أبو العلاء ، وأمّه أمّ الجلندح، وقيل
١٠ أمّ حميد حميدة(١)، وهى مولاة أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها، وكان أبوه قد خرج مع المختار بن أبى عبيـد ، فأسره مصعب بن الزبير، فقال له : ويلك ، تخرج علىّ وأنت مولاى ؟ وقتله صبرا ؛ وقد قيـل فى ولائه : إن أباه مولى عثمان آبن عفان رضى الله عنـه، وأن أمه كانت مولاة أبى سفيان بن حرب، وان ميمونة أمّ المؤمنين أخذتها لمـا تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسـلم، وكانت تدخل على
١٥ أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم، فيستظرِفنها، ثم صارت تنقل أحاديث بعضهنّ الى بعض ، وتغرِى بينهن ، فدعا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فماتت . وقد حكِى عن أشعب : أنه جلس يوما فى مجلس فيه جماعة، فتفاخروا وذكر كل واحد منهـم مناقبه وشرفه أو شجاعته أو شعره وغير ذلك مما يتمدح به الناس ويتفاخرون، فوثب أشعب، وقال : أنا آبن أمّ الجلندح، أنا آبن أمّ المحرّشـة بين أزواج النبيّ صلى الله
٢٠ عليه وسـلم، فقيل له : ويلك ، أو بهذا يفتخر الناس ؟ قال : وأىّ آفتخار أعظم

(١) كذا بالاصل وعبارة الأغانى : كان يقال لأمه أم "الخلندج" وقيل أم جميل وآسمها حميدة .

من هذا، لو لم تكن أمى عندهن ثقةً لما قبِلن روايتها فى بعضهنّ بعضا . وقد حكى: أنها زنت، فحُلِقت، وطِيف بها على جمل، فكانت تنادى على نفسها : من رآنى فلا يزنِين ، فقالت لها امرأة : نهانا الله عزّ وجل عنه فعصيناه ، ونطيعك ، وأنت مجلودة محلوقة ، راكبة على جمل . ونشأ أشعب بالمدينــة فى دور آل أبى طالب، وكفلته وتولت تربيته عائشة بنت عثمان، وعمّر أشعب عمــرا طويلا . وحكى عنه ٥
أنه قال : كنت مع عثمان رضى الله عنــه يوم الدارِ لما حُصر، فلما جرّد مماليكه السيوف، ليقاتلوا ، كنت فيهم، فقال عثمان : من أغمد سيفه فهو حرٌّ، فلما وقعت فى أذنى ، كنت واللهِ أوّل من أغمد سيفه، فعتِقت ؛ وكانت وفاته بعد سنة أربع وخمسين ومائة ، وهــذا القول يدلّ على انه كان مولى عثمان بن عفّان رضى الله عنه . ١٠

(١٢) وقد روى أبو الفرج الأصفهانىّ بإسناد رفعه الى إبراهيم بن المهدىّ عن عبيد ابن أشعب عن أبيه : أنه كان مولده فى سنة تسع من الهجرة، وأن أباه كان من مماليك عثمان بن عفّان ؛ وعمّر أشعب حتى هلك فى أيام المهــدىّ . قال : وكانت فى أشــعب خِلال ، منها : أنه كان أطيب أهل زمانه عِشرة ، وأكثرهم نادِرة ، وكان أقوم أهل دهره لحجج المعتزِلة، وكان امرأً منهم . وقال مصعب بن عبد الله: ١٥
كان أشعب من القرّاء حسن الصوت بالقراءة، وكان قد نسك وغزا ؛ وقد روى الحديث عن عبد الله بن جعفر . وقال الأصمعىّ: قال أشعب : نشأت أنا وأبى الزناد فى حِجر عائشة بنت عثمان، فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة . وقال إسحاق ابن إبراهيم كان أشعب مع ملاحته ونوادره يغنّى أصواتا يجيدها، وفيه يقول عبد الله ابن مصعب الزبيرىّ عفا الله عنه ٢٠

اذا تمـــزّزت صُراحيّــةً(١) * كمثل ريح المِسك أو اطيبُ
ثم تغـــنّى لى بأهزاجه * زيد أخو الأنصار أو أشعبُ
حسِبت أنى ملِك جالس * حفّت به الأملاك والموكبُ
وما أبالى وإلهِ العـــلا(٢) * أشـــرّق العـالَمُ أم غرّبوا

ولأشعب نوادر مستظرفة وحكايات مستحسنة ، وقد آن أن نذكرها ، فمنها :
ما حكى ، أنه كان يقول : كلبي كلب سوء ، يبصبص للأضياف ، وينبح على أصحاب
الهدايا ؛ وقيل له : قد لقِيتَ رجالا من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم فلو حفِظت
أحاديث تتحدّث بها ! فقال : أنا أعلم الناس بالحديث ، قيل : فحدثنا ، قال : حدّثنى
عِكرمة عن آبن عباس رضى الله عنهم ، قال : خلتان لا تجتمعان فى مؤمن إلا دخل
الجنة ، ثم سكت ، فقيل له : هات ما الخلتان؟ قال : نسِى عكرمة إحداهما ، ونسيت
أنا الأخرى ؛ وكان أشعب يحدّث عن عبــد الله بن عمر رضى الله عنهما ، فيقول :
حدّثنى عبد الله ، وكان يبغضنى فى الله ؛ وكان أشعب يلازم طعام سالم بن عبد الله
آبن عمر رضى الله عنهم ، فآشتهى سالم أن يأكل مع بناته ، فخرج الى البستان ، فجاء
أشعب الى منزل سالم على عادته ، فأُخبر بالقِصــة فاكترى جملا بدرهم ، وجاء الى
البستان ، فلما حاذى الحائط ، وثب ، فصار عليه ، فغطّى سالم بناته بثوبه ، وقال :
بناتى بنـاتى ! فقال أشعب : (لَقَدْ عَلِمْتَ مَالَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ
مَا نُرِيدُ) .

قال أشعب : جاءتنى جارية بدينار ، وقالت : هذا وديعة عندك ، فجعلتُه بين ثِنْىِ
الفِراش ، فجاءت بعد أيام وقالت : بأبى أنت ، الدينار ، فقلت آرفعى فراشى وخذى
ولده فإنه قد ولد ، وكنت قد تركت الى جنبه دِرهمـا ، فأخذتِ الدرهم ، وتركت

(١) الصُّراحيّة : آنية الخمر . (٢) فى الأصول : العلا ، والذى فى الأغانى : الورى .

الدينار، وعادت بعد أيام، فوجدت معه درهمـا آخر فأخذته ، وفى الثالثة كذلك ، وجاءت فى الرابعة ، فلما رأيتها بكيتُ، فقالت : ما يبكيك ؟ قلت : مات دينارك فى النفاس، فقالت : وكيف يكون للدينار نفاس ؟ قلت : يا فاسقة ! تصدّقين بالوِلادة ولا تصدّقين بالنفاس .

ومن أخباره المستظرفة ما حكاه المدائنىّ ، قال : قال أشـعب : تعلّقت بأستار الكعبة ، فقلت : اللهم أذهب عنى الحِـرص والطلب إلى الناس، فمررت بالقرشيّين وغيرهم فلم يُعطنى أحدٌ شيئا ، فجئت الى أُمى، فقالت : مالك قد جئت خائبـا ؟ فأخبرتها بذلك ، فقـالت : والله لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك ، فرجعت ، فجعلت أقول : يا ربّ أقِلنى ، ثم رجعت ، فما مررت بمجلس لقريش ولا غيرهم إلا أعطونى، ووُهِب لى غلام فجئت الى أمى بجمال موقرة من كل شىء، فقالت : ما هـذا الغلام ؟ فخفت أن أخبرها فتموت فرحا إن قلت : وهبوه لى، فقالت : أىّ شىء هذا؟ فقلت : غين، قالت : أىّ شىء؟ قلت : لام، قالت : أىّ شىء؟ قلت : ميم، قالت : وأى ميم؟[1] قلت : غلام فغُشِى عليها، ولو لم أقطع الحروف لمـاتت الفاسقة فرحا . قال : وجلس أشعب يوما الى جانب مروان بن أَبَان بن عثمان، فانفلتت من مروان ريح لها صوت، فانصرف أشعب يوهم الناس أنه هو الذى خرجت منه الريح، فلما آنصرف مروان الى منزله جاءه أشعب، فقال له : الدية، قال : دية ماذا ؟ قال : دية الضرطة التى تحملتها عنك ، وإلا شهرتك ، فلم يدعه حتى أخذ منه شيئا صالحه عليه .

وقال محمد بن أبى قبيـلة : غذّى أشعب جديا بلبن أمّه وغيرها حتى بلغ غايةً ، ثم قال لزوجته أمّ آبنـه وردان : إنى أحبّ أن ترضعيه بلبنك، ففعلت، ثم جاء به

(١) كذا بالأصل، وفى الأغانى : قالت : وأى شىء لام، قلت : ألف . قالت وأىّ شىء ألف، قلت : ميم الخ .

الى إسماعيل بن جعفر بن محمد، فقال : تالله إنه لأبنى، رضع بلبن زوجتى،
قد حبوتك به، ولم أر أحدا يستأهله سواك، فنظر إسماعيل إليه وأمر به، فذُبح
وسُمِط، فأقبل عليه أشعب وقال : المكافأة، فقال : ما عندى والله اليوم شىء،
ونحن من تعرف، وذلك غير فائت لك، فلما يئس أشعب منه، قام من عنده،
٥ فدخل على أبيه جعفر، ثم آندفع فشهق حتى التقت أضلاعه، ثم قال : أَخْلِنى،
قال : ما معنا أحد يسمع، ولا عليك عين، قال : وثب آبنك إسماعيل على آبنى
فذبحه، وأنا أنظر اليه، فارتاع جعفر وصاح، ويلك! وفِيم؟ وتريد ماذا؟ قال :
أما ما أريد، فوالله مالى فى إسماعيل حيلة ولا يسمع هذا سامع أبدا بعدك، بجزاه خيرا
وأدخله منزله وأخرج اليه مائتى دينار، فقال : خذ هذه، ولك عندنا ما تحبّ،
١٠ قال : وخرج الى إسماعيل وهو لا يبصر ما يطأ عليه، فإذا به مسترسِل فى مجلسه
فلما رأى وجه أبيه أنكره، وقام إليه، فقال : يا إسماعيل فعلتها بأشعب! قتلت
ولده؟ قال : فاستضحك، وقال : جاءنى، وأخبره الخبر، فأخبره أبوه بما كان منه،
وما صار إليه، قال : فكان جعفر يقول لأشعب : رعتنى راعك الله، فيقول :
روعة آبنك بنا فى الجدى أكثر من روعتك بالمائتى دينار.

١٥ قال المدائنىّ : دخل أشعب على الحسين بن على رضى الله عنهما، وعنده أعرابىّ
قبيح المنظر، مختلف الخِلقة، فسبّح أشعب حين رآه وقال للحسين : بأبى أنت وأمى،
أتأذن لى أن أسلح عليه؟ فقال : إن شئت، ومع الأعرابىّ قوس وكنانة، ففوّق
نحوه سهما، وقال : والله لئن فعلت، لتكونن آخر سلحة سلحتها، فقال أشعب
للحسين : جعلت فداك، أخذنى القُولَنْج[1]. وعنه، قال : توضأ أشعب فغسل رجله
٢٠ اليسرى وترك اليمنى، فقيل له : لِمَ تركت غسل اليمنى؟ فقال : لأن النبىّ صلى الله عليه

(١) القولنج : بضم القاف أو فتحها وفتح اللام أو كسرها : مرض معوىّ مؤلم يعسر معه خروج الثُّفل والريح.

وسلم قال : « أمتى غُرٌّ محجّلون من آثار الوضوء » [(١)] وأنا أحب أن أكون أغرّ محجّلا مطلق اليمين . وقال : سمع أشعب حُبِّى المدنيّة تقول : اللهم لا تمتنى حتى تغفر لى ذنوبى، فقال لها : يا فاسقة! أنت لم تسألى الله تعالى المغفرة، وإنما سألته عمر الأبد، يريد : أن الله لا يغفر لها أبدا .

وقال الزبير بن بكّار : كان أشعب يوما فى المسجد يدعو، فإذا هو قد قبض وجهه فصيّره كالشعرة المجموعة ، فرآه عامر بن عبد الله بن الزبير فحصبه، وناداه : يا أشعب إنما أنت تناجى ربك فناجه بوجه طليق، قال : فأرخى لحييه حتى وقعا على زَوْرِه [(٢)]، قال : فأعرض عنه، وقال : ولا كلّ ذا .

وقال مصعب : بلغ أشعب أن الغاضرىّ قد أخذ فى مثل مذهبه ونوادره، وأن جماعة آستطابوه ، فرقبهم حتى علم أنه فى مجلس من مجالس قريش يحادثهم ويضحِكهم، فصار اليهم، ثم قال : قد بلغنى أنك قد نحوت نحوى، وشغلت عنى من كان يألفنى ، فإن كنت مثلى فآفعل كما أفعل، ثم غضّن وجهه وعرّضه وشنّجه ، حتى صار عرضُه أكثرَ من طوله ، وصار فى هيئة لم يعرفه أحد بها ، ثم أرسل وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدره، وصار كأنه وجه الناظر فى سيف، ثم نزع ثيابه وتحادب، فصار فى ظهره حدبة كسنام البعير، وصار طوله مقدار شبر، ثم نزع سراويله، وجعل يمد جِلد خصييه حتى حك بهما الأرض، ثم خلّاهما من يده، وجعل يميس، وهما يخطان الأرض، ثم قام فتطاول وتمدّد وتمطّى، حتى صار كأطول ما يكون من الرجال، فضحِك القوم حتى أغمى عليهم، وقطع بالغاضرىّ فما تكلم بنادرة، ولا زاد على أن يقول : يا أبا العلاء لا أعاود ما تكره أبدا، إنما أنا عبدك وتخريجك، ثم آنصرف أشعب وتركه .

(١) هكذا فى الأصل . والذى فى الجامع الصغير : «أمتى يوم القيامة غرٌّ من السجود محجّلون من الوضوء» .
(٢) الزَّوْرُ : وسَطُ الصدر .

وقال الزبير بن بكّار : حدثنى عمّى، قال : لقى أشعبَ صديقٌ لابيه، فقال له : ويلك يا أشعب ! كان أبوك ألحى وأنت أقطّ[1]، فالى من خرجت تشبه ؟ قال : الى أمى .

وقال الهيثم بن عدىّ : لقيت أشعبَ، فقلت له : كيف ترى أهل زمانك هذا؟ قال : يسألونى عن أحاديث الملوك، ويعطونى عطاء العبيد .

وقال مصعب بن عثمان : لقى أشعبَ سالمُ بنُ عبد الله بن عمرو، فقال له : يا أشعب، هل لك فى هريس أُعِدّ لنا؟ قال: نعم، بأبى أنت وأمى، فمضى أشعب الى منزله، فقالت له آمرأته : قد وجّه عبد الله بن عمرو بن عثمان يدعوك، قال : ويحك ! إن لسالم بن عبد الله هريسة قد دعانى إليها ، وعبد الله بن عمرو فى يدى متى شئت، وسالم إنما دعْوتُه للناس فلتة ، وليس لى بدٌّ من المضىّ اليه، قالت : إذًا يغضب عبد الله، قال : آكل عنده، ثم أصير الى عبد الله، فجاء الى منزل سالم، فجعل يأكل أكلَ متعالٍ، فقال له : كل يا أشعب، وآبعث ما فضل عنك الى منزلك، قال : ذلك أردت، بأبى أنت وأمّى، قال : فقال: يا غلام، آحمل هذا الى منزله ، فحمله ، ومشى أشعب معه، فقالت آمرأته : ثكلتك أمك ، قد حلف عبد الله لا يكلّمك شهرا، قال : دعِينى و إياه ، هاتى شيئا من زعفران، فأعطته، فأخذه ودخل الحمّام، فمسحه على وجهه وبدنِه، وجلس فى الحمام حتى صفّره، وخرج متوكئا على عصا يرعد حتى أتى دار عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فلما رآه حاجبه، قال : ويحك ! بلغتْ بك العِلةُ ما أرى؟ ودخل فأعلم صاحبه، فأذن له فلما دخل عليه، إذا سالم بن عبد الله عنده ، فجعل يزيد فى الرعدة، ويقارب الخطو، فجلس

---

(١) الأقطّ : القصير الشعر .

وما كاد أن يستقِلّ ، فقال عبد الله : ظلمناك يا أشعب فى غضبنا عليك ، فقال له سالم : ويلك مالك! ألم تكن عندى آنفا ؟ أكلت هريسة! قال : لقد شُبّه لك، لا حول ولا قوة إلا بالله، قال : لعل الشيطان يتشبّه بك، قال أشعب : علىّ وعلىّ إن كنت رأيتك منذ شهر، فقال له عبـد الله : آعزب ويلك عن خالى! أتبهته؟ لا أمّ لك! قال : ما قلت إلا حقّا قال : بحياتى أصـدقنى وأنت آمن من غضبى ٥
قال : وحياتك لقد صدق، وحدّثه بالقصة فضحِك حتى آستلقى على قفاه .

وقال المدائنىّ والهيثم بن عدىّ : بعث الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الى أشعب بعد ما طلّق آمرأته سعدة، فقال له : يا أشعب : لك عندى عشرة آلاف درهم، على أن تبلغ رسالتى سعدة، فقال له : أحضر المـال حتى أنظر اليه، فأحضر الوليد بَدْرة، فوضعها أشعب على عنقه، وقال : هات رسالتك، قال : قل لها يقول لك ١٠

أسعدةُ هل إليك لنا سبيلٌ * وهل حتى القِيامةِ من تِلاقى
بلى! ولعلّ دهرا أن يؤاتِى * بموتٍ من حليلِك أو طلاقِ
فأُصبِحَ شامتا وتقـرَّ عينى * ويُجمعَ شملُنا بعـد آفتراقِ

قال : فأتى أشعب الباب ، فأُخبِرتْ بمكانه ، فأمرت ففُرِش لها فرش وجلست وأذِنت له، فدخل فأنشدها، فلما أنشد البيت الأوّل ١٥

أسعدةُ هل إليك لنا سبيلٌ * وهل حتى القيامةِ من تلاقى

قالت : لا والله، لا يكون ذلك أبدا، فلما أنشد البيت الثانى

بلى! ولعلّ دهرا أن يؤاتى * بموتٍ من حليلك أو طلاقِ

قالت : كلّا إن شاء الله، بل يفعل الله ذلك به، فلما أنشد البيت الثالث

فأصبِحَ شامتا وتقـرَّ عينى * ويُجمعَ شملُنا بعـد آفتراق ٢٠

قالت : بل تكون الشماتة به، ثم قالت لخدمها : خذوا الفاسق، فقال : يا سيدتى، إنها عشرة آلاف درهم، قالت : والله لأقتلنّك أو تبلّغه كما بلّغتنى، قال : وما تهبين لى، قالت : بساطى الذى تحتى، قال : قومى عنه، فقامت، فطواه، ثم قال : هاتى رسالتك، جُعلت فداكِ، قالت : قل له

٥ أتبكِى على لبنَى وأنت تركتها * فقد ذهبت لبنَى فما أنت صانع؟

فأقبل أشعب، حتى دخل على الوليد، فأنشده البيت، فقال : أوه قتلتنى والله، فما ترانى صانعا بك يا آبن الزانية؟ آختر إما أن أدليك منكّسا فى بئر، أو أرميك من فوق القصر منكّسا، أو أضرب رأسك بعمودى هـذا ضربة، قال له : ما كنت فاعلا بى شيئا من ذلك، قال : ولم ؟ قال : لأنك لم تكن لتعذّب عينين قد نظرتا

١٠ الى سعدة، قال : صدقت يا آبن الزانية .

وروى أبو الفرج الأصفهانىّ بإسناده الى إبراهيم بن المهدىّ عن آبن أشعب عن أبيه، قال : دُعِى ذات يوم بالمغنين الى الوليد بن يزيد، وكنت نازلا معهم، فقلت للرسول : خذنى فيهم، قال : لم أؤمر بك، إنمـا أُمرت بإحضار المغنين، وأنت بطال لا تدخل فى جملتهم، فقلت له : أنا والله أحسن غناء منهم، ثم آندفعت فغنيت،

١٥ فقال : لقد سمعت حسنا، ولكن أخاف، قلت : لا خوف عليك، ولك مع ذلك شرط، قال : وما هو ؟ قلت : كل ما أصبت فلك شطره، فأشهد علىّ الجماعة، ومضينا حتى دخلنا على الوليد، وهو لقِس النفس، فغناه المغنّون فى كلّ فنّ فلم يتحرك ولم ينشط، فقام الأبجر الى الخلاء، وكان خبيثا داهيا، فسأل الخادمَ عن خبره، فقال بينه وبين آمرأته شر، لأنه عشق أختها فغضبت عليه، وهو إلى أختها أميل، وقد (١٥)

٢٠ عزم على طلاقها، وحلف أن لا يذكرها أبدا بمراسلة ولا مخاطبة، فخرج على هذه الحال من عندها، فعاد الأبجر الينا، وجلس ثم آندفع يغنّى

فبيني فإني لا أبالي وأيقــني * أصَعَّدَ باقى حبكم أم تصوّبا
ألم تعلمي أني عزوف عن الهوى * اذا صاحبي من غير شيء تغضّبا

فطرب الوليد وآرتاح، وقال للأبجر : أصبت والله ياعبيدة ما في نفسي، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشرب حتى سكر، ولم يحظ أحد بشيء سوى الأبجر، فلما أيقنت بآنقضاء المجلس وثبت فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر من يضربني ٥
مائة سوط الساعة بحضرتك، فضحك! ثم قال : قبحك الله! وما السبب في ذلك ؟ فأخبرته بقصتي مع الرسول، وقلت له : إنه بدأني بالمكروه في أوّل يومه، فاتصل عليّ الى آخره فأريد أن أُضرَبَ مائة سوط، ويُضرَبَ بعدي مثلها، فقال : لقد لطفت، بل أعطوه مائة دينار، وأعطوا الرســول خمسين دينارا من مالنا عوض الخمسين التي أراد أخذها من أشعب، فقبضتها وآنصرفت . ١٠

وقال عبيدة بن أشعب : غضبت سُكَينة على أبي في شيء خالفها فيه، فحلفت لتحلقنّ لحيته، فقال له الحجام : آنفخ أشداقك حتى أتمكن منك، فقال له أشعب : يا آبن البظراء، أمرتْك أن تحلق لحيتي أو تعلّمني أزمر؟ أخبرني عن آمرأتك إذا أردت أن تحلق حرها تنفخ أشداقه ؟ فغضب الحجام وحلف أن لا يحلق لحيته وآنصرف، فبلغ سكينةَ الخبرُ، فضحكت وعفت عنه . ١٥

قال آبن رُبَيْح[1] : كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأولعهم، فبينا نحن ذات يوم عنده، وعنده أشعب، اذ أقبل أعرابيّ معه جمل، والأعرابيّ أشقر أزرق أزعر يتلظّى كأنه أفعى، والشرّ بيِّنٌ في وجهه، ما يدنو منه أحد إلا شتمه ونهره، فقال أبان : هذا والله من البَابَة[2]، ادعوه لي، فدعوه له، وقيل : إن الأمير أبان بن عثمان

(١) كذا بالأصل وصوابه : زَبَنَّج بفتح الزاى والباء وفتح النون مشدّدة وهو راوية بن هَرْمَة . ٢٠
(٢) البابة : آسم بلدة .

يدعوك، فأتاه فسلّم عليه، فسأله أبان بن عثمان عن نسبه، فانتسب له، فقال له أبان: حيّاك الله يا خال، اجلس، فجلس، فقال له: إنى أطلب جملا مثل جملك هذا منذ زمان فلم أجده كما أشتهى بهذه الصفة وهذه الهامة والصورة والورك والأخفاف، والحمد لله الذى جعل ظَفَرى به عند من أحبه، أتبيعنيه؟ فقال: نعم أيها الأمير، قال: فإنى قد بذلت لك به مائة دينار، فطمع الأعرابىّ وسُرّ وانتفخ. وبان الطمع فى وجهه، فأقبل أبان على أشعب، ثم قال له: ويلك يا أشعب! إن خالى هذا من أهلك وأقاربك، يعنى: فى الطمع، فأوسِع له مما عندك، فقال: نعم، بأبى أنت وزيادة، فقال له أبان: يا خال، إنما زدتك فى الثمن على بصيرة أن الجمل يساوى ستين دينارا، ولكنى بذلت لك مائة دينار لقلة النقد عندنا، وإنى أعطيك عُروضا تساوى مائة دينار، فزاد طمع الأعرابىّ وقال: قد قبلت ذلك أيها الأمير، وأسرّ أبان الى أشعب فأخرج شيئا مغطًّى، فقال له: أَخرِج ما جئت به، فأخرج جَرْدَ عمامة تساوى أربعة دراهم، فقال له: قوّمها يا أشعب، فقال: عمامة الأمير يشهد فيها الأعياد والجُمَع ويلقى فيها الخلفاء! خمسون دينارا، قال: ضعها بين يديه، وقال لابن زَبَنَّج: أثبتْ قيمتها، فكتب ذلك، ووُضعت العمامة بين يدى الأعرابىّ، فكاد يدخل بعضه فى بعض غيظا، ولم يقدر على الكلام، قال: هاتِ قلنسوتى، فأخرج قلنسوة طويلة خَلَقَة قد علاها الوسخ والدهن وتخرّقت تساوى نصف درهم، قال: قوّم، فقال: قلنسوة الأمير تعلو هامته، ويصلى فيها الصلوات الخمس، ويجلس فيها للحكم! ثلاثون دينارا، قال: أثبتْ، فأثبتَ ذلك، ووُضعت القلنسوة بين يدى الأعرابىّ فاربدّ وجهه وجحظت عيناه وهمّ بالوثوب، ثم تماسك وهو مقلقل، ثم قال لأشعب: هات ما عندك فأخرج خُفَّين خَلَقَين قد نُقبا وتقشرا وتفتتا، فقال: قوّم، فقال: خُفَّا الأمير يطأ بهما الروضة، ويعلو بهما منبر النبىّ

صلى الله عليه وسلم! أربعون دينارا، فقال: ضعهما بين يديه، ثم قال للأعرابىّ:
آضمم اليك متاعك، وقال لبعض الأعوان: آمض مع الأعرابىّ وآقبض ما بقى لنا
عليه من ثمن المتاع، وهو عشرون دينارا، فوثب الأعرابىّ، فأخذ القماش، فضرب
به وجوه القوم لا يألو فى شدّة الرمى، ثم قال له: أتدرى فى أى شىء أموت؟ قال:
لا، قال: كيف لا أدركت أباك عثمان فأُشْرِكَ والله فى دمه إذ ولد مثلك؟ ثم ٥
نهض كالمجنون حتى أخذ برأس بعيره، وضحك أبان حتى سقط، وضحك من كان
معه، فكان الأعرابىّ بعد ذلك إذا لقى أشعبَ يقول له: هلمّ إلىّ يابن الخبيثة،
حتى أكافئك على قيمتك المتاع، يوم قومت، فيهرب منه أشعب.

ونقل الزبير بن بكّار عن عمّه: تظلّمت آمرأة أشعب منه الى أبى بكر بن محمد بن
عمرو بن حزم، فقالت: لا يدعنى هذا من كثرة الجماع، فقال له أشعب: أترانى ١٠
أعلف ولا أركب؟ فلتكفف ضرسَها لأكفّ أيرى.

وقال المدائنىّ: حدّثنى شيخ من أهل المدينة، قال: كانت آمرأة شديدة العين،
لا تنظر الى شىء فتستحسنه إلا عانته، فدخلت على أشعب وهو فى الموت، وهو
يقول لأبنته: يا بنية، إذا أنا مِتّ فلا تندبينى، والناس يسمعونك، وتقولين: وا أبتاه،
أندبك للصوم والصلاة، للفقه والقرءان، فيكذبك الناس ويلعنوننى، ثم آلتفت فرأى ١٥
المرأة فغطى وجهه بكمه، وقال لها: يا فلانة، بالله إن كنت آستحسنت شيئا مما أنا
فيه، فصلى على النبىّ صلى الله عليه وسلم ولا تهلكينى، فغضبت المرأة، وقالت:
سخنت عينك، وفى أى شىء أنت مما يستحسن؟ أنت فى آخر رمق، قال: قد
علمت، ولكن قد لا تكونين قد آستحسنت خفة الموت علىّ، وسهولة النزع، فيشتدّ
ما أنا فيه، فخرجت من عنده وهى تسبه، وضحك من كان حوله من كلامه ومات. ٢٠

ذكر شيء من نوادر أبي دلامة

هو أبو دلامة زند بن الجون وزند بالنون، وهو كوفىّ أسود مولى لبنى أسد، كان أبوه عبدا لرجل منهم، يقال له : قصافِص، فأعتقه وأدرك آخر زمن بنى أميّة ولم يكن له نباهة فى أيامهم، ونبغ فى أيام بنى العباس فانقطع إلى أبى العباس السفّاح وأبى جعفر المنصور والمهدىّ، وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبون مجالسته ونوادره .

قال أبو الفرج الأصفهانىّ : كان أبو دلامة ردىء المذهب، مرتكبا للمحارم، مضيّعا للفروض، متجاهرا بذلك، وكان يعلم هذا منه، ويعرف به، فيتجافى عنه للطف محله، وله أخبار وأشعار ليس هذا موضع ذكرها، وإنما نثبت فى هذا الموضع ما له من نادرة أو حكاية مستظرفة، فمن ذلك : أنه دخل على أبى جعفر المنصور، وكان المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد والقلانس الطوال، وتدعم بعيدان من داخلها، وأن يعلقوا السيوف فى المناطق، ويكتبوا على ظهورهم : (فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ)، فلما دخل عليه أبو دلامة فى هذا الزىّ، قال له المنصور : ما حالك؟ قال : شر حال يا أمير المؤمنين، وجهى فى نصفى، وسيفى فى آستى، وقد صبغت بالسواد ثيابى ونبذت كتاب الله من وراء ظهرى، ثم أنشد

وكنا نرجّى منحةً من إمامنا * فجاءت بطولٍ زاده فى القلانِس

تراها على هام الرجال كأنها * دِنانُ يهودٍ جُلِّلَتْ بالبرانِس

فضحك منه المنصور وأعفاه وحذّره من ذلك، وقال : إياك أن يسمع هذا منك أحد .

وحكى عنه : أنه كان واقفا بين يدى السفّاح أو المنصور، فقال له : سلنى حاجتك، فقال أبو دلامة : كلب صيد، قال : أعطوه إياه، قال : ودابة أتصيّد

عليها، قال : أعطوه، قال : وغلام يقود الكلب و يتصيّد به، قال : أعطوه غلاما، قال : وجارية تصلح لنـا الصيد وتطعمنا منه، قال : أعطوه جارية، قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال[1] فلا بدّ لهم من دار يسكنونها، قال : أعطوه دارا تجمعهم، قال : فإن لم يكن ضيعة فمن أين يعيشون؟ قال : قد أقطعتك مائة جريب[2] عامرة، ومائة جريب غامرة، قال: وما الغامرة؟ قال : ما لا نبات فيه، قال : قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافى بنى أسد، فضحك وقال: آجعلوا المـائتين كلها عامرة، قال : فائذنْ لى أن أقبل يدك، قال : أما هذه فدعها، فإنى لا أفعل، قال : والله ما منعت عيالى شيئا أقلّ عليهم ضررا منها . وروى : أنه دخل على المنصور فأنشده قصيدته التى يقول فيها

إنّ الخليط أجدّوا البين فآنجعوا * وزوّدوك خَبالا، بئس ما صنعوا

والله يعلم أن كادت، لبينهُمُ * يومَ الفراق، حصاةُ القلب تنصدعُ

عجبت من صبيتى يوما وأمّهمُ * أمّ الدلامة لمـا هاجها الجـزعُ

لا بارك الله فيهـا من منبّهة * هبّت تلوم عيالى بعـد ما هجعوا

ونحن مشتبهوا الألوان، أوجهُنا * سودٌ قباحٌ، وفى أسمائنـا شَنَعُ

إذا تشكّت إلىّ الجوع، قلت لها * ما هاج جوعَك إلا الرىُّ والشّبعُ

قالت[3] أذابك قد صارت عيالتنا * على الخليفـة منه الرىّ والشبع

لا والذى يا أمير المؤمنين قضى * لك الخلافة فى أسـبابها الرِّفَعُ

ما زلت أخلصها كسبى فتأكله * دونى ودون عيـالى ثم تضطجعُ

(١) فى الأغانى : عبيدك .

(٢) الجريب : المزرعة .

(٣) كذا فى الأصل وعبارة الأغانى : و يروى وهو الجيد

أذابك الجوع مذ صارت عيالتنا * على الخليفة منه الرى والشـبع

شوهاء مَشْنأة[(١)] فى بطنها بَجَلٌ[(٢)] * وفى المفاصل من أوصافها فَدَعُ[(٣)]
ذكّرتها بكتاب الله حرمتنا * ولم تكن بكتاب الله ترتجعُ
فاخرنطمت[(٤)] ثم قالت وهى مصغية[(٥)] * أأنت تتلو كتابَ الله يا لكع؟
أُخرجْ تبغّ لنا مالًا ومزرعةً * كما لجيراننا مالٌ ومزدرَعٌ
وآخدع خليفتنا عنّا بمسألة * إن الخليفة للسؤّال ينخدعُ

قال فضحك أبو جعفر وقال : أرضوها عنه بمائتى جريب عامرة ويروى ستمائة جريب عامرة وغامرة، فقال : أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنجف وإن شئت زدتك فضحك وقال : آجعلوها كلّها عامرة .

قال : ولما توفى السفّاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس عنده يعزّونه فقال

أمسيت بالأنبار يا آبن محمد * لم تستطع عن عُقْرها تحويلا
ويلى عليك وويل أهلى كلهم * ويلا وعولا فى الحياة طويلا
فلتبكينّ لك السماء بعبرة * ولتبكين لك الرجال عويلا
مات الندى إذ متّ يا آبن محمد * فجعلته لك فى التراب عديلا
إنى سألتُ الناس بعدك كلّهم * فوجدتُ أسمحَ من سألتُ بخيلا
ألشقوتى أُخّرتُ بعدك للتى * تدع العزيز من الرجال ذليلا؟
فلأحلفنّ يمينَ حقّ برّةٍ * تالله ما أُعطيتُ بعدك سولا

(١) مشنأة : قبيحة .

(٢) البجل : عظم البطن وآسترخاؤه .

(٣) الفدع : اعوجاج الرسغ فى اليد أو الرجل .

(٤) آخرنطمت : رفعت أنفها آستكبارا أو غضبا .

(٥) كذا فى الأصل وعبارة الأغانى " مغضبة " وهى الأصح .

قال : فأبكى الناس قوله ، فغضب المنصور غضبا شديدا وقال : إن سمعتك تنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن أبا العباس أمير المؤمنين كان لى مكرما وهو الذى جاء بى من البدو كما جاء الله بإخوة يوسف اليه فقل كما قال يوسف (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ) فسرّى عن المنصور وقال : قد أقلناك يا أبا دلامة فسل حاجتك ، قال : يا أمير المؤمنين قد كان أبو العباس أمر لى بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا وهو مريض ولم أقبضها فقال المنصور : ومن يعلم ذلك؟ قال : هؤلاء ، وأشار الى جماعة ممن حضر ، فوثب سليمان بن مجالد وأبو الجهم فقالا : صدق أبو دلامة ، نحن نعلم ذلك ، فقال المنصور لأبى أيوب الخازن : يا سليمان آدفعها اليه وسيِّره الى هذا الطاغية ، يعنى عبد الله بن علىّ ، وكان قد خرج بالشام وأظهر الخلاف ، فوثب أبو دلامة وقال : يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن أخرج معهم ووالله إنى مشئوم ، قال المنصور : امض فإن يُمْنِى يغلب شؤمَك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، والله ما أحبّ أن يجرب ذلك منّى على مثل هذا العسكر ، فإنى لا أدرى أيهما يغلب ، يمنك أو شؤمى؟ إلا أنى بنفسى أوثق وأعرف وأطول تجربة ، فقال : دعنى وهذا ، فما لك من الخروج بدّ . قال : فإنى أصدقك الآن ، شهدت والله تسعة عشر عسكرا كلّها هزمت ، وكنتُ سببها ، فإن شئتَ الآن على بصيرة أن يكون عسكرك تمام العشرين فافعل ، فضحك المنصور وأمره أن يتخلّف مع عيسى بن موسى بالكوفة . وعن جعفر بن حسن اللهبىّ [1] قال : حدثنى أبو دلامة ، قال : أتى بى المنصور أو المهدىّ وأنا سكران فحلف ليخرجنّى فى بعث حرب فأخرجنى مع روح بن حاتم المهلبىّ لقتال الشراة [2] فلما آلتقى الجمعان قلت لروح : أما والله لو أنّ تحتى فرسك ومعى سلاحك لأثّرت فى عدوك اليوم أثرا ترتضيه ، فضحك

(١) كذا بالأصل ، وفى الأغانى : جعفر بن الحسين المهلبىّ . (٢) الشراة : اسم مدينة بالشام .

وقال : والله العظيم لأدفعنّ اليك ذلك ولآخذنّك بالوفاء بشرطك، فنزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفع ذلك الىّ ودعا بغيره فاستبدل به ، فلما حصل ذلك فى يدى قلت : أيها الأمير هذا مقام العائذ بك، وقد قلت أبياتا فاسمعها ، قال : هات فأنشدته

إنى آستجرتك أنأُقدّم فىالوغى * لتطاعنٍ وتنازلٍ وضرابِ

٥ فهبِ السيوفَ رأيتُها مشهورةً * وتركتُها ومضيتُ فى التّهرابِ

ما ذا تقول لما يجىء ولا يرى * من بادرات الموتِ بالنشّابِ

(١٨) فقال : دع هذا عنك، وبرز رجل من الخوارج يدعو الى المبارزة فقال : اخرج اليه يا أبا دلامة، فقال : أنشدك الله أيها الأمير فى دمى، فقال : والله لتخرجنّ، فقلت : أيها الأمير ، فإنه أوّل يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا، وأنا والله جائع

١٠ ما تنبعث منى جارحة من الجوع فمر لى بشئ آكله ثم أخرج ، فأمر لى برغيفين ودجاجة، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف، فلما رآنى الشارىّ أقبل نحوى وعليه فرو قد أصابه المطر فأبتل وأصابته الشمس فاقفعلّ[1] وعيناه تقدان فأسرع الىّ ، فقلت : على رِسْلك يا هذا ! فوقف فقلت : أتقتل من لا يقاتلك ؟ قال : لا، قلت : أتستحلّ أن تقتل رجلا على دينك؟ قال : لا، قلت : أفتستحل ذلك قبل

١٥ أن تدعو من تقاتله الى دينك ؟ قال : لا ، فآذهب عنى الى لعنة الله، فقلت : لا أفعل أو تسمع منى، قال : قل، فقلت : هل كانت بيننا عداوة أو تِرَةٌ أو تعرفنى بحالٍ تحفظك علىّ أو تعلم بينى و بين أهلك وِتْرا؟ قال : لا والله ، قلت : ولا أنا والله لك إلا على جميلٍ، فإنى لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين دينك وأريد السوء لمن أرادك ، فقال : يا هذا جزاك الله خيرا فانصرف، قلت : إنّ معي زادا أريد أن آكله وأريد

٢٠ (١) اقفعلّ : تقبّض .

مؤاكلتك لتتوكّد المودّة بيننا ويرى أهل العسكرين هوانهم علينا ، قال : فافعل ، فتقدّمت اليه حتى آختلفت أعناق دوابّنـا وجمعنا أرجلنا على معارفها وجعلنا نأكل والناس قد غلبوا ضحكا ، فلما آستوفينا ودّعنى ثم قلت له : إن هذا الجاهل ، إن أقمت على طلب المبارزة ندبنى اليك فتتعب وتتعبنى ، فإن رأيت أن لا تبرز اليوم فافعل ، قال : قد فعلت ، فآنصرفَ وآنصرفتُ ، فقلت لروح : أما أنا فقد كفيتُك قِرْنى فقل لغيرى يكفيك قِرنه كما كفيتُك ، وخرج آخر يدعو الى البراز فقال لى : اخرج اليه ، فقلت

إنى أعوذ بروحٍ أن يقـدِّمنى * الى القتال فتخزَى بى بنو أسدِ
إن البراز الى الأقران أعلمــه * ممـا يفرّق بين الروح والجسدِ
قدحالفتك المنايا إذ رصدت لها * وأصبحت لجميع الخلق كالرصد
إن المهلّب حبَّ الموت أورثكم * فما ورثتُ آختيارَ الموت عن أحد
لوأن لى مهجةً أخرى لجدتُ بها * لكنّها خُلقتْ فردا فلم أجِدِ

قال : فضحك روح وأعفانى ، قال : وشرب أبو دلامة فى بعض الحانات وسكر فمشى وهو يميل فلقيه العسس فأخذه ، فقيل له : من أنت؟ وما دينك؟ فقال :

دينى على دين بنى العبـاسِ * ما ختم الطينُ على القرطاسِ
إذاآصطبحتُ أربعابالكاسِ * فقـد أدار شربُهـا براسى
* فهل بما قلتُ لكم من باسِ *

فأخذوه وخرقوا ثيابه وساجه [1] ، وأُتِىَ به الى أبى جعفر ، فأمر بحبسه مع الدجاج فى بيتٍ ، فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة وجاريته أخرى فلا يجيبه أحد ، وهو

(١) الساج : الطيلسان الأخضر أو الأسود .

معذلك يسمع صوت الدّجاج، وزُقَاء[1] الديك فلما أكثر، قال له السجان : ماشأنك؟ قال : ويلك! من أنت ؟ وأين أنا ؟ قال : أنت فى الحبس، وأنا فلان السجّان ، قال : ومن حبسنى ؟ قال : أمير المؤمنين ، قال : ومن خرق طيلسانى؟ قال : الحرس، فطلب أن يأتيه بدواة وقرطاس، ففعل فأتاه ، فكتب الى أبى جعفر المنصور يقول ٥

أميرَ المؤمنين فدتك نفسى * علام حبستنى وخرقتَ ساجى
أمِن صهباءَ صافيـة المزاج * كأنّ شُعاعَها لهبُ السراج
وقد طُبِخَتْ بنار الله حتى * لقدصارتمن النُّطَف النضاج
تهشّ لها القلوب وتشتهيها * اذا برزت ترقرقُ فى الزجاج
أُقادُ الى السجون بغير جُرمٍ * كأنى بعضُ عمّال الخراج؟ ١٠
فلو معهم حُبستُ لكان سهلا * ولكنّى حُبست مع الدَّجاج
وقد كانت تخبّرنى ذنوبى * بأنى من عقابك غيرُ ناجى
على أنّى وإن لاقيتُ شرًّا * لخيرك بعد ذاك الشرّ راجى

فاستدعاه المنصور، وقال : أين حبست يا أبا دلامة؟ قال : مع الدجاج قال : فما كنت تصنع؟ قال : أقوقئ[2] معهم الى الصباح ، فضحك وخلّى سبيله وأمر له ١٥ بجائزة، فلما خرج قال الربيع : إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين، أما سمعت قوله : وقد طبخت بنار الله ؟ — يعنى الشمس — قال : لا والله ، ما عنيت إلا نار الله (١٩٠) الموقدة التى تطّلع على فؤاد الربيع، فضحك المنصور وقال : خذها يا ربيع ولا تعاود

(١) الزقاء : الصياح .
(٢) أقوقئ : أصيح، من قوقأت الدجاجة أى صاحت . ٢٠

التعرض له . وروى عن المدائنىّ قال : دخل أبو دلامة على المهدىّ وعنده إسماعيل بن علىّ وعيسى بن موسى والعباس بن محمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بنى هاشم فقال له المهدىّ : أنا أعطى الله عهدا إن لم تهج واحدا ممن فى البيت ، لأقطعن لسانك أو لأضربن عنقك ، فنظر اليه القوم ، وكلما نظر إلى أحد منهم غمزه بأنّ علىّ رضاك ، قال أبو دلامة : فعلمت أنى قد وقعت وأنها عزمة من عزماته لابدّ منها ، فلم أر أحدا أحقّ بالهجاء منى ولا أدعى الى السلامة من هجاء نفسى ، فقلت

ألا أبلغ لديك أبا دلامهْ * فلست من الكرام ولا كرامهْ
إذا لبس العمامة قلت[1] قردا * وخنزيرا إذا نزع العمامهْ
جمعت دمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامهْ
فإن تك قد أصبت نعيم دنيا * فلا تفرح فقد دنت القيامهْ

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجازه . قال : وخرج المهدىّ وعلىّ بن سليمان الى الصيد ، فسنح لهما قطيع من ظباء ، فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل ورمى المهدىّ سهما فأصاب ظبيا ورمى علىّ بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله ، فقال أبو دلامة

قد رمى المهدىّ ظبيا * شك بالسهم فؤادَهْ
وعلىّ بن سليما * ن رمى كلبا فصادَهْ
فهنيئا لهما كلّ امرئ يا كل زادَهْ

فضحك المهدىّ حتى كاد يسقط عن سرجه ، وقال : صدق والله أبو دلامة وأمر له بجائزة سنية ، فلقب علىّ بن سليمان بعد ذلك : صائد الكلب ، فغلب عليه . قال :

(١) كذا فى الأصل وفى الأغانى "كان" بدل "قلت" .

وتوفيت حمادة بنت عيسى ، وحضر المنصور جنازتها فلما وقف على حفرتها قال لأبى دلامة : ما أعددت لهذه الحفرة؟ قال : ابنة عمك يا أمير المؤمنين حمادة ابنة عيسى يجاء بها الساعة فتدفن فيها ، فضحك المنصور حتى غلب وستر وجهه .

قال الهيثم بن عدىّ رحمة الله عليه : حجت الخيزران ، فلما خرجت ، صاح أبو دلامة : جعلنى الله فداك ، الله الله فى أمرى ، فقالت : من هذا؟ قالوا : أبو دلامة فقالت : سلوه ما أمره ، قالوا له : ما أمرك ؟ قال : أدنونى من محملها ، قالت أدنوه ، فأُدنى ، فقال لها : أيتها السيدة ، إنى شيخ كبير وأجرك فىّ عظيم ، قالت : فمهْ ، قال : تهبينى جارية من جوارك تؤنسنى وترفق بى وتريحنى من عجوز عندى ، قد أكلت رفدى ، وأطالت كدّى ، فقد عاف جلدى جلدَها ، وتشوّقتُ فقدَها ، فضحكت الخيزران وقالت : سوف آمر لك بما سألت ، فلما رجعت تلقّاها وأذكرها وخرج معها الى بغداد فأقام حتى عرض ، ثم دخل على أم عبيدة حاضنة موسى وهارون فدفع اليها رقعة قد كتب بها الى الخيزران ، فيها

أبلغى سيدتى بالله * يا أمّ عبيدَهْ
أنها أرشدها الله * وإن كانت رشيدَهْ
وعدتنى قبل أن تخـ * ـرج للحج وليدَهْ
فتأنيتُ وأرسلـ * ـتُ بعشرين قصيدَهْ
كلما أخلقن أخلفـ * ـت لها أخرى جديدَهْ
ليس فى بيتى لتمهيـ * ـد فراشى من قعيدَهْ
غير عجفاء عجوز * ساقها مثل القديدَهْ

وجهها أقبح من حو * تِ طرِيءٍ فى عصيدَهْ

ما حيـاةٌ مع أنثى * مثل عِرسى بسعيدَهْ

فلما قرئت عليها، ضحكت ودعت بجارية من جواريها فائقة الجمال، فقالت لها : خذى كل مالك فى قصرى ، ففعلت، ثم دعت بعض الخـدم وقالت له : سلمها الى أبى دلامة، فانطلق الخادم بها فلم يصادفه فى منزله، فقال لامرأته : اذا رجع ٥
أبودلامة فادفعيها اليه وقولى له : تقول لك السيدة : أحسن صحبة هذه الجارية، فقد أمرت لك بها ، فقالت له : نعم ، فلما خرج الخادم دخل آبنها دلامة فوجد أمّه تبكى فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت : إن أردت أن تبرّنى يوما من الأيام فاليوم، قال : قولى ما شئت فإنى أفعله ، قالت : تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها وتطؤها
فتحرمها عليه وإلا ذهبت بعقله بجفائى وجفاك ، ففعل ودخل الى الجارية فوطئها ١٠
ووافقها ذلك منه، وخرج، فدخل أبو دلامة فقال لامرأته : أين الجارية؟ قالت : فى ذلك البيت، فدخل اليها شيخ محطّم ذاهب، فمدّ يده اليها وذهب ليقبّلها، فقالت : مالك ويحك! تنحَّ وإلا لطمتك لطمة دققت منها أنفك، فقال : أبهـذا أوصتكِ السـيدة؟ قالت : إنها بعثت بى الى فتى من هيئته وحاله كيت وكيت، وقد كان
عندى آنفا ونال منى حاجته، فعلم أنه قد دُهِىَ من أمّ دلامة وآبنها، فخرج أبو دلامة ١٥
الى دلامة فلطمه وتلبّب به وحلف أن لا يفارقه إلا الى المهـدىّ فمضى متلببًا به حتى وقف بباب المهدىّ، فعرف خبره، وأنه جاء بابنه على تلك الحال فأمر بإدخاله، فلما دخل قال : مالك؟ قال : فعل بى هذا آبن الخبيثة ما لم يفعله ولد بأبيه ولا يرضينى إلا أن تقتـله ، قال : ويحك! وما فعل بك؟ فأخبره الخبر فضحك حتى آستلقى
ثم جلس، فقال له أبو دلامة : أعجبك فعله فتضحك منه؟ ! فقال : علىَّ بالسيف ٢٠

والنِطع، فقال له دلامة : قد سمعت قوله يا أمــير المؤمنين ، فاسمع حجتى ، قال : هات! قال : هــذا الشيخ أصفق الناس وجها، هو يفعل بأمّى منــذ أربعين سنة ما غضبتُ ، فعلتُ أنا بجاريتــه مرّة واحدةً غضب وصنع بى ما ترى ، فضحك المهدىّ أشدّ من ضحكه الأوّل، ثم قال : دعها له يا أبا دلامة ، وأنا أعطيك خيرا منها، قال : على أن تخبأها لى بين السماء والأرض وإلا فعل بها والله كما فعل بهذه، فتقدّم الى دلامة أن لا يعاود مثــل فعله ، وحلف أنه إن عاود قتله ثم وهب له جارية .

قال عبد الله بن صالح رحمه الله : جاء ٱبن أبى دلامة يوما الى أبيه وهو فى محفل من جيرانه وعشيرته فجلس بين يديه ثم أقبل على الجماعة فقال لهم : إن شيخى كما ترون قد كبر سنه و رقّ جلده ودقّ عظمه ، و بنا الى حياته حاجة شديدة، فلا أزال أشير عليه بالشىء يمسك رمقه ويبقى قوته فيخالفنى فيه و إنى اسألكم أن تسالوه قضاء حاجة لى أذكرها بحضرتكم فيها صلاح جسمه و بقاء حياته فأسعفونى بمسألته معى، فقالوا : نفعل حبًّا وكرامة ، ثم أقبلوا على أبى دلامة بألسنتهم فتناولوه بالعتاب حتى رضى ٱبنه ، وهو ساكت ، قال : قولوا له الخبيث فليقل ما يريد فستعلمون أنه لم يأت إلا ببلية فقالوا له : قل ، فقال : إن أبى إنمــا قتله كثرة الجماع فتعاونونى حتى أخصيه فلن يقطعه عن ذلك غير الخصي فيكون أصحّ لجسمه وأطولَ لعمره ، فعجبوا بمــا أتى به وضحكوا ثم قالوا لأبى دلامة : قد سمعت فأجب ، قال : قد سمعتم أنتم فعرفتكم أنه لم يأت بخير، قالوا : فما عندك فى هذا؟ قال : قد جعلت أمّه حكما فيما بينى و بينه، فقوموا بنا اليها ، فقاموا بأجمعهم ودخلوا اليها وقصّ أبو دلامة القصّة عليها وقال : قد حكّمتكِ ، فأقبلت على الجماعة فقالت : إن ٱبنى هذا أبقاه الله قد نصح أباه ولم يأل جهدا ، وما أنا إلا الى بقاء أبيه أحوج منى الى بقائه ، وهذا أمر لم يقع به تجربة منا

ولا جرى بمثـله عادة لنا، وما أشك فى معرفته بذلك، فليبدأ بنفسه فليخصها، فاذا عوفى ورأينا ذلك قد أثّر عليه أثرا محمودا آستعمله أبوه، فضحك أبوه والقوم وآنصرفوا يعجبون من خبثهم جميعا .

ومنهم أبو صدقة .

ذكر شيء من نوادر أبي صدقة

هو ابو صدقة مسكين بن صدقة من أهل المدينة مولى لقريش، قال أبو الفرج: وكان مليح الغناء طيّب الصوت كثير الرواية صالح الصنعة، من أكثر الناس نادرة وأخفّهم روحا وأشدّهم طمعا وألحّهم مسألة وهو من المغنّين الذين أقدمهم الرشيد من الحجاز فى أيامه، قيل : إنه عوتب على كثرة إلحاحه فى المسألة، فقال: وما يمنعنى من ذلك ، وآسمى مسكين وكنيتى أبو صدقة وآبنتى فاقة وآبنى صدقة ، فمن أحقّ بهذا منى؟ وكان الرشيد يعبث به كثيرا ، فقال ذات يوم لمسرور : قل لآبن جامع وإبراهيم الموصلىّ وزبير بن دَحْمان وزلزل وبرصوما وآبن أبى مريم المدينىّ : إذا رأيتمونى قد طابت نفسى، فليسأل كلّ واحد منكم حاجة، مقدارها مقدار صلته، وذكر لكل واحد منهم مبلغ ذلك وأمرهم أن يكتموا أمرهم عن أبى صدقة، فقال لهم مسرور ما أمر به الرشيد ، ثم أذن الرشيد لأبى صدقة قبل إذنه لهم ، فلما جلس قال له : يا أبا صدقة، لقد أضجرتنى بكثرة مسألتك وأنا فى هذا اليوم ضجِر وأحببت أن أتفرّج وأفرح ولست آمَنُ أن تنغّص علىّ مجلسى بمسألتك، فإما أن تعفينى أن تسألنى اليوم حاجة وإلا فانصرف، فقال له : لست فى يومى هذا الى شهر أسألك حاجة، فقال له الرشيد : أما إذ شرطت لى هذا على نفسك فقد اشتريت منك حوائجك بخمسمائة دينار وها هى ذهِ فخذها طيّبة معجّلة فإن سألتنى شيئا بعدها فى هذا اليوم فلا لوم علىّ

إن لم أصلك سنةً بشيء ، فقال : نعم وسنتين، فقال له الرشيد : زدنى فى الوثيقة ، فقال: قد جعلت أمر أم صدقة فى يدك فطلّقها متى شئت ، إن شئت واحدة وإن شئت ألفا إن سألتك فى يومى هذا حاجة، وأشهدتُ الله ومن حضر على ذلك، فدفع اليه المال ثم أذن للجلساء والمغنّين فدخلوا وشرب القوم فلما طابت نفس الرشيد، قال له ٱبن جامع : يا أمير المؤمنين قد نلت منك مالم تبلغه أمنيّتى وكثر إحسانك الىّ حتى كبتُّ أعدائى وقتلتّهم وليس لى بمكة دار تشبه حالى، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لى بمالٍ أبنى به دارا وأفرشها بباقيه لأفقأ عيون أعدائى وأُزهِق نفوسهم فعل، فقال له : وكم قدّرت لذلك؟ قال: أربعة آلاف دينار فأمر له بها . وقام إبراهيم الموصلىّ فقال: يا أمير المؤمنين قد ظهرت نعمتك علىّ وعلى الكبار من ولدى، وفى أصاغرهم من أحتاج ختانه، وفيهم صغار أحتاج أن أتخذ لهم خدما فإن رأى أمير المؤمنين أن يحسن معونتى على ذلك فعل، فأمر له بمثل ما أمر به لٱبن جامع،وجعل كل واحد منهم يقول فى الثناء ما يحضره ويسأل حاجته على قدر جائزته وأبو صدقة ينظر الى الأموال تُمرّق يمينا وشمالا فوثب قائما ورمى بالدنانير من كمّه وقال للرشيد : أقلنى أقال الله عثرتك، فقال الرشيد: لا أفعل، فجعل يستحلفه ويضطرب ويلحّ والرشيد يضحك ويقول : مالى الى ذلك سبيل ، الشرط أملك ، فلما عيل صبره أخذ الدنانير ورمى بها بين يدى الرشيد وقال : ها كها قد رددتها عليك وزدتك أم صدقة فطلّقها واحدة إن شئت وإن شئت ألفا وإن لم تلحقنى بجوائز القوم فألحقنى بجائزة هذا البارد عمرو الغزّال وكانت جائزته ثلاثة آلاف دينار ، فضحك حتى ٱستلقى ثم ردّ عليه الخمسمائة دينار وأمر له بألف أخرى معها ، وكان ذلك أكثر ما أخذه منذ خدمه الى أن مات، رحمة الله عليهم .

وروى أبو الفرج عن أبى إسحاق قال : مُطرنا ونحن مع الرشـيد بالرَّقة مع الفجر فاتصل الى غد ذلك اليوم وعرفنا خبر الرشيد أنه مقيم عند أمّ ولده المسماة : سحر، فتشاغلنا عنه فى منازلنا، فلما كان من غد جاءنا رسول الرشيد فحضرنا جميعا، وأقبل يسأل كلّ واحد منا عن يومه المـاضى وما صنع فيه فيخبره الى أن آنتهى الى جعفر آبن يحيي فسأله عن خبره فقال له : كان عندى أبو زكّار الأعمى وأبو صدقة، وكان أبو زكّار كلّما غنى صوتا لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة، فاذا آنتهى الدور اليه أعاده وحكى أبا زكار فيه وحركاته وشمـائله ويفطن أبو زكار لذلك فيُجنّ ويموت غيظا ويشتم أبا صدقة كلّ الشتم حتى يضجر، وهو لا يجيبه ولا يدع العبث به وأنا أضحك من ذلك الى أن توسّطنا الشرب وسئمنا من عبثه به، فقلت له : دع هذا عنك وغنِّ غناءك، فغنَّى رَمَلًا ذكر أنه من صنعته، فطربت له والله يا أمير المؤمنين طربا ما أذكر أنى طربت مثله منذ حين وزمان وهو

فتنتنى بفاحم اللونِ جعدٍ * وبثغرٍ كأنه نظـمُ دُرِّ
وبوجهٍ كأنه طلعة البـــد * ر وعينٍ فى طرفها نفثُ سِحرِ

فقلت له : أحسنتَ والله يا أبا صدقة، فلم أسكت من هذه الكلمة حتى قال : ياسـيدى إنى قد بنيت دارا أنفقت عليها جميع مالى وما أعددت لها فرشا فافرشها لى، فتغافلت عنه وعاود الغنـاء فتعمّدتُ لأن قلت : أحسنتَ، فسألنى فتغافلت فقال : ياسـيدى، هذا التغافل متى حدث لك؟ سألتك بالله وبحقّ أبيـك عليك إلا أجبتنى عن كلامى ولو بشتم، فأقبلتُ عليه وقلت له : أنت والله بغيض، أسكت يا بغيض، وآكفف عن هذه المسألة الملحَّة، فوثب من بين يدىّ، فقلت إنه قد خرج لحاجة فاذا هو قد نزع ثيابه وتجرّد منها خوفا من أن تبتـلّ ووقف تحت

السماء لا يواريه شيء والمطر يأخذه ورفع رأسه وقال : ياربّ أنت تعلم أنى مُلْهٍ
ولست نائما وعبدك الذى قد رفعته وأحوجتنى الى خدمته يقول لى : أحسنتَ
لايقول لى : أسأت، وأنا مذ جلست أقول له :بنيت ولا أقول له :هدمت، فيحلف
بك جرأة عليك أنى بغيض فاحكم بينى و بينه فأنت خير الحاكمين، فغلبنى الضحك
وأمرت به فتنحّى وجهدت به أن يغنّى فامتنع حتى حلفت له بحياتك أنى أفرش له
داره يا أمير المؤمنين وخدعته فلم أُسمِّ له بما أفرشها فقال له الرشيد : طيِّبٌ والله!
الآن تمّ لنا به اللهو، آدعوه فإنه اذا رآك سوف يتنجزُك الفرشَ لأنك حلفتَ له
بحياتى فهو يقتضيك ذاك بحضرتى ليكون أوفق له فقل له : أنا أفرشها لك بالبوارىّ[1]
وحاكمه الىّ، ثم دعا به فحضر فلما آستقر فى المجلس قال لجعفر : الفرش الذى
حلفت بحياة أمير المؤمنين أنك تفرش به دارى، تقدَّمْ به، فقال له جعفر : آختر
إن شئت فرشتُها لك بالبوارىّ و إن شئت فبالبردىّ من الحصر، فصاح وآضطرب
فقال له الرشيد : وكيف كانت القصة؟ فأخبره فقال له : أخطأتَ يا أبا صدقة
إذ لم تسمِّ النوع وتحدّ القيمة فاذا فرشها لك بالبردىّ أو بما دون ذلك فقد برَّ فى يمينه،
و إنما خدعك ولم تفطن أنت ولا توثقت وضيّعت حقّك، فسكت ثم قال : نوفّر
أيضا البردىّ والبوارىّ عليه أعزه الله، وغنى المغنّون حتى آنتهى الدور اليه فأخذ يغنّى
غناء الملّاحين والبنّائين والسقّائين وما يجرى مجراه من الغناء فقال له الرشيد : أى
شيء هذا الغناء؟ قال : مَن فرش داره بالبوارىّ والبردىّ فهذا الغناء كثير منه أيضا
لمن هذه صلته، فضحك الرشيد وطرب وصفّق وأمر له بألف دينار من ماله، وقال
له : آفرش دارك بهذه فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين لا آخذها أو تحكم لى على

(١) البوارىّ جمع بارىّ وهو الحصير المنسوج .

جعفر بمــا وعدنى وإلا متُّ والله أسفا لفوات ما حصــل فى طمعى ووُعِدتُ به ، فحكم له على جعفر بخمسمائة دينار أخرى فأمر له جعفر بها .

ذكر شيء من نوادر الأُقَيْشِر

هو أبو مُعرِض المغيرة بن عبــد الله بن معرض بن عمرو بن معرض بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، والأقيشر لقب غلب عليه لأنه كان أحمر الوجه أقيشر[1]. قال أبو الفرج الأصفهانىّ : وعمّر الأقيشر عمرا طويلا ، ولعله ولد فى الجاهلية ونشأ فى الإسلام وكان أبعد بنى أسدٍ نسبا ، قال : وكان كوفيّا خليعا ماجنا مدمنا للخمر، وهو الذى يقول لنفسه

فإنّ أبا معرِض إذ حسا * من الرّاح كأسا على المنبرِ
خطيبٌ لبيبٌ أبو معرِض * فإن لِيم فى الخمر لم يصبرِ
أحلّ الحرامَ أبو معرِض * فصار خليعا على المكبرِ
يحبّ اللئامَ ويلحى الكرام * وإن أقصروا عنه لم يُقصِرِ

قال : وشرب الأقيشر فى بيت خمّار بالحيرة فجاءه الشرط ليأخذوه فتحرز منهم وأغلق الباب وقال : لست أشرب فما سبيلكم علىّ؟ قالوا : قد رأينا العُسَّ فى كفّك وأنت تشرب، فقال : إنما شربت من لبن لقحة لصاحب هذه الدار، فما برحوا حتى أخذوا منه درهمين فقال

إنما لقحتُنا باطيَــــةٌ[2] * فاذا ما مُزِجتْ كانتْ عَجَبْ

---

(١) قوله : أقيشر هو تصغير أقشر وهو الشديد الحمرة .

(٢) الباطية : إناء من الزجاج للخمر يوضع بين الشَّرْبِ يغترفون منه .

لبنٌ أصفرُ صافٍ لونُهُ * ينزع الباسور من عَجْبِ الذَّنبْ (١)

إنما نشرب من أموالنا * فسلوا الشرطيّ ماهذا الغضبْ؟

وروى أبو الفرج الأصفهانىّ عن أبى عمرو الشيبانىّ وغيره قال : كان الأقيشر لا يسأل أحدا أكثر من خمسة دراهم ، يجعل درهمين للشراب ودرهما للطعام ودرهمين فى كراء بغل الى الحيرة ، وكان له جار يكنى أبا المضاء له بغل يكريه فكان يعطيه درهمين ويأخذ بغله فيركبه الى الحيرة حتى يأتى به بيت الخمّار فينزل عنه ويربطه ثم يجلس للشرب حتى يمسى ثم يركبه ، وله فى ذلك أشعار كثيرة .

قال : وتزوّج الأقيشر آبنة عمّ له يقال لها : الرَّباب ، على أربعة آلاف درهم ، ويقال على عشرة آلاف درهم ، فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيئا ، فأتى الى رأس البغل وهو دهقان (٢) الصين ، وكان مجوسيّا فسأله فأعطاه الصداق كاملا فقال

كفانى المجوسىُّ "مهر" (٣) الرَّباب * فدًى للمجوسىّ خالٌ وعمّْ

شهدت بأنك "بظر اللسان" (٣) * "وأنك بحر" (٣) جوادٌ خِضمّْ

وأنك سيد أهلِ الجحيم * اذا ما تردّيت فيمن ظلَمْ

تجاور "هامان" فى قعرها * وفرعون والمكتنى بالحكَمْ

فقال له المجوسىّ : ويحك ! سألت قومك فما أعطوك شيئا ، وجئتنى فأعطيتك فجزيتنى هـذا القول ولم أفلت من شرّك ! قال : أو ما ترضى أن جعلتك مع الملوك

---

(١) العَجْبُ : أصل الذنب .

(٢) الدهقان بالكسر والضم : رئيس الاقليم .

(٣) الكلمات المرقومة برقم (٣) وردت هكذا فى الأصل ووردت فى الأغانى بحسب ترتيبها هكذا : مهر . رطب المشاش . وأن أباك . قارون .

وقرين أبي جهـل؟ . قال : ثم جاء الى عكرمة بن ربعيّ التميميّ فسأله فلم يعطه شيئا، فقال فيه

سألت ربيعـة مَنْ شَرُّها * أبًا ثم أمًّا فقالوا : لِمَـهْ

فقلت : لأعلم مَنْ شَرُّكم * وأجعـلَ للسبّ فيـه سِمَهْ

فقالوا : لِعكرمةَ المخـزياتُ * وماذا يرى الناس فى عِكرمَهْ؟ ٥

فإن يك عبـدا زكا ماله * فما غير ذا فيـه من مكرَمَهْ

قال الأصمعى : قال عبـد الملك بن مروان للأقيشر : أنشـدنى أبياتك فى الخمر فأنشده قوله

تريك القذى من دونها وهى دونه * لوجـــه أخيها فى الإناء قطوبُ

كميتٌ اذا شُجَّتْ[(١)] وفى الكأس وردةٌ * لها فى عظام الشـارِبين دبيبُ

فقال له : أحسنت والله يا أبا مُعرض، لقد أجدت فى وصفها وأظنك قد شربتها، فقال : والله يا أمير المؤمنـين ، إنه ليريبنى معرفتك بها . قال : وكان الأقيشر يأتى إخوانا له فيسألهم فيعطونه، فأتى رجلا منهـم فأمر له بخمسمائة درهم فأخذها ومضى الى الحانة فدفعها الى صاحبها، وقال له : أقم لى ما أحتاج اليه، ففعل، فانضم اليه رفقاء له فلم يزل معهم حتى نفدت الدراهم، فأتاهم بعد إنفاقها فاحتملوه يوما ويوما، ٥ فلمـا أتاهم فى اليوم الثالث نظروا اليه من بعيد، فقالوا لصاحب الحانة : آصعد بنا الى الغرفة، وأعلِم الأقيشر أنا لم نأت اليوم، ففعل، فلما جاء الأقيشر أعلمه بما قالوا، فعلم أنه لا فرج له عند صاحب الحانة إلا برهنٍ، فطرح اليه بعض ثيابه وقال له : أقم لى ما احتاج اليه، ففعل، فلما أخذ منه الشراب أخذ يقول

(١) كذا بالاصل وفى الاغانى "فضت" .

يا خليلىّ أسقيانِىَ كاسا * ثمّ كأسا حتى أخِرّ نعاسا
إن فى الغرفة التى فوق رأسى * لأناسا يخادعون أناسا
يشربون المعتّق الراح صِرفا * ثم لا يرفعون للزّور(١) راسا

قال : فلما سمع أصحابه هذا الشعر فدوه بآبائهم وأمهاتهم ثم قالوا له : إمّا أن
٥ تصعد الينا و إما أن ننزل اليك فصعد اليهم . ومرّ الأقيشر بخمّارة بالحيرة يقال لها :
دومة ، فنزل عندها وآشترى منها نبيذا ثم قال : جوِّدى الشراب حتى أجوِّدَ لك
المدح ، ففعلت ، فأنشأ يقول

(٢٥)

ألا يا دوم دام لكِ النعيمُ * وأسمرُ مثل كفّك مستقيمُ
شديدُ الأسرِ ينبض حالباه * يُجَمُّ كأنه رجلٌ سقيمُ
١٠ يروِّيه الشرابُ فيزدهيه * وينفخ فيه شيطانٌ رجيمُ

قال : فسرّتْ به الخمارة وقالت : ماقال فىّ أحدٌ أحسن من هذا ولا أسرّ الىّ منه .
قال : وكان يختلف الى رجل من بنى تميم وكان يجرى عليه فى كل شهر عشرة دراهم ،
فجاءه مرة فوجده قد أصيب بآبنه ، فردّته آمرأته عنه ، ثم عاد بعد ذلك بيومين
فردّته عنه أيضا ، فكتب اليه بيتى شعر ودفع الرقعة اليها وقال : أوصليها اليه
١٥ فقرأها ، فاذا فيها

ألا أبلغْ لديك أبا هشامٍ * فإن الريح أبردُها الشّمالُ
عداتك فى الهلال عداة صدقٍ * فهل سمنتْ كما سمن الهلالُ

فلما قرأ الرقعة أمر بردّه وقال : لقد سمنت ومابقى إلا الهزال إن تأخرت ، فأمر له
بها و زادها خمسة دراهم . وكان الأقيشر مع شرفه وشعره يرضيه اليسير و يسخطه .

٢٠ (١) الزور جمع زائر ، كراكب وركب .

وأخباره كثيرة ونوادره مشهورة وفيما أوردناه منهـا كفاية . ومات الأقيشر قتيلا ، وقيل : إنه مدح عبد الله بن إسحـاق بن طلحة بن عبيد الله فلم يعطه شيئا فهجاه ، فزعموا أن غلمانا لعبد الله بن إسحاق قتلوه فاجتمع بنو أسد وآدّعوا عليه قتل الأقيشر فافتدى منهم بديته ، وقال آبن الكلبيّ : كان الأقيشر مولعا بهجاء عبد الله بن إسحاق ومدح أخيه زكريا ، فقال لغلمانه : ألا تريحوننى منه؟ فانطلقوا فجمعوا بعرا وقصبا ٥ بظهر الكوفة وجعلوه فى وسط إِرَةٍ(١) وأقبل الأقيشر سكرانا من الحيرة على بغل أبى المضاء المكارى ، فأنزلوه عن البغل وشـدّوه رباطا ثم وضعوه فى تلك الإرَةِ وألهبوا النـار فى القصب والبعر فمات ، ولم يُعلَم من قتله والله أعلم .

ذكر شىء من نوادر آبن سَيَّابة

١٠ هو إبراهيم بن سَيَّابة مولى بنى هاشم كان يقال : إن جدّه حجام أعتقه بعض الهاشميين ، قدّمه إبراهيم الموصلىّ وآبنـه إسحاق لأنه مدحهما فرفعا من قدره وغَنَّيا بشعره ونوّها بذكره ، وكان خليعا ماجنا حسن النادرة ، وله نوادر نذكر منها نُبَـذًا فيما رواه أبو الفرج الأصفهانىّ ، منها ما رواه عن إسحاق الموصلىّ قال : أتى إبراهيم آبن سيابة وهو سكران آبنا لسوّار بن عبد الله القاضى أمرد فعانقه وقبّله وكان معـه ١٥ دايةٌ ، يقال لها : رَحَاص ، فقيل لها : إنه لم يقبّله تقبيل التسليم ، وإنما قبّله شهوةً ، فلحقته الداية فشتمته وأسمعته كلّ ما يكره ، وهجره الغلام بعد ذلك ، فقال

لئن لثمتـــك سرًّا * فأبصرتنى رحاصُ
وقال فى ذاك قومٌ * علىآنتقاصىحِراصُ
هجَـــرتَنى وأتتنى * شتيمة وآنتــقاصُ
٢٠ فهاك فاقتصّ منى * إنّ الجروحَ قصاصُ

(١) الإرَةُ : موضع النار .

وقد قيل : إنّ رَحاص هذه كانت مغنّيةً كان الغلام يهواها ، وإنه سكر ونام فقبّله آبن سيّابة ، فلما آنتبه قال للغنّية : ليت شعرى ! ما كان خبرك مع آبن سَيّابة ؟ فقالت له : سل عن خبرك أنت معه ، وحدّثته بالقصة فهجره الغلام ، فقال هذا الشعر .

وقال إسحاق بن إبراهيم : كان آبن سَيَّابة عندنا يوما مع جماعة نتحدّث ونتناشد وهو ينشد شيئا من شعره ، فتحرّك فضرط فضرب بيده على آسته غير مكترث وقال : إما أن تسكتى حتى أتكلّم ، وإما أن تتكلّمى حتى أسكت .

وقال جعفر الكاتب : قال لى إبراهيم بن سيّابة الشاعر : اذا كان عند جيرانك جنازة وليس فى بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة فإن المصيبة عندك أكبر منها عند القوم ، و بيتك أولى بالمأتم من بيتهم . وقال سليمان بن يحيى بن معاذ : قدم علىّ إبراهيم بن سيّابة بنيسابور فأنزلته علىّ ، فجاء ليلة من الليالى فجعل يصيح : (٣٦) يا أبا أيّوب ، فخشيت أن يكون قد غشيه شىء فقلت : ما تشاء ؟ فقال

* أعيانىَ الشادنُ الربيبُ *

قلت بماذا؟ فقال

* أكتبُ أشكو فلا يُجيبُ *

فقلت : داره وداوه ، فقال

من أين أبغى شفاء قلبي ؟ * وإنما دائىَ الطبيبُ

فقلت : لا دواء إذًا إلا أن يفرّج الله عزّ وجلّ عنك ، فقال

يارب فرّج إذًا وعجّل * فإنك السامعُ المجيبُ

ثم آنصرف وقد تقدّمت هذه الحكاية والسلام .

ذكر شيء من نوادر مطيع بن إياس الكنانيّ وأخباره

قال أبو الفرج الأصفهانيّ : هو شاعر من مخضرمى الدولتين الأمويّة والعباسيّة، كان ظريفا خليعا ماجنا حلو العشرة مليح النادرة قال : وكان متهما فى دينه بالزندقة، وكان مولده ومنشؤه بالكوفة ، وكان منقطعا الى الوليد بن عبد الملك ، ثم آتصل بخدمة الوليد بن يزيد وكان سبب ذلك ماحكى عن حَكَم الوادى، قال : غنّيت آبن يزيد الوليد وهو غلام حديث السن بشعر مطيع بن إياس وهو

إكليلُها ألوانُ * ووجهها فتّانُ

وخالُها فريدٌ * ليس له جيرانُ

اذا مشت تثنّتْ * كأنها ثعبانُ

قد جُدِلتْ فجاءتْ * كأنها عنانُ

فطرب حتى زحف عن مجلسه الىّ واستعادنى الصوت حتى صهل صوتى (١) ثم قال : ويحك ! من يقول هذا؟ فقلت عبد لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك، قال : ومن هو؟ قلت : مطيع بن إياس قال : وأين هو ؟ قلت : بالكوفة، فأمر ان يُحْمَلَ اليه مع البريد، فحُمِلَ اليه فسأله عن الشعر فقال : من يقول هذا؟ فقلت : عبدك أنا يا أمير المؤمنين، فقال له : أدن منى، فدنا منه فضمّه الوليد اليه وقبّل فاه وبين عينيه، وقبّل مطيعٌ رجليه والأرضَ بين يديه، ثم أدناه حتى جلس فى أقرب المجالس اليه، وآصطبح معه أسبوعا متوالىَ الأيام على هذا الصوت، وكان فى خلال الدولة الأمويّة ينقطع الى أوليائها وعلمائها، ثم انقطع فى الدولة العباسيّة الى جعفر آبن أبى جعفر المنصور فكان معه حتى مات جعفر، ومات مطيع فى خلافة الهادى

(١) صهل : بحّ .

بعد ثلاثة أشهر مضت منها؛ وله نوادر وأخبار مستظرفة هذا موضع ذكرها فلنقتصر ها هنا من أخباره عليها دون غيرها .

قيل : سقط لمطيع حائطٌ فقال له بعض أصحابه : احمد الله على السلامة قال : احمد الله أنت إذ لم ترعك هدته ولم يصبك غباره ولم تغرم أجرة بنائه .

٥ ومن أخباره ما رواه أبو الفرج الأصفهانيّ بإسناده الى عبد الملك المروانيّ عن مطيع ابن إياس، قال : قال لى حمّاد عَجْرَد يوما : هل لك أن أريك "خُشّة" صديقتى وهى المعروفة بظبية الوادى؟ قلت : نعم قال : إنك إن بعدت عنها وحققت عينيك فى النظر أفسدتها علىّ، فقلت : لا والله لا أتكلّم بكلمة تسوءك ولا تسرّنك، فمضى بى وقال : والله لئن خالفت ما قلت لأخرجنّك، قال : قلت : إن خالفت الى ما تكره

١٠ فاصنع بى ما أحببتَ قال : امض بنا، فمضينا فأدخلنى على أحسن خلق الله وأظرفهم وأحسنهم وجها، فلما رأيتها أخذنى الزَّمَعُ[1] وفطن لى، فقال : اسكت يابن الزانية، فسكت قليلا، فلحظتنى ولحظتها لحظة أخرى فغضب ووضع قلنسوته عن رأسه، وكانت صلعته حمراء كأنها است قرد، فلما وضعها وجدت للكلام موضعا، فقلت

وإن السوءة السوءا * ء يا حمّاد عن خُشّهْ

١٥ عن الأترجّة الغضّـة والتفّاحة الهشّـهْ

فالتفتَ الىّ وقال : فعلتها يابن الزانيـة، فقالت له : أحسن، فوالله ما بلغ صفتك بعد، فما تريد منه ؟ فقال لها : يا زانية ! فسبته وتثاوروا، فشقّت قميصه وبصقت فى وجهه وقالت له : ما تصادقك وتدع مثل هذا إلا زانية، وخرجنا وقد لقى كلّ بلاء، وقال لى : ألم أقل لك يابن الزانية إنك ستفسد علىّ مجلسى؟ فأمسكت عن

٢٠ (١) الزمع : الدهش .

جوابه، وجعل يهجونى ويسبنى ويشكونى الى أصحابنا، فقالوا لى : آهجه ودعنا وإياه، فقلت

ألا يا ظبيةَ الوادى * وذات الجسد الرادى

وزينَ المصرِ والدارِ * وزينَ الحىّ والنادى

وذات المبسم العذبِ * وذات الميسم البادى ٥

أما بالله تستحيـ * ـين من خلّة حمّادِ

فحمّادٌ فتى ليس * بذى عزٍّ فتنقادى

ولا مالٍ ولا طِرْفٍ * ولا خليط لمرتادِ

فتوبى وآتقى الله * وبتّى حبلَ عجْرادِ

فقد مُيِّزتِ بالحسنِ * عن الخَلْق بإفراد ١٠

وهذا البينُ قد حُمَّ * فجودى لِىَ بالزادِ

قال : فأخذ أصحابنا رقاعا فكتبوا الأبيات فيها وألقوها فى الطريق، وخرجت أنا فلم أدخل عليهم ذلك اليوم، فلما رآها وقرأها قال لهم : يا أولاد الزنا فعلها آبن الزانية وساعدتموه، قال : وأخذها حكم الوادى فغنّى بها فلم يبق بالكوفة سقّاء ولا طحّان ولا مكارٍ إلا غنى فيها ثم غِبتُ مدّة وقدمتُ فأتانى فما سلّم علىّ حتى قال لى ١٥

أما بالله تستحيـ * ـين من خلّة حمّادِ

قتلتنى قتلك الله، والله ما كلمتنى حتى الساعة قال : قلت : اللهم أدم هجرها له وسوء رأيها فيه وأسقه عليها وأغوه بها فشتمنى ساعة، قال مطيع : ثم قلت له : قم آمض بنا حتى أريك أختى، وكانت لمطيع صديقةٌ يسمّيها أختى وتسمّيه أخى وكانت مغنّية، فلما خرجت الينا، دعوتُ قيّمةً لها فأسررت اليها فى أن تصلح لنا طعاما ٢٠

وشرابا، وعرفتها أن الذى معى حمّاد، فضحكت ثم أخذت صاحبتى فى الغناء وقد علمت بموضعه وعرفت فكان أول ما غنّت

أما بالله تستحيـ * ـين من خلّة حمّاد

فقال لها : يا زانية ! وأقبل علىّ وقال : وأنت يا زانى يابن الزانية! أسررْتَ هذا الى قيّمتها، فقلت : لا والله كذبت وشاتمتْهُ صاحبتى ساعةً ثم قامت فدخلت وجعل يتغيّظ علىّ، فقلت أنت ترى أنى أمرتها أن تغنّى بما غنّت، فقال : أرى ذلك وأظنّه ظنّا لا والله ولكنى أتيقنه، فحلفتِ له بالطلاق على بطلان ظنّه وآنصرفنا .

وحكى، قال يحيى بن زياد الحارثىّ لمطيع وكان صديقا له : آنطلق بنا الى فلانة صديقتى فإن بينى و بينها مغاضبة لتُصلح بيننا و بئس المصلح والله أنتَ، قال : فدخلنا عليها، فأقبلا يتعاتبان ومطيعٌ ساكتٌ حتى اذا أكثر قال يحيى : ما يسكتك؟ أسكت الله نأمتك[(١)]، قال مطيع

أنت معتلّة عليه وما زا * ل مهينا لنفسه فى رضاك

فأعجب يحيى وهشّ له، فقال مطيع

فدعيه وواصلى آبنَ إياس * جعلت نفسه الغداة فداك

فقام يحيى اليه بوسادة فى البيت فما زال يجلد بها رأسه و يقول : ألهذا جئت بك يابن الزانية؟ ومطيع يغوّث[(٢)] حتى ملَّ يحيى، والجارية تضحك منهما ثم تركه .

ورُوىَ عن محمد بن الفضل السكونىّ قال : رفع صاحب الخبر الى المنصور أن مطيع بن إياس زنديق وأنه يلازم آبنه جعفر وجماعة من أهل بيته و يوشك أن

---

(١) جاء فى القاموس : أسكت الله تعالى نأمته و يقال : نامّته مشدّدة، أى أماته .

(٢) يغوّث : يستغيث .

يفسد أديانهم أو يُنسَبوا الى مذهبـه ، فقال له المهدىّ : أنا به عارف أما الزندقة فليس من أهلها ، ولكنه خبيث الدين فاسق مستحلٌّ للمحارم ، قال : فأحضره ونهاه عن صحبة جعفر وسائر أهله فأحضره المهدىّ وقال له : يا خبيث يا فاسق ! لقـد أفسدت أخى ومن تصحبه من أهلى ، والله لقد بلغنى أنهـم يتقارعون عليك ، ولا يتم لهم سرور إلا بك ، وقد غررتهم وشهرتهم فى الناس ، ولولا أنى شهدت لك عند أمير المؤمنين بالبراءة مما نسبت اليه من الزندقة ، لقد كان أمر بضرب عنقك ، يا ربيع آضربه مائة سوط وآحبسه ، قال : ولم يا سيدى؟ قال : لانك سكّير خمير قد أفسـدت أهلى كلَّهـم بصحبتك ، فقال له : إن أذنت لى وسمعت آحتججت فقال له : قل ، فقال : أنا آمرؤ شاعر وسوق إنمـا تنفق على الملوك وقد كسدت عنـدكم وأنا فى أيامكم مطوّح وقد رضيتُ منها مع سَعتها للناس جميعا بالأكل على مائدة أخيك ، لا يتبع ذلك غيره ، وأصفيته على ذلك شكرى وشـعرى ، فإن كان ذلك غاليا عنـدك تبتُ منه ، فأطرق المهدىّ ثم رفع رأسه ، فقال : قد رفع إلىّ صاحب الخبر أنك تُماجن على السؤّال ، وتضحك منهم ، قال : لا والله ما ذاك من فعـلى ولا شأنى ولا جرى منى قط إلا مرة واحدة ، فإن سائلا أعمى آعترضنى وقد عبرت الجسر على بغلتى ، فظننى من الجند فرفع عصاه فى وجهى ، ثم صاح : اللهم سخر الخليفة لأن يعطى للجند أرزاقهم فيشتروا من التجار الأمتعة وتربح التجار عليهم فتدرّ أموالهم فيجب فيها الزكاة عليهم فيتصدقوا علىّ منها ، فنفرتْ بغلتى من صياحِهِ ورفعِهِ عصاه فى وجهى حتى كدتُ أسقط فى المـاء ، فقلت : ياهذا ، ما رأيت أكثر فضولا منك ، سل الله أن يرزقك ولا تجعل بينك و بينه هذه الحوالات والوسائط التى لا يحتاج إليها فإن هذه المسائل فضول ، فضحك الناس منه ورفع علىّ فى الخبر

[قولى له هـذا][1] فضحك المهدىّ وقال : خلّوه ولا يُضرَب ولا يُحبَس، فقال له :
أدخل عليك لموجدة وأخرج عن رضى وتبرأ ساحتى وأنصرف بلا جائزة ، قال :
لا يجوز هذا ، أعطوه مائتى دينار، ولا يعلم أمير المؤمنين فتُجدِّد عنده ذنوبُه ، وقال له :
آخرج عن بغداد ودع صحبة جعفر حتى ينساك أمير المؤمنين ثم عد إلىّ فقال له :
٥ فأين أقصد؟ قال : أكتبُ الى سليمان بن علىّ فيولّيك عملا ويُحسِن اليك قال :
قد رضيت ، فوفد الى سليمان بكتّاب المهدىّ فولّاه الصدقة بالبصرة وكان عليها داود
آبن أبى هند فعزله به .

وأخباره فى هذا الباب كثيرة أغضينا عن كثير منها .

ذكر شيء من نوادر أبى الشبل

١٠ هو عاصم بن وهب بن البَرَاجِم مولده الكوفة ، نشأ وتأدّب بالبصرة ، وفد الى
سامرّاء[2] أيام المتوكل ومدحه ، وكان طيّبا كثير الغزل والنوادر والمجون، فنفق عند
المتوكل وخدمه وآختص به وآمتدحه بقوله

أقبلى فالخير مُقبِلْ * وآتركى قول المَعَلِّلْ
وثقى بالنُّجح إن * أبصرتِ وجهَ المتوكِّلْ
١٥ ملكٌ يُنصِف يا ظا * لمتى فينا و يعدِلْ
فهو الغاية والمـأ * مول يرجوه المؤمِّلْ

فأمر له بثلاثين ألف درهم، وله أخبار مستظرفة تتضمن شعرا ونوادر تدّل على
ظرفه سنذكر منها طرفا . فمن ذلك ما حكى عنه : أنه مدح مالك بن طوق، وقدر

(١) الزيادة عن الأغانى .
٢٠ (٢) سامرّاء : لغة فى سُرَّ مَنْ رَأى وهى مدينة كانت بين بغداد وتكريت .

أن يعطيه ألف درهم، فبعث اليه بصرة مختومة فيها مائة دينار فظن أنها دراهم فردها اليه وكتب معها

فليت الذى جادت به كفُّ مالكٍ * ومالك مدسوسان فى آستِ آمِّ مالكِ
وكان الى يوم القيامة فى آستها * فأيسر مفقودٍ وأيسر هالكِ

وكان مالك يومئذ أميرا على الأهواز فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره فأُحضر وقال: ما هذا؟ ظلمتنا وآعتديت علينا، فقال: قدّرت عندك ألف درهم فوصلتنى بمائة درهم فقال: آفتحها ففتحها فإذا فيها مائة دينار فقال: أقلنى أيها الأمير، فقال: قد أقلتك ولك كل ما تحب أبدا ما بقيت وقصدتنى. قال وكان له جار طبيب أحمق فمات فرثاه فقال

قد بكاه بولُ المريض بدمعٍ * واكفٍ فوق مقلتيه ذروفِ
ثم شقّت جيوبَهن القواريـ * ـرُ عليه ونُحْنَ نَوْحَ اللهيفِ
يا كساد الخيار شنبرَ والأقـ * ـراص طرًّا ويا كساد السفوفِ
كنت تمشى مع القوىّ فإن جا * ء ضعيفٌ لم تكترث بالضعيفِ
لهف نفسى على صنوف رقاعا * تٍ تولّت منه وعقلٍ سخيفِ

وقال أبو الشبل: كان خالد بن يزيد بن هُبَيرة يشرب النبيذ وكان يغشانا، وكانت له جارية صفراء مغنية يقال لها: لَهَب، وكانت تغشانا معه وكنت أعبث بها كثيرا فقام مولاها يوما الى الجابية يستق نبيذا فاذا قميصه قد آنشقّ فقلت فيه

قالت له لَهَبٌ يوما وجاد لها * بالشّعر فى باب فعلانٍ ومفعولِ
أمّا القميصُ فقد أزرى الزمانُ به (١) * فليت شعرىَ ما حالُ السراويلِ؟



(١) كذا بالأصل وفى الأغانى : أودى .

قال أبو الشبل : وكانت أمّ خالد هذا ضرّاطة تضرط على صوت العيدان وغيرها في الإيقاع فقلت فيه

في الحيّ من لا عدمت خلّته * فتى إذا ما قطعتُه وصلا
له عجوزٌ بالحَبْقِ(١) أبصر من * أبصرتُه ضاربا ومرتجلا
مادمتُه مرّة وكنت فتى * ما زلت أهوى وأشتهى الغزلا
حتى إذا ما أمالها سَكَرٌ * شعّث فى قلبها لها مثلا
اتكأتْ يَسرة وقد خرقت * أشراجها كى تقوّم الرَّمَلا
فلم تزل إستها تطارحنى * اِسمعْ الى من يسومنى العِللا

وقال محمد بن المرزبان : كنت أرى أبا الشبل كثيرا عند أبى ، وكان إذا حضر أضحك الثكلى بنوادره ، فقال له أبى يوما : حدّثنا ببعض نوادرك وطرائفك قال : نعم ، من طرائف أمورى : أن آبنى زنى بجارية سندية لبعض جيرانى فحبلت وولدت وكانت قيمة الجارية عشرين دينارا ، فقال : يا أبت ، الصبيُّ والله آبنى ، فساومتُ فيه فقيل لى : خمسون دينارا ، فقلت : ويلك ! كنت تخبرنى وهى حبلى فأشتريها بعشرين دينارا وتربح الفضل بين الثمنين ، وأمسكت عن المساومة بالصبيّ حتى آشتريته من القوم بما أرادوا ، ثم أحبلها ثانيا ، فولدت آبنا آخر ، فجاء يسألنى أن أبتاعه فقلت : عليك لعنة الله ، أى شىء حملك على أن تُحبِل هذه ، هل لا عزلت عنها؟ فقال : إنى لا أستحلّ العزلَ ، ثم أقبل على جماعة عندى فجعل يقول : شيخ كبير يأمرنى بالعزل و يستحلّه ، فقلت له : يابن الزانيــة تستحلّ الزنا وتتحرّج من العزل؟ فضحكنا منه وقلنا له : وأىّ شىء أيضا ، قال : دخلت أنا ومحمود الورّاق الى جار له يهودىّ خمّار ، فقلت : أريد خمرا بنت عشر قد أنضجها الهجير ، فأخرج لنا

(١) الحبق : الضراط .

شيئا عجيبا، فآبتعناه منه وشربنا، فقلت : آشرب معنا، فقال : لا أستحلّ شرب الخمر، فقال لى محمود : ويحك ! هل رأيت أعجب من هــذا ؟ يهودىّ يتحرّج من شرب الخمــر ونشربها ونحن مسلمون ! فقلت : أجل والله، لا نفلح أبدا ولا يعبأ الله بنا، ثم شربنا حتى سكرنا وقمنا بالليـل ففعلنا بآبنته وآمرأته وأخته وسرقنا ثيابه وخرينا فى تِيغارات[1] النبيذ وآنصرفنا . ٥

ذكر شىء من نوادر حمزة بن بَيْض الحنفىّ

كان شاعرا من شعراء الدولة الأموية وهو كوفىّ خليع ماجن، وكان منقطعا الى المهلّب بن أبى صفرة وولدِهِ ثم الى أبان بن الوليـد و بلال بن أبى بردة وآكتسب بالشعر من هؤلاء مالا عظيما، يقال : إنه أخذ بالشعر من مال وشاء ورقيق وحملان وغير ذلك ألف ألف درهم، وله نوادر، منها ما حكاه أبو الفرج الأصفهانىّ عنه : ١٠ أنه كان يسامر عبد الملك بن بشر بن مروان، وكان عبد الملك يعبث به عبثا شديدا فوجّه اليه ليلةً برسول وقال : خذه على أىّ حالة وجدته وحلّفه وغلظ عليه الأيمـان على ذلك، فمضى الرسول فهجم عليه فوجده يريد أن يدخل الخلاء فقال له : أجب الأمير فقال : ويحك ! إنى أكلت طعاما كبيرا وشربت نبيذا حلوا وأخذنى بطنى، فقال : والله ما تفارقنى أو أمضى بك اليه ولو سلحت فى ثيابك، فجهد فى الخلاص ١٥ فلم يقدر عليه ومضى به فوجده قاعدا فى طارمة[2] له وجارية جميلة جالسة بين يديه ، وكان يتحظّاها، تسجر[3] النّدَّ فجلس حمـزة يحادثه وهو يعالج ما هو فيــه قال حمزة : فعرضت لى ريح فقلت: أسرِّحها وأستريح لعل ريحها لا يظهر مع هذا النّدِّ فأطلقتها

(١) التيمارات : جمع تيغار وهو الحوض .

(٢) الطارمة : بيت من خشب كالقبة . ٢٠

(٣) تسجر : تحرق .

فغلبت والله ريح البخور وغمرته فقال : ما هذا يا حمزة ؟ فقلت : علىّ عهد الله وميثاقه وعلىّ المشْىُ والهَدْىُ إن كنت فعلتها وما هذا إلا عمل هذه الجارية الفاجرة، فغضب وخجلت الجارية فما قدرت على الكلام، ثم جاءتنى أخرى فسرحتها فسطع والله ريحها، فقال : ما هذا؟ ويلك! أنت والله الآفة، فقلت : آمرأتى طالق ثلاث إن كنت فعلتها، فقال : وهذه ايمين لازمة إن كنت فعلتها وما هو إلا عمل هذه الجارية وقال لها : ما قصتك؟ ويلك ! قومى الى الخلاء إن كنت تجدين شيئا فزاد خجلها وطمعتُ فيها فسرّحت الثالثة فسطع من ريحها ما لم يكن فى الحساب، فغضب عبد الملك حتى كاد يخرج من جلده ثم قال : ياحمزة، خذ بيد الزانية فقد وهبتها لك وآمض فقد نغّصت علىّ ليلتى فأخذتُ بيدها وخرجتُ، فلقينى خادمٌ له فقال : ما تريد أن تصنع ؟ فقلت له : أمضى بهذه الجارية، فقال : لا تفعل، فوالله لئن فعلت ليبغضنّك بغضا لا تنتفع به بعده أبدا، وهذه مائتا دينار خذها ودع هذه الجارية فإنه يتحظّاها، وسيندم على هبته إياها لك، فأبيت إلا بخمسمائة دينار، فقال : ليس غير ماذكرت لك، فأخذتها وتركت الجارية، فلما كان بعد ثلاث دعانى عبد الملك، فلما قربت من داره لقينى الخادم وقال لى : هل لك فى مائة أخرى وتقول ما لا يضرّك ولعلّه ينفعك ؟ قلت : وما ذا ؟ قال : اذا دخلت فادّعِ الفسوات الثلاث وآنسبها الى نفسك وآنضح عن الجارية ما قرفتها به، فأخذتُها ودخلتُ على عبد الملك، فلما وقفتُ بين يديه قلت له : الأمان حتى أخبرك بخبر يسرّك ويضحكك، قال : لك الأمان، فقلت : أرأيت ليلة كذا وكذا وما جرى؟ قال : نعم قلت : فعلىّ وعلىّ إن كان فسا تلك الفسوات غيرى، فضحك حتى سقط على قفاه وقال : ويلك ! فلم لم تخبرنى ؟ قال : فقلت : أردت بذلك خصالا، منها : أنى قمت فقضيت حاجتى وقد كان رسولك منعنى من ذلك، ومنها : أنى أخذتُ جاريتك، ومنها : أنى كافأتك

على أذاك لى بمثله ، قال : وأين الجارية ؟ قلت : ما برحتْ من دارك ولا خرجتْ حتى سلّمتها الى فلان الخادم وأخذتُ مائتى دينـار ، فسرّ بذلك وأمر لى بمائتى دينار أخرى ، وقال : هذه لجميـلِ فعلك فىّ وتركِكَ أخذَ الجارية . قال حمزة : ودخلتُ اليه يوما وكان له غلام لم ير الناس أنتنَ إبطا منه ، فقال لى : يا حمزة ، سابق غلامى هذا ، حتى يفوح صنانكما فأيكما كان صنانه أنتن فله مائة دينار ، فطمعتُ فى المـائة ويئستُ منها لمـا أعلمه من نتن إبط الغلام ، فقلت : أفعل ، وتعادينا ساعة فسبقنى ، فسلحتُ فى يدى ثم طليت إبطى بالسلاح وقد كان عبـد الملك جعل بيننا حكما ، فلمّا دنا الغلام منه وشمّه وثب وقال : هذا والله لا يشاكله شيء ، فصحت به : لا تعجلَ علىّ بالحكم ، مكانك ! ثم دنوت منه فألقمت أنفه إبطى حتى علمت أنه قد خالط دماغه ، وأنا ممسك رأسه تحت يدى ، فصاح : الموت والله ! هذا بالكُنُفِ أشبه منه بالإبط ، فضحك عبد الملك ثم قال : أحكمت له ؟ قال : نعم فأخذت الدنانير . قال : ودخلت يوما على سليمان بن عبد الملك فلما مثلت بين يديه قلت

رأيتُك فى المنام شننتَ خزًّا [1] * علىّ بنفسجًا وقضيت دينْى

فصدِّقْ يافدتك النفسُ رؤيا * رأتها فى المنـام لديك عينْى

قال سليمان : ياغلام ، أدخِله خزانة الكسوة وآشتن عليه كل ثوب خز بنفسجىّ ، فخرجتُ كأنى مِشْجَبٌ [2] ثم قال كم دينك؟ قلت عشرة آلاف فأمر لى بها وما أعلم والله أنى رأيت من ذلك شيئا .

(١) شننت بمعنى نسجت وحكت .

(٢) المِشجبُ : حشبات تنصب ليوضع عليها الثياب .

ذكر شيء من نوادر أبي العيناء عفى الله عنه

هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان من بني حنيفة أهل اليمامة وأسر ياسر في سبإ في خلافة المنصور، فلما صار في يد المنصور أعتقه، فهم موالى بنى هاشم . وكان أبو العيناء ضرير البصر يقال : إن جده الأكبر لقى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فأساء مخاطبته فدعا عليه وعلى ولده بالعمى، فكلّ من عمى منهم فهو صحيح النسب؛ وهو ممن آشتهر بالمجون، وله نوادر وحكايات مستظرفة ومراسلات عجيبة سأورد منها طَرَفًا، وأسطر طُرَفًا . فمن ذلك : أن بعض الرؤساء قال له : يا أبا العيناء لو متَّ لرقص الناس طربا وسرورا، فقال بديهةً

أردتَ مذمّتى فأجدتَ مدحى * بحمد الله ذلك لا بحمدِكْ
فلا تك واثقا أبدا بعمدٍ * فقد يأتى القضاءُ بغير عمدِكْ

ثم قال : أجل ! الناس قد ذهبوا فلو رأونى الموتى لطربوا لدخول مثلى عليهم، وحلول عقلى لديهم، ووصول فضلى اليهم؛ فما زال الموتى يغبطونكم و يرحموننى بكم .
وقال : وآتصلت أشغال أبى الصقر الوزير فأخر توقيعه عن أبى العيناء برسومه فكتب اليه : رقعتى أطال الله بقاء الوزير، رقعة من علم شغلك، فأطّرح عدلك، وحقق أمرك، فتبسط عذرك، أما والليل اذا عسعس، فالبنان لبنات الدنان، وملامسات الحسان، وأما والصبح اذا تنفس، فالبنان للعنان، ومؤامرات السلطان، فمن أبو العيناء القرنان؟ فوقع أبو الصقر تحت سطوره : لكل طعام مكان، ولكل معوز إمكان؛ وقد وقعنا لك بالرسوم، وجعلنا لك حظا من المقسوم، وكفينا أنفسنا عذرك الذى هو تعزير، ولسانك الذى هو تحذير، والسلام . ثم لقيه أبو العيناء فى صدر موكبه فقال : طاعة شيك، لسلطان كرمك، ألزمتك الصبر على ذنوبى اليك، وتجنى خلقى عليك، فقال

أبو الصقر : كبير حسناتك ، يستغرق يسير سيئاتك ، فدعا له وآنصرف شاكرا . قال :
وبسط أبو العيناء لسانه على أهله فى بعض الدواوين ، فقال له فتى من أبناء الكتّاب
كانت فيه جرأة : كلّ الناس لك يا أبا العيناء زوجة ، وأنت زوجة أبى علىّ البصير ،
فقال له أبو العيناء : قد ملكنا عصمتك بيقين لخواك ، ثم ننظر فى شكوك دعواك ،
وقد طلقت الناس كلهم سواك ، ذلك أدنى أن لا نعول ، وفيك ما يروى الفحول ، ٥
ويتجاوز السول ، قال : ففضحه بهذا الكلام فلم يجبه . قال : وكان فى بنى الجراح
فتى خليع ماجن فأراد العبث بأبى العيناء فنهاه نصحاؤه فأبى ، فقالوا : شأنك ! فقال له :
يا أبا العيناء متى أسلمت ؟ فقال : حين آمن أهلك وأبوك الذين لم يؤدبوك . فقال له
الفتى : إذًا قد علمت أنك ما أسلمت ، فقال أبو العيناء : شهادتك لأهلك دعوى ،
وشهادتى عليهم بلوى ، وسترى أىّ السلطانين أقوى ؟ وأى الشيطانين أغوى ؟ ١٠
وسيعلم أهلك ، ما جنى عليهم جهلك . قال : فأتاه أبوه فتبرأ من ذمته ، ودفعه اليه
برمّته ، فقال له أبو العيناء : قد وهبت جوره لعدلك ، وتصدّقتُ بحمقه على عقلك .

ومن أخبار أبى العيناء أيضا : أن محمد بن عبيد الله بن خاقان حمله على برذون زعم
أنه غير فاره ، فكتب الى أبيه : أعلم الوزير أعزه الله تعالى أن أبا على محمد أراد أن
يبرّنى فعقّنى ، وأن يركبنى فأرجلنى ، أمر لى بدابة تقف للنبرة ، وتعثر بالبعرة ، ١٥
كالقضيب اليابس عَجَفا ، وكالعاشق المجهود دَنَفا ، يساعد أعلاه لأسفله ، حُباقه[1]
مقرون بسعاله ؛ فلو أمسك لترجيت ، أو أفرد لتعزيت ؛ ولكنه يجمعهما فى الطريق
المعمور ، والمجلس المشهور ، كأنه خطيب مرشد ، أو شاعر منشد ، تضحك من فعله
النسوان ، ويتناغى من فعله الصبيان ، فمن صائح يصيح : داوه بالطباشير ، ومن
قائل يقول : نقِّ له من الشعير ، قد حفظ الأشعار ، وروى الأخبار ، ولحق العلماء ٢٠

(١) الحُباق : الضراط .

فى الأمصـار ، فلو اعْيِن بنطق ، لروى بحقّ وصـدق ، عن جابر الجعفى ، وعامر الشعبى ، وإنما أبيت من كاتبه الأعور ، الذى اذا آختار لنفسـه أطاب وأكثر، وإذا آختار لغـيره أخبث وأنزر، فإن رأى الوزير أن يبدلنى ، و يريحنى بمركوب يضحكنى كما يضحك منى ، يمحو بحسنه وفراهته ، ما سطره العيب بقبحه ودمامته ، (٣٣) ولست أردّ كرامَهْ ، سرجه ولجامَهْ ، لأن الوزير أكرم من أن يسلب ما يُهديه ، أو ينقض ما يمضيه ؛ فوجه اليه عبيد الله برذونا من براذينه بسرجه ولجامه ، ثم آجتمع محمد بن عبيد الله عنـد أبيه فقال عبد الله لأبى العيناء : شكوت دابة محمد وقد أخبرنى أنه ليشتريه الآن منك بمـائة دينار ، وما هذا ثمنه فلا تُستك ، فقال : أعز الله الوزير لو لم أكذب مستزيدا ، لم أنصرف مستفيدا ، وإنى وإياه لكما قالت آمرأة العزيز : (ٱلْآنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ ٱلصَّادِقِينَ) فضحك عبيد الله وقال : حجّتك الداحضة بملاحتـك وظرفك أبلغ من حجة غيرك البالغـة . ودخل أبو العيناء على أبى الصقر وكان قد تأخر عنه فقال : ما أخّرك عنا ؟ قال : سُرق حمارى قال : وكيف سرق؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك! قال : فلم لم تأت على غيره؟ قال : أبعدنى عن الشراء قلة يسارى ، وكرهت ذلّة المكارى ، ومنة العوارى ؛ قال : وصار يوما الى باب صاعد بن مخلد فقيل له : هو مشغول يصلّى فقال : لكلّ جديد لذّة ، وكان صاعد نصرانيا قبل الوزارة ، وقال له صاعد يوما : ما الذى أخّرك عنا ؟ قال بنتى ، قال : وكيف ؟ قال : قالت لى : يا أبت قد كنت تغدو من عندنا فتأتى بالخلعة السريّة ، والجائزة السنيّة ، ثم أنت الآن تغدو مسدفا ، وترجع معتما ، فإلى من؟ قلت : الى أبى العلاء ذى الدرايتين قالت : أيعطيك ؟ قلت : لا . قالت : أفيشفعك؟ قلت : لا ، قالت : أيرفع مجلسك؟ قلت : لا ، قالت : يا أبت لِمَ تعبدُ ما لا يسمع ولا يُبصر ولا يغنى عنـك شيئا ؟ . ولأبى العيناء مع المتوكل أخبار وحكايات ؛

فمنها : أن المتوكل على الله قال له يوما : يا أبا العيناء هل رأيت طالبيّا حسن الوجه قط؟
قال : يا أمير المؤمنين أرأيت أحدا يسأل ضريرا عن هذا؟ قال : لم تكن ضريرا فيما تقدّم ،
و إنما سألتك عما سلف ، قال : نعم ، رأيت منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى ما رأيت
أجمل منه ! قال المتوكل : تجده كان مؤاجَرا و يجدك قوّادا عليه . فقال أبو العيناء :
أو فرغت لهذا يا أمير المؤمنين؟ أتراني أدع مواليَّ على كثرتهم وأقود على الغرباء؟ قال : ٥
آسكت يا مأبون ، قال : مولى القوم منهم ، فقال المتوكّل : أردت أن أشتفي به منهم
فاشتفى لهم منى . وقال له رجل من بنى هاشم : بلغنى أنك بغّاء قال : ولم أنكرت ذلك
مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ « مولى القوم منهم » قال : إنك دعيّ فينا
قال : بغائى صحّح نسبي فيكم ؛ وسأل أبو العيناء الجاحظ كتابا الى محمد بن عبد الملك
فى شفاعة لصاحبٍ له ، فكتب الكتاب وناوله الرجل ، فعاد به الى أبى العيناء وقال : ١٠
قد أُسعف ، قال : فهل قرأته ؟ قال : لا لأنه مختوم ، قال : ويحك ! فضّه لا يكون
صحيفةَ المتلمّس ، ففضّه فاذا فيه : مُوَصِّل كتابى سألنى فيه أبو العينـاء وقد عرفت
سفهه و بذوء لسانه وما أراه لمعروفك أهلا فإن أحسنت اليه فلا تحسبه علىّ يدا
و إن لم تحسن اليـه لم أعده عليك ذنبـا والسـلام ، فركب أبو العيناء الى الجاحظ
وقال له : قد قرأت الكتاب يا أبا عثمان فخجل الجاحظ وقال : يا أبا العيناء هـذه ١٥
علامتى فيمن أعتنى به ، قال : فاذا بلغك أن صاحبي قد شتمك فاعلم أنهـا علامته
فيمن شكر معروفه . وقال أبو العيناء : مررت يوما بدرب بسامرّاء فقال لى غلامى :
يا مولاى ، فى الدرب جمل سمين والدرب خال ، فأمرته أن يأخذه وغطّيته بطيلسانى
وصرت به الى منزلى ، فلما كان من الغد جاءتنى رقعة من بعض رؤساء ذلك الدرب
مكتوب فيها : جعلت فداك ، ضاع لنـا بالأمس جمل فأخبرنى صبيان دربنا أنك ٢٠
أنت سرقتـه فأمر برده متفضلا ، قال أبو العيناء فكتبت اليه : أى سبحان الله !

ما أعجب هذا الأمر ! مشايخ دربنا يزعمون أنك بغّاء وأكذّبهم ولا أصدّقهم ، وتصدّق أنت صبيان دربكم أنى سرقت الجمل ؟ قال فسكت وما عاودنى .
ولأبى العيناء أخبار كثيرة وحكايات مشهورة قد أوردنا منها ما يدخل فى هذا الباب وتركنا ما سواه .

---

٥ ## ذكر ما ورد فى كراهة المزح

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مَزَح آستُخِفَّ به » .
وقال حكيم : خير المزاح لا ينال، وشره لا يقال، سكرات الموت به مُحدِقة، وعيون الآجال اليه محدِّقة . وقال آخر : تجنب شؤم الهزل ونكد المزاح فإنهما بابان إذا فتحا لم يغلقا إلا بعد عسر، وفحلان إذا لقحا لم ينتجا غرضا . وقالوا : المزاح يضع قدر
١٠ الشريف، ويذهب هيبة الجليل . وقالوا لا تقل ما يسوءك عاجله، و يضرّك آجله .
وقالوا : إياك وما يستقبح من الكلام، فإنه ينفّر عنك الكرام، و يجسر عليك اللئام .
وقال عمر بن عبد العزيز : آتقوا المزاح فإنها حمقة تورث ضغينة . وقال حكيم لآبنه :
يا بنىّ إياك والمزاح فإنه يذهب ببهاء الوجه و يحط من المروءة . قال شاعر

(٣٤)

اِكره لنفسك ما لغيرك تكرهُ * وآفعل لنفسك فعلَ من يتنزّهُ
١٥ وآرفع بصمتك عنك سُبَّاتِ الورى * خوفَ الجواب فإنه بك أشبهُ
ودع الفكاهةَ بالمزاح فإنها * تودى وتسقط من بها يتفكّهُ

وقيل

ألا رب قول قد جرى من ممازح * فساق اليه الموتَ فى طرف الحبلِ
فإن مزاح المرء فى غير حينه * دليلٌ على فرط الحماقة والجهلِ

وقيـــل

فإياك إياك المـــزاحَ فإنه * يُجَرِّى عليك الطفلَ والرجلَ النذلا
ويُذهِبُ ماءَ الوجه بعـد بهـائه * ويورثُ بعـد العزّ صاحبَه ذُلّا

وقال بعض البلغاء : المزاح حرف، والاقتصاد فيه ظرف، والإفراط فيه ندامة .
وقالوا : من كثر مزحه لم يسلم من آستخفافٍ به أو حقدٍ عليـه ؛ ويقال : أكثر أسباب القطيعة المزاح ، وإن كان لا غنى للنفس عنـد الجمام ، فليكن بمقـدار الملح في الطعام . قال أبو الفتح البستيّ رحمه الله

أفد طبعَك المكدودَ بالهمِّ راحةً * تراحُ وعلّله بشيءٍ من المـــزح
ولكن إذا أعطيته المزحَ فليكن * بمقدار ما يُعطَى الطعامُ من الملحِ

وقيـــل

اِمزح بمقدار الطلاقة وآجتنب * مزحا تضاف به الى سوء الأدَبْ
لا تُغضبنَّ أخا إذا ما زحتـه * إن المزاح على مقدمة الغضَبْ

وقيـــل

مازح صديقك ما أحبَّ مزاحا * وتوقَّ منـه في المزاح جِماحا
فلربمـا مَزَح الصـديقُ بمزحةٍ * كانت لبدء عداوةٍ مِفتـاحا

وقال سعيد بن العاص لولده : يا بنيّ آقتصد في مزحك فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجرئ السفهاء . ويقال : المزاح أوّله فرح، وآخره ترح . قال أبو العتاهية

وترى الفتى يَلقَى أخاه وخدنَهُ * في بعض منطِقه بمـا لا يُغفَرُ
ويقول : كنتُ ملاعبا وممازحا * هيهات ! نارك في الحشا تتسعّرُ
ألقيتها وطفقت تضحك لاهيا * وفــؤادُه ممـا به يتفطّرُ
أوما علمتَ ومثل جهلك غالبٌ * أن المزاح هو السبابُ الأكبرُ

فهذه نبذة مما قيل فى الفكاهات والمجون، يفرح لها قلب المحزون، وتزول عنه الشئون، فلنذكر ما قيل مما يناسب هذا الباب من أشعار المزاحين .

ذكر شىء من الشعر المناسب لهذا الباب والداخل فيه

وسنورد فى هذا الفصل من أشعار هذا الفن، ما رفلت معانيه، فى حلل أنفاسها، على صفحات أطراسها، وأهلت مغانيه، بما أودعه لسانُ القلم صدرَ قرطاسها، من بديع إيناسها، يضحك سامعه وإن كان ثَكلا، ويستوفيه وإن كان مُجِلا، هذا مع ما فيه من فحش القول الذى إذا تأملته فى موضعه كان أزين من عقود اللآلى، وإن لمحته فى غيره كان أقفر من ظلم الليالى، نسأل الله المسامحة لكاتبه وقائله، ومستمعه وناقله، فمن ذلك ما كتب به ابن حجاج لمن شرب دواء

يا أبا أحمد بنفسىَ أفديـ * ـك وأهلى من سائر الأسواءِ
كيف كان انحطاطُ جَعْسك فى طا * عةِ شرب الدواء يوم الدواءِ
كيف أمسى سبال مبعرك الند * ل غريقا فى المِرّة الصفراء

وقال الحسن بن هانئ

لَلَطمةٌ يلطمنى أمردٌ * تأخذ منى العين والفكّا
أطيبُ من تفّاحة من يدى * ذى لحية محشوّةٍ مسكا

وقال أبو عبد الله محمد بن الحسن الحجاج

قُومى تنحّى فلستِ من شانى * قومى اذهبى لا يراكِ شيطانى
لا كان دهرٌ عليك حصّننى * ولا زمانٌ اليك ألجانى
قعدتِ تفسين فوق طنفستى * ما بين راحى وبين ريحانى
فما عدمنا من الكنيف وقد * حضرتِ إلا بناتِ وردانِ (١)

(١) بنات وردان : دوابّ حمراء اللون وأكثر ما تكون فى الحمامات وفى الكُنُف .

وقال أبو بكر محمد الخوارزمىّ

فسا الشيخ سهوًا وفى كفّه * شرابٌ فلمنـاه اوما قبيحا
فقال : لِىَ الدخلُ والخرجُ لِى * فأدخلتُ راحا وأخرجتُ ريحا

وقال آبن سكرة

وبات فى السطح معى صاحبٌ * من أكرم الناس ذوى الفضلِ ٥
أفسو فيفسو فهو لى مسـعدٌ * وإنمـا أُملى ويَسـتملى

البـاب الرابع

من القسم الثـالث من الفن الثـانى

فى الخمر وتحريمها وآفاتها وجناياتها وأسمائها، وأخبار من تنزّه عنها فى الجاهليّة، ومن حدّ فيها من الأشراف ومن آشتهر بها، ولبس ثوب الخلاعة بسببها، وما قيـل ١٠ فيها من جيّد الشعر، وما قيل فى وصف آلاتها وآنيتها، وما قيل فى مبادرة اللذّات، وما وُصفتْ به المجالس وما يجرى هذا المجرى .

ذكر ما قيل فى الخمر وتحريمها

أجمع النـاس على أن الخمر المحرَّمَة فى كتاب الله عزّ وجلّ هى المتَّخَذَة من عصير العنب بعد أن يغلى ويقذف الزَّبَد من غير أن يمسّها نارٌ واذا آنقلبت بنفسها وتخلّلت ١٥ طهرت من غير أن يُتسبّب فى ذلك بشىء يُلقَى فيها، وطهارتها : إذا غلبت عليها الحموضة وفارقتها النشوة، والخمر المتَّخَذَة أيضا من التمر، لقول النبىّ صلى الله عليه وسلم

فيما رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه : « الخمر من هاتين الشجرتين النخلةِ والعنبةِ » وفى حديثٍ آخرَ «من هاتين الشجرتين الكَرْمةِ والنخلةِ» وعن عبد الله آبن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت عمر رضى الله عنه على منبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : «أمّا بعد، أيها الناس، إنه نزل تحريمُ الخمر وهى من خمسةٍ، من التمر والعنب والعسل والحنطة والشعير» ؛ والخمر ما خامر العقلَ ولا خلاف بين أحدٍ من الأئمة فى أنّ الخمر حرام لما ورد فى ذلك من الكتاب والسنة ؛ أما ما ورد فى كتاب الله عزّ وجلّ فأربع آيات، منها ما يقتضى الإباحة، ومنها ما يقتضى الكراهة والتحريم، فأوّل ما نزل فيها بمكة قوله عزّ وجلّ : (وَمِنْ ثَمَرَاتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) فكان المسلمون يشربونها يومئذ وهى حلالٌ لهم، ثم أنزل الله (٣٨) عزّ وجلّ بالمدينة : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) نزلت هذه الآية فى عمر بن الخطّاب ومعاذ بن جبل ونفرٍ من الأنصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله، أفتنا فى الخمر والميسر فإنهما مَذْهَبةٌ للعقل مَسْلبةٌ للمال، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن ربكم تقدّم فى تحريم الخمر » فتركها قوم للإثم الكبير وقالوا : لا حاجة لنا فى شربها ولا فى شىء فيه إثم كبير، وشربها قومٌ لقوله تعالى : (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) وكانوا يستمتعون بمنافعها ويتجنّبون مآثمها الى أن صنع عبد الرحمن آبن عوف طعاما فدعا ناسا من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا وحضرت صلاة المغرب، فقدّموا بعضهم ليصلى بهم، فقرأ (قُلْ يَأَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) الى آخر السورة بحذف " لا " فأنزل الله عزّ وجلّ : (يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا ٱلصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) فحرّم السكر فى أوقات الصلاة، فقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه : إن الله عزّ

وجلّ تقارب فى النهى عن شرب الخمر وما أراه إلا سيحرمها، فلما نزلت هذه الآية تركها قومٌ، وقالوا : لا خير فى شىء يحول بيننا و بين الصـــلاة ، وقال قوم نشربها ونجلس فى بيوتنا، فكانوا يتركونها وقت الصلاة و يشربونها فى غير حين الصـــلاة الى أن شربها رجلٌ من المسلمين، فجعل ينوح على قتلَى بدرٍ و يقول

تُحيِّ بالســـلامة أمُّ بكـرٍ * وهل لى بعد رهطك من سلامِ
ذرينى أصـــطبحْ بِكراً فإنى * رأيت الموت كَفّتَ عن هِشامِ
و ود بنــو المغـــيرة لو فدَوْهُ * بألفٍ من رجالٍ أو ســوامِ

فى أبيات أخر، فبلغ ذلك رسول الله صلّى الله عليـه وسلّم، فجاء فزِعا يجرّ رداءه حتى آنتهى اليه، ورفع شيئًا كان فى يده ليضربه، فلما عاينه الرجل قال : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، والله لا أطعمها أبدا، ثم نزلت آية التحريم وهى قوله عزّ وجلّ: (إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)؛ و رُوِى أن هذه الآية نزلت فى شأن حمزة بن عبد المطّلب،وكان نزولها وتحريم الخمر فى شهر ربيع الأوّل سنة أربع من الهجرة والله تعالى سبحانه أعلم وحسبى الله .

وكان من خبر حمزة بن عبد المطّلب ماروواه مسلم بن الحجاج بن مسلم فى صحيحه عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال : أصبت شارفا[1] مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى مغنم يوم بدر، وأعطانى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شارفا أخرى من الخمس، قال علىّ : فلما أردت أن أبتنى بفاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واعدتُ رجلا صَوَّاغا من بنى قَيْنُقاع[2] يرتحل معى فنأتى بإذْخرٍ[3] أردت أن أبيعه من الصوّاغين

(١) الشارف : المسنة الهرمة من النوق .
(٢) قينقاع بفتح القاف وتثليث النون : شعب من اليهود الذين كانوا بالمدينة .
(٣) الإذخر : الحشيش الأخضر وله نور طيب الرائحة .

فأستعين به على وليمة عرسى، فبينا أنا اجمع لشارفىّ متاعا من الأقتاب والغرائر والحبال، وشارفاى مناختان الى جنب حجرة رجل من الأنصار ورجعت حين جمعت ماجمعت، فاذا شارفاى قد اجتُبَّتْ أسنمتهما وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما فلم أملك نفسى حين رأيت ذلك المنظر منهما، قلت : مَنْ فعل هذا ؟ قالوا : فعله حمزة بن عبد المطلب وهو فى هذا البيت فى شَرْبٍ من الأنصار غنّته قَينة وأصحابَهُ فقالت فى غنائها

* ألا يا حمز للشُّرُفِ النِّواءِ *

لم يذكر مسلم فى صحيحه من الشعر غير ما ذكرناه، والأبيات التى غنّت بها

ألا يا حمز للشُّرُفِ[1] النِّواءِ * وهنّ معقَّلاتٌ بالفِناءِ

ضع السكين فى اللَّبات منها * فضرجهنّ حمزةُ بالدماءِ

وعجِّل من شرائحها كبابا * ملهوجةً[2] على وهج الصلاءِ

وأصلحْ من أطايبها طبيخا * لشَرْبِك من قَديدٍ أو شواءِ

فأنت أبا عمارةِ المرجَّى * لكشف الضرِّ عنها والبلاءِ

فقام حمزةُ بالسيف فاجتَبَّ أسنمتهما وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما، (٣٩) فقال علىّ : فانطلقت حتى أدخل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعنده زيد بن حارثة، قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهى الذى لقيت، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : مالك ؟ قلت : يارسول الله، ما رأيت كاليوم قط، عدا حمزةُ على ناقتىّ فاجتبّ أسنمتهما وبقر خواصرهما وها هوذا فى بيت معه شَرْبٌ، فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بردائه فارتداه ثم انطلق يمشى واتبعته أنا

(١) الشرف جمع شارف وهى الناقة المسنة كما تقدم .

(٢) ملهوجة : غير ناضجة .

وزيد بن حارثة حتى جاء الباب الذى فيه حمزةُ فاستأذن فأذنوا له ، فإذا هم شَرْبٌ ،
فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوم حمزةَ فيما فعل وإذا حمزةُ محمّرةٌ عيناه ، فنظر
حمزةُ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صعد النظر الى ركبتيه ثم صعّد النظر الى سرته
ثم صعّد النظر ، فنظر الى وجهه ، فقال حمزة : وهل أنتم إلا عبيدٌ لأبى؟ فعرف رسول
الله صلّى الله عليه وسلّم أنه ثَمِلٌ ، فنكص رسول الله صلى الله عليــه وسلّم على عقبيه ٥
القهقرى وخرج وخرجنا معه ؛ وفى حديث آخر : أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال
لعلىّ : إن عمك قد ثمل وهما لك علىّ ، فغرمهما رسول لله صلّى الله عليه وسلّم لعلىّ ، فلما
أصبح حمزة ، غدا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يعتذر ، فقال : مه ياعم ، فقد سألت
الله فعفا عنك ؛ قالوا : وآتخذ عتبان بن مالك صنيعا ودعا رجالا من المسلمين فمنهم
ســعد بن أبى وقّاص ، وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا منه وشربوا الخمر حتى ١٠
أخذت منهم ، ثم إنهم آفتخروا عند ذلك وآنتسبوا وتناشدوا الأشعار وأنشــد سعد
قصيدةً فيها هجاء الأنصار وفخرٌ لقومه ، فقام رجلٌ من الأنصار فأخذ لَحْىَ البعير فضرب
به رأس سعد فشجّه شجّةً موضحةً ، فانطلق سعدٌ الى رسول الله صلّى الله عليــه وسلّم
وشكى اليه الأنصار فقال عمر رضى الله عنه : اللهم بيّنْ لنا رأيك فى الخمر بيانا شافيا ،
فأنزل الله عزّ وجلّ تحريم الخمر فى سورة المـائدة (إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ) الآية الى ١٥
(مُنْتَهُونَ) فقال عمر : آنتهينا ياربّ ؛ وقيل : إنها حُرِّمت بعد غزوة الأحزاب بأيام
فى ذى القعدة سنة خمس من الهجرة والله أعلم ؛ قال أنس رضى الله عنه : حُرِّمتْ
ولم يكن للعرب يومئذ عيشٌ أعجبُ منها ، وما حُرِّم عليهم شىء أشدُّ من الخمر ، قال :
فأخرجنا الحِبابَ الى الطريق فصببنا ما فيها ، فمنّا من كسر حُبَّه ، ومنّا من غسله
بالمـاء والطين ، ولقــد غودرت أزقّة المدينة بعد ذلك حِينًا كما مطرت ، آستبان فيها ٢٠
لون الخمر وفاحت ريحها ؛ وقال أنس بن مالك رضى الله عنــه : كنت ساقى القوم

يوم حُرِّمت الخمر فى بيت أبى طلحة، وما شرابهم إلا الفَضِيخُ[1] البسر والتمر، فاذا منادٍ ينادى فقال : أخرج فآنظر، فاذا منادٍ ينادى : ألا إن الخمر قد حُرِّمَتْ، قال : فجَرَتْ فى سكك المدينة فقال لى أبو طلحة : أُخرجْ فاهرقها فهرقتها، فقالوا أو قال بعضهم : قتِل فلان ! قُتِل فلان ! وهى فى بطونهم، فأنزل الله عزّ وجلّ (لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ٥ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا ٱتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ).

* * *

وأما ما ورد فى تحريمها فى كتاب الله وبيّنته السُّنَّةُ

فالأحاديث متضافرة فى تحريمها فمن ذلك ما روى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال « من مات وهو مدمنُ خمرٍ لقى الله وهو كعابدِ وثن » وقال رسول الله ١٠ صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة مدمنُ خمرٍ » وأما من زعم أنها تباح للتداوى بها فيردّ عليه ذلك ما صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن طارق بن سويد الجعفىّ سأل النبىّ صلّى الله عليه وسلّم عن الخمر فنهاه أو كره أن يصنعها وقال : إنما أصنعها للدواء، فقال : « إنها ليست بدواء ولكنه داء » وعنه صلّى الله عليه وسلّم وقد سأله رجل قدم من جَيشان — وجَيشان من اليمن — فسأله النبىّ صلى الله عليه وسلم عن ١٥ شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له : المِزْر، فقال النبى صلّى الله عليه وسلّم «أو مسكر هو؟» قال : نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلّ مسكر حرام إنّ على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال» فقالوا : يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال : « عَرَقُ أهل النار » وعن أبى عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلّ مسكرٍ خمرٌ وكلّ مسكرٍ حرامٌ ومَنْ شربَ الخمرَ ٢٠ فى الدنيا فمات وهو يُدمنها لم يتب لم يشربها فى الآخرة » وفى لفظ «حُرِمَها فى الآخرة

(١) الفضيخ : نبيذ يعمل من البسر والتمر.

فلم يُسقَها » وفى لفظٍ « إلا أن يتوب » ؛ وعن عبد الله بن عبّاس رضى الله عنهما
قال : حُرِّمتِ الخمر قليلها وكثيرها وما أسكر من كلّ شرابٍ ، وعنــه رضى الله عنه :
من سرّه أن يُحرِّم ما حرّم اللهُ ورسولُهُ فليحترم النبيذ ،وعن أبى هريرة رضى الله عنه :
أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا
يشرب الشارب حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن» أخرجه ٥
البخارىّ فى صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(٤٠) ذكر ما قيل فى إباحة المطبوخ

والمطبوخ يسمّى الطِّلاء وهو الذى طُبِخَ حتى ذهب ثلثاه وبقى ثلثه ، سُمِّىَ بذلك
لأنه شبيه بطِلاءِ الإبل فى ثخنــه وسواده ، وقد آختلف العلماء فى المطبوخ ، فقال
بعضهم : كلّ عصــيرٍ طُبِخَ حتى ذهب نصفه فهو حلالٌ إلا أنه يكره ، وإن طُبِخَ ١٠
حتى ذهب ثلثاه وبقى ثلثه فهو حلالٌ مباحٌ شربُهُ وبيعُهُ إلا أن السكر منــه حرام ؛
وحجتهم فى ذلك ما روى : أن عمر بن الخطّاب رضى الله عنه كتب الى بعض عماله :
أن آرزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقى ثلثه ؛ وعن عبدالله بن يزيد الحطمىّ
قال : كتب الينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أما بعــد ، فاطبخوا شرابكم حتى
يذهب منــه نصيب الشيطان فى عود الكرم ، فإن له آثنين ولكم واحد ؛ وعن أنس ١٥
ابن مالك رضى الله عنه : أن نوحا عليه السلام لمــا نازعه الشيطان فى عود الكرم ،
فقال : هــذا لى ، وقال : هــذا لى ، فآصطلحا على أن لنوح ثلثها وللشيطان ثلثيها ؛
وسئل سعيد بن المسيّب : ما الشراب الذى أحلّه عمر رضى الله عنه؟ فقال : الذى
يطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه ؛ وحكى أن أبا موسى الأشعرىّ وأبا الدرداء كانا
يشربان من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقى ثلثــه ؛ وعلى الجملة فمجموع هــذه الأخبار ٢٠

فى مثلث لم يسكر البتة، ودليل ذلك ما حكى عن عبد الله بن عبد الملك بن الطفيل الخزرجىّ قال : كتب الينا عمر بن عبد العزيز: أن لا تشربوا من الطِّلاء حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه وكلّ مسكرٍ حرامٌ ، هذا الذى عليه أكثر العلماء، وقال قوم : اذا طُبِخَ العصيرُ أدنَى الطبخ صار حلالا، وهو قول إسماعيل بن عليّة و بشر المرّيسى وجماعة من أهل العراق، وذهب بعضهم الى أن الطِّلاء الذى رُخِّص فيه إنما هو الرُّبُّ[1] والدِّبْسُ[2] والله عزّ وجلّ أعلم .

ذكر آفات الخمر وجناياتها

وآفات الخمر وجناياتها كثيرة لأنها أمّ الكبائر، وأوّل آفاتها أنها تُذهِب العقلَ، وأفضل ما فى الإنسان عقله، وتحسّن القبيحَ وتقبّح الحسَنَ، قال أبو نواس الحسن ابن هانئ عفا الله عنه ورحمه وغفر له ما أسلف

اِسقنى حتى ترانى * حَسَنًا عندى القبيحُ

وقال أيضا

اِسقنى صِرفا حُمَيّا * تترك الشيخَ صبيّا
وتريه الغيّ رُشدا * وتريه الرُّشد غيّا

وقال أبو الطيّب

رأيتُ المدامةَ غلّابةً * تهيّج للمرء أشواقَهُ
تسيء من المرء تأديبَه * ولكن تحسّن أخلاقَهُ
وأنفس ما للفتى لُبُّهُ * وذو اللبّ يكره إنفاقَهُ
وقد مِتُّ أمسِ بها ميتةً * ومايشتهى الموتَ مَنْ ذاقَهُ

(١) الرُّبّ : ما يطبخ من التمر، أو سلافة خثارة كلّ ثمرة بعد اعتصارها . (٢) الدِّبْسُ : عسل التمر.

قالوا : وإنما قيل لُمشارب الرجل: نديمٌ، من الندامة لأن معاقر الرجل الكأس اذا سكر تكلّم بما يندم عليه وفعل ما يندم عليه، فقيل لمن شاربه : نادمه، لأنه فعل مثل فعله فهو نديم له ، كما يقال : جالسه فهو جليس له ، والمعاقر: المدمن، كأنه لزم عقر الشيء أى فِناءه، وقد شُهِر أصحابُ الشراب بسوء العهد وقلّة الحفاظ، وقالوا : صاحب الشراب صديقك ما آستغنيت عنه حتى تفتقر، وما عوفيت حتى تنكب ، وما غلت دنانُك حتى تنزف ، وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك ؛ قال بعض الشعراء عفا الله تعالى عنه

أرى كلّ قومٍ يحفظون حريمهم * وليس لأصحابِ النبيذ حريمُ
اذا جئتَهم حيَّوك ألفًا ورحَّبوا * وإن غبتَ عنهم ساعةً فذميمُ
إخاؤهمُ ما دارت الكأسُ بينهم * وكلّهُمُ رثّ الوصال سئومُ
فهذا بيانى لم أقل بجهالةٍ * ولكننى بالفاسقين عليمُ

قيل: سق قومٌ أعرابيّةً مسكرا فقالت : أيشرب نساؤكم هذا الشراب؟ قالوا : نعم ، قالت : فما يدرى أحدكم مَنْ أبوه ؟ وقال قصيّ بن كلاب لبنيه : آجتنبوا الخمر فإنه يصلح الأبدان ويفسد الأذهان . وقيل لعدىّ بن حاتم : ما لك لا تشرب النبيذ؟ قال : معاذ الله! أصبحُ حليمَ قومٍ وأمسى سفيههم؟ وقيل لأعرابىّ : مالك لا تشرب النبيذ؟ قال : لا أشرب ما يشرب عقلى . وقيل لعثمان بن عفّان : ما منعك من شرب الخمر فى الجاهليّة ولا حرج عليك؟ قال : إنى رأيتها تُذهِب العقل جملةً وما رأيت شيئا يَذهَب جملةً ويعود جملة . وقال عبد العزيز بن مروان لنُصَيب بن رَباح : هل لك فيما يثمر المحادثة؟ يريد المنادمة، فقال: أصلح الله الأمير! الشَّعْرُ مفلفلٌ واللون مُرمَدٌّ ولم أقعد اليك بكرم عنصر ولا بحسن منظر ، وإنما هو عقلى ولسانى فإن رأيت أن لا تفرّق بينهما فافعل؛ ودخل نُصَيبٌ هذا على عبد الملك

آبن مروان فأنشده فاستحسن عبدُ الملك شِعْرَه فوصله ثم دعا بالطعام فطعم معه، فقال له عبد الملك : هل لك تنادم عليه؟ قال : يا أمير المؤمنين تأملنى، قال : قد أراك، قال : يا أمير المؤمنين ! جلدى أسود وخَلْق مشوَّه ووجهى قبيح ولست فى منصب، وإنما بلغ بى مجالستَكَ ومواكلتَكَ عقلى وأنا أكره أن أُدخِل عليه ما يَنقُصُه، فأعجبه كلامه وأعفاه . وقال الحسن : لو كان العقل عَرَضا لتغالى الناسُ فى ثمنه، فالعجب لمن يشترى بماله شيئا ليشربه فيُذهبُ عقله ! . وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج بن يوسف فى وفدة وفدها عليه وقد أكلا : هل لك فى الشراب؟ قال : يا أمير المؤمنين ! ليس بحرام ما أحللت ولكن أمنع أهل عملى وأكره أن أخالف قول العبد الصالح وهو قوله تعالى : (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ). وقالوا : للنبيذ حدّان: حدّ لا همَّ معه، وحدّ لا عقلَ معه، فعليك بالأوّل وآتق الثانى . ومن آفات الخمر آفتضاح شاربها بريحها عند مَنْ يحتشم منه ويتّقيه ويخافه فلا يستطيع معوجود ريحها إنكارَ شربها، والولاة تحدّ بالآستنكاه لأن خُمَارها يثبت فى الفم اليوم واليومين بعد تركها فمن شربها ساعةً وهو يحتشم من الناس أن يظهر ذلك عليه آحتاج الى الآنقطاع فى بيته بعد زوال السكر وأوبة العقل حتى تزول الرائحة وقد تحيَّلَ الذين يشربون الخمر على قطع ريحها من الفم وعالجوا ذلك بأدوية صنعوها يستعملونها بعد شربها، فأجود ما صنعوه من هذه الأدوية أن يؤخذ من المَرّ والبَسْبَاسة(١) والسُّعْد(٢) والجناح والقَرنفُل أجزاءً متساوية وجزآن من الصمغ ويدق ذلك ويجبل بماء الورد ويستعمل منه فإنه يقطع رائحة الخمر من الفم كما زعموا، وقد نظم بعض الشعراء هذه المفردات فى أربعة أبياتٍ فقال

---

(١) البسباسة : شجرة معروفة .

(٢) السعد : طيب له منافع عجيبة .

مرٌّ وبسباسةٌ وسُعدٌ * الى جناحٍ وماءِ وَردِ
ينظمها الصمغُ إن تلاه * قَرنفُل الهند نظمَ عِقــدِ
أجزاؤها كلّها ســـواءٌ * والصمغ جزءان، لاتعدّى
فيـــه لذى مِرّةٍ شفاءٌ * وصونُ عِرضٍ وحفظُ ودِّ

ذكر أسماء الخمر من حيث تُعصَر الى ان تُشرَب

الخمر اذا عُصِرَ فاسم ما يسيل منه قبــل أن تطأه الرجل : السُّلَاف، وأصله من السَّلَف وهو المتقدّم من كلّ شيء، وهو فى مثل ذلك الخُرطوم أيضا، ويقال للذى يعصر بالأقدام : العصير، والموضــع الذى يُعصَر فيــه : المَعصرة، والنَّطْل ما عُصِرَ فيه السلافُ، ويقال للعاصر: الناطِل، ثم يُترَكُ العصيرُ حتى يغلى فاذا غلا فهو خمر، وقيل : سميت خمرا، لأنها تخامر العقول فتخالطها ، وقالوا : لأنها تَخَمَّرُ فى الإناء، أى تغطَّى وهى مؤنثة، ويقال لها : القهوة، لأنها تقْهِى عن الطعام والشراب، يقال: أقهى عن الطعام وأقهم عنــه اذا لم يشتهه، ومن أسمائها : الشَّــمول، سميت بذلك لأن لها عصفةً كعصفة الشَّمال، وقيل : لأنها تشمل القومَ بريحها، ومنها : السُّلَاف والسُّلافة والخرطوم وقد تقدّم معناها، ومنهــا : القَرْقَف لأن شاربهــا يقرقف اذا شربها، أى يرعد، يقال : قَرْقَفَ وقَفْقَفَ، وقال أبو عمرو : القرقف آسم للخمر غير صفة وأنكر قولهم سمّيت بها لأنها ترعد، ومنها : الراح: لأنها تكسب صاحبها الأريحيّة أى خفة العطاء، ومنهــا : العقار لأنها عاقرت الدّنّ ، وقيــل : لأنها تعقر شاربها من قول العرب : كلأُ بنى فلان عقار، أى يعقر المــاشية، ومن أسمائها : المدامة والمدام: لأنهــا داومت الظَّرف الذى آنتبذت فيه، والرحيق: ومعناه الخالص من الغش، وقيل الصافى، وقيــل العتيق، والكميت : سميت بذلك للونهــا اذا كانت

تضرب الى السواد، والجِرْيال : وهو صِبغٌ أحمرُ سمّيت بذلك للونها أيضا، والسبِيئةُ والسِّباء وهي المشتراة وأصلها مسبوءة يقال : سبأتُ الخمر اذا آشتريتها، والمشعشعة : وهي الممزوجة، والصهباء : وهي التي عُصِرَتْ من العنب الأبيض، والشَّموسُ : شبّهت بالدابّة التي تجمح براكبها، والخندريس : وهي القديمة، والحانيّة : منسوبة الى الحانة، والماذيّة : اللّيِنة يقال : عسل ماذيّ اذا كان ليّنا، والعانيّة : منسوبة ٥ الى عانة، والسُّخامية : اللّينة من قولهم : قطن سُخَامٌ أى ليّن وثوبٌ سُخَامٌ، قال الراجز

كأنه بالصحصحان[1] الأنجلِ[2] * قطنٌ سُخَامىٌّ بأيدى غُزَّلِ

والمَزّةُ والمُزّاءُ لطعمها، والإسفِنْطُ قال الأصمعىّ : هو بالرومية، والغَرْبُ : ومعناه الحدّ، وغَرْبُ كلّ شيء حدّه، ولعلها سمّيت بذلك لحدّتها، والحُمَيَّا وحُمَيَّا كلّ شيء سَوْرته وحدّته، والمُصْطارُ : الخلّة ويقال : المُضْطار بالضاد أيضا، والخَمْطَةُ : ١٠ المتغيّرة الطعم، والمعتّقة : التى قد طال مُكثها، والإثم : آسم لها لعله وقع عليها لما فى شربها من الإثم، والحُمَقُ كذلك، قال الشاعر

شربتُ الإثم حتى ضلّ عقلى * كذاك الإثم يفعل بالعقولِ

والمُعْرَق الممزوج قليلا، يقال : عَرَقٌ من ماءٍ أى ليس بكثير، ومن أسمائها : القِنْدِيدُ والفَيْهَجُ وأمّ زَنْبق والمقطّب والطّوْس والسَّلسال والسَّلسَل والزَّرَجُون ١٥ والكَلْفاء والجَرْباء والعانسة والطّابَةُ والنّاجود والكأس والطّلاء، قال عَبِيدُ بن الأبرص

هى الخمر صرفا تكنّى الطلا[3] * ءَ كالذئب يُسمَى أبا جعدةِ

والباذَق والبُخْتُج فارسيّان، والجَهْوِرىّ، والمَقَدِّىّ : منسوبة الى قرية من قُرَى الشام، والمِزّاء من قولك : هذا أَمْزَى من هذا أى أفضل، والنبيذ والبِتْعُ، نبيذ العسل، والسُّكُرْكَة من الذرة، والجِعَة من الشعير، والفَضِيخ من البسر، والمِزْر من الحبوب . ٢٠

(١) الصحصحان : ما آستوى من الأرض . (٢) الأنجل : الواسع .
(٣) وجاء فى اللسان : وقالوا هى الخمر تُكْنى الطلا * كما الذئب الخ .

(٤٢)

ذكر أخبار من تنزّه عنها فى الجاهليّة وتركها ترفّعا عنها

كان ممن تركها فى الجاهليّة عثمان بن عفّان رضى الله عنه وعبد المطّلب بن هاشم وعبد الله بن جُدعان التيمىّ وكان سيّدا جوادا من سادات قريش، وسبب تركه لها أنه شرب مع أميّة بن أبى الصلت الثقفىّ فأصبحت عين أميّة مخضرّة فخاف عليها الذهاب، فسأله عبد الله : ما بال عينك؟ فقال : أنت صاحبها أصبتها البارحة، ٥
قال : و بلغ منى الشراب ما أبلغ معه من جليسى هذا المبلغ، فأعطاه عشرة آلاف درهم وقال : الخمر علىّ حرام، لاأذوقها أبدا، وقال فيها

شربت الخمر حتى قال صحبى : * ألستَ عن السقاة بمستفيقِ؟
وحتى ما أوسَّد فى مبيتٍ * أنام به سوى التُّرب السحيقِ

وممّن حرّمها فى الجاهليّة : قيس بن عاصم المنقرىّ، والسبب فى ذلك أنه سكر ١٠
فغمز عُكنة ابنته أو أخته فهربت منه، فلما صحا أخبروه فحرّم الخمر على نفسه، وقال فى ذلك

وجدتُ الخمرَ جامحةً وفيها * خصالٌ تفضح الرجلَ الكريما
فلا واللهِ أشربُها حياتى * ولا أدعو لها أبدا نديما
ولا أعطى لها ثمنا حياتى * ولا أشفى بها أبدا سقيما ١٥
فإن الخمرَ تفضح شاربيها * وتجشمهم بها أمرا عظيما
اذا دارت حميّاها تعلّت * طوالع تسفه الرجلَ الحليما

ومنهم : عامر بن الظرب العدوانىّ، قال

سآلةٌ للفتى ما ليس فى يده * ذهّابةٌ بعقول القوم والمالِ
أقسمتُ بالله أسقيها وأشربها * حتى يفرّق تربُ القبرِ أوصالى ٢٠

ومنهم : صفوان بن أميّة بن مُحَرَّث الكنانىّ وعُفَيف بن معديكرب الكندىّ والأسلوم بن نامى من همذان ومِقْيَس بن عدىّ السهمىّ وكان سكر فجعل يخطّ ببوله : أنعامة أو بعير؟ فلما أفاق وأخبر بذلك حرّمها . ومنهم : العبّاس بن مرداس السلَمىّ قيل له : لم تركت الشراب وهو يزيد فى جرأتك وسماحتك؟ فقال : أكره أن أصبح ٥ سيّد قومى وأمسى سفيههم . ومنهم : سعيد بن ربيعة بن عبد شمس وورقة بن نوفل والوليد بن المغيرة، وقال زيد بن ظبيان

بئس الشراب شراب حين تشربه * يوهى العظام وطورا يوهى[1] العصبِ
إنى أخاف مليكى أن يعذّبنى * وفى العشيرة أن يُزرى على حسبى

وقال رجل لسعيد بن سلم : ألا تشرب النبيذ ؟ فقال : تركت كثيره لله تعالى ١٠ وقليله للناس .

ذكر من حُدَّ فيها من الأشراف ومن شربها منهم ومن آشتهر بها ولبس فيها ثوب الخلاعة ومن آفتخر بشربها

فأما من حُدّ فيها من الأشراف فالوليد بن عُقبة بن أبى مُعَيط وهو أخو عثمان ابن عفّان لأمّه ، شهد عليه أهل الكوفة أنه صلّى بهم الصبح ثلاثَ ركعاتٍ وهو ١٥ سكران ثم آلتفت اليهم فقال : وإن شئتم زدتكم ، فجلده عبيد الله بن جعفر بين يدى عثمان رضى الله عنه ، وسنذكر الواقعة إن شاء الله تعالى بجملتها فى الباب الثانى من القسم الخامس من الفن الخامس فى التاريخ فى خلافة عثمان رضى الله عنه . ومنهم : عبيد الله بن عمر بن الخطاب شرب بمصر فحدّه بها عمرو بن العاص سرًّا ، فلما قدم على أبيه جلده حدّا آخر علانية . ومنهم : عبد الرحمن بن عمر بن الخطّاب المعروف بأبى

---

٢٠ (١) كذا بالأصل ولعل صوابه "وطورا موهن العصب" .

تخمة، حدّه أبوه فى الشراب فمات تحت حدّه. ومنهم : عاصم بن عمر بن الخطّاب،
حدّه بعض ولاة المدينة . ومنهم : قدامة بن مظعون، حدّه عمر بن الخطاب رضى
الله عنه بشهادة علقمة الخصىّ وغيره . ومنهم : عبد الله بن عروة بن الزبير، حدّه
هشام بن إسماعيل المخزومىّ . ومنهم : عبد العزيز بن مروان ، حدّه عمرو بن سعيد
الأشدق . ومنهم : أبومحجن الثقفىّ وآسمه عمرو بن حبيب ، وكان مغرما بالشراب، ٥
حدّه عمر مرارا فى الخمر، وحدّه سعيد بن أبى وقّاص مرارا وشهد القادسيّة وأبلى
بلاء حسنا ، ثم حلف بعد القادسيّة أن لا يذوق الخمر أبدا ومات تائبا عنها ، وأنشد
رجل عند عبد الله بن مسلم بن قتيبة قوله

اذا متُّ فادفنّى الى جنب كرمةٍ * تروّى عظامى بعد موتى عروقُها
ولا تدفنّنى فى الفلاة فإنّنى * أخاف اذا ما مِت أن لا أذوقُها ١٠

فقال عبد الله : حدّثنى من رأى قبره بأرمينيَة بين شجرات كرم يخرج اليه الفتيان
و يشربون عنده و يتناشدون شعره فإذا جاءت كأسه صبّوها على قبره . ومنهم : إبراهيم
ابن هَرْمة وكان مغرما بالشراب، حدّه جماعة من عمال المدينة فلما طال ذلك عليه
رحل الى أبى جعفر المنصور، وقيـل : إنمـا رحل الى المهدىّ وآمتدحه بقصيدته
التى يقول فيها ١٥

له لحظاتٌ فى حِفافَىْ سريره * اذا كرَّها فيهـا عِقـابٌ ونائلُ
له تربةٌ بيضـاءُ من آل هاشم * اذا آسودَّ من لؤم التراب القبائلُ

فاستحسن شعره وقال له : سل حاجتك، فقال : تأمر لى بكتاب الى عامل المدينة
ان لا يحدَّنى على شراب، فقال له : ويلك! لو سألتنى عزلَ عامل المدينة وتوليتك
مكانه لفعلت، قال : يا أمير المؤمنـين! ولو عزلته ووليتنى مكانه أما كنت تعزلنى ٢٠
أيضا وتولى غيرى، قال : بلى، قال : فكنت أرجع الى سيرتى الأولى فأحدّ، فقال

المهدى لوزرائه : ما تقولون فى حاجة آبن هرمة وما عندكم فيها من التلطّف؟ قالوا : يا أمير المؤمنين! إنه سأل ما لا سبيل اليه، إسقاط حدٍّ من حدود الله عزّ وجلّ، فقال المهدى: له حيلة اذا أعيتكم الحيل فيه، اكتبوا الى عامل المدينة: مَنْ أتاك بابن هرمة سكرانا فاضربه مائة سوط وآجلد آبن هرمة ثمانين، فكان اذا شرب ومشى فى أزقة المدينة يقول : مَنْ يشترى مائةً بثمانين؟

***

وأما من شربها منهم وآشتهر بها، جماعة من الأكابر والأعيان والخلفاء، منهم يزيد بن معاوية شُهر بشربها، وكان يقال له : يزيد الخمور، روى هشام بن الكلبى عن أبيه قال : وجّهَ معاوية جيشا الى أرض الروم فأصابهم الجُدَرِى، وعند يزيد آمرأته أمّ كلثوم بنت عبدالله بن عامر فسكر وأنشأ يقول

اذا آرتفقتُ على الأنماطِ فى غُرفٍ * بدَيْر مُرّانَ عندى أمُّ كلثوم
فما أبالى الذى لاقت جيوشُهُمُ * بالغَذْقَذُونَةِ[1] من حُمّى ومن مُوم[2]

فبلغ الخبر معاوية، فقال : أنت ها هنا؟ الحقْ بهم، وسيّره الى قتال الروم. ومنهم عبد الملك بن مروان، وكان يسمَّى : حمامة المسجد، لآجتهاده فى العبادة، هذا قبل أن يلى الخلافة، فلما أفضت الخلافةُ اليه شرب، فقال له سعيد بن المسيّب بلغنى يا أمير المؤمنين، أنك شربت الطلاء، قال : إى والله والدماء. ومنهم يزيد بن عبد الملك بن مروان وهو صاحب حَبَابة[3] وسلّامة، وأخباره مشهورة. ومنهم آبنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ذهب به الشراب كلّ مذهب حتى خُلع وقُتل؛ وله فى ذلك حكايات وأشعار، منها : أنه سمع بشُرّاعة بن الزندبوذ الكوفى وكان من

(١) الغذقذونة : آسم بلد. (٢) الموم : البرسام وأشد الجدرى.
(٣) حَبَابة وسلّامة : قينتان مشهورتان.

أهل البطالة المشهورين باللعب واللهو و إدمان الشراب فاستدعاه بالكوفة الى دمشق فحمل اليه فلما دخل عليه قال له : ياشراعة، ما أرسلت اليك لأسألك عن كتاب الله ولا سنّة نبيّه، قال : لو سألتنى عنهما لوجدتنى فيهما حمارا، قال : و إنما ارسلت اليك لأسألك عن القهوة، قال : أنا دهقانها الخبير ولقمانها الحكيم وطبيبها المـاهر، قال : فأخبرنى عن الشراب، قال : سل عما بدا لك، قال : ما تقول فى المـاء ؟ قال : لا بد منه، والحمار شريكى فيه، قال : فاللبن ؟ قال : ما رأيتـه إلا آستحييت من طول ما أرضعتنى أمّى به، قال : فالسويق ؟ قال : شراب الحزين والمستعجل والمريض، قال : فشراب التمر ؟ قال : سريع الآمتلاء سريع الآنفشاش ، قال : فنبيذ الزبيب؟ قال : حاموا به عن الشراب، قال : فالخمر؟ قال : تلك والله صديقة روحى، قال: وأنت والله صديق روحى، قال: فأى المجالس أحسن؟ قال: ماشرب فيه على وجه السماء، ومن شعر الوليد

خذوا ملككم لاثبّت اللهُ ملككم * ثباتا يساوى ما حييت عقالا
دعوا لِىَ سـلمَى والنبيذَ وقينةً * وكأسا ، ألا حسبي بذلك مالا
أبالملك أرجو أن أخلَّد فيكمُ ؟ * ألا ربَّ مُلك قـد أزيل فزالا

ومنهم المأمون بن الرشيد وشُهِر بالشراب وله فيـه أخبار، منها : أنه شرب هو ويحيي بن أكثم القاضى وعبد الله بن طاهر، فتعامل المأمون وآبن طاهر على سكر يحيي، فأشار الى الساقى فأسكره، وكان بين أيديهم رِزَم من الورد والرياحين، فأمر المأمونُ فشُقَّ ليحيي لحدٌ من الورد والرياحين وصيرّوه فيه، وعمل بيتى شعر ودعا قينةً فجلست عند رأس يحيي وغنّت بالشعر

دعوته وهـــو حىٌّ لا حيـاةَ به * مكفَّنا فى ثيـاب مرــ رياحينِ
فقلت : قم، قال: رجلى لا تطاوعنى * فقلت: خذ، قال : كفّى لاتواتينى

فانتبه يحيى لرنّة العود وصوت الجارية فقال

ياسـيّدى وأميرَ النـاس كلّهـمُ * قد جار فى حكمه من كان يسقينى
إنى غفلتُ عن الساقى فصيّرنى * كما ترانى سـليبَ العقلِ والدينِ
فانظر لنفسـكَ قاضٍ إننى رجل * الراحُ يقتـلنى والرّوح يُحيينى

ومنهم العباس بن علىّ بن عبدالله بن العبّاس وهو عمّ المنصور، كان يأخذ الكأس بيـده ويقول : أما العقل فتُتلفين، وأما المروءة فتمحقين ، وأما الدين فتُفسدين، ويسكت ساعة ثم يقول : وأما النّفس فتسحبين، وأما القلب فتُشجّعين، وأما الهمّ فتطردين، أفتراك منى تفلتين؟ ثم يشربها . ومنهم بلال بن أبى بردة فُضح بالشراب وفيه يقول يحيى بن نوفل الحميرىّ

وأما بلالٌ فـذاك الذى * يميـل الشرابُ به حيثُ مالا
يبيت يمصّ عتيـقَ الشراب * كمصّ الوليـد يخاف الفِصالا
ويصبـح مضـطربا ناعسا * تخال من السُّكْر فيه آحولالا
ويمشى ضعيفا كمشى النزيفِ[1] * تخالُ به حين يمشى شِكالا

ومنهم عبد الرحمن بن عبد الله الثقفىّ قاضى الكوفة وفُضح بمنادمة سعد بن هَبّار وفيه يقول حارثة بن بدر

نهـارُه فى قضـايا غيرِ عادلةٍ * وليلُهُ فى هوَى سـعد بن هَبّارِ

ومنهم آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو الذى يقول

هاكَ فاشرب يا خليلى * فى مَدَى الليل الطويلِ
قهوةً فى ظـلّ كرمٍ * سُبِيتْ من نهر نيلِ
فى لسانِ المرء منها * مثـلُ لدغ الزنجبيل

(١) النزيف : الذى ذهب عقله .

إنما أذهبَ ما لى * طولُ إدمانِ الشَّمولِ[1]
وحنينُ العُــودِ تثنيـ * ــه يدا ظبي كحيـــلِ
فالطويلُ العنُــقِ الأ * هـيفُ كالسيفِ الصقيل
يا خليـــلىَّ آسقيـانى * وآهتفا بالشمس: زولى
قل لمن لامك فيهـا * من نصيح أو عذول:
يبق بين البـاب والدا * ر على نَعْب الطلولِ

وقيل لأبيه عبد العزيز بن عمر : إن بنيك يشربون الخمر، فقال : صفوهم لى، فقالوا : أما فلان إذا شرب خرق ثيابه وثياب نديمه، فقال : سوف يدع هذا شربها، قالوا: وأما فلان فاذا شربها تقيّأ فى ثيابه، قال: وهذا سوف يدعها، قالوا: وأما آدم فاذا شربها فأسكن ما يكون لا ينال أحدًا بسوء، قال: هذا لا يدعها أبدا . ومنهم حارثة بن زيد العدوانىّ — رجل من تميم — دخل يوما على زياد بن أبيه و بوجهه أثر، فقال له زياد : ما هذا الأثر بوجهك؟ فقال : أصلح الله الأمير، ركبت فرسى الأشقر فجمح بى حتى صدمنى الحائط ، فقال : أما أنك لو ركبت فرسك الأشهب لم يصبك مكروه[2] . ولحارثة فيها أشعار كثيرة وأخبار مع الأحنف بن قيس، وكان الأحنف ينهاه عنها وهو لا ينتهى و يجيبه بشعرٍ فى مدحها وقيل: إن حارثة هذا أدرك النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بالسنّ فى حال صباه وحداثته . ومنهم والبة بن الحُبَاب الأسدىّ وهو الذى ربّى أبا نواس وأدّبه وعلّمه الفتوّة وقول الشعر ؛ حكى أن المنصور قال له يوما : ادخل إلى محمد — يعنى المهدىّ — وحدِّثْه ، فدخل عليه ، فأوّل ما أنشده قوله

(١) الشمول : من أسماء الخمر .
(٢) يريد الأول بالاشقر : الخمر، و يريد الثانى بالأشهب : الماء .

قولا لعمرو : لا تكن ناسيا * وسقِّنى لا تحبسنْ كاسيا
وأردد على الهيثم مثل الذى * هجتَ به ويحك وَسواسيا
وقل لساقينا على خلوة: * أدنِ كذا رأسَك من راسيا

فبلغ ذلك المنصور، فقال : لاتعيدوه إليه أردنا أن نصلحه فأراد هو أن يفسده. (٤٥)

٥ ومنهم أبو الهندىّ وهو عبد المؤمن بن عبد القدّوس بن شبث بن ربعىّ اليربوعىّ حجّ به نصر بن سيّار، فلما ورد الحرم قال له نصر: إنك بفِناء بيت الله الحرام ومحلّ حرمه فدع الشرابَ، فلما زال عنه وضعه بين يديه وجعل يشرب ويبكى ويقول

رضيعُ مدامٍ فارق الراحَ رُوحُه * فظلّ عليها مستهلَّ المدامِع
أديرا علىّ الكأسَ إنى فقدتها * كما فقَد المفطومُ دَرَّ المراضع

١٠ ومرّ به نصر بن سيّار وهو يميل سكرا، فقال له : أفسدت شرفك، فقال: لو لم أفسد شرفى لم تكن أنت اليوم والى خراسان . ومنهم سعيد بن وهب وكان شاعرا بصرياّ . ومنهم الحسين بن الضحاك النديم صاحب الحسن بن هانئ وكان خليعا ماجنا مليح الشعر وهو الذى يقول

ألا إنما الدنيا وصالُ حبيبِ * وأخذُك من مشمولةٍ بنصيبِ
١٥ وعيشُك بين المسمعاتِ ممتَّعا * بفنّين من عزف وشدوِ مصيبِ
وأنسٌ وإنسانٌ تلذُّ بقربه * وبذلةُ معشوقٍ ونومُ رقيبِ
وعدِّىَ ساعاتِ النهارِ ورقبتى * إلى الشمس لما آذنت بمغيبِ

ومنهم يحيى بن زياد وهو الذى يقول

أعاذل ليت البحرَ خمرٌ وليتنى * مدى الدهر حوتٌ ساكنٌ لجّةَ البحرِ
٢٠ فأضحى وأمسى لا أفارق لجّة * أروّى بها عظمى وأشفى بها صدرى
طوال الليالى ، ليس عنى بناضبٍ * ولا ناقص حتى أصيرَ إلى الحشرِ

ومنهم أبو نواس الحسن بن هانىء ممن آشتهر بالشراب واللهو والطرب ومنادمة القيان، وله فى الخمر تشبيهات حسنة وحكايات ظريفــة، نذكر هاهنا من أخباره طرفا . حكى أن مسلم بن الوليد عاتبه وقال : يا أبا نواس قد خلعت عذارك وأطلت الإكباب على المجون حتى غلب على لبّك وما كذلك يفعل الأدباء! فأطرق ثم قال

فأوّلُ شربك طرحُ الرداء * وآخِرُ شربك طرحُ الإزارِ ٥

وما هنّأتك الملاهى بمثل * إماتةِ مجــدٍ وإحياءِ عارِ

وما جاد دهرٌ بلذّاته * على من يَضَنُّ بخلع العذارِ

فانصرف مسلم وقد أيس من فلاحه وهو يقول : جوابٌ حاضر، من كهلٍ فاجر .
ومما يحفظ من أخباره، ويروى من أشعاره فى ذلك، أنه بلغ إخوانه عنه أنه ترك الشراب واللذّات وأخذ فى الزهد والصلاة فى أوقاتها فاجتمعوا اليه وأقبلوا يهنئونه، ١٠ فوضع بين يديه باطِيَةً وجعل لا يدخل إليه أحد يهنئه إلا شرب بين يديه رطلا وأنشد

قالوا : نزعتَ، ولمـا يعلموا وطرى * فى كلّ أغيدَ ساجى الطرف ميّاسِ

كيف النزوع وقلبى قد تقسّمه * لحظُ العيون وقرعُ السنّ بالكاسِ

لا خير فى العيش إلا فى المجون مع الـ * ـأكفاء والراح والريحـان والآسِ

ومُسـمع يتغنّى والكئوس لها * حَثٌّ علينا بأخمـاسٍ وأسـداسِ ١٥

يا مورِىَ الزند قد أكبت قوادحُه * اقبسْ إذا شئت من قلبى بمقباسِ

ما أقبح النـاسَ فى عينى وأسمجَهم * إذا نظرتُ فلم أُبصِرْك فى النـاس

ويحكى أنه غاب غيبة متصلة نحوا من سنةٍ حتى ظُنّ أنه قُتـل، فقال الرشيد : لئن صحّ عندى أنه قُتل لأقتلنّ قاتله ولو كان المأمون، انظروا من كان هجا من الناس فاكتبوا آسمه وآرفعوه إلىّ، فآرتجّت لذلك بغداد فلما كان على رأس الحَوْل إذا نحن ٢٠ به قد وافى فقلنا له : يا أبا علىّ! غبت عنا هذه الغيبة فغممتنا، قال : كنت فى موضع

أرتضيه وأشتهيه، فقلنا : ألم تسمع بافتقادنا لك وقول الرشيد فيك؟ ولم يبق أحد من إخوانه إلا عذله ولامه فقال

إنى لفى شـغل عن العاذلينْ * بالراح والريحان والياسمينْ
عنـد غلامٍ حَسَنٍ وجهُهُ * قلبي حبيس بهواه رهين
قَوْلى إذا صرتُ على ظهره * كقول قومٍ رحلوا ظاعنين
سبحان من سخَّر هذا لنا * يوما وما كنّا له مُقْرِنين

فلما أنشـدها، قال : بحياتى من يساعدنى منكم ؟ حتى أريه إياه فتعذرونى أو تحسدونى، فمضى بنا إلى الموضع فاذا بغلام من أحسن الناس وجها، فقال له : بحياتك غَنِّ، فغنَّى، فاذا هو من أحسن الناس غِناءً، فقال : من يلومنى أن أنقطع عن أهل الدنيا وأعتكف على هذا الوجه وقد جُمِعَ لى فيه كلُّ معنى أشتهيه وأرتضيه ؟ انتهى . وحدّث الفضل بن سلمة عن الثورىّ، قال: خرج الحسن بن هانىء ومعه مُطَيط صاحبه حتى أتيا دار خمّـار، فقال الحسن لمطيط : ادخل بنا نمزح بهذا الخمار، فدخلا فسلما فردّ عليهما، فقال له الحسن : أعندك خمرٌ عتيقةٌ يا خمّـار؟ فقال : عندى منها أجناس، فأيها تريد؟ قال : التى يقول فيها الشاعر

حُجِبَتْ خِيفةً وصِينتْ فجاءت * كجلاءِ العروس بعـد الصِّيانِ
وكأنّ الأكفَّ تُصْبَغُ من ضو * ءِ سناها بالوَرْس والزعفـرانِ

فملأ له الخمّار قَدَحا من خمر صفراء، كأنها ذهبٌ محلولٌ فشربه الحسن وقال: أحسن من هذا أريد، فقال له الخمّار : أىّ جنس تريد؟ قال التى يقول فيها الشاعر

دفعتْها أيدى الهواجر حتّى * صَيَّرتْ جسمَها كجسم الهواءِ
فهى كالنُّور فى الإناء وكالنّا * ر إذا ما تَصيرُ فى الأحشاءِ

فملأ له الخمار قدحا من خمر، كأنهـا العقيق فشربه وقال : أرفع من هذا أريد، فقال : أىّ جنس؟ قال : التى يقول فيها الشاعر

وإذا حسا منها الوضيعُ ثلاثةً * سَمُحَ الوضيعُ كفعلِ ذى القَدرِ

فى لونِ ماء الغيث إلا أنها * بين الضلوعِ كواقد الجمر

فملأ له قَدَحا من خمر بيضاء، كأنها ماء المزن فشرب الحسن وقال للخمار: أتعرفنى؟ ٥ قال : إى والله يا سيّدى أنا أعرف الناس بك، قال من أنا؟ قال أنت الذى يسكر من غير وزن، فضحك الحسن وقال لمطيط : ادفع إليه ما بقى عندك من النفقة، فأعطاه مائة درهم وآنصرف . وقال الحسين بن الضحاك : كنت مع أبى نواس بمكة عامَ حجّ فسمع صبيّا يقرأ (يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِم قَامُوا) فقال أبو نواس : فى مثل هذا يجئ للخمر صفة حسنة، ففكّر ١٠ ساعةً ثم أنشدنى

وسيّارةٍ ضلّت عن القصد بعد ما * ترادفهم أفقٌ من الليـــل مظلمُ

فأصغوا الى صوتٍ ونحن عصابةٌ * وفينا فتًى من سكره يترنّمُ

فلاحت لهم منا على النأى قهوة * كأن سـناها ضوءُ نارٍ تضرّمُ

إذا ما حسوناها أقاموا مكانهـم * وإن مُزجتْ حثّوا الركابَ ويمّموا ١٥

قال : فحُدّث بهذا الحديث محمد بن الحسين، فقال : لا ولا كرامة، ما سرقه من القرآن ولكن من قول الشاعر

وليـــلٍ بهيمٍ كلّما قلت: غوّرتْ * كواكبُهُ عادت لنـا تتذيل

بهالركبُ، إما أومضَ البرقُ يمّموا * وإن لم يَلُحْ، فالقوم بالسير جُهّلُ

وقال أبو نواس فيها

ألا دارها بالماء حتى تُلينها * فما تُكرَم الصهباءُ حتى تُهينَها

أغالى بها حتى اذا ما ملِلْتُها * أهنتُ لإكرام النديم مصونَها

وقال أيضا

٥ نَبَّهتُهُ والليلُ ملتبسٌ به * وأزحتُ عنه حُثَاثَهُ(١) فانزاحا

قال : آبغِنى المصباحَ، قلتُ له : آتئدْ * حسبى وحسبك ضوءها مِصباحا

فسكبت منها فى الزجاجة شَربةً * كانت له حتى الصباح صباحا

من قهوةٍ جاءتك قبل مزاجها * عطلا فألبسها المزاجُ وشاحا

شكَّ البِزالُ(٢) فؤادَها فكأنها * أبدت اليك بريحها تُفّاحا

١٠ وقال أيضا

رُدّا علىَّ الكأسَ، إنكما * لا تدريان الكأسَ ما تُجدى

خوفتمانى الله جَهدَكما * وتخيفَتيه رجاؤه عندى

لا تعذلا فى الراح إنكما * فى غفلةٍ عن كنه ما تسدى

لو نلتما ما نلتُ ما مُزِجتْ * إلا بدمعكما من الوجدِ

١٥ ما مثل نُعماها اذا آشتملت * إلا آشتمالُ فمٍ على خدِّ

إن كنتما لا تشربان معى * خوفَ الإله شربتُها وحدى

وأخبار الحسن بن هانىء فيها كثيرة وفيما أوردناه منها كفاية . ومنهم الثَّرْوانىّ، كان شاعرا مطبوعا بليغا من أهل الخلاعة المشهورين، وكان آخر أمره أن أصيب(٣) فى حانة خمّار بين زِقَّىْ خمرٍ وهو ميِّتٌ وهو القائل فيها

٢٠ (١) الحثاث : النوم . (٢) البزال : الحديدة يفتح بها مَبْزَل الدن (٣) أصيب بمعنى وُجِد.

(٤٧)

كَرَّ الشرابُ على نشوانَ مضطجع * قد هبَّ يشربها والديكُ لم يصِحِ
والليــلُ فى عسكرٍ حمــرٍ بوارقُهُ * من النجوم، وضوءُ الصبح لم يَضِحِ
والعيش لا عيشَ إلا أن تباكرهــا * نشوانَ تقتُلُ همَّ النفسِ بالفــرحِ
حتى يظــلَّ الذى قد بات يشربُها * ولا مراحَ به يختــال كالمَــرِحِ

٥ ومنهم مُطِيع بن أبى إياس، وكان شاعرا أديبا ظريفا مشتهرا بالخلاعة واللعب، وكان أصحابه على ذلك، وهم يحيى بن زياد ووالبة بن الحُبَاب وحمّاد عجرد .

ومنهم أبو عبد الرحمن العَطَوِىّ، كان شاعرا فصيحا لا يكاد يتقدّمه أحدٌ لجزالة ألفاظه وحلاوة معانيه، وكان مولعا بالخمر مشتهرا بها مدمنا عليها، أكثرُ أشعاره فيهــا، فمن شعره

١٠ أُخطبْ لكأسك نَدْمانا تُسرُّ به * أو لا فنادمْ عليها حِكمةَ الكتبِ
أُخطبهُ حرًّا كريمــا ذا مُحافظة * ترى مودتَهُ من أقربِ النسبِ

وقال أيضا

وكم قالوا : تَمَنَّ، فقلتُ : كأساً * يطوف بها قضيبٌ فى كثيبِ
ونَدْمانا يساقطــنى حديثــا * كصدقِ الوعد أو غضِّ الرقيبِ

١٥ ومنهم أبو هفّان، وكان شاعرا محسنا وخليعا ماجنا، حكى أنه شرب مع أحمد بن أبى طاهر حتى فنى ما عندهما، وكانا بجوار العلاء بن أيّوب، فقال ٱبن أبى طاهر لأبى هفّان : تمــاوتْ حتى نحتال على أبى العلاء فى أن ينيلنا شيئا، فمضى اليه ٱبن أبى طاهر، فقال : أصلحك الله ! نزلنــا جوارك فوجب حقّنا عليــك، وقد مات أبو هفّان وليس له كفن، فقال لوكيله : امض معه وشاهد أمره وٱرفع اليه كفنًا،

فأتاه فوجده مُلقىً عليه ثوبٌ فنقر أنفه فضرط، فقال ما هـذا ؟-فقال أصلحك الله! عَجَّلْتَ له صعقةَ القبر فإنه مات وعليه دين، فضحك وأمر له بدنانير.

ومنهم الأقيشر وكان مغرما بالشراب مدمنا عليه وهو القائل

ومُقعَدِ قومٍ قد مشى من شرابنا * وأعمى سقيناه ثلاثاً فأبصرا

٥ كميتٌ كأن العنبر الورد ريحُـه * ومسحوق هندىّ من المسك أذفرا

ومنهم النعمان بن علىّ بن نَضلة، وكان عاملا لعمر بن الخطّاب رضى الله عنه على مَيْسان وكان مدمن الشراب وهو القائل

الا أبلغ الحسناء أن خليلها * بمَيْسان يُسْقَى فى زُجاجٍ وحَنتَمِ(١)

فإن كنتَ نَدمانى فبالأكبر آسقِنى * ولا تسقِنى بالأصغر المتثلّمِ

١٠ لعلَّ أميرَ المؤمنين يسوءه * تنادُمنا بالجَوْسَقِ(٢) المتهدِّمِ

فبلغ الشعر عمر رضى الله عنه، فكتب اليه : (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ، حم تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ غَافِرِ ٱلذَّنْبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ) أما بعد، فقد بلغنى قولك

لعلَّ أميرَ المؤمنين يسوءه * تنادُمُنا بالجَوْسَق المتهدِّمِ

١٥ وأيم الله لقد ساءنى، وعزله، فلما قدم عليه سأله، فقال والله ما كان من هذا شىء، وما كان إلا فضل شعر وجدته وما شربتها قطّ، فقال عمر : أظنّ ذلك ولكن لا تعمل لى عملا أبدا، فنزل البصرة ولم يزل يغزو مع المسلمين حتى مات رحمه الله.

---

(١) الحنتم : الجَرَّةُ الخضراء.

(٢) الجوسق : القصر.

ومنهم عمارة بن الوليد بن المغيرة، خطب آمرأة من قومه، فقالت: لا أتزوجك حتى تدع الخمرة والزنا، فقال: أما الزنا فإنى أدعه وأما الخمر فوجدى بهـا شـديد، ثم آشتد وجده بالمرأة فعاود طلبها، فقالت: حتى يحلف بطلاقى يوم يزنى أو يشرب خمرا، فحلف لها وتزوجها، ومكث حينا لا يشرب الى أن مرّ بخمّار وعنده قوم يشربون وقَيْنة تغنّيهـم وهو على ناقةٍ، فطرب اليهـم وآرتاح ورمى بثيابه الى الخمّار، وقال: أسقهم بها، ونحر لهم ناقته ومكث أياما يطعمهم ويسقيهم حتى أنفد ما معه ثم رجع الى آمرأته فلامته، فأنشأ يقول

أقلّى علىَّ اللـــومَ يا أمَّ سالم * وكُفّى فإن العيش ليس بدائمِ
أسرَّكِ لمـا صرَّعَ القومَ نشوةٌ * خروجىَ منهم سالمـا غير غارِمِ
سليما كأنى لم أكن كنتُ منهمُ * وليس الخداعُ من تصافى التنادُمِ

ثم قال لها: آلحقى بأهلك وعاد الى ما كان عليه

* * *

وأما من آفتخر بشربها وسِبائها[1]، فقد كانت العرب تفتخر بسبائها، وتضيفه إلى عظيم عنائها، وتقرنه بمذكور بلائها، وشاهد ذلك قول آمرئ القيس

كأنّىَ لم أركبْ جوادًا للـــذّةٍ * ولم أتبطّن كاعبا ذاتَ خلخالِ
ولم أسـبأ الزِّقَّ الروىَّ ولم أقل * لخيــلِىَ كُرِّى كَرّةً بعـــدَ إجفالِ

فقرن جودَه فى سِباء الزق ببسالته فى كرّ الخيـل، ولمـا أنشد أبو الطيب المتنبي سيف الدولة بن حمدان قصيدته التى يقول فيها

(١) السباء: شراء الخمر.

وقفتَ وما فى الموت شكٌّ لواقفٍ * كأنك فى جفن الردى وهو نائمُ
تمرُّ بك الأبطالُ كَلْمَى هزيمةً * ووجهُك وضّاحٌ وثغرك باسمُ

فقال له سيف الدولة : آنتقدنا عليك يا أبا الطيّب هذين البيتين كما آنتُقِد على آمرئ القيس بيتاه، وذكرهما قال: وبيتاك لا يلتئم شطراهما كما لا يلتئم شطرا هذين البيتين، كان ينبغى لآمرئ القيس أن يقول

كأنىَ لم أركب جوادا ولم أقل * لخيلِيَ كرّى كرّة بعد إجفالِ
ولم أسبأ الزقّ الروىّ للذةٍ * ولم أتبطّن كاعبا ذات خلخالِ

وأن تقول أنت

وقفتَ وما فى الموت شكٌّ لواقفٍ * ووجهك وضّاحٌ وثغرك باسمُ
تمر بك الأبطال كَلْمَى هزيمةً * كأنك فى جفن الردى وهو نائمُ

فقال أيّد الله مولانا، إن كان صحّ أنّ الذى آستدرك على آمرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ آمرؤ القيس وأخطأتُ أنا، والثوبُ لا يعرفه البزّاز معرفة الحائك لأن البزّاز يعرف جملته والحائك يعرف جملته وتفاريقَه لأنه هو الذى أخرجه من الغزليّة الى الثوبيّة، وإنما قرن آمرؤ القيس لذّة النساء بلذّة الركوب للصيد وقرن السماحة فى سباء الخمر للأضياف بالشجاعة فى منازلة الأعداء، وأنا لما ذكرت الموت فى أول البيت أتبعته بذكر الردى وهو الموت ليجانسه، ولما كان الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا وعينه باكية قلت

* ووجهك وضّاح وثغرك باسم *

لأجمع بين الأضداد فى المعنى وإن لم يتسع اللفظ لجميعها، فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله، وقال لقيط بن زرارة

شربتُ الخمرَ حتى خلتُ أنى * أبو قابوسَ أو عبدُ المَدَان

وقال حسّان بن ثابت الأنصاريّ عفى الله عنه ورحمه

إذا ما الأشرباتُ ذُكرنَ يوما * فهنّ لطيِّبِ الراح الفِداءُ
ونشربها فتتركنا ملوكا * وأُسْــدًا ما ينهنهها اللقــاءُ

حكى أنّ حسان بن ثابت عنّف جماعةً من الفتيان على شرب الخمر وسوء تنادمهم عليها وأنهم يُضربون عليها ضرب الإبل ولا يرجعون عنها فقالوا : إنا اذا همنا بالإقلاع عنها ذكرنا قولك

ونشربها فتتركنا ملوكا * وأُسدًا ما ينهنهها اللقاءُ

فعاودناها . وقال الأخطل يخاطب عبد الملك بن مروان

اذا ما نديمى علّنى ثم علّنى * ثلاثَ زجاجاتٍ لهنّ هــديرُ
خرجتُ أجرُّ الذيلَ حتى كأننى * عليك أمير المؤمنين أميرُ

وقال آخر

إذا صدَمتنى الكأسُ أبدت محاسنى * ولم يخش نَدْمانى أذاىَ ولا بخلى
ولست بفَحّاش عليه وإن أسى * وما شكل من آذى نداماه من شكلى

وقال آخر

شربنا من الداريّ[1] حتى كأننا * ملوكٌ لهم بَرُّ العراقين والبحــرُ
فلما انجلت شمسُ النهــار رأيتنا * تَوَلّى الغــنى عنّا وعاودنا الفقرُ

ومثله للمنخّل اليشكريّ

فاذا سكرتَ فإننى * ربُّ الخورنقِ والسديرِ
وإذا صحوتُ فإننى * ربُّ الشُّوَيهةِ والبعيرِ

---

(١) الداريّ : العطار منسوب الى دارين وهى فرضةٌ بالبحرين .

وقال عنترة

وإذا سكرتُ فإننى مستهلك * مالى، وعِرضى وافرٌ لم يُكلَمِ
وإذا صحوتُ فما أقصّر عن ندًى * وكما علمتَ شمائلى وتكرمى

أخذه البحترىّ وزاد عليه فى قوله

٥ وما زلتَ خِلًّا للندامَى إذا ٱنتشوا * وراحوا بدورا يستحثُّون أنجما
تكرّمتَ من قبل الكئوس عليهمُ * فما ٱستطعن أن يُحدثن فيك تكرّما

والزيادة أن عنترة ذكر أنه يستهلك ماله إذا سكر، والبحترىّ ذكر أن ممدوحه يتكرم قبل الكئوس فيبالغ حتى لا تستطيع الكئوس أن تزيده تكرما . وكان الأعشى ميمون ابن قيس مشهورا بتعاطى الخمر مشغوفا بها كثير الذكر لها فى شعره، ومن ٱشتهاره بها

١٠ قال المفضل بين قدماء الشعراء: أشعرهم ٱمرؤ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب؛ وقصد الأعشى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليسلم وٱمتدحه بقصيدته التى أولها

ألم تغتمض عيناك ليلةَ أرمدا * وبتَّ كما باتَ السليمُ مسهّدَا

فاعترضه فى طريقه من أراد منعه، فقالوا له : إنه يحرّم عليك الزنا والخمر، فقال :

١٥ أما الزنا فقد كبرت فلا حاجة لى فيه، وأما الخمر فلا أستطيع تركها، وعاد لينظر فى أمره، وقيل إنه قال : أعود فأشربها سنة وأرجع، فمات قبل الحول، قالوا : ونظر الحسن بن وهب الى رجل يعبس فى كأسه، فقال : ما أنصفتها ، تضحك فى وجهك وتعبس فى وجهها؛ ومن ذلك قول الشريف الرضىّ

كالخمر يعبس حاسيها على مِقةٍ * والكأس تجلو عليه ثغرَ مبتسم

٢٠ وهو مأخوذ من قول عبد الله بن المعتز حيث يقول

ما أنصف النّدمانُ كأسَ مدامةٍ * ضحكتْ اليه فشمّها بتعبُّس

ذكر شيء ممـــا قيل فيها من جيّد الشعر

قد أوسع الشعراء فى هذا المعنى وأطنبوا فيه وتنوّعوا، فمنهم من مدحها، ومنهم من وصفها وشبّهها، ومنهم من ذكر أفعالها وتغزّل فيها، وسنورد فى هذا الموضع نبذة ممـا طالعناه فى ذلك، إذ لو أوردنا مجموع ما وقفنا عليه لطال، ولاتسعت فيه دائرة المقال.

٥

فأما ما قيل فيها على سبيل المدح لها، فمن ذلك قول ابن الرومى حيث يقول

تالله ما أدرى بأيّة علّةٍ * يدعون هذا الراحَ باسم الراحِ؟

ألريحها ولروحها تحت الحشا * أم لارتياح نديمها المرتاحِ؟

إن حُرّمت فبحقّها من خمرةٍ * ما كان مثـل حريمها بمباحِ

١٠ أو حُلّلتْ فبحقّها من نشوةٍ * تشفى سقامَ قلوبنا بصحاحِ

وقال أيضا

خمـــرٌ اذا ما نديمى ظلّ يكرعها * أخشى عليـه من اللألاء يحترقُ

لو رام يحلف أن الشمس ما غربت * فى فيه كذّبه فى وجهه الشفَقُ

ومثله قول الطليق المروانىّ

١٥ فاذا ما غربت فى فمــه * أطلعتْ فى الخدّ منه شفقا

وقال الناجم

وقهوةٍ كشعاع الشمس صافيةٍ * مثل السراب تُرَى من رقّةٍ شبحا

اذا تعاطيتَها لم تدرِ من فرحٍ * راحا بلا قدَحٍ أُعطِيتَ أم قَدَحا؟

وقال الناشئ

٢٠ يا ربمـا كأس تناولتها * تسحب ذيلا من تلاليها

كأنها النـار ولكنها * منعّمٌ والله صاليهـا

ومما قيل فى وصفها وتشبيهها؛ فمن ذلك ما قاله يزيد بن معاوية

ومدامةٍ حمراءَ فى قارورةٍ * زرقاءَ تحملها يدٌ بيضاءُ
فالخمر شمسٌ والحَبابُ كواكبٌ * والكفُّ قُطبٌ والإناءُ سماءُ

وقال السروى

٥ عُنيتْ بالمدامةِ الشعراءُ * وصفوها وذاك عندى عناءُ
كيف تحصيل علمها وهى موتٌ * وحياةٌ وعلةٌ وشفاءُ
فهى فى باطن الجوانح نارٌ * وهى فى ظاهر المحاجر ماءُ
حلوةٌ مرةٌ فما أحدٌ يد * رى أداءٌ خُصُوصُها أم دواءُ؟

وقال البحترى

١٠ اِشرب على زهر الرياض يشوبه * زهرُ الخدود وزهرةُ الصهباءِ
من قهوةٍ تُنسى الهمومَ وتبعث الـ * ـشوقَ الذى قد ضلَّ فى الأحشاءِ
يُخفى الزجاجةَ لونُها فكأنها * فى الكفِّ قائمةٌ بغير إناءِ
ولها نسيمٌ كالرياض تنفَّستْ * فى أوجه الأرواحِ والأنداءِ
وفواقعٌ مثل الدموع تردّدت * فى صحن خدّ الكاعبِ الحسناءِ
١٥ يسقيكها رشأٌ يكاد يردّها * سكرى بفترةِ مقلةٍ حوراءِ
يسعى بها وبمثلها من طَرْفهِ * عَوْدًا وإبداءً على الندماءِ

وقال الوأواء الدمشقى

فامزج بمائك نار كأسك وآسقنى * فلقد مزجتُ مدامعى بدماءِ
وآشرب على زهر الرياض مدامةً * تنفِى الهمومَ بعاجل السرّاءِ
٢٠ لطفتْ فصارتْ من لطيف محلّها * تجرى بمجرى الروح فى الأعضاءِ

وكأن مخنقةً عليها جوهرٌ * ما بين نارٍ أُذكيتْ وهواءِ
وكأنها وكأن حاملَ كأسها * إذ قام يجلوها على الندماءِ
شمس الضحى رقصتْ فنقّط وجهها * بدرُ الدجى بكواكب الجوزاءِ

وقال أبو نواس

أقول لما تحاكيا شبها : * أيّهما للتشابه الذهبُ؟ ٥
هما سواءٌ وفرق بينهما * أنهما جامد ومنسكبُ

وله أيضا

اذا عبّ(١) فيها شارب القوم خلته * يقبّل فى داجٍ من الليل كوكبا
ترى حيثما كانت من البيت مَشرقًا * وما لم تكن فيه من البيت مَغربا
يدور بها ساقٍ أغنّ ترى له * على مستدار الأذن صُدغًا معقربا ١٠
سقاهم ومنّانى بعينيه مُنيةً * فكانت الى نفسى ألذّ وأطيبا

ومثل البيت الأوّل قول آبن المعتز

كأنه قائمٌ والكأس فى يده * هلالُ أولِ شهرٍ غابَ فى شفق

وقال آبن الرومىّ

ومهفهفٍ تمّت محاسنُه * حتى تجاوز منتهى النفسِ ١٥
أبصرتُه والكأسُ بين فمٍ * منه وبين أناملٍ خمسِ
فكأنه والكأس فى فمه * قمرٌ يقبّل عارضَ الشمس

وقال الحسين بن الضحّاك

كأنما نصبَ كأسِه قمرٌ * يكرع فى بعض أنجم الفلكِ

(١) العبّ : الشرب من غير مصّ . ٢٠

وقال آخر

وآكتست من فضــةٍ دررا * خلتَها من تحتها ذهبا
ككميت اللون قلّدها * فارسٌ من لؤلؤ حَببا

وقال آخر

تغشى[1] بياض شاربها * فتخالها بيمين مختضبِ
دارت وعين الشمس غائبة * فحسبتُ عينَ الشمس لم تغب

وقال آخر

حمــراء ورديّة مشعشعة * كأنها فى إنائها لهبُ
صهباء صِرْفا لو مسّها حجــرٌ * من جامد الصخر مسّه طربُ

وقال آخر

قلت والراح فى أكفّ النّدامى * كنجومٍ تلوحُ فى أبراجِ
أمداما خرطتُمُ لمدامٍ؟ * أم زجاجا سبكتُمُ لزجاجِ؟

وقال الحسن بن وهب

وقهــوةٍ صافيــةٍ * كالمسك لما نفحا
شربتُ من دِنانها * من كلّ دنٍّ قَدَحا
فعــدتُ لا تحملنى * أعوادُ سرجى مَرَحا
من شدة السكر الذى * على فؤادى طفحا

وقال آبن المعتز

خليليّ قد طاب الشرابُ المبرّدُ * وقد عدتُ بعد النسك والعودُ أحمد

(١) هذا الشطر مختل الوزن وورد هكذا بكل الأصول ولعله : تغشى الكئوس ، أو تغشى المدام ، مما يستقيم به المعنى والوزن .

فهاتِ عُقارا من قميص زجاجةٍ * كياقوتةٍ في دُرَّةٍ تتوقــدُ
يصوغ عليها المـاءُ شُبَّاكَ فضةٍ * له حَلَقٌ بيضٌ تُحَــلّ وتُعقَدُ

وقال التنوخيّ

وراح من الشمس مخلوقة * بدت لك في قَدَحٍ من نهارِ
هواءٌ ولكنه ساكنٌ * وماءٌ ولكنه غير جاري
اذا ما تأملته وهي فيــه * تأملتَ ماءً محيطا بنـارِ
فهذا النهاية في الأبيضاضِ * وهذا النهاية في الأحمرارِ
وما كان في الحكم أن يُوجَدَا * لفـرطِ تَنافيهـما والنفارِ
ولكن تجاوَرَ سطحاهما الـ * ـبسيطان فائتلفا بالجـوارِ
كأنّ المـديرَ لهـا باليمين * اذا مال بالسَّقْيِ أو باليسارِ
تدرَّعَ ثَوْبا من اليـاسمين * له فـردُ كُمٍّ من الجلّنـارِ

وقال ابن وكيع التِّنِّيسيّ

حَمَلَتْ كفُّه الى شـفتيه * كأسَه والظلامُ مُرخَى الإزارِ
فالتـقَى لؤلؤا حَبابٍ وثغرٍ * وعقيقانِ من فم وعُقارِ

وقال آخر

قم فاسقني قد تبلّج الغسقُ * من قهوةٍ في الزجاج تأتلقُ
كأننا والكئوس نأخذها * نشرب نارا وليس نحترقُ

وقال أبو نواس

غنِّنا بالطلول كيف بَلينا * وآسقِنا نقطة[1] الجزاء الثميا
من سلاف كأنها كلّ شيء * يتمنى مخــيَّرٌ أن يكونا

(١) كذا بالأصل، وفي ديوان أبي نواس * وآسقنا نعطك الثناء الثمينا *

أكل الدهرُ ما تجسّم منها * وتبــقَّ لنا بهـا[1] المكنونا
فاذا ما آجتليتَهـا فهــباءٌ * تمنع الكفَّ ماتُبيــح العيونا
ثم شُجَّتْ فاستضحكت عن لآلٍ * لو تجمعنَ فى يدٍ لاقتُنينـا
فى كئوسٍ، كأنهنّ نجــومٌ * جارياتٌ، برُوجها أيدينـا
٥ طالعات مع الســقاة علينا * فاذا ما غَربنَ يغرُبنَ فينـا
لوترى الشَّربَ حولها من بعيدٍ * قلتَ : قومٌ من قِرَّةٍ يصطلونا

وقال آبن المعتز

وخمّــارةٍ من بناتِ المجوسِ * ترى الدَّنَّ فى بيتهـا شائلا
وزَنَّا لهـا ذَهبًا جامــدا * فكالت لنـا ذَهَبًا سائلا

١٠ * * *

وأما ماقيل فى أفعالها، فمن ذلك قول أبى تمّـام الطائىّ

وكأسٍ كمعسول الأمانى شربتُها * ولكنها أجلتْ وقد شربت عقلى
اذا عوتبت بالمـاء كان آعتذارُها * لهيبا كوقع النار فى الحطَب الجَزْلِ
اذا اليــدُ نالتهـا بوَتْرٍ توقّرت * على صنعها ثم آستقادت من الرِّجْلِ

١٥ ومثله قول ديك الجن وآسمه عبد السلام

فقام تكاد الكأس تخضب كفَّه * وتحسبه من وجنتيه آستعارَها
مشعشعة من كفِّ ظبيٍ كأنما * تنـاولها من خدّه فأدارَها
فظِلْنا بأيدينـا نُتعتِعُ رُوحَها * وتأخذ من أقــدامنا الراحُ ثارَها

---

(١) كذا بالأصل، وفى الديوان * وتبــقَّ لُبابَهـا المكنونا *

وقريب من المعنى الأوّل قول أبي بكر الخالدىّ

كانت لهـا أرجُل الأعلاج [(١)] واترةً * بالدوس فانتصفَت من أرؤس العربِ

[أخذ [(٢)] هذا المعنى أبو غالب الإصباعىّ الكاتب فقال

عقرتْهُـمُ معقورةٌ لو سالمت * شُرّابهـا، ما سُمّيَتْ بعُـــقارِ

لانتْ لهم حتى انتشوا وتمكّنتْ * منهـم فصاحت فيهمُ بالثـارِ

ذكرتْ حقائدَها القديمةَ إذ غدت * صَرْعَى تُداسُ بأرجل العُصّارِ]

وقال آخر

أسروها وجهَ النهار من الدّنّ * فامســـوا وهم لها أُسَراءُ

وقال عبد الصمد بن بابك عفى الله عنه

عُقارٌ عليها من دم الصبّ نفضةٌ * ومن عبرات المســـتهام فواقعُ

معـوّدةٌ غصبَ العقول كأنمـا * لهـا عند ألباب الرجال ودائعُ

* * *

وأما ما وُصفت به غير ما قدّمناه، فمن ذلك قول أبي الفضل يحيي بن سلامة الحصكفىّ [والحصكفىّ نسبة الى حصن كيفا]

وخليـــعٍ بتُّ أعتبـــه * ويرى عتبي من العبثِ

قلتُ : إنّ الخمر مخبثة * قال : حاشاها من الخَبث

قلتُ : منها القيء، قال : أَجَلْ * طهرت عن مخرج الحَدثِ

قلتُ : فالأرفاثُ تتبعهـا * قال : طِيبُ العيش في الرفثِ

وسأسـلوها فقلت : متى؟ * قال : عند الكونِ في الجدثِ

(١) الأعلاج : جمع عِلْج وهو الرجل من كُفّار العجم .

(٢) الزيادة التى بين هاتين العلامتين [ ] منقولة عن إحدى النسخ .

وقال آخر

ثقلت زجاجاتٌ أتتنا فُـرَّغا * حتى اذا ملئت بصرف الراحِ
خفَّتْ فكادت أن تطيرَ بما حوت * وكذا الجسوم تخفُّ بالأرواحِ

[وقريب من المعنى قول الآخر
وزنَّا الكأس فارغةً وملأى * فكان الوزنُ بينهما سواء] (١)

وقال أبو نواس

قهوةٌ أُعْمِىَ عنها * ناظرا ريب المنونِ
عُتِّقتْ فى الدنّ حتى * هى فى رقة دينى
ثم شُجَّت فأدارت * فوقها مثل العيونِ
حدقا ترنو الينا * لم تُحَجَّرْ بجفونِ
ذهبا يثمر دُرًّا * كلَّ إبّان وحينِ
من يدَىْ ساقٍ عليه * حلّةٌ من ياسمينِ
غايةٍ فى الظَّرف والشكل وفردٍ فى المجونِ

وقال

ذُدْ بماء الكَرْمِ والعنبِ * خطراتِ الهمّ والنُّوَبِ
قهوة لو أنها نطقَتْ * ذكرَتْ سامًا أبا العربِ
وهى تكسو كفَّ شاربها * دستباناتٍ من الذهبِ

وقال تاج الملوك بن أيّوب

وكم ليلةٍ فيها وصلنا غَبوقَنا * وكم من صباحٍ كان فيه صَبوحُ
تدار علينا من أكفِّ سقاتنا * عُقارٌ من الهمِّ الطويلِ تُريحُ

(١) الزيادة التى بين هاتين العلامتين [ ] منقولة عن بعض النسخ .

تلوحُ لنا كالشمسِ فى كفِّ أغيدٍ * يلوح لعينى البــدرُ حين يلوحُ
مدامٌ تحاكى خـــدَّه ورضابَه * ونكهتَه فى الطِّيبِ حين تفوحُ
ولكن لها أفعالُ عينيه فى الحشا * فكلُّ حشًا فيها عليــه جَريحُ

وقال أيضا

والكأس أُعطاها عقيقا أحمرا * قانٍ، فأُعطيها لُجَيْنًا يَقَقَا(١)
من قهوةٍ ما العيش إلا أن أرَى * مصــطبِحا فى شربها مغتبِــقا
أشربها شُربًا هنيئا من يدَىْ * غصنٍ رشــيقٍ وغزالٍ أرشقَا

ومما قيل فيها اذا مُزجت بالمــاء، فمن ذلك قول أبى نواس

وصفراءُ قبل المزج بيضاء بعده * كأنّ شعاعَ الشمس يلقاك دونَها
ترى العين تستعفيك من لمعانها * وتحسر حتى ما تُقِــلّ جفونَها

ومنه أخذ ديك الجن فقال

وحمــراء قبل المزج صفراء بعــده * بدت بين ثوبَىْ نرجس وشــقائقِ
حكت وجنةَ المعشوق صِرفا فسلَّطوا * عليها مزاجا فاكتستْ لونَ عاشقِ

وقال أبو هلال العسكرىّ

راحٌ اذا ما الليل مدَّ رواقَه * لاحت تطرِّز حُلَّةَ الظلماءِ
حتى اذا مُزجتْ أراك حبابُها * زهراتِ أرضٍ أو نجومَ سماءِ

وقال أيضا

وكأس تمتطى أطرافَ كفٍّ * كأنَّ بنانهــا من أرجــوانِ
أنازعها على العلّات شَرْبًا * لهنَّ مضاحكٌ من أقحــوانِ

(١) اليقق : الأبيض .

يلوح على مفارقهـا حَبابٌ * كأنصافِ الفـرائد والجُمانِ
وطالعنى الغـلامُ بها سحيرا * فزاد على الكواكب كوكبانِ
و وافقها بخـدٍّ أرجوانٍ * وخالفها بفرعٍ أدجـوانِ

قـوله :

٥ * كأنصافِ الفرائد والجمانِ *

مأخوذ من قول آبن الرومىّ

لها صريحٌ كأنه ذهبٌ * ورغوةٌ كاللآلئ الفُـلُقِ

وقال أبو نواس

فاذا علاها المـاءُ ألبسها * نَمَشًا[(١)] شبيهَ جَلاجِلِ الحِجْلِ
١٠ حتى اذا سَكَنتْ جوانحُها[(٢)] * كتبتْ بمثلِ أكارعِ النملِ

وهو مأخوذ من قول الأوّل، ويقال : إنه ليزيد بن معاوية

وكأسٍ سباها التَّجْر من أرض بابلٍ * كرقّة ماء الحُزنِ فى الأعينِ النُّجلِ
اذا شجَّها الساقى حسبت حَبابَهـا * عيونَ الدَّبَى[(٣)] من تحت أجنحةِ النملِ

وقال أبو نواس أيضا

١٥ قامت تريني وأمرُ الليـل مجتمعٌ * صبحا تولّد بين المـاء واللهبِ
كأنّ صُغرَى وكُبرَى من فواقعها * حصباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذهبِ

وقال آبن المعتز

للمـاء فيهـا كتابةٌ عَجَبٌ * كمثل نقشٍ فى فصِّ ياقوتِ

(١) كذا بالاصل وفى الديوان : حَبَبًا .
٢٠ (٢) كذا بالأصل وفى الديوان : جوامحها .
(٣) الدبى : أصغر الجراد .

وقال العسكرى

ذاب فى الكأس عقيقٌ يجرى * وطفا الدُّرُّ عليه فسبخْ
نصب الساقى على أقداحها * شَبَكَ الفِضَّةِ تصطادُ الفرحْ

وقال ابن الساعاتى

وليلةٍ بات بدر التمّ ساقِيَنَا * يدير فى فَلَكٍ من شربها شُهُبا
بكر اذا قُرِعتْ بالماء كان بنا * جِدًّا وإن كان فى كاساتها لعبا
حمراء من خجلٍ حتى اذا مُزجت * لم تدر ما خجلا تحمرُّ أم غضبا؟
تزيد بالبارد السلسال جَذْوتها * وما سمعت بماء محدثٍ لهبا
تكسو النديمَ اذا ما ذاقها وَضَحًا * حتى كأنّ شعاعَ الشمس قد شَرِبا

وقال آخر

فَنَبَّهتْنى وساقى القوم يمزجها * فصار فى البيت للصباح مصباحُ
قلنا على علمنا والشكُّ يغلبنا : * أراحُنا نارُنا أم نارُنا الراحُ؟

وقال ابن وكيع التِّنِّيسى

وصفراء من ماء الكروم كأنها * فراقُ عدوٍّ أو لقاءُ صديقِ
كأنّ الحبابَ المستديرَ بطوقها * كواكبُ درّ فى سماءِ عقيقِ
صببت عليها الماءَ حتى تعوضت * قميصَ بَهارٍ من قميص شقيقِ

وقال آخر

حمراء ما اعتصموا بالماء حين طفت * إلا وقد حسبوها أنها لهبُ

وقال الخالديّان

فهاتها كالعروس محمرة الـ * ـخدَّين فى مِعجرٍ(١) من الحببِ
كادت تكون الهواءَ فى أرج الـ * ـشعنبر لو لم تكن من العنبِ

(١) المِعْجَر : ثوب تشده المرأة على رأسها .

من كفِّ راضٍ عن الصدود وقد * غضبتُ فى حبِّه على الغضبِ
فلو ترى الكأسَ حين يمزجها * رأيت شيئا من أعجب العجبِ
نار حواها المزاج يلهبها الماءُ ودُرٌّ يدور فى لهبِ

ذكر ما قيل فى مبادرة اللذّات ومجالس الشراب وطيّها

قال أحمد بن أبى فنن ٥
جدِّد اللذاتِ فاليومُ جديدُ * وآمض فيما تشتهى كيف تريدُ
وٱلهَ ما أمكنَ يومٌ صالحٌ * إن يومَ الشرِّ لا كان عتيدُ
وقال ديك الجنّ
تمتّع من الدنيا فإنك فانى * و إنك فى أيدى الحوادث عانى
ولا تنظرنّ اليومَ لهوا إلى غدٍ * ومن لغدٍ من حادثٍ بأمانِ ١٠
فإنى رأيتُ الدهرَ يُسرع بالفتى * وينقله حالين مختلفان(١)
فأما الذى يمضى فأحلامُ نائم * وأما الذى يبقى له فأمانى
وقال آبن المعتزّ من أبيات
وبادر بأيام السرور فإنها * سِراعٌ وأيامُ الهموم بِطاءُ
وخلِّ عتابَ الحادثاتِ لوجهها * فإن عتابَ الحادثاتِ عناءُ ١٥
تعالَوْا فسقُّوا أنفسا قبل موتها * ليأتِىَ ما يأتى وهنّ رِواءُ
وقال أحمد الماردانىّ
عاقرِ الراحَ ودَعْ نعتَ الطَلَلْ * وآعص من لامك فيها وعذَلْ
غادها وآسعَ لها وآغرَ بها * و إذا قيل: تصابَى، قل: أَجَلْ
إنما دنياك فاعلم ساعةٌ * أنت فيها وسوى ذاك أملْ ٢٠

(١) كذا بالأصل ولعلها ''مختلفان''.

وقال ٱبن بسامٓ

واصلْ خليلك إنمـا الــ * ــدنيا مواصلةُ الخليــلِ
وٱنعــم ولا تتعجّل الــ * ــمكروهَ من قبل النزول
بادرْ بمـا تهوى فمـا * تدرى متى وقت الرحيل
وٱرفضْ مقـالةَ لائم * إن الملامَ من الفُضولِ ٥

وممـا وُصفتْ به مجالس الشرب؛ فمن ذلك قول أبى نواس

فى مجلسٍ ضحك السرورُ به * عن ناجذيه وحُلّت الحُمُـرُ

وقال ديك الجن

كـأنمـا البيتُ بريحانه * ثوبٌ من السندس مشقوقُ

وقال السرىّ ١٠

ألستَ ترى ركبَ الغمامِ يُساقُ * وأدمعُهُ بين الرياض تُراقُ؟
وقد رقَّ جِلبابُ النسيم على الثرى * ولكن جلابيبُ الغيوم صِفاقُ
وعندى من الرَّيحانِ نوعٌ تحبّه * وكأسٌ كرقراق الخَلوقِ دهاقُ
وذو أدبٍ جلّتْ صنائعُ كفّه * ولكن معانى الشعر منه دقاقُ
له أبدا من نثره ونظامه * بدائعُ حَلْىٍ ما لهنّ حِقاقُ ١٥
وأغيدُ مهتزٌّ، على صحن خدّه * غلائلُ من صِبغ الحياءِ رقاقُ
أحاطت عيونُ العاشقين بخصره * فهنّ له دون النطاق نطاقُ
وقد نظم المنثور فهو قلائد * علينا، وعقدٌ مذهبٌ وخناقُ
وغرفتنا بين السحائب، تلتقِى * لهنّ علينا كلّةٌ ورواقُ
تقسّم زُوّارُ من الهند سَقفَها * خِفافٌ على قلب الكريم رِشاقُ ٢٠

أعاجمُ تلتـــذُّ الخصامَ كأنها * كواعبُ زنجٍ راعهنّ طَلاقُ
أنسن بنا أنسَ الإماءِ تحبَّبتْ * وشيمتـها غَـدْرٌ بنا وإباقُ
مُواصِـلةٌ، والورد فى شجـراته * مفارقةٌ، إن حان منه فراقُ
فزرٌ فتيةٌ، بَرْدُ الشرابِ لديهـمُ * حمـيمٌ اذا فارقتهم وغَسَاقُ (١)

قـوله :

أحاطت عيون العاشقين بخصره * فهن له دون النطاق نطاقُ

مأخوذ من قول المتنبى

وخصرٍ تثبت الأحداق فيه * كأنّ عليه من حدَقٍ نطاقا

وقال أبو هلال العسكرىّ

وليــل ابتعتُ به لذةً * وبعتُ فيه العقلَ والدينا
أصاب فيه الوصلُ قلبَ الجوى * وبات فيه الهمُّ مسكينا
وقد خلطنا بنسيم الصبا * نسيمَ راحٍ ورياحينا
وأكؤس الراح نجومٌ اذا * لاحت بأيدينا هوتْ فينا
تضحك فى الكأس أباريقُنا * وحسبها تَضحك تُبكينا

ومما قيل فى طىّ مجالس الشراب؛ فمن ذلك قول بعض الشعراء

حُكم العقارِ اذا قصدتَ لشربها * فى لذّةٍ من مسمع وقيانِ
أن لا تعود لذكر ما أبصرتَ من * أُحدوثةٍ من شاربٍ سكرانِ

---

(١) الغساق : المنتن .

وقال آخر

اذا ذُكر النبيذُ فليس حقًّا * إعادة ما يكون على النبيذِ

إعادة مايكون من السكارى * يكدّر صفوةَ العيش اللذيذِ

وقال آخر

تنازعوا لذّة الصهباء بينهُمُ * وأوجبوا لرضيع الكأسِ مايجبُ ٥

لا يحفظون على السكرانِ زلّتَهُ * ولا يريبك من أخلاقهم ريبُ

ذكر ما قيل فى وصف آلات الشراب وأوانيها

من ذلك ما قيل فى وصف معصرة الخمر

قال أبو الفرج البَبّغاء

ومعصرة أنختُ بها * وقرنُ الشمس لم يغبِ ١٠

نخلت قرارها بالرا * ح بعضَ معادنِ الذهبِ

وقد ذرفت لفقد الكرْ * م فيها أعينُ العنبِ

وجاش عُبابُ واديها * بمنهلٍّ ومنسكبِ

وياقوت العصير بها * يلاعبُ لؤلؤ الحببِ

فيا عجبا لعاصرها * وما يفنَى به عجبى ١٥

وكيف يعيش وهو يخو * ض فى بحرٍ من اللهبِ

وقال ابن المعتز يصف الدنان

ودنانٍ كمثلِ صفِّ رجالٍ * قد أقيموا ليرقصوا دَستَبندا (١)

(١) الدستبند : نوع من أنواع رقص المجوس يأخذ بعضهم بيد بعض و يرقصون ، و بعضهم يكتبها هكذا "دست بند" . ٢٠

وقال القطامىّ يصف جرار الخمر

استودَعَتْهـا رواقيـدُ[1] مقيّرةٌ[2] * دُكْنُ الظواهرِ قد بُرْنِسنَ بالطينِ

مكالفـاتٌ لحرِّ الشمس قائمةٌ * كأنهنّ نبيطٌ فى تبابينِ[3]

وقال العلوىّ الأصفهانىّ

٥ مخدَّرةٌ مكنونة قد تقشّفتْ * كراهبةٍ بين الحسانِ الأوانسِ

وأترابهـا يلبسن بيضَ غلائلٍ * هى العُرْىُ مغرورٌ بها كلّ لابسِ

مشـعَّثه مرهاء[4] ما خلت أنثى * أرى مثلها عذراءَ فى زىّ عانسِ

وممـا قيل فى الراووق؛ قال بعض الشعراء

كأنمـا الراووقُ وانتصابُه * خرطومُ فيلٍ سقطتْ أنيابُهُ

١٠ والبيت منـه عَطِرٌ ترابُهُ * كأنَّ مسكا فُتِّقَتْ عِيابُهُ

وقال آخر

سمـاء لاذٍ[5] قَطْـرُها رحيقُ * رحبُ الذرى يخطفيه الضيقُ

ماءُ عقيقٍ لو جرى العقيقُ * حتى اذا ألهبهـا التصـفيقُ

* صِحْنا الى جيراننـا : الحريقُ *

---

١٥ (١) رواقيد : جمع راقود وهو الدنّ الكبير .

(٢) مقيرة : أى مسيعة بالقار وهو "الزفت" .

(٣) التبابين : جمع تُبّان وهو سراويل صغير يستر العورة .

(٤) المرهاء : التى ابيضت حماليقها .

(٥) اللاذ : جمع لاذة وهى ثوب حرير أحمر صينى .

ومما وُصفت به زِقاق الخمر؛ فمن ذلك قول الأخطل

أناخوا بجزروا شاصياتٍ[1] كأنها * رجالٌ من السودان لم يتسربلوا

وقال أبو الهندى وأجاد فى شعره

أُتلفُ المالَ وما جمّعتُــه * طلبَ اللذاتِ من ماء العنبْ

وآستبـاء الزقّ من حانوتهـا * شائل الرجلين معضوب الذنبْ

كلّما كُبَّ لشَرْبٍ خلتَــه * حبشيًا قطعتْ منــه الرُّكَبْ

وقال آبن المعتز

وتراها وهى صَرْعَى * فُرَّغًا بين الندامَى

مثلَ أبطالِ حروب * قُتِلوا فيها كِرامًا

وقال العلوىّ الأصفهانى

عجبتُ من حبشىّ لا حراكَ به * لا يدرك الثأر إلا وهــو مـذبوحُ

طورا يُرَى وهو بين الشَّرب مضطجعٌ * رخو الصفاقِ وطورا وهو مشبوحُ

ومما وُصفت به الأباريقُ؛ فمن ذلك قول شبرمة بن الطفيل

كأنّ أباريقَ الشّمول عشيّة * إوَزٌّ بأعلى الطفِّ عُوجُ الحناجرِ

وقال آخر

يارُبَّ مجلس فتيـةٍ نادمتُهم * من عبد شمسٍ فى ذرى العلياءِ

وكأنمـا إبريقُهم من حُسنهِ * ظبيٌ على شَرَفٍ أمَامَ ظبـاءِ

(١) الشاصيات: جمع شاصية وهي الزقاق أو القرب الشائلة القوائم .

وقال آبن المعتز

وكأنّ إبريقَ المدام لديهمُ * ظبيٌ على شَرَفٍ أنافَ مدلّها
لما آستحثّته السقاةُ جثى لها * فبكى على قدح النديم وقهقها

وقال إسحاق الموصلى

كأن أباريقَ المدام لديهمُ * ظباءٌ بأعلى الرقمتين قيامُ ٥
وقد شربوا حتى كأنّ رقابَهم * من اللين لم يُخلَقْ لهنّ عِظامُ

وكلّهم نظروا الى قول علقمة بن عبدة :

كأنّ إبريقهم ظبيٌ على شَرَفٍ * مفدّمٌ بسبا الكتّان ملثومُ

وقال محمد بن هانئ من أبيات

والأباريقُ كالظباء العواطى * أوجستْ نبأةَ الخيولِ العتاقِ ١٠
مصغياتٌ الى الغناءِ مُطلّا * تٌ عليه كثيرةُ الإطراقِ
وهى شُمُّ الأنوفِ يشمخن كبرًا * ثم يرعفن بالدمِ المُهراق

وقال أبو نواس عفى آلله عنه

والكوب يضحك كالغزال مسبحا * عند الركوع بلثغة الفأفاءِ
وكأنّ أقداح الرحيق إذا جرت * وسط الظلامِ كواكبُ الجوزاءِ ١٥

وقال بشّار بن بُرْد

كأنّ إبريقَنا والقَطْرُ من فه * طيرٌ تناول ياقوتًا بمنقارِ

ومما وصفت به الكاساتُ والأقداحُ ؛ فمن ذلك قول آبن المعتز

غدا بها صفراء كرخيّة * تخالها فى كأسها تتقدْ
وتحسب الماءَ زجاجا لها * وتحسب الأقداحَ ماءً جَمَدْ ٢٠

وقال ابن المعتز أيضا عفى الله عنه

وكأسٍ تُحْجَبُ الأبصارُ عنها * فليس لناظرٍ فيها طريقُ
كأن غمامةً بيضاءَ بيني * وبين الكأس تخرقها البروقُ

وقال أبو الفرج الببّغاء

من كلّ جسم كأنه عَرَضٌ * يكاد لُطفًا باللحظ يُنْتَهَبُ ٥
كأنما صاغه النفاق فما * يخلص منه صدقٌ ولا كذبُ

وقال الرفّاء

كأن الكئوسَ بفضلاتها * متوجةً بأكاليل نورِ
جيوبٌ من الوشى مزرورةٌ * يلوح عليها بياضُ النحورِ

وقال آخر ١٠

وكأنما الأقداحُ مترعة الحشا * بين الشروب كواكبُ الجوزاءِ
وكأنها ياقوتةٌ فضلاتها * مخروطةٌ من درّة بيضاءِ

وقال المعوّج

يعاطيك كأسا غير ملأى كأنها * إذا مُزجت أحداقُ درعٍ مُزَرَّدِ
كأنّ أعاليها بياضُ سوالفٍ * يلوح على توريدِ خدّ مورَّدِ ١٥

وقال أبو نواس

وكأنما الروضُ السماءُ ونهرُه * فيه المجرةُ والكئوسُ الأنجمُ

وقال الثعالبيّ

ياواصف الكأس بتشبيهها * دونك وصفا عالِيَ القَدْرِ
كأنّ عينَ الشمس قد أُفرغتْ * في قالَبٍ صِيغ من البدرِ ٢٠

وقال آخر

أقول للكأس إذ تبدّتْ * بكفّ أَحْوى أغنَّ أحورْ:
أخربتِ بيتي وبيتَ غيري * وأصلُ ذا كعبُك المدوّرْ

(٥٦)

الباب الخامس

من القسم الثالث من الفن الثانى

(فى الندمان والسقاة)

قال سهل بن هارون : ينبغى للنديم أن يكون كأنما خُلِقَ من قلب الملك يتصرّف
بشهواته و يتقلّب بإرادته ، لا يملّ المعاشرة ، ولا يسأم المسامرة ، إذا انتشى يحفظ ،
و إذا صحا ييقظ ، و يكون كاتما لسرّه ، ناشرا لبرّه . قالوا : فاخَرَ كاتبٌ نديما فقال الكاتب :
أنا معونة ، وأنت مؤونة ، وأنا للجدّ وأنت للهزل ، وأنا للشدّة وأنت للرخاء ، وأنا للحرب
وأنت للسلم ، فقال النديم : أنا للنعمة ، وأنت للخدمة ، وأنا للحظوة وأنت للهنة ، تقوم
وأنا قاعد ، وتحتشم وأنا مؤانس ، تدأب لراحتى ، وتشقى لما فيه سعادتى ، فأنا شريك
وأنت معين ، كما أنك تابع وأنا قرين ، فلم يحر الكاتبُ جوابا والله أعلم .

وسئل إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ رحمه الله عن الندماء ، فقال : واحدٌ : غَمٌّ ، واثنان :
هَمٌّ ، وثلاثةٌ : قِوَامٌ ، وأربعةٌ : تَمَامٌ ، وخمسةٌ : مجلِسٌ ، وستّةٌ : زِحامٌ ، وسبعةٌ :
جَيْشٌ ، وثمانيةٌ : عَسْكرٌ ، وتسعةٌ : اضربْ طبلَك ، وعشرةٌ : ٱلْقَ بهم مَن شئتَ .
وقال الجمّاز : النبيذ حرام على اثنى عشر نفسا ، مَن غَنَّى الخطأَ ، واتكأ على اليمين ،
وأكثَرَ من أكل البقل ، وكسر الزجاجَ ، وسرق الريحانَ ، وبلّ ما بين يديه ، وطَلَبَ
العَشاء ، وقطعَ البمّ[1] ، وحبس أوّلَ قدحٍ ، وأكثر الحديثَ ، وامتخط فى منديل
الشراب ، وبات فى موضع لا يُحتَمَلُ المبيتُ فيه .

---

(١) البمّ : الوتر الغليظ من أوتار العود .

قال أبو هلال العسكرى

ما أعاف النبيذَ خيـفةَ إثمٍ * إنمـا عفتُه لفقدِ النـــديمِ

ليس فى اللهو والمدامةِ حظٌّ * لكريمٍ دون النـديم الكريمِ

فتخيَّر قبـلَ النبيـذ نديمـا * ذا خلالٍ معطَّراتِ النسيمِ

وجـالٍ إذا نظرتَ بديعٍ * وضميرٍ إذا آختبرتَ سليمِ ٥

وقال آخر

أرى للكأس حقًّا لا أراه * لغــير الكأسِ إلا للنـديمِ

هو القطبُ الذى دارتْ عليه * رحَى اللذاتِ فى الزمنِ القديمِ

وقال آخر

وندمانٍ أخى ثقـــةٍ * كأنَّ حديثَــه حَبَرَهْ ١٠

يسرُّك حسنُ ظاهرِهِ * وتحمـد منه مختَــبَرَهْ

ويستر عيبَ صاحِبِه * ويســتُرُ أنه سَــتَرَهْ

وقال آخر

ونديم حلو الحـــديث يجاريـــك بمـا تشتهيه فى ميدانِكْ

المعى كأن قلبَــك فى أضـــلاعه أو كلامَهُ فى لسانِكْ ١٥

وقال يحى بن زياد

ولستُ له فى فضلةِ الكأسِ قائلا * لأصرفه عنها : تحسَّ ، وقد أبَى

ولكن أحيِّيه وأكرم وجهَهُ * وأشربُ ما أبقَى وأسقيه ما آشتهَى

ولستُ إذا ما نام عندى بموقِظٍ * ولا مُسمِع يقظانَ شيئا من الأذَى

وقال آخر

ليس من شأنه إذا دارتِ الكأ * سُ فأزرى إدمانُها بالحلومِ
قولُ مايُسخط النديمَ وإن أسـ * ـخطَه عند ذاك قولُ النديم

وقال عبد الرحمن العطوىّ رحمه الله

٥ أُخطب لكأسك نَدمانا تُسَرُّ به * أو لا فنادم عليها حكمةَ الكتب
أُخطبه حرّا كريما ذا محافظة * ترى مودّتَه من أقرب النسب

وقال أبو نواس

(٥٧)

وندمانٍ يُرَى عيبا عليه * بأن يمشى وليس به آنتشاءُ
اذا نبّهته من نوم سكرٍ * كفاه مرةً منك النداءُ
١٠ فليس بقائل لك: إيهِ دعنى * ولا مستخبرا لك ما تشاءُ
ولكن سَقِّنى، ويقول أيضا: * عليك الصِّرف إن أعياك ماءُ
اذا ما أدركته الظهرُ صلَّى * ولا عصرٌ عليه ولا عِشاءُ
يصلّى هذه فى وقت هذى * وكلّ صلاته أبدا قضاءُ

وقال آخر

١٥ نبهت ندمانى فهبّوا * بعد المنام لما آستحبّوا
هـذا أجاب وذا أنا * بَ وذا يسير وذاك يحبو
أنشدتهم بيتا يعلِّم ذا الصبابةِ كيف يصبو
ما العيش إلا أن تحبَّ وأن يحبّك من تحبّ
فتطرّبوا والأريحيـ * ـة شأنها طرَبٌ وشربُ

وقال أبو عبادة البحترى عفى الله تعالى عنه

ونديم نبهتــه ودجى الليـ * ـل وضوءُ الصباح يعتلجانِ

قم نبادل بها الصيامَ فقد أقـ * ـمر ذاك الهلالُ من شعبانِ

وقال أيضا

بات نديمـا لِىَ حتى الصباح * أغيدُ مجدولُ مكانِ الوشاح

كأنمـا يبسم عن لؤلؤ * منضـد أو بَرَد أو أقاح

يساقط الوردَ علينا، وقد * تبلّج الصبحُ، نسيمُ الرياح

إن لان عطفاه قسا قلبه * أو ثبّت الخلخال جال الوشاح (١)

أمزجُ كأسى بجَنَى ريقِـه * وإنمـا أمزجُ راحًا براح

ومنهم من كره النـديم وآثر الانفراد، قال إبراهيم الموصلى عفى الله تعـالى عنه ورحمه : دخلت يوما على الفضل بن يحيى فصادفته يشرب وعنـده كلب، فقلت له : تنادم كلبا؟ قال : نعم، يمنعنى أذاه، ويكف عنى أذى سواه، ويشكر قليلى، ويحفظ مبيتى ومقيلى، وأنشد

وأشرب وحدى من كراهيَ الأذى * مخـافةَ شرّ أو سـباب لئـيمِ

انتهى وأستغفر الله العظيم .

ومما قيل فى السقاة، فمن ذلك قول الصنوبرى عفى الله عنه

ومُوَرّد الخـدّين يخـ * ـطر حين يخطر فى موَرّدْ

يسـقيك من جفن اللجـين * اذا سقاك دموعَ عسجَدْ

حـتى تظنّ النجم ينـ * ـزلُ أو تظنّ الأرضَ تصعدْ

(١) هذا البيت غير موجود بين أبيات هذه القصيدة فى ديوان البحترى .

فاذا سقاك بعينه * وبفيه ثم سقاك باليدْ
حيّاك بالياقوت ثم الدُّرّ من تحت الزَّبَرجدْ

وقال ديك الجنّ

ومُزْرٍ بالقضيب اذا تثنّى * ومزهاةٍ على القمر التمامِ
٥ سقانى ثم قبّلنى وأومَى * بطرفٍ سقمُه يشفى سقامى
فبتّ له على الندمان أُسقَى * مداما فى مدامٍ فى مدامِ

وقال ابن المعتزّ

(٥٨) تدور علينا الراحُ من كفّ شادنٍ * له لحظ عين يشتكى السقمَ مدنَفُ
كأنّ سلافَ الخمر من ماء خدّه * وعنقودها من شعره الجعدِ يُقطَفُ

١٠ وقال أيضا

بين أقداحهم حديثٌ قصيرٌ * هو سحرٌ وما سواه الكلامُ
فكأن السقاةَ بين الندامى * ألفاتٌ بين السطور قيامُ

وقال أحمد بن أبى فنن

بكف مقرطَقٍ خَنِثٍ * تطيب بطيبه الرِّيَبُ
١٥ تراها وهى فى كفيه من خديه تلتهبُ

وقال الصنوبرى

وساقٍ إذا همّ ندماننا * بأن يزجِىَ الكأسَ لم يُزجِه
كلعبة عاج على فرشه * وليثِ عرينٍ على سرجِهِ
لطيفِ المنطق مهتزّه * تميلِ المؤزَّرِ مرتجّه
٢٠ سقانى بعينيه أضعاف ما * سقانى بكفّيه من غُنجِهِ

وقال آخر

ياساقىَ القوم إن دارت الىَّ فلا * تمزجْ فإنى بدمعى مازجٌ كاسى
ويافتى الحىّ إن غنَّيت من طرب * فغنِّ : واحَرَبا مِن قلبه القاسى

وقال ابن المعتزّ

وعاقدِ زنّارٍ على غُصُن الآسِ * دقيق المعانى مخطَف الخصرِ ميّاسِ ٥
سقانى عُقارا صَبَّ فيها مزاجَها * فأضحك عن ثغر الحباب فمَ الكاسِ

وقال أيضا

قام كالغصن فى النقا * يمزج الشمس بالقمرْ
وسقانى المدام والليـ * ـلُ بالصبح مؤتزِرْ
والثريّا كنَوْرِ غصـ * ـنٍ على الغرب قد نُثِرْ ١٠

وقال البحترىّ

وفى القهوة أشكالٌ * من الساقى وألوانُ
حبابٌ مثلُ ما يَضحَـ * ـكُ عنه وهو جذلانُ
ويسكر مثل ما يسكـ * ـرُ طرفٌ منه وسنانُ
وطعم الريق إن جاد * به والصبّ هَيمانُ ١٥
لنا من كفّه راحٌ * ومن ريّاه ريحانُ

وقال أبو القاسم الهُبيرىّ الكاتب رحمة الله تعالى عليه

سقانا الراح ساقٍ، كلُّ راحٍ * سوى ألحاظ عينيه سرابُ
يدير الكأسَ مبتسما علينا * فما تدرى أثغرٌ أم حَبابُ؟
وقد سفر الدجى عن ثوب فجر * منير مثل ما سفر النقابُ ٢٠
فخلت الصبح فى أثر الثريّا * بشيرا جاء فى يده كتابُ

وقال أبو الشيص

يطوف علينا به أحورٌ * يداه من الكأس مخضوبتانِ
غزالٌ تميل بأعطافه * قناةٌ تَعطَّف كالخيزرانِ

وقال أبو بكر محمد بن عمّار

٥ وهويته يسقى المدام كأنه * قمرٌ يطوف بكوكبٍ فى حندسِ
متأرج الحركات تندى ريحُهُ * كالغصن هزّته الصَّبا بتنفسِ
يسعى بكأسٍ فى أنامل سوسنٍ * ويدير أخرى فى محاجر نرجسِ

وقال المعوّج يصف ساقية

لا عيش إلا من كف ساقيةٍ * ذات دلال فى طرفها مرضُ
١٠ كأنما الكأسُ حين تمزجها * نجومُ ليلٍ تعلو وتنخفضُ

وقال آخر يصف آمرأةً ساقيةً

وساقيةٍ كأنّ بمَفرِقيها * أكاليلا على طبقاتِ وردِ
لها طِيبُ المنى وصفاءُ لونٍ * وحمرةُ وجنةٍ ومذاقُ شهدِ

وقال ديك الجن يصف ساقيا وساقيةً

١٥ أفديكما من حاملَىْ قَدَحَيْنِ * قمرَيْن فى غُصنين فى دِعصيْنِ
رودٌ منعّمةٌ ومهضوم الحشا * للناظرين مُنًى وقُرّة عينِ
قامت مؤنثةٌ وقام مؤنّثا * فتناهبا الألحاظَ بالنظرينِ
صُبّا علىّ الراحَ إن هلالَنا * قد صبّ نعمته على الثّقلين
وإلىّ كأسكما على ما خيّلت * بالتبر معجونا بماء لُجينِ

البـاب السادس

من القسم الثالث من الفن الثـانى

فى الغناء والسماع وما ورد فى ذلك من الحظْر والإباحة وما آستدل به من رأى ذلك ومن سمع الغناء من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ومن التابعين ومن الأئمة والعبّاد والزهّاد، ومن غنّى من الخلفاء وأبنائهم والأشراف والقُوّاد والأكابر، وأخبار المغنّين الذين نقـلوا الغناء من الفارسيّة إلى العربيّـة، ومن أخذ عنهم، ومن آشتهر بالغناء وأخبار القيان .

ذكر ما ورد فى الغناء من الحظْر والإباحة

قد تكلم الناس فى الغناء فى التحريم والإباحة وآختلفت أقوالهم وتباعدت مذاهبهم وتباينت آستدلالاتهم، فمنهم من رأى كراهته وأنكر آستماعه وآسـتدلّ على تحريمه، ومنهم من رأى خلافَ ذلك مطلقا وأباحه وصمّم على إباحته، ومنهم من فرّق بين أن يكون الغناء مجرّدا أو أضيف إليه آلة كالعود والطنبور وغيرهما من الآلات ذوات الأوتار والدفوف والمعازف والقصب فأباحه على آنفراده وكرهه إذا آنضاف الى غيره وحرم سماع الآلات مطلقا، ولكل طائفة من أرباب هذه المقالات أدلة آستدلت بها، وقد رأينا أن نثبت فى هذا الموضع نبذة من أقوالهم على سبيل الآختصار وحذف النظائر المطوّلة فنقول وبالله التوفيق .

* * *

أما ما قيل فى تحريم الغناء وما آستدَلَّ به مَن رأى ذلك، فإنهم آستدلوا على التحريم بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة من علماء المسلمين،

أما دليلهم من الكتاب العزيز فقول الله عزّ وجلّ : (قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) . وقوله عزّ وجلّ : (وَإِذَا سَمِعُوا ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ) . وقوله سبحانه وتعالى : (وَٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِٱللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) . وقوله تبارك وتعالى : (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) . وقوله سبحانه وتعالى : (وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) وقوله : (أَفَمِنْ هَذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) . قال ٱبن عباس : (سامدون) هو الغناء بلغة حمير، وقال مجاهد : هو الغناء بقول أهل اليمن : سمد فلان اذا غنّى . وروى عن ٱبن عباس رضى الله عنهما أنه قال فى هذه الآية (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ) : إنه الغناء، ومن طريق آخر : إنه الغناء وأشباهه ، وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : هو — والذى لا إله إلا هو — الغناء . وعن مجاهد رضى الله عنه فى قوله تعالى : (وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) . قال : صوته الغناء والمزامير ، وعنه فى قوله تعالى : (وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ) . قال : الغناء . وأما دليلهم من السنة فما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : إن الله عزّ وجلّ حرّم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع اليها ، ثم قرأتْ (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ) الآية ، وروى أبو أمامة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما رفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله عزّ وجلّ اليه شيطانان على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يُمسك » . وروى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان إبليس أوّل من ناح وأوّل من تغنّى » . وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نُهيتُ عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند نعمة وصوت

عند مصيبة » . وأما أقوال الصحابة والتابعين رضى الله عنهم، فقد روى عن عثمان
آبن عفان رضى الله عنــه أنه قال : ما تغنّيت قط ، فتبرأ من الغناء وتبجّح بتركه .
وروى عن آبن مسعود رضى الله عنه أنه قال: الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت
المـاءُ البقلَ . وروى أنـ آبن عمر رضى الله عنهما مرّ على قوم محرمون ومعهم
قوم ورجل يغنّى فقال : ألا لا أسمع والله لكم، ألا لا أسمع والله لكم . وروى عن ٥
عبد الله بن دينار قال : مرّ آبن عمر رضى الله عنهما بجارية صغيرة تغنّى فقـال :
لو ترك الشيطان أحدا ترك هـذه . وعن إسحاق بن عيسى قال : سألت مالك بن
أنس رضى الله عنه عمـا ترخّص فيه بعض أهل المدينة من الغناء فقال : ما يفعله
عندنا إلا الفُسّاق . وقال الشعبيّ : لُعِن المغنِّى والمغنَّى له . وقال الحكم بن عتيبة :
حبُّ السماع ينبت النفاق فى القلب . وروى أن رجلا سأل القاسم بن محمد فقال : ١٠
ما تقول فى الغناء، أحرام هو؟ فأعاد عليه، فقال له فى الثالثة : اذا كان يوم القيامة
فأتى بالحق والباطل أين يكون الغناء؟ قال: مع الباطل، قال القاسم: فأفت نفسك .
وقال الفُضَيل بن عياض : الغناء رقيـة الزنا ؛ وقال بعضهم : الغناء رائدة من رائدة
الفجور . وقال الضحاك : الغناء مفسدة للقلب ، مسخطة للرب . وقال يزيد بن
الوليد مع آشتهاره بمـا آشتهر به : يا بنى أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد ١٥
فى الشهوة ويهدم المروءة وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر، فإنـ كنتم
لا شك فاعلين فجنبوه النساء، فإن الغناء رقيـة الزنا، وإنى لأقول ذلك فيـه على أنه
أحبّ الىَّ من كلّ لذة وأشهى الى نفسى من المـاء الى ذى الغلّة الصادى، ولكن
الحقّ أحقّ أن يقال . وأما أقوال الأئمة رحمهم الله تعالى فقد قال الإمام الشافعىّ
رضى الله عنه فى كتاب أدب القضاة : الغناء لهو مكروه يشبه الباطل، وقال : من ٢٠
آستكثر منه فهو سفيه تردّ شهادته . قال القاضى حسين بن محمد : وأما سماعه من

المرأة التى ليست بمحرم، فإن أصحاب الشافعىّ قالوا: لا يجوز بحال سواء كانت بارزة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة . وقال الشافعىّ: وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه تردّ شهادته، ثم غلظ القول فيه وقال : هو دياثة، قال : وإنما جعل صاحبها سفيها لأنه دعا الناس إلى الباطل، ومن دعا الى باطل كان سفيها فاسقا . وقال مالك بن أنس: اذا آشترى جارية فوجدها مغنّية كان له ردّها بالعيب، قال: وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده . وكره أبو حنيفة ذلك وجعل سماع الغناء من الذنوب، قال : وذلك مذهب سائر أهل الكوفة وسفيان الثورىّ، وحمّاد بن سلمة، وإبراهيم النخعىّ، والشعبىّ وغيرهم لا خلاف بينهم فى ذلك، قال : ولا يعرف أيضا بين أهل البصرة خلاف فى كراهة ذلك والمنع منه . وقال بعض الزهاد: والغناء يورث العناد فى قوم، ويورث التكذيب فى قوم، ويورث القساوة فى قوم .

وقال بعضهم عن حاله عند السماع

أتذكرُ وقتنا وقد آجتمعنا * على طِيبِ الغداءِ الى الصباحِ؟ [٦٠]

ودارت بيننا كأسُ الأغانى * فأسكرتِ النفوسَ بغير راحِ

فلم تر فيهمُ إلا نشاوى * سرورا والسرور هناك صاحى

اذا لبّى أخو اللذاتِ فيه * منادى اللهوِ حىّ على السماحِ

ولم يملك سوى المهجاتِ شيئا * أرقناها لألحاظِ مِلاحِ

هذا ملخّص ماذكروه فى تحريم الغناء، وقد آستدلّ مَن أباحه بما يناقض ماتقدّم على ما نذكر ذلك إن شاء الله فى إباحة الغناء .

ذكر ما ورد فى إباحة الغناء والسماع والضرب بالآلة

وقد تكلّم الناسُ فى إباحة الغناء وسماع الأصوات والنغمات والآلات، وهى الدفّ واليراع والقصب والأوتار على آختلافها، من العود والطنبور وغيره، وأباحوا ذلك وآستدلّوا عليه وضعّفوا الأحاديث الواردة فى تحريمه، وتكلّموا على رجالها وجرّحوهم وبسطوا فى ذلك المصنّفات ووسّعوا القول وشرحوا الأدلّة، وطالعت من ذلك عدّة ٥
تصانيف فى هذا الفن مجرّدة له ومضافة الى غيره من العلوم، وكان ممّن تكلّم فى ذلك وجرّد له تصنيفا: الشيخ الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن علىّ المقدسىّ رحمه الله تعالى، فقال فى ذلك ما نذكر مختصره ومعناه. اعلم أن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة الى الكافة قال الله تعالى: (ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم ١٠
بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَالَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ). فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وسنّ وشرّع وأمر ونهى كما أُمر صلى الله عليه وسلم، فليس لأحدٍ بعده وبعد الخلفاء الراشدين الذين أَمر رسول الله صلى الله عليـه وسلم ١٥
بالآقتداء بهم والآتباع لسنتهم أن يحرّم ما أحل الله عزّ وجلّ ورسوله صلّى الله عليه وسلّم إلا بدليل ناطق من آية محكمة، أو سنّة ماضية صحيحة، أو إجمـاع من الأمة على مقالتـه، وأما الآستدلال بالموضوعات والغـرائب والأفراد من رواية المكذّبين والمجرّحين الذين لا تقوم بروايتهم حجّة، وبأقاويل من فسّر القرآن على حسب مراده ورأيه فلا يُرجع الى قولهم ولا يُسلك طريقهـم، إذ لو جاز ذلك لم يكن قول أحد ٢٠

من الناس أولى من قول غيره، وإنما يلزم بقول من أُيد بالوحى والتنزيل وعُصم من التغيير والتبديل، قال الله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) فعلمنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر ولم ينه عن أمر إلا بوحى من الله تعالى، وكذلك كان صلى الله عليه وسلم اذا سئل عن أمر لم ينزل فيه وحىٌ توقّف حتى يأتيه الوحى وليست هذه المنزلة لغيره فيلزم قبول قوله .

ذكر ما آستدلّوا به على إباحة الغناء من الأحاديث النبوية

قد آستدلوا على إباحة الغناء بأحاديث صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، منها ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : دخل عَلَىَّ أبو بكر رضى الله عنه وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تغنّيان بما تقاولتْ به الأنصارُ يوم بُعاثٍ وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أمزمارُ الشيطان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم! وذلك يوم عيد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا » ومن طريق آخر عنها رضى الله عنها قالت : دخل عَلَىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان تغنيان بغناء بُعَاثٍ، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه، ودخل أبو بكر فآنتهرنى وقال: مِزْمَارَةُ الشيطان عند النبىّ صلى الله عليه وسلم! فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «دعهما» فلما غفل غمزتُهما فخرجتا، وكان يومُ عيدٍ يلعب فيه السودانُ بالدَّرَق والحِرَاب، فإما سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإما قال "تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ" فقلت : نعم فأقامنى وراءه، خدّى على خدّه وهو يقول : " دونكم يا بنى أَرْفَدَةَ[1] " حتى اذا مللتُ قال "حسبُكِ؟" قلت : نعم، قال " فاذهبى " . ومن طريق آخر عنها رضى الله عنها أن أبا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام مِنًى تُدَفِّفان وتضربان ، والنبىّ صلى الله عليه وسلم

(١) أرفدة : جنس من الحبشة .

متغشّ بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف النبيّ صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال: «دعهما يا أبا بكر فإنها أيامُ عيـد»، وتلك الأيام أيامُ مِنًى. وقالت عائشة: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترنى وأنا أنظر الى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد فزجرهم عمر، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «دعهم، أَمْنًا بنى أَرْفَدَة» يعنى من الأمن. قال أبو محمد علىّ بن أحمد بن سعيد بن حزم رحمه الله عند ذكر هذه الأحاديث: أين يقع إنكار مَنْ أنكر مِنْ إنكار سَيِّدَىْ هـذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليـه وسلم: أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، وقد أنكر عليـه الصلاة والسلام عليهما إنكارهما، فرجعا عن رأيهما الى قوله صلى الله عليه وسلم. وعن عائشة رضى الله عنها قالت: كانت جاريةٌ من الأنصار فى حِجْرِى فزففتُها، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسمع غناء، فقال: «ياعائشة ألا تبعثين معها مَنْ يُغنِّى فإن هذا الحىَّ من الأنصار يحبون الغناء». وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: نكح بعضُ الأنصار بعضَ أهل عائشة فأهدتها الى قُبَاءَ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم «أهديتِ عروسَكِ؟» قالت: نعم، قال: «فأرسلتِ معها بغِناء فإن الأنصار يُحبّونه؟» قالت: لا، قال «فأدركيها يا زينب» — امرأة كانت تغنِّى بالمدينة — رواه أبوالزبير محمد بن الزبير بن مسلم المكىّ عن جابر، وعنه أيضا قال: أنكحتْ عائشةُ رضى الله عنها ذاتَ قرابة لهـا رجلا من الأنصار، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أهديتُم الفتاةَ؟» قالوا: نعم، قال «أرسلتم معها؟» . قال أبو طلحة راوى الحديث: ذهب عنى، فقالت: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الأنصار قوم فيهم غَزَلٌ فلو بعثتم معها من يقول

أتيناكم أتيناكم * فحيّانا وحيّـاكم»[1]

(١) كذا بالأصل، وفى العقد الفريد: "فحيونا نحييكم" وترجحه القافية حيث روى البيت الثانى:

ولولا الحبة السمرا * ء لم نحلل بواديكم

وروى عن فَضَالة بن عُبَيد قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَلَّهُ أشدُّ أَذَنًا الى الرجل الحسَن الصوت بالقرآن يَجْهَر به من صاحب القَيْنة الى قَيْنته". قال أبو عبد الله الحاكم فى كتابه المستدرك: هذا حديث صحيح على شرط البخارىّ ومسلم ولم يخرّجاه وقد خرّجه الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزوينىّ فى سننه.

٥ قال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسىّ رحمه الله تعالى: ووجه الاحتجاج من هذا الحديث هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثبت أن الله تعالى يستمع الى حَسَنِ الصوت بالقرآن كما يستمع صاحبُ القينة الى قينته، فأثبت دليل السماع إذ لا يجوز أن يقيس على استماع[1] محرّم، قال: ولهذا الحديث أصل فى الصحيحين أخرجاه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال: "ما أَذِنَ اللهُ

١٠ لشىء ما أَذِنَ[2] لِنبىّ يتغنّى بالقرآن" هذا ما ورد فى السماع.

* * *

وأما ما ورد فى الضرب بالآلة، فمن ذلك ماورد فى الدف. روى عن محمد بن حاطب قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فصل ما بين الحلال والحرام الدُّفّ والصوت فى النكاح". قال الحافظ أبو الفضل رحمه الله تعالى: هذا حديث

١٥ صحيح ألزم أبو الحسن الدارقطنىّ مسلما إخراجه فى الصحيح، وقال: قد روى عنه، يعنى محمد بن حاطب، أبو مالك الأشجعىّ وسِمَاك بن حرب وابن عون ويوسف بن سعد وغيرهم، قال: وأخرج هذا الحديث أبو عبد الرحمن النسائىّ وأبو عبد الله ابن ماجه فى سننهما. وروى الحافظ أبو الفضل بسند رفعه إلى جابر رضى الله عنه

(١) فى الأصل هكذا: «الاستماع محرّم» وهو إما محرف عن «استماع محرم» أو «الاستماع المحرم»

٢٠ بتعريفهما معا أو تنكيرهما معا.

(٢) كذا بالأصل، وفى اللسان: وفى الحديث «ما أذنَ الله لشىء كأَذَنه لنبىّ يتغنّى بالقرآن» قال أبو عبيد: يعنى ما استمع الله لشىء كاستماعه لنبىّ يتغنّى بالقرآن، أى يتلوه يجهر به. اهـ

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت دفّ فقال « ما هذا ؟ » فقيل : فلان تزوج ، فقال : "هذا نكاح ليس بالسِّفاح" وقد ضعّف أبو الفضل إسناد هــذا الحديث، وقال : إنمـا أخرجته على ضعف إسناده لأنه شاهــد الحديث الصحيح المتقدّم. و روى أبو الفضل أيضا بسنده إلى خالد بن ذَكْوان عن الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ  قالت : جاء رسول الله صلى الله عليــه وسلم فدخل عليَّ صبيحةَ بُنِيَ عَلَيَّ[1] فجلس على فراشي كمجلسك منِّي، فجعلت جُوَيْرِياتٌ يَضرِبْنَ بدفٍّ لهنّ ويندُبن مَن قُتِــل من آبائى يوم بدر إلى أن قالت إحداهن : وفينا نبيٌّ يعلم ما فى غد، فقال : "دعِي هذا وقولى الذى كنتِ تقولين قبله"[2] وهــذا حديث صحيح أخرجه البخاريّ قال : وقد رواه حماد بن سلمة عن خالد بن ذكوان أتمّ من هذا قال : كنا بالمدينة يوم عاشوراء وكان الجوارى يضربن بالدّف و يغنّين، فدخلنا على الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ فذكرنا لها ذلك فقالت : دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحةَ عُرْسِى وعندى جاريتان تُغنيان وتندبان آبائى الذين قُتلوا يوم بدر، وتقولان فيما تقولان : وفينا نبيٌّ يعلم ما فى غد، فقال : "أمّا هذا فلا تقولوه لا يعلم ما فى غدٍ إلا اللهُ عز وجلّ". وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر سفرا ، فنذرت جاريةٌ من قريش لئن ردّه الله تعــالى أن تضرب فى بيت عائشة بدفّ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الجارية فقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فلانة ابنة فلان نذرت لئن ردّك الله تعالى أن تضرب فى بيتى بدفّ، قال : "فَلْتَضرِبْ" قال أبو الفضل : وهــذا إسناد مُتّصل ورجاله ثقات . وقد قال رسول الله صــلى الله عليه وسلم : "لا نذر فى معصية الله" فلو كان ضربُ الدفّ معصيةً لأمر بالتكفير عن

(١) كذا بالأصل وفى البخارى : « فدخل حين بُنِيَ عَلَيَّ » .

(٢) كذا بالأصل وفى البخارى : « دعى هذه وقولى بالذى كنت تقولين » .

نذرها أو مَنَعَها من فعله . وروى عن الشعبيّ قال : مرّ عياض الأشعرىّ فى يومِ عيد فقال : مالى لا أراهم يُقَلِّسون فإنه من السنّة ؟ والتقليس : الضرب بالدّف، قاله هُشَيم .

* * *

وأما ما ورد فى اليراع ، فقد آحتجّ بعضهم بحديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وهو ما خرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتانى فى سننه قال : حدّثنا أحمد بن عبد الله الغُدَانىّ ، حدّثنا مسلم ، حدّثنا سَعيد بن عبد العزيز عن سلمان بن موسى عن نافع ، قال : سمع آبن عمر رضى الله عنهما مزمارا فوضع إصبعيه على أذنيه ونأى عن الطريق ، وقال لى : يا نافع هل تسمع شيئا ؟ قلت : لا ، قال : فرفع إصبعيه من أذنيه وقال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع مثل هذا فصنع مثلَ هذا . قال أبو عبد الله اللؤلؤىّ : سمعت أبا داود يقول : هذا الحديث منكر . وقال الحافظ محمد بن طاهر : هذا حديث خرّجه أبو داود فى سننه هكذا وقد أنكره ، وقد ورد من غير هذا الطريق أن آبن عمر رضى الله عنهما سمع راعيا وذكره ، وفساد هذا الحديث من وجهين : أحدهما فساد طريق الإسناد ، فإن سلمان هذا هو الأشدق الدمشقىّ تكلم فيه أهل النقل وتفرّد بهذا الحديث عن نافع ولم يَروه عنه غيرُه ، وقال البخارىّ : سلمانُ بن موسى عنده مناكيرُ . والثانى قول عبد الله بن عمر لنافع رضى الله عنهم : أتسمَعُ ؟ ولو كان ذلك منهيّا عنه لم يأمره بالآستماع ، وقوله : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع مثل هذا فصنع مثل هذا ، ولو كان حراما لنهاه عنه وصرّح بتحريمه ، لأنه الشارع المأمور بالبيان . قالت عائشة رضى الله عنها : عَلَّقتُ على سَهْوة[1] لى سِترًا فيه تصاويرُ فلما رآه

(١) السهوة سترة تكون قدام فناء البيت وربما أحاطت بالبيت شبه سور حول البيت . وقيل هو شبيه بالرف أو الطاق يوضع فيه الشىء . لسان العرب

رسول الله صلى الله عليه وسلم تلوّن وجهه وهَتكه . وسمع النبيُّ صلى الله عليه وسـلم عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه يحلف بآبائه فنهاه عن ذلك . ورأى يزيدَ بنَ طَخْفة مضطجعا على بطنه فنهاه وقال : "هذه ضِجْعة يُبْغِضُها الله عز وجل". وسمع صلى الله عليه وسلم رجلا يلعن ناقته فوقف فقال : " لا يتبعنا ملعون " فنزل عنها وأرسلها .

قال الحافظ المقدسىّ : وتأخيرُ البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بحـال فثبت فساد هذا الحديث إسنادا ومتنا . ٥

* * *

وأما ما ورد فى القصب والأوتار، ويقال له : التغبير، ويقال له : القطقطة أيضا ،ولا فرق بينه وبين الأوتار إذ لم يوجد فى إباحته وتحريمه أثر لا صحيحٌ[1] ولاسقيم ، وإنما آستباح المتقدّمون آستماعه لأنه مما لم يرد الشرع بتحريمه ،وكان أصله الإباحة . ١٠

وأما الأوتار، فالقولُ فيها القولُ فى القصب ،لم يرد الشرع بتحليلها ولا تحريمها ، قال : وكل ما أوردوه فى التحريم فغير ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، ولا خلاف بين أهل المدينة فى إباحة سماعه ،ومن الدليل على إباحته : أن إبراهيم بن سعد آبن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف مع جلالته وفقهه وثقته كان يُفتى بحِله وقد ضرب بالعود ، وسنذكر خبره فى ذلك بعد هذا إن شاء الله تعالى، ولم تسقط عدالته بفعله ١٥ عند أهل العلم فكيف تسقط عدالة المستمع ، وكان يبالغ فى هذا الأمر أتمّ مبالغة ، وقد أجمعت الأئمة على عدالته وآتفق البخارىّ ومسلم على إخراج حديثه فى الصحيح ، وقد عُلِمَ من مذهبه إباحةُ سماع الأوتار . والأئمة الذين رووا عنه أهلُ الحلّ والعقد فى الآفاق إنمـا سمعوا منه ورووا عنه بعد آستماعهم غناءه وعِلمهم أنه يُبيحه ، ومنهم

(١) فى الأصل : " لا صحيحا ولا سقيا " بنصبهما وهو نعت مرفوع . ٢٠

الإمام أحمد بن حنبل، سمع منه ببغداد بعد حلفه أنه لا يحدّث حديثا إلا بعد أن يُغنّى على عود، وذلك أنه لاشك سمع غناءه ثم سمع حديثه، قال: وهذا أمر لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تحليله ولا تحريمه نصّ يُرجع إليه، فكان حكمه كحكم الإباحة وإنما تركه مَن تركه من المتقدّمين تورّعا كما تركوا لُبسَ الليّن وأكلَ الطيّب وشربَ البارد والاجتماعَ بالنسوان الحسان، ومعلوم أن هذا كلّه حلالٌ. وقد ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلَ الضبّ وسئل عنه أحرام هو؟ قال: "لا ولكن لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه" وأُكِلَ على مائدته صلى الله عليه وسلم. وقد روى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه قال: إذا رأيتَ أهلَ المدينة آجتمعوا على شىء فاعلم أنه سنة. وقد روى عن محمد بن سِيرِين رحمه الله أن رجلا قدم المدينة بجَوَارٍ، فنزل على آبن عمر وفيهنّ جارية تضرب بجاء رجل فساومه فلم يهو منهنّ شيئا، فقال: انطلق إلى رجل هو أمثل لك بيعا من هذا، فأتى إلى عبد الله آبن جعفر فعرضهنّ عليه، فأمر جارية قال: خذى، فأخذت العود حتى ظنّ آبن عمر أنه قد نظر الىذلك، فقال آبن عمر: حسبك سائر اليوم من مزمور الشيطان، قال: فبايعه، ثم جاء الرجل إلى آبن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن، إنى غُبنت بسبعمائة درهم فأتى آبن عمر إلى آبن جعفر فقال: إنه قد غُبن بسبعمائة درهم، فإما أن تُعطيها إياه وإما أن تردّ عليه بيعه فقال: بل نعطيها إياه، وهذه الحكاية ذكرها أبو محمد بن حَزْم وآستدلّ بها على إباحته فقال: فهذا عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما قد سمعا الغناء بالعود، وإن كان آبن عمر كره ما ليس من الجِدّ فلم ينه عنه وقد سَفَر[1] فى بيع مغنّية كما ترى ولو كان حراما ما آستجاز ذلك أصلا.

(١) سفر: سعى وتوسط، ومنه السَّفير وهو الرسول المصلح بين القوم. وفى باب البيوع من كتاب المحلى لابن حزم: وسعى فى بيع مغنية.

وأما ما ورد فى المزامير والملاهى، قال الشيخ الإمام الحافظ أبو الفضـل محمـد بن طاهر المقدسىّ : وأما القول فى المزامير والملاهى فقد وردت الأحاديث الصحيحة بجواز آستماعها . فمن ذلك ماروا بسـند رفعـه إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "ما هممتُ بشىء ممـا كان أهل الجاهليّة يفعلونه غير مرّتين كل ذلك يحول الله عز وجلّ بينى وبين ما أريده من ذلك، ثم ما هممتُ بعدها بشىء حتى أكرمنى الله برسالته، فإنى قلت لغـلام من قريش ليلةً وكان يرعى معى فى أعلى مكة : لو أنك أبصرت غنمى حتى أدخل مكة فأَسْمُر بها كما يَسْمُر الشباب؟ قال : افعل، فخرجت أريد ذلك حتى جئت أول دار من ديار مكة سمعت عَزْفًا بالدفوف والمزامير فقلت : ماهذا؟ فقالوا : فلان تزوج فلانة بنت فلان، فجلست أنظر إليهم فضرب الله عز وجل على أُذُنى فنمت فـا أيقظنى إلا مسّ الشمس، فرجعت إلى صاحبى فقال : ماذا فعلت؟ قلت : ما صنعت شيئا ثم خبّرته الخبر [فقال](١) ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك فقال : افعل، فخرجت حتى دخلت مكة فسمعت حين دخلت مكة مثل ماسمعت تلك الليلة فسألت عنه فقالوا : فلان نكح فلانة فجلست أنظر فضرب الله على أذنى فما أيقظنى إلا مسّ الشمس، فخرجت إلى صاحبى فأخبرته الخبر، ثم ماهممت بسوء حتى أكرمنى الله تعالى برسالته". قال الحافظ أبو الفضل : وكان هذا قبل النبوّة والرسالة ونزول الأحكام والفرق بين الحلال والحرام، فإن الشرع لمـا ورد أمره الله تعالى بالإبلاغ والإنذار فأقرّه على ما كان عليه فى الجاهلية ولم يحرّمه كما حرّم غيره، قال : والدليل على أنه باقٍ على الإباحة قول الله عز وجلّ : (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَارَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ) ثم بيّن الدليل على ذلك

(١) هذه الكلمة وردت هكذا بالأصل، وسياق الكلام لا يقتضيها .

بما رواه بسنده إلى جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب قائمـا ، ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائمـا ، يخطب خطبتين ، فكنّ الجوارى إذا أنكحوهنّ يمرّون فيضربون بالدفّ والمزامير فيتسلّلُ الناسُ[1] ويَدَعُونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما ، فعاتبهم الله عز وجل بقوله : (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ٱنْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا) . وقال : هذا حديث صحيح أخرجه مسلم فى كتابه عن عبد الله بن حُمَيد عن خالد بن مَخْلد عن سليمان بن بلال . والله عز وجلّ عطف اللهوَ على التجارة وحُكْمُ المعطوف حُكْمُ ما عطف عليه ، والإجماع على تحليل التجارة ، فثبت أن هـذا الحكم مما أقره الشرع على ما كان عليه فى الجاهلية لأنه غير محتمَل أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم حرّمه ، ثم يُمَرّ به على باب المسجد يوم الجمعة ثم يعاتب الله عز وجل مَن تركَ رسوله صلى الله عليه وسلم قائما ثم خرج ينظر إليه ويستمع ، ولم ينزل فى تحريمه آية ولا سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ، فعلمنا بذلك بقاءه على حاله ، قال : ويزيد ذلك بيانا ووضوحا حديث عائشة رضى الله عنها فى المرأة التى زفّتها وقد تقدّم ذكر الحديث . وروى أيضا بسند رفعه عن زوج دُرّة بنت أبى لَهَب قال : دخل علىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوّجتُ درّة فقال : " هل من لهوٍ ؟ " .

ذكر ما ورد فى توهين ما ٱستدلوا به على تحريم الغناء والسماع

قد ذكر الحافظ أبو الفضل المقدسى رحمه الله تعالى الأحاديث التى ٱستدلوا بها على تحريمه وفسّروا بها الآيات والأحاديث التى ٱستدلوا بها على تحريمه مما قدمنا ذكر ذلك فى حججهم ، ومما لم نذكره ممـا يستدل به على تحريمه وكراهته وضعف رجالها ، وتكلم الإمام أبو حامد الغزالىّ رحمه الله أيضا فى ذلك ووهّن ٱحتجاجهم إذ أثبت الحديث على ما نذكر ذلك .

(١) أى ينطلقون فى ٱستخفاء ، وفى الأصل : " متسلك " وهو تحريف .

قال الحافظ أبو الفضـل : أما ما آحتجوا به من الآيات فى قوله تعـالى : (وَمِنَ ٱلنَّـاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَـدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) الآية . وما أوردوه فى ذلك من الأسانيد إلى عبـد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعبـد الله بن عمر رضى الله عنهـم، فنظرت فى جميعها فلم أر فيها طريقا يثبت إلا واحدا منهـا رواه يوسف بن موسى القطان عن جرير بن عبد الحميد عن عَطَاء ٥ آبن السائب عن سَـعيد بن جُبَير عن آبن عباس رضى الله عنهم فى قوله تعـالى : (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْـتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ) قال : الغناء وأشباهه، وسائرها لا يخلو من رواية ضعيف لا تقوم بروايته حجة، قال: ورأيت فى بعضها رواية عطية العَوْفى عن آبن عباس من حديث غير ثابت أصلا (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ) قال : باطل الحـديث وهو الغناء ونحوه ، وهو أن رجلا من قريش آشترى جارية مغنّية ١٠ فنزلت فيه، قال : وهذا وإن لم يصح عندى الآحتجاج بسندهم فيلزمهم قبوله لأنهم آحتجوا به فيكون فى حق هذا الرجل بعينه . وقد ورد فى الآية تفسير ثالث يلزمهم قبوله على أصلهم، وذكر حديثا رفعه إلى نافع عن آبن عمر رضى الله عنهما : أنه سمع النبىّ صـلى الله عليه وسـلم يقول فى قوله عز وجل : (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ)" اللعب والباطل وتَشِحّ نفسه أن يتصدّق بدرهم" . قال: وهذا أيضا غير ١٥ ثابت عندى وإنمـا أوردت هذين التفسيرين مناقضة لمـا أوردوه فيما تمسّكوا به، قال : ولن أركن إلى هذا أبدا ولا أقنع به ولا أحتجّ عليه ولا ألزمهم إياه، بل أقول صحّ عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما إجماع أهل السنة على أن السنة تقضى على الكتاب، وأن الكتاب لا يقضى على السنة، وقد جاءت السنة الصحيحة : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم آستمع للغناء وأمر باستماعه، وقد أوردنا فى ذلك من الأحاديث ٢٠ ماتقدّم إيراده، قال: وجواب ثانٍ يقال لهؤلاء القوم المحتجّين بهذه التفاسير: هل علم

هؤلاء الصحابة الذين أوردتم أقاويلهم من هــذه الآية ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يعلمه؟ فإن قالوا : لم يعلمه وعلمه هؤلاء، كان جهلا عظيما بل كفرا ؛ وإن قالوا : علمه ، قلنا : نُقِلَ الينا عنه فى تفسير هذه الآية مثلُ ما نُقِلَ عن هؤلاء من الصحابة، وتأخيرُ البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بحال ، ومن المحال أن يكون تفسير قوله عز وجل : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ) هو الغناء، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما كان معكنّ لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهوُ» .

وقال أحمد بن حنبل رحمــه الله : ثلاثة ليس لهـا أصل : المغازى، والملاحم، والتفســير .

وقال أبو حاتم محمد بن حسان فى كتاب الضعفاء : الله عز وجل يؤتى رسوله صلى الله عليه وسلم تفسير كلامه وتأويل ما أنزل عليه حيث قال : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) ومن المحُلّ المحال أن يأمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يبيّن لخلقه مراده حيث جعله موضع الإبانة عن كلامه ومفسّرا لهم حتى يفهموا مراد الله عز وجلّ، فلا يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل أبان مراد الله عز وجلّ من الآى وفسّر لأمّته ما تهمّ الحاجة إليه، وبيّن سنّته صلى الله عليه وسلم، فمن تَتَبَّع السنن وحفظها وأحكمها فقد عرف تفسير كتاب الله عز وجلّ وأغناه الله تعالى عن الكلبيّ وذويه ، وما لم يبيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمّته فى معانى الآى التى أنزلت عليه مع أمر الله عز وجل له بذلك وجاز ذلك كان لمن بعده من أمته أجوز ، وترك التفسير لمـا تركه رسول الله صلى الله عليــه وسلم أحرى، قال : ومن أعظم الدلائل على أن الله تعالى لم يرد بقوله : (لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) القرآن كله أن النبيّ صلى الله عليــه وسلم نزل عليه من الكتاب متشابه من الآى ، فالآيات

التى ليس فيها أحكام لم يبين كيفيتها لأمته ، فلما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم دلّ ذلك على أن المراد من قوله تعالى: (لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) كان بعض القرآن لا الكل .

وقال الإمام أبو حامد الغزالىّ رحمه الله فى هذه الآية : وأما شراء لهو الحديث بالدين آستبدالا به ليضــلّ به عن سبيل الله فهو حرام مذموم ، وليس النزاع فيه ، وليس كل غناء بدلا عن الدين مشــترًى به ومُضِــلًّا عن سبيل الله وهو المراد فى الآية ، ولو قرأ القرآن : (ليضل به عن سبيل الله) لكان حراما . حكى عن بعض المنافقين : أنه كان يؤمّ الناس ولا يقرأ إلا سورة "عَبَسَ" لمـا فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهمّ عمر بقتله [ورأى فعله حراما لمـا فيه من الإضلال،][1] فالإضلال بالشعر والغناء أولى بالتحريم .

وقال الثعلبىّ فى أحد أقواله عن تفسير هذه الآية عن الكلبىّ ومُقاتِل : نزلت فى النَّضْر آبن الحارث بن عَلْقمة بن كَلَدَة بن عبد الدار بن قُصَىّ ، كان يتّجر فيخرج إلى فارس فيشترى أخبار الأعاجم فيرويها ويُحدِّث بها قريشا ويقول: إن محمدا يحدّثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدّثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون آستماع القرآن. وآحتجوا بقوله تعالى: (أَفَمِنْ هَذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ)[2] قال آبن عباس : هو الغناء بلغة حمير، يعنى — السامد — قال الغزالىّ رحمـه الله : فنقول ينبغى أن يحـرم الضحك وعدم البكاء أيضا ، لأن الآية تشتمل عليه ، فإن قيل : إن ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لإسلامهم فهذا أيضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم فى معرض الآستهزاء بالمسلمين كما قال تعالى:

(١) الزيادة المحصورة بين مربعين ناقصة من الأصول التى بين أيدينا ونقلناها عن كتاب الإحياء .

(٢) عبارة اللسان فى معرض تفسير هذه الآية : وروى عن ابن عباس أنه قال : السمود الغناء بلغة حمير .

(وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ) وأراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم
الشعر فى نفسه. وآحتجوا بقوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ). قال الثعلبىّ:
قال الحسن: عن المعاصى، وقال آبن عباس: الحلفُ الكاذب، وقال مُقاتِل:
الشتم والأذى، وقال غيرهم: مالا يحلّ من القول والفعل، قال: وقيل اللغو الذى
لا فائدة فيه. وآحتجوا بقوله تعالى: (وَإِذَا سَمِعُوا ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ). قال الثعلبىّ:
أى القبيح من القول، وبقوله تعالى: (وَإِذَا مَرُّوا بِٱللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا). قال مقاتل: إذا
سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا، وبقوله: (وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ
مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ). قال آبن عباس ومُجاهد وقَتَادَة: بدعائك إلى معصية الله تعالى،
وكل داع إلى معصية الله تعالى فهو من جنود إبليس. وأما ما آحتجوا به من
الحديث فإنهم آحتجوا بحديث روى عن أبى أُمامة الباهلىّ رضى الله عنه أن النبىّ
صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحلّ بيع المغنّيات ولا شراؤهنّ ولا تحلّ التجارة فيهنّ
وأثمانهن حرام والآستماع إليهنّ حرام»، قال الحافظ أبو الفضل المقدسىّ رحمه الله:
هذا حديث رواه عُبَيد الله بن زَحْر عن علىّ بن يزيد عن القاسم عن أبى أُمامة، قال:
والصحابة كلهم عدول، وأما عُبَيد الله بن زَحْر وعلىّ والقاسم فهم فى الرواية سواء
لا يُحتجّ بحديث واحد منهم إذا آنفرد بالرواية عن ثقة فكيف إذا روى عن مثله،
أما عبيد الله بن زحر فيقال: إنه من أهل مصر، قال أبو مُسْهِر الغسّانى: عبيد الله
آبن زحر صاحب كل معضلة ليس على حديثه آعتماد. وقال عثمان بن سَعِيد الدارمىّ:
قلت ليَحيَي بن مَعِين: عبيد الله بن زحر كيف حديثه؟ قال: كل حديثه ضعيف،
قلت: عن علىّ بن يزيد وغيره؟ قال: نعم. وقال عباس الدُّورِىّ عن يحيى: عبيد الله
آبن زحر ليس بشىء. وقال أبو حاتم فى كتاب الضعفاء والمتروكين: عبيد الله بن زحر
منكر الحديث جدّا، روى الموضوعات عن الثقات، وإذا روى عن علىّ بن يزيد

أتى بالظلمـات ، وإذا آجتمع فى إسـناد عبيدُ الله بن زحر وعلىٌّ بن يزيدَ والقاسمُ
آبن عبد الرحمن لا يكون متنُ ذلك الحديث إلا مما عملت أيديهم فلا يحل الآحتجاج
بهذه الصحيفة . قال المقدسىّ : وهـذا الحديث قد آجتمعوا فى إسناده، قال :
وأما علىّ بن يزيد فهو من أهل دمشق يكنى بأبى عبد الملك روى عن القاسم، قال
النسائىّ فى كتاب الضعفاء : علىّ بن يزيد متروك الحديث، وقال أبو عبدالرحمن بن ٥
حبّان: على بن يزيد مطروح منكر الحديث جدّا . وأما القاسم بن عبد الرحمن ويكنى
بأبى عبد الرحمن فقال يحيى بن معين : القاسم بن عبد الرحمن لايَسْوَى شيئا ، وقال
أحمد بن حنبل ، وذكر القاسم مولى يزيد بن معاوية فقال : منكر الحديث، وقال :
أبو حاتم بن حبّان : القاسم يروى عنـه أهل الشام ، كان يروى عن الصحابة
المعضلات ويأتى عن الثقات بالأسانيد المقلوبات، حتى كان يسبق إلى القلب أنه ١٠
المعتمِدُ لهـا . قال المقدسىّ : فهـذا شرح أحوال رواة الحديث الذى آحتجوا به
فى التحريم، هل تجوز روايته كما ذكره الأئمة حتى يستدلّ به فى التحليل والتحريم؟
وآحتجوا بما روى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أمرنى ربى عزّ وجلّ
بنفى الطنبور والمزمار» وهو حديث رواه إبراهيم بن اليَسَع بن الأشعث المكىّ
وإسماعيل بن هشام بن عُرْوة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها ، وإبراهيم هذا — قال ١٥
البخارى — منكر الحديث، وقال النسائىّ : المكىّ ضعيف . وآحتجوا بما روى عن
علىّ رضى الله عنه أنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب الدفّ،
ولعب الصَّنْج ،وصوت الزمارة وهو حديث رواه عبد الله بن ميمون عن مَطَر بن سالم
عن علىّ قال : وعبـد الله هو القداح ذاهب الحديث، ومَطَر هـذا شبه المجهول .
وآحتجوا بمـا روى عن علىّ رضى الله عنه أنه قال : نهانى رسول الله صلى الله عليه ٢٠
وسلم عن المغنّيات والنوّاحات وعن شرائهنّ وبيعهنّ والتجارة فيهنّ وقال : "كسبهنّ

حرام“ . قال : وهذا حديث رواه علىّ بن يزيد الصُّدَائى عن الحارث بن نَبْهان عن أبى إسحاق السَّبِيعِىّ عن الحارث عن علىّ رضى الله عنه قال : والحارث بن نَبْهان ليس بشىء ولا يُكتبُ حديثه ، قاله يحيى بن مَعِين . وقال البخارىّ : الحارث منكر الحديث . وقال أحمد بن حنبل : الحارث رجل صالح ولم يكن يَعرِفُ الحديثَ ولا يحفظ ، منكر الحديث . وقال النسائىّ : الحارث بن نبهان متروك الحديث لم يروه عن أبى إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعىّ وغيره ولا رواه عنه غير علىّ بن يزيد الصدائى ، وعلىّ هذا قال أحمد بن عدىّ : أحاديثه لا تُشبه أحاديثَ الثقات ، والحارث الذى روى عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : هو الحارث بن عبد الله أبو زهير الخاربجىّ[1] الأعور ، أجمع أهل النقل على كذبه ، والحمل فى هذا الحديث على الحارث بن نبهان وإن كان فى الإسناد من الضعفاء غيره . وٱحتجوا بما روى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : ”صوتان ملعونان فى الدنيا والآخرة : صَوتُ مِزمارٍ عند نعمة وصَوتُ نُدبة عند مصيبة“ وهذا حديث رواه محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ٱبن عباس رضى الله عنهما ، ومحمد بن زياد هذا هو الطحّان اليَشْكُرِىّ . قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبى عنه فقال : أعور كذاب خبيث يضع الحديث . وقال يحيى بن معين : أجمع الناس على طرح هؤلاء النفر لا يُعتدّ بهم ، منهم محمد بن زياد . وكان أبو يوسف الصيدلانىّ يقول : قدم محمد ٱبن زياد الرَّقّة بعد موت ميمون بن مهران . وٱحتجوا بما روى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : أنه ذكر خسفا ومسخا وقذفا يكون فى هذه الأمة ، قالوا : يا رسول الله إنهم يقولون : لا إله إلا الله ، قال : ”نعم إذا أَظْهَروا النَّردَ ، والمعازِفَ ، وشربَ

---

(١) كذا بالأصل وهو خطأ ، وصوابه : أبو زهير الخارفىّ بكسر الراء وبعدها فاء ، نسبة الى خارف بطن من همدان . كما ذكر فى أنساب السمعانىّ وفى تهذيب التهذيب لأبن حجر العسقلانى .

الخمور، ولبسَ الحرير" قال : وهذا حديث رواه عثمان بن مَطَر عن عبد الغفور عن عبد العزيز بن سَعيد عن أبيــه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســلم . قال : وعثمان هو الشيبانى من أهل البصرة وكان ضريرا . قال يحى بن معين : ليس بشىء . وقال البخارى : متروك الحديث . وآحتجوا بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بعثنى ربى عز وجل بمحق المزامير والمعازف والأوثان التى كانت تُعبَــدُ ٥ فى الجاهلية والخمر، وأقسم ربى عز وجل بعزته أن لا يشربها عبد فى الدنيا» الحديث . قال : وهذا حديث رواه محمد بن الفُرات عن أبى إسحاق السبيعى عن الحارث الأعور عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، ومحمد بن الفرات هذا من أهل الكوفة . قال أبو بكر بن أبى شَيْبة : هذا شيخ كذاب . وقال يحيي بن معين : ليس بشىء . وقال النسائىّ : متروك، وقد تقدم ذكر السبيعى والحارث الأعور ومضى الكلام عليه . ١٠ وآحتجوا بما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه مسندا : "إن الغِناءَ يُنبِتُ النفاقَ فى القلب " وهو حديث عبد الرحمن بن عبد الله العُمَرى آبن أخى عُبَيد الله بن عمر عن أبيــه عن سَعيد بن أبى سَعِيد المَقْبُرِى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم . وعبد الرحمن هذا قال أحمد بن حنبل : ليس يَسْوَى حديثه شيئا، سمعت منه ثم تركناه، وكان وَلِىَ قضاء المدينة، أحاديثــه مناكير، وكان كذابا . قال النسائى : ١٥ وهو متروك الحديث . وآحتجوا بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَن آستمعَ إلى قِيَانٍ صُبَّ فى أذنيه الآنُك»[1] وهو حديث رواه أبو نُعَيم الحلبى عن عبد الله بن المنذر عن مالك عن محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك . وأبو نعيم آسمه

(١) الآنُك : الرَّصاص، ولم يجئ على أفْعُل مفردا غير هذا .

عُبَيد بن محمد[1] من أهل حلب ضعيف ولم يبلُغ[2] عن آبن المبارك. مرسل . وآحتجوا بمـا روى عن النبيّ صلى الله عليـه وسلم أنه قال : « لعن الله النـائحة والمُسْـمِعةَ والمغنِّى والمغنَّى له » وهو حديث رواه عمرو بن يزيد المدائنيّ عن الحسن البصريّ عن أبى هريرة، وعمرو هذا قال أبو أحمد[3] بن عدى : منكر الحديث، والحسن لم يسمع من أبى هريرة شيئا، وقال آبن عدىّ : هذا الحديث غير محفوظ . وآحتجوا بمـا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « النظرُ إلى المغنيّة حرام وغِناؤها حرام وثمنها حرام » وهو حديث يزيد بن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل النوفليّ المَدَنى[4] عن يزيد بن خُصَيفة عن السائب بن يزيد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنـه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. و يزيد الأوّل قال النسائى : متروك الحديث . وقال أحمد بن حنبل : عنـده مناكير . وقال يحيى بن معين : يزيد بن عبد الملك ليس بذاك . وآحتجوا بمـا روى عن علىّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا عملت أمتى خمسَ عشرةَ خَصلة حلّ فيها البلاء » وذكرها وقال فى جملتها : «وآتخذت القيانَ والمعازفَ» ، وهوحديث رواه فرج بن فَضالة الشيبانىّ من أهل حِمْص عن يحيى بن سعيد الأنصارىّ عن محمد بن علىّ عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه . قال عبد الرحمن بن مهدى : أحاديث الفرج عن يحيى بن سعيد منكرة.

(١) كذا فى الأصل . وفى تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب وتذهيب التهذيب : عبيد بن هشام .

(٢) فى تهذيب التهذيب : أن أبا نعيم حدث عن ابن المبارك عن مالك بن أنس أحاديث لا يتابع عليها ثم قال بعـد أن أورد الحديث المروى عنه بالأصـل : قال الدارقطنى تفرد به أبو نعيم ولا يثبت عن مالك ولا عن ابن المنكدر .

(٣) العبارة المذكورة هنا فى تجريح عمرو بن يزيد حكاها المرتضى فى شرح الإحياء عن ابن عدى فلعل اسم أبى أحمد الذى هو كنية الحاكم وقع سهوا ولم نجد فى كتب التراجم أنّ ابن عدىّ يكنّى أبا أحمد .

(٤) كذا فى تهذيب التهذيب لأبن حجر . وفى الأصل : المديني .

وقال يحيى بن معين : فرج ضعيف. وقال أبو حاتم بن حبّان [(١)] : فرج بن فَضالة كان يَقلِبُ الأحاديث الصحيحة ويلصق المتونَ الواهيـةَ بالأسانيد الصحيحة ، لا يحلّ الاحتجاج به . واحتجوا بحديث جابر رضى الله عنـه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيـد عبد الرحمن فذكر حديثا قال فيـه : « نُهيتُ عن صوتين أحمقين فاجرين صوتٍ عند مصيبة وصوتٍ عنـد نعمة لعب ولهو ومزامير الشيطان » ٥

وهذا حديث رواه محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن عطاء عن جابر، وأنكر عليـه هذا الحديث وضعف لأجله. قال أبو حاتم بن حبّان [(١)] : كان ردىء الحفظ كثير الوهم فاحش الخطأ يروى الشىء على وجه الوهم ويسـتحق الترك، وتركه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين . واحتجوا بأنه صلى الله عليـه وسلم سمع صوتا فقـال « انظروا مَن هذا» فنظرتُ فإذا معاوية وعمرو يتغنّيان . الحديث ، وفيه : « اللهمّ اركُسْهما ١٠ فى الفتنة رَكْسا» وهو حديث رواه يزيد [(٢)] بن أبى زياد عن سليمان عن عمرو بن الأحوص عن أبى بَرْزة الأسلمى. ويزيد هذا من أهل الكوفة، وكان الكَذَبة يلقّنونه على وَفْق



اعتقادهم فيتلقّاها ويحدّث بهـا ضَعفَةَ أهل النقل ، وقد روى هـذا الحديث من طريق آخر ليس فيه معاوية هذا، وأنه ابن التابوت [(٣)] . قال المقدسىّ: ولم يصح عن النبىّ صلى الله عليـه وسلم أنه ذكر أحدا من أصحابه إلا بخير . واحتجوا بما روى ١٥ عن أبى سَعيد الخُدرِىّ رضى الله عنه، رفع الحديث ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يكون فى آخر هذه الأمة خَسفٌ ومَسْخٌ وقَذْفٌ فى متّخِذى القِيانَ وشاربى

---

(١) العبارتان المذكورتان هنا فى تجريح فرج بن فضالة وفى تجريح ابن أبى ليلى حكاهما شارح الاحياء عن ابن حبان فلعـل ذكر أبى حاتم وقع هنا سهوا ولكن قال المرتضى فى صـدد الكلام عن فرج بن فضالة "وقال أبو حاتم لا يحل الاحتجاج به" . ٢٠

(٢) فى الأصل : زياد . وهو تحريف والتصويب عن تهذيب التهذيب .

(٣) كذا بالأصل ولم نعثر عليه فيما بين أيدينا من كتب التراجم .

الخمور ولابسي الحرير» وهو حديث رواه زياد[1] بن أبي زياد الجَصّاص عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه، وزياد[1] هذا متروك الحديث. وآحتجوا بحديث روى عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات وله قَيْنَةٌ فلا تصلّوا عليه» وهو حديث روى بإسناد مجهول عن خارجة بن مصعب عن داود بن أبي هنـد عن الشعبيّ عن عليّ، وخارجة متروك الحديث من أهل سرخس. وآحتجوا بما روى عبد الرحمن بن الجنديّ قال، قال عبد الله بن بشر صاحب النبيّ صلى الله عليه وسلم: يابن الجنديّ، فقلت: لبيك يا أبا صفوان، قال: والله ليُمسَخَنّ قوم وإنهم لفي شرب الخمور وضرب المعازف حتى يكونوا قردة أو خنازير. والحديث موقوف وآبن الجندى مجهول، والنبيّ صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن لا يعذب أمته بما عذب به الأمم قبلها فأعطاه ذلك. وآحتجوا بما روى عن أبي أمامة رضي الله عنه وقد تقدّم بعضه، وفيه زيادة أخرى أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَحِلّ بيع المغنّيات ولا شراؤهن ولا الجلوسُ إليهن» ثم قال: «والذى نفسي بيده مارَفع رجلٌ عَقِيرتَه بغناءٍ إلا آرتدفَ على ذلك[2] جلُوسُ شيطانٍ على عاتقه هذا وشيطانٍ على عاتقه هذا حتى يسكتَ» وهذا حديث قد تقدّم أوله من حديث عُبيد الله بن زَحْرٍ، وهذه الزيادة من رواية مَسْلَمَةَ بن عليّ الدمشقيّ عن يحيى بن الحارث عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة. ومسلمة هـذا، قال آبن معين: ليس بشيء. وقال البخاريّ: منكر الحـديث. وقد تقدّم القول في القاسم بن عبد الرحمن. وآحتجوا بحديث روى عن عبد الله بن مسـعود من رواية سَلّامِ بن مِسكين قال: حدّثني شيخٌ سمعَ أبا وائل يقول: سمعت ابن مسعود

---

(١) في الأصل: يزيد والتصويب عن تهذيب التهذيب.

(٢) كذا في الأصل بزيادة "جلوس" وفي شرح الإحياء للرتضى: إلا آرتدف على ذلك شيطان الخ.

يقول : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : «الغِناءُ يُنبِتُ النفاقَ فى القلب» هكذا رواه سَلَّامٌ عن شيخ مجهول لا يُعرفُ . ورواه جرير بن عبد الحميد عن ليث آبن أبى سليم عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود وقوله[1] ، ولم يذكر النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ورواه الثقات عن شعبة بن الحجاج عن مغيرة عن إبراهيم ، قوله[1] ، ولم يذكر أحدا تقدمه فيه وهذا أصح الأقاويل[2] فيه من قول إبراهيم . قال الغزالى رحمه الله تعالى : قول آبن مسعود : ينبت النفاق ، أراد به فى حق المغنى فإنه فى حقه ينبت النفاق إذ غرضه كله أن يعرض نفسه على غيره ويروّج صوته عليه ، ولا يزال ينافق ويتودّد إلى الناس ليرغبوا فى غنائه ، وذلك أيضا لا يوجب تحريما ، فإن لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المُهَمْلَجة وسائر أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والأنعام والزرع يُنبِت الرياءَ والنفاقَ فى القلب ولا يُطلقُ القول بتحريم ذلك كله ، فليس السبب فى ظهور النفاق فى القلب المعاصى فقط ، بل المباحاتُ التى هى مواقع نظر الخلق أكثرُ تأثيرا ، ولذلك نزل آبن عمر رضى الله عنهما عن فرس هَملجَ تحته وقطع ذنبه لأنه آستشعر فى نفسه الخيلاء لحسن مِشْيَته ، فهذا النفاق من المباحات . وآحتجوا بحديث روى عن صفوان بن أمية قال : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه عمرو بن قُرَّةَ فقال : يانبيّ الله ، إن الله عز وجل كتب علىّ الشِّقوةَ ولا أرانِى أُرْزَقُ ، إلّا مِنْ دُفِّى[3] بكفى أفتأذن لى فى الغناء من غير فاحشة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا إذنَ ولا كرامةَ ولا نُعْمَةَ " وذكر حديثا طويلا ، وهو حديث رواه عبدالرزاق بن همّام الصَّنْعانى عن يحيى بن العَلاء

(١) كذا فى الأصول . ولعل الأصل : من قوله .

(٢) فى نسخة : الأسانيد .

(٣) فى الأصل : «إلادفى» . والتصويب عن شرح الاحياء للسيد المرتضى .

عن بشر بن نُمَير عن مكحول، قال: حدثنى يزيد بن عبد الملك عن صفوان بن أمية.
ويحيى بن العلاء هذا مدنىّ الأصل رازىّ. قال يحيى بن معين: يكنى أبا عمرو، ليس
بثقة. وقال عمرو بن على الصيرفىّ: يحيى بن العلاء متروك الحديث والله أعلم.
وٱحتجوا بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن ثمن الكلب وكسب
٥ الزمّارة، وهو حديث نقله سليمان بن أبى سليمان الداوودى البصرىّ عن محمد بن بشر
عن أبى هريرة، وسليمان هذا متروك الحديث غير ثقة. وٱحتجوا بقول عثمان
رضى الله عنه: ما تغنيتُ ولا تمنيتُ ولا مسستُ ذكرى بيمينى منذ بايعتُ النبىَّ
صلى الله عليه وسلم. وهذا حديث رواه صقر بن عبد الرحمن عن أبيه عن مالك
ابن مِغْوَلٍ عن عبد الله بن إدريس عن المختار بن فُلْفُلٍ عن أنس بن مالك فى حديث
١٠ القفف والصيد. قال المقدسى: هذا حديث لم أر فيه تحاملا، ورأيته ذكر من هذا
أشياء لم يأت بها غيره تُوجبُ تركَ حديثه والله أعلم. وقال الغزالى رحمه الله تعالى
وذكر هذا الحديث: قلنا فليكن التمنى ومس الذكر باليمين حراما إن كان هذا دليلَ
تحريم الغناء، فمن أين ثبت أن عثمان كان لايترك إلا الحرام؟. قال الحافظ أبو الفضل
المقدسى رحمه الله تعالى: فهذه الأحاديث وأمثالها ٱحتج بها من أنكر السماع جهلا
١٥ منهم بصناعة علم الحديث ومعرفته، فترى الواحدَ منهم إذا رأى حديثا مكتوبا
فى كتاب جعله لنفسه مذهبا وٱحتج به على مخالفه، وهذا غلط عظيم بل جهل جسيم.
هذا ملخص ما أورده رحمه الله تعالى وفيه من الزيادات ما هو منسوب إلى الثعلبىّ
والغزالىّ على ما بيّناه فى مواضعه.

وقد تكلم الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى رحمه الله تعالى
٢٠ على السماع فى كتابه المترجم بـ«إحياء علوم الدين»، وبيّن دليل الإباحة وذكر بعد ذلك
آداب السماع وآثاره فى القلب والجوارح فقال:

اعلم أن السماع هو أول الأمر، ويثمر السماع حالةً فى القلب تسمَّى الوجد، ويثمر الوجد تحريك الأطراف، إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب، وإمّا موزونة فتسمى التصفيق والرقص، ثم بدأ بحكم السماع وبين الدليل على إباحته ثم ذكر ما تمسّك به القائلون بتحريمه وأجاب عن ذلك بما نذكره أو مختصره إن شاء الله تعالى . قال رحمه الله تعالى : نقل أبو طالب المكىّ إباحة السماع عن جماعة وقال : سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر، وابن الزبير، والمغيرة بن شعبة، ومعاوية وغيرهم، وقد فعل ذلك كثير من السلف صحابىّ وتابعىّ . قال : ولم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماعَ فى أفضل أيام السنة وهى الأيام المعدودات التى أمر الله عز وجل عباده فيها بذكره كأيام التشريق، ولم يزل أهل المدينة ومكة مواظبين على السماع إلى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضى وله جوارٍ يُسْمِعْنَ التلحينَ قد أعدّهنّ للصوفية . قال : وكان لعطاء جاريتان تُلَحِّنانِ وكان إخوانه يستمعون إليهما . قال : وقيل لأبى الحسن بن سالم : كيف تُنكر السماعَ وقد كان الجنيد وسرىّ السَّقَطىّ وذو النون يسمعون! فقال : كيف أُنكِرُ السماعَ وأجازه وسمعه مَنْ هو خير منّى، وقد كان عبد الله بن جعفر الطيّار يسمع وإنما أُنكِرُ اللَّهوَ واللَّعِبَ فى السماع .

وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال : فقدنا ثلاثة أشياء فلا نراها ولا أراها تزداد إلا قِلّة : حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الديانة، وحسن الإخاء مع الوفاء . قال الغزالىّ : ورأيت فى بعض الكتب هذا بعينه محكيا عن المحاسبىّ وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجِدّه فى الدين وتشمره .

وحكى عن مِمْشاد الدِّينَوَرِىّ أنه قال : رأيت النبىّ صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت : يارسول الله، هل تنكر من هذا السماع شيئا ؟ فقال : " ما أنكر منه شيئا

ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختتمون بعده بالقرآن" . قال الغزالى : وعن ابن جُرَيج أنه كان يرخص فى السماع فقيل له : تقدّمه يوم القيامة فى جملة حسناتك أو سيئاتك ؟ فقال : لا فى الحسنات ولا فى السيئات لأنه شبيه باللغو، قال الله تعالى : (لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَانِكُمْ)؛ ثم بيّن الغزالىّ رحمه الله الدليل على إباحة السماع فقال : اعلم أن قول القائل : السماع حرام ، معناه أن الله تعالى يعاقب عليه وهذا أمر لا يُعرَف بمجرّد العقل بل بالسمع، ومعرفة الشرعيات محصورة فى النص أو القياس على المنصوص . قال : وأعنى بالنص ما أظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله أو فعله ، وبالقياس المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله ، فإن لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطَل القولُ بتحريمه ويبقى فعلا لا حرج فيه كسائر المباحات ، ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس قال : وقد دلّ القياس والنص جميعا على إباحة السماع .

أما القياس فهو أن الغناء اجتمع فيه معانٍ ينبغى أن يُبحَثَ عن أفرادها ثم عن مجموعها ، فإن فيه سماعَ صوتٍ طيبٍ موزون مفهوم المعنى محرِّكٍ للقلب، فالوصف الأعمّ أنه صوتٌ طيّب ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره، والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وأصوات سائر الحيوانات. أما سماعُ الصّوتِ الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغى أن يُحرّمَ بل هو حلال بالنص والقياس. أمّا القياس فإنه يَرجِعُ إلى تلذّذ حاسة السمع بإدراك ما هو مخصوص به، وللإنسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة إدراك، وفى مُدركَات تلك الحاسة ما يُستلذّ ، فلذة البصر فى المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجارى والوجه الحسن وسائر الألوان الجميلة وهى فى مقابلة ما يُكره من الألوان الكدرة القبيحة، وللشمّ الروائح الطيبة وهى فى مقابلة الأنتان المستكرهة . وللذّوق الطعوم اللذيذة كالدُّسُومة والحلاوة

والحُموضة وهى فى مقابلة المرارة والمَزَازة المستبشعة ، وللّس لذة اللين والنعومة والملاسة وهى فى مقابلة الخشونة والضَّرَاسة ، وللعقل لذة العلم والمعرفة وهى فى مقابلة الجهل والبلادة . فكذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلّذة كصوت العنادل والمزامير، ومستكرهة كنهيق الحُمُر وغيرها ، فما أظهَر قياسَ هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها . ٥

وأمّا النص فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله على عباده به إذ قال تعالى : (يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَاءُ) فقيل : هو حسن الصوت . وفى الحديث : «ما بعث الله نبيا إلا حسنَ الصوت» . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَلَّهُ أشدُّ أَذَنًا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القَيْنةِ إلى قَينَته» وفى الحديث فى معرض المدح لداود عليه السلام : «أنه كان حسنَ الصوت فى النياحة على نفسه ١٠ وفى تلاوة الزبُور حتى كان يجتمع الإنس والجنّ والوحش والطير لسماع صوته ،وكان يُحمَل من مجلسه أربعمائة جنازة وما يقرب من ذلك فى الأوقات » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مدح أبى موسى الأشعرىّ : « لقد أُعطى مزمارا من مزامير آل داود» . وقوله تعالى: (إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ) يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ، ولو جاز أن يقال : إنما أُبيحَ ذلك بشرط أن يكون ١٥ فى القرآن للزمه أن يُحرّمَ سماعَ صوت العندليب لأنه ليس بقرآن ، وإذا جاز سماعُ صوتٍ غُفْلٍ لا معنى له فلم لايجوز سماعُ صوتٍ يُفهمُ منه الحكمةُ والمعانى الصحيحةُ؟ وإن من الشعر لحكمة . قال : فهذا نظر فى الصوت من حيث إنه طيّبٌ حسن .

الدرجة الثانية : النظر فى الصوت الطيب الموزون فإن الوزن وراء الحسن ، فكم من صوت حسن خارجٌ عن الوزن ، وكم من صوت موزون غيرُ مستطاب . ٢٠

والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة : فإنها إما أن تكون من جماد كصوت المزامير والأوتار وضرب القضيب والطبل وغيره؛ وإما أن تخرج من حنجرة حيوان، وذلك الحيوان إما إنسانٌ وإما غيره . فصوتُ العنادل والقمارى وذوات السجع من الطيور مع طيبها موزونةٌ متناسبةُ المَطالع والمَقاطع فلذلك يُستلذّ سماعُها . والأصل في الأصوات حناجر الحيوانات، وإنما وضعت المزامير على صورة[١] الحناجر وهى تشبيه الصَّنعة بالخِلْقة، وما من شيء توصّل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال فى الخلقة التى آستأثر الله تعالى باختراعها، منه تعلّم الصُّنّاع وبه قصدوا الأقتداء، فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يَحْرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذاهب إلى تحريم صوت العندليب وسائر الطيور، ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان، فينبغى أن يقاس على صوت العندليب الأصواتُ الخارجة من سائر الأجسام باختيار الآدمىّ كالذى يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدّف وغيره، ولا يستثنى من هذا إلا الملاهى والأوتار والمزامير، إذ ورد الشرع بالمنع منها لا للذتها إذ لو كان للذة لقيس عليها كلّ ما يلتذّ به الإنسان ولكن حرمت الخمور وآقتضت ضراوة[٢] الناس بها المبالغة فى الفطام عنها حتى آنتهى الأمر فى الأبتداء الى كسر الدنان، فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهى الأوتار والمزامير فقط، وكان تحريمه من قبيل الإتباع كما حرمت الخلوة[٣] لأنها مقدّمة الجماع، وحرم النظر الى الفخذ لآتصاله بالسوأتين، وحرم قليل الخمر وإن كان لا يُسْكِرُ لأنه يدعو إلى المسكر، وما من حرام إلا وله حرم يُطِيفُ به، وحكم الحرمة ينسحب على حريمه

(١) وفى نسخة مطبوعة من الاحياء : على صوت. وزاد شارحه : وفى نسخة على صور .

(٢) الضراوة : الأعتياد لها والاجتراء عليها .

(٣) كذا بالأصل، وفى إحياء الغزالىّ : الخلوة بالأجنبية .

ليكون حِمًى للحرام ووِقايةً له وحِظَارًا مانعا حوله كما قال صلى الله عليـه وسلم : « إن لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى و إنّ حِمَى الله مَحَارِمُهُ » فهى محرّمة تبعا لتحريم الخمر .

الدرجة الثالثة : الموزون المفهوم وهو الشعر، وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الإنسان فَيُقْطَعُ بإباحة ذلك لأنه ما زاد إلا كونه مفهوما ، والكلام المفهـومُ غيرُ حرام، والصوت الطيب الموزون غيرُ حرام، فإذا لم يحرم الآحادُ، فمن أين يَحرُم المجموعُ ؟ نعم يُنظر فيما يُفهم منه ، فإن كان فيه أمر محظور حَرُم نثره ونظمُه وحَرُم التصوّتُ به سـواء كان بألحان أو لم يكن . والحق فيه ما قال الشافعىّ رحمـه الله إذ قال : الشعرُ كلامٌ فحَسَنه حسنٌ وقبيحُه قبيح ، ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت وألحان جاز مع الألحان، فإن أفراد المباحات إذا آجتمعت كان مباحا، ومهما آنضم مباح الى مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموعُ محظورا لا تتضمنه الآحاد، ولا محذور ههنا، وكيف يُنكر إنشادُ الشعر وقد أُنشد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال صلى الله عليه وسلم : « إنّ مِنَ الشِّعرِ لَحِكْمَةً » وساق رحمه الله فى هذا الموضع الأحاديث الصحيحة التى تضمنت إنشادَ الشعر والحُدَاء به وهى أشهر من أن يُحتاجَ إلى سردها . ثم قال بعد سياق الأحاديث : ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب فى زمان سيدنا رسول الله صلى الله عليـه وسلم وزمان الصحابة ، وما هو إلا أشعار تُؤدّى بأصواتٍ طيّبة وألحانٍ موزونةٍ ، ولم يُنقلْ عن أحد من الصحابة إنكارُه ، بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمـال وتارة للآستلذاذ، فلا يجوز أن يُحَرَّم من حيث إنه كلام مفهوم مؤدّى بأصواتٍ طيبة وألحانٍ موزونةٍ .



الدرجة الرابعة : النظر فيه من حيث إنه محرّك للقلب ومُهيِّج لمـا هو الغالب عليه، قال أبو حامد : فأقول : للهِ سبحانه وتعالى سرٌّ فى مناسبة النغمات الموزونة للأرواح

حتى إنها لتؤثر فيها تأثيرا عجيبا : فمن الأصوات ما يُفرِحُ، ومنها ما يُحزِنُ ، ومنها ما يُنَوِّم ، ومنها ما يُضحِكُ ويُطرِبُ ، ومنها ما يَستخرِجُ من الأعضاء حركاتٍ على وزنها باليد والرجل والرأس ، ولا ينبغى أن يُظنّ أن ذلك لفهم معانى الشعر بل هذا جارٍ فى الأوتار حتى قيل : من لم يُحركه الربيعُ وأزهاره والعود وأوتاره فهو
٥ فاسد المِزَاج ليس له علاج، وكيف يكون ذلك بفهم المعنى وتأثيرُه مشاهدٌ فى الصبىّ فى مهده، فإنه يسكته الصوتُ الطيبُ عن بكائه، وتنصرف نفسه عما يُبكيه الى الإصغاء اليه،والجملُ مع بلادة طبعه يتأثر بالحُدَاءِ تأثيرا يَستخِفُّ معه الأحمالَ الثقيلةَ، ويَستقصِرُ لقوّة نشاطه فى سماعه المسافاتِ الطويلةَ ، وينبعث فيه من النشاط ما يُسكره ويُولِهه، فتراها إذا طالت عليها البوادى وآعتراها الإعياء والكلال تحت
١٠ المحامل والأحمال اذا سمعت مُنادِى الحداء تمدّ أعناقها وتُصْغِى إلى الحادى ناصبةً آذانها وتُسرعُ فى سيرها حتى تتزعزعَ عليها أحمالُها ومحاملها، وربما تُتلِفُ أنفسَها فى شدّة السير وثقل الحمل وهى لا تَشعُر به لنشاطها، فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينورى المعروف بالرَّقّىّ، قال : كنت فى البادية فوافيتُ قبيلةً من قبائل العرب فأضافنى رجل منهم وأدخلنى خباء فرأيت فى الخباء عبدا أسودَ مقيدا بقيد، ورأيت
١٥ جمالا قد ماتت بين يدى البيت(١) وقد بقى منها جمل وهو ناحل ذابل كأنه يَنزِع رُوحَه، فقال لى الغلام : أنت ضيف ولك حق فتشفَّعْ فى حقى إلى مولاى فإنه مُكرِمٌ لضيفه فلا يردّ شفاعتك فعساه يحلّ القيدَ عنّى ، فلما أحضروا الطعام آمتنعت وقلت : لا آكل ما لم أُشَفَّعْ فى هذا العبد، فقال: إن هذا العبدَ قد أفقرنى وأهلك جميعَ مالى، فقلت : ما ذا فعل؟ فقال : إن له صوتا طيبا، وإنى كنت أَعيش من ظهور هذه
٢٠ الجمال فحمّلها أحمالا ثقالا وكان يَحدُو بها حتى قطعتْ مسيرةَ ثلاثِ ليالٍ فى ليلةٍ من

(١) كذا بالأصل، وفى الرسالة القشيرية : بفناء البيت .

طِيبِ نَغَمته، فلمـا حُطَّت أحمالُها مَوَّتَتْ كُلُّها إلا هذا الجمل الواحد، ولكن أنت ضيفى فلكرامتك قد وهبته لك، قال : فأحببتُ أن أسمعَ صوته، فلما أصبحنا أمره أن يَحْدُوَ على جمل يَستقى المـاء من بئر هناك، فلما رفع صوته هام ذلك الجملُ وقطع حباله ووقعتُ أنا على وجهى، فمـا أظنّ أنى قط سمعتُ صوتا أطيبَ منه، قال : فإذًا تأثيرُ السماع فى القلب محسوسٌ ؛ ومن لم يحرّكه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال، بعيد عن الروحانية ، زائد فى غِلَظِ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على سـائر البهائم ، فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة . ومهما كان النظر فى السماع باعتبار تأثيره فى القلوب لم يجز أن يُحكَمَ فيـه مطلقا بإباحة ولا تحريم، بل يَختلفُ ذلك بالأحوال والأشخاص واختـلاف طرق النغمات ، فحكمه حكم ما فى القلب . قال أبو سليمان : السماع لا يجعل فى القلب ما ليس فيه، ولكن يُحرّك ما هو فيه .

ذكر أقسام السماع وبواعثه

وأقسام السماع تختلف باختلاف الأحوال : فإنّ منـه ما هو مستحب، وما هو مباح، وما هو مكروه، وما هو حرام. أما المستحب فهو لمن غلب عليه حبُّ الله تعالى ولم يُحرّك السماع منـه إلا الصفاتِ المحمودةَ ؛ وأما المبـاح فهو لمن لا حظّ له من السماع إلا التلذذ بالصوت الحسن؛ وأما المكروه فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين ولكن يتخذه عادة له فى أكثر الأوقات على سبيل اللهو ؛ وأما الحرام فهـو لأكثر الناس من الشباب ومن غلبت عليـه شهوة الدنيا فلا يُحرّك السماعُ منهـم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة . وقد تكلم على هذه الأقسام الإمام أبو حامد الغزالىّ فقال رحمـه الله ما مختصره ومعناه : الكلمات المسجعة الموزونة تُعتادُ فى مواضعَ لأغراض مخصوصة تَرتبط بها آثارٌ فى القلب وهى سبعة مواضع :



الأوّل : غِناء الحَجيج فإنهم يدورون أوّلا فى البلاد بالطبل والغناء وذلك مباح لما فيه من التشويق إلى الحج وأداء الفريضة وشهود المشاعر .

الثانى : ما يعتاده الغُزاة لتحريض الناس على الغزو وهو مباح أيضا لما فيه من آستثارة النفس وتحريكها على الغـزو و إثارة الغضب على الكفار وتحسين الشجاعة وتقبيح الفرار .

الثالث : ما يرتجزه الشُّجعانُ عند اللقاء فى الحرب وهو مباح ومندوب، لما فيه من تشجيع النفس وتحريك النشاط للقتال والتمدّح بالشجاعة والنجدة، وقد فعله غير واحد من الصحابة رضوان الله عليهم : منهم علىّ بن أبى طالب وخالد بن الوليد وغيرهما .

الرابع : أصوات النياحة ونغماتها وتأثيرها فى تهييج البكاء وملازمة الحزن والكآبة، وهذا قسمان : محمود ومذموم . فأما المذموم فالحزن على ما فات . قال الله تبارك وتعالى : (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ) . والحزن على الأموات من هـذا القبيل فإنه يُغْضِبُ اللهَ جلّ جلاله وتأسُّفٌ[(١)] على ما لا تدارُكَ فيه . وأما المحمود فهو حزن الإنسان على تقصيره فى أمر دينه و بكاؤه على خطاياه . والبكاء والتباكى والحزن والتحازن على ذلك محمود لأنه يبعث على التشمير للتدارك، ولذلك كانت نياحةُ داود عليه السلام محمودةً ، فقـد كان يَحْزَنُ ويُحْزِنُ ويَبكِى ويُبكِى حتى كانت الجنائز تُرفَع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بألفاظه وألحانه ، وذلك محمود لأن المفضى الى المحمود محمود، وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيِّبِ الصوتِ أن يُنشِدَ على المنبر بألحانه الأشعارَ المحزِنةَ المرقِّقةَ للقلب ولا أن يَبكِيَ ويتباكى لِيَتوصّل به الى بكاء غيره وإثارة حزنه .

---

(١) كذا بالأصل، وفى الاحياء : فإنه تسخُّط لقضاء الله تعالى وتأسف الخ .

الخامس : السماع فى أوقات السرور تأكيـدا للسرور وتهييجا له إن كان ذلك السرورُ مباحا كالغناء فى أيام العيـد وفى العُرْس وفى وقت قـدوم الغائب ووقت الوليمة والعقيقة وعنـد الولادة والختان وعند حفظ القرآن ، وكل ذلك معتاد لأجل إظهار السرور . قال : ووجه جوازه أنّ من الألحان مايُثير الفرحَ والسرورَ والطربَ وكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيـه ، ويدل على هـذا إنشادهم بالدفّ والألحان عند مَقْدَم النبيّ صلى الله عليه وسلم يقولون

طلع البـــدرُ علينا * من ثَنِيَّاتِ الوداع

وجب الشكر علينا * ما دعا لله داعى

فإظهارُ هـذا السرور بالنغمات والشعر والرّقص والحـركات محمودٌ . فقد نُقل عن جماعة من الصحابة أنهـم حَجَلوا فى سرور أصابهم كما سيأتى فى أحكام الرقص وهو جائز فى قـدوم كل غائب وكل مايجوز الفرح به شرعا . ويجوز الفرح بزيارة الإخوان ولقائهم واجتماعهم فى موضع واحد على طعام أو كلام .

السادس : سماع العُشّاق تحريكا للشوق وتهييجًا للعشق وتسـليةً للنفس ؛ فإن كان فى حال مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة ، وإن كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق . والشوق وإن كان مؤلمـا ففيه نوعُ لذة إذا انضاف إليه رجاء الوِصال ؛ فإن الرجاء لذيذ واليأس مؤلم ، وقوّة لذة الرجاء بحسب قوّة الشوق والحب للشيء المرجوّ ، ففى هذا السماع تهييج للعشق وتحريك للشوق وتحصيل للذة الرجاء المقـدّر فى الوصال مع الإطناب فى وصف حسن المحبوب . قال : وهـذا حلال إن كان المشتاق إليه ممن يُباحُ وِصالُه كمن يَعشق زوجتَه أو سُرِّيتَه فَيُصْغِى إلى غِنائها لتتضاعفَ لذتُه فى لقائها فيحظى بالمشاهدة البصرُ وبالسماع الأذُنُ ويَفهمُ لطائفَ

معانى الوصال والفراق القلبُ ، فتترادف أسباب اللذة . فهذا نوع تَمَتُّع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما متاع الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وهذا منه وكذلك إن غُصِبَتْ منه جاريةٌ أو حِيلَ بينه و بينها بسبب من الأسباب فله أن يُحرِّكَ بالسماع شوقَه وأن يَستثيرَ به لذّةَ رجاء الوصال ، فإن باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده إذ ٥ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصل واللقاء . وأما من يتمثّل فى نفسه صورةَ صبيّ أو آمرأة لا يجوز له النظر إليها وكان ينزل ما يسمع على ما يتمثل فى نفسه فهو حرام لأنه محرّك للفكر فى الأفعال المحظورة ومهيج للداعية إلى ما لا يباح الوصول إليه لا لأمر يرجع إلى نفس السماع . وقد سئل بعض الحكماء عن العشق فقال : دخان يصعد الى دماغ الإنسان يزيله الجماع ويهيجه السماع .

١٠ السابع : سماع من أحب الله سبحانه وتعالى وعشقه وآشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شيء إلا رآه فيه ، ولا يقرعُ سمعه قارعٌ إلا سمعه منه أو فيه ؛ فالسماع فى حقه مهيج لشوقه ، ومؤكد لعشقه وحبه ، ومُورٍ زنادَ قلبه ، ومُستخرجٌ منه أحوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها ، يعرفها من ذاقها ، ويُنكِرُها مَنْ كَلَّ حِسُّه عن ذَوَاقها ؛ وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وَجْدا — مأخوذ من ١٥ الوجود — وللصوفية على هذا كلامٌ يطول شرحه ليس هذا موضعَ إيراده والله أعلم .

ذكر العوارض التى يحرم معها السماع

قال أبو حامد رحمه الله تعالى : والسماعُ يحرم بخمسة عوارض : عارض فى المُسْمِع ، وعارض فى آلة السماع ، وعارض فى نظم الصوت ، وعارض فى نفس المستمِع أو فى مواطنه ، لأن أركان السماع هى المُسْمِعُ والمستَمِعُ وآلة السماع .

العارض الأوّل : أن يكون المُسْمِعُ امرأةً لا يحلّ النظر إليهـا وتُخشى الفتنةُ من سماعها، وفى معناها الصبىّ الذى تُخشى فتنتُه، وهـذا حرام لمـا فيه من خوف الفتنة، وليس ذلك لأجل الغناء بل لو كانت المرأة بحيث تَفْتِنُ بصوتها فى المحاورة فى غير ألحان فلا يجوز محاورتها ومحادثتها ولا سماعُ صوتها فى القرآن أيضا ، وكذلك الصبىّ الذى تُخَافُ فتنتُه . فإن قلت : فهل تقول : إنّ ذلك حرام بكل حال حسما للباب، أو لا يحرم إلا حيث تُخافُ الفتنةُ ؟ فأقول : هذه مسئلة محتملة من حيثُ الفقهُ يتجاذبها أصلان : أحدهما أن الخلوةَ بالأجنبية والنظرَ إلى وجهها حرامٌ سواء خيفت منها الفتنةُ أو لم تُخَفْ لأنها مَظِنَّةُ الفتنة على الجملة، فقضى الشرع بحسم الباب من غير آلتفات إلى الصورة . والثانى أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عنـد خوف الفتنة فلا يُلحقُ الصبيانُ بالنساء فى عموم الحَسْم بل ينبغى أن يُفَصَّلَ فيـه الحالُ .
وصوتُ المرأة دائرٌ بين هـذين الأصلين ، فإن قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ، ولكن بينهما فرق إذ الشهوةُ تدعو إلى النظر فى أوّل هيجانها ولا تدعو إلى سماع الصوت . وليس تحريك النظر لشهوة المماسّة كتحريك السماع بل هو أشدّ . وصوتُ المرأة فى غير الغناء ليس بعورة ولكن للغناء مزيد أثر فى تحريك الشهوة ، فقياسُ هـذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنّهـم لم يؤمروا بالآحتجاب كما لم تُؤمر النساءُ بسَـتْرِ الأصوات ، فينبغى أن يُتَّبَعَ مَثَارُ الفتنِ ويُقصَرَ التحريمُ عليه، هذا هو الأقيس عندى . قال : ويتأيد بحديث الجاريتين المغنيتين فى بيت عائشة رضى الله عنها إذ يُعلمُ أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان يَسمعُ صوتَهما ولم يحترز عنه، ولكن لم تكن الفتنةُ مخوفةً عليـه فلذلك لم يَحترِزْ، فإذًا يختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل فى كونه شابا وشيخا ولا يبعد أن يَختَلِفَ الأمرُ فى مثل هذا بالأحوال، فإنا نقول : للشيخ أن يُقَبِّلَ زوجتَه وهو صائم وليس للشاب ذلك ،

والقُبلةُ تدعو إلى الوِقَاع فى الصوم وهو محظور، والسماع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام، فيَختلِفُ ذلك أيضا بالأشخاص .

العارض الثانى فى الآلة — بأن تكون من شعائر أهل الشرب أو المخنّثين وهى المزامير والأوتار وطبل الكوبة ، فهذه ثلاثة أنواع وما عدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالدُّف و إن كان فيه الجلاجلُ وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات .

العارض الثالث فى نظم الصوت — وهو الشعر فإن كان فيه شىء من الخنا والفحش والهجاء أو هو كذب على الله عز وجل أو على رسوله أو على الصحابة كما رتبه الروافض فى هجاء الصحابة وغيرهم، فسماع ذلك حرام بألحان وغير ألحان ، والمستَمِعُ شريكُ القائل، وكذلك مافيه وصف آمرأة بعينها فإنه لايجوز وصف المرأة بين يدى الرجال . وأمّا هجاء الكفار وأهل البدع فذلك جائز ، فقد كان حسان بن ثابت يُنَافِحُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُهَاجِى الكفارَ ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . فأمّا النسيب وهو التشبيب بوصف الخدود والأصداغ وحسن القَدِّ والقامة وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر، والصحيحُ أنه لا يحرم نظمُه و إنشاده بلَحْن وغير لَحْن[1] ، وعلى المستمع ألّا يُنَزِّلَه على آمرأة معيّنة إلا على من تحل له من زوجة أو جارية، فإن نزّله على أجنبية فهو العاصى بالتنزيل و إجالة الفكر فيه ، ومَنْ هذا وصْفُه فينبغى أن يَجتنِبَ السماع رأسا فإنّ مَنْ غلب عليه عشقٌ نزّل كلّ ما يسمعه عليه سواء كان اللفظ مناسبا أو لم يكن، إذ ما مِن لفظٍ إلا ويمكن تنزيلُه على معانٍ بطريق الآستعارة، فالذى غلب عليه عِشقُ مخلوقٍ ينبغى أن يَحترِز من

(١) فى الأصل : بصوت وبغير صوت والتصحيح عن الاحياء .

السماع بأىّ لفظ كان، والذى غلب عليه حبّ الله تعالى فلا تَضره الألفاظ ولا تمنعه عن فهم المعانى اللطيفة المتعلقة بمجارى همته الشريفة .

العارض الرابع فى المستمِع — وهو أن تكون الشهوةُ غالبةً عليه وكان فى غِرّة الشباب وكانت هذه الصفةُ أغلبَ مِن غيرها عليه ، فالسماعُ حرامٌ عليــه سواء غلب على قلبــه حبّ شخصٍ معيّنٍ أو لم يغلب، فإنه كيفما كان فلا يسمعُ وصفَ الصُّــدْغ ٥ والخـــدّ والوصال والفراق إلا ويُحرّكُ ذلك شهوَتَه ويُنزِّله على صورة معيّنــة ينفخ الشيطان بها فى قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة وتحتــدُّ بواعثُ الشر، وذلك هو النُّصرةُ لحزب الشــيطان والتخذيلُ للعقل المــانع منه الذى هو حزب الله تعالى . والقتال فى القلب دائم بين جنود الشيطان وهى الشهواتُ ، وبين حزب الله وهو نورُ العقل إلا فى قلب قد فتحه أحد الجُنْدين واستولى عليه بالكلية، وغالبُ القلوب قد فتحها ١٠ جنــدُ الشيطان وغلب عليها فتحتاج حينئذ الى أن تستأنف أسباب القتال لإزعاجه فكيف يجوز تكثير أسلحته وتشحيذ سيوفه وأسنّته ، والسماع مشحّذ لأسلحة جند الشيطان فى حق مثل هـــذا الشخص ، فليخرج مثل هـــذا عن جميع السماع فإنه يَستَضْريه، والله أعلم .

العارض الخامس — أن يكون الشخص من عوامّ الخلق ولم يغلب عليه حبّ ١٥ الله فيكون السماع له محبوبا ولا غلبت عليه الشهوة فيكون فى حقه محظورا ، ولكنه أبيح فى حقه كسائر أنواع اللذات المباحة .إلا أنه اتخذه دَيْدَنه وهِجِّيراه وقصر عليــه أكثر أوقاته ،فهذا هو السفيه الذى تُرَدّ شهادته فإن المواظبة على اللهو جناية، وكما أن الصغيرة بالإصرار والمداومة تَصــير كبيرةً، فبعض المباحات بالمداومة يصير صغيرة وهو كالمواظبة على متابعــة الزنوج والحبشـــة والنظر إلى لعبهم على الدوام فإنه ممنوع ٢٠

وإن لم يكن أصله ممنوعا إذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن هذا القبيل اللَّعِبُ بالشِّطْرَنْج فإنه مباح، ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة، ومهما كان الغرضُ اللعبَ والتلذّذَ باللهو فذلك إنما يباح لما فيه من ترويح القلب ؛ إذ راحة القلب معالجةٌ له فى بعض الأوقات لتنبعث دواعيه . هذا ملخص ما أورده فى أقسام السماع وبواعثه ومقتضياته، ثم ذكر بعد ذلك آثار السماع وآدابه .

ذكر آثار السماع وآدابه

قال أبو حامد رحمه الله : اعلم أن أوّل درجة السماع فهمُ المسموع وتنزيلُه على معنى يقع للمستمِع ثم يُثمِرُ الفهمُ الوجدَ ، ويُثمر الوجدُ الحركةَ بالجوارح ، فليُنظَر إلى هذه المقامات الثلاثة :

المقام الأوّل — فى الفهم، وهو مختلِفٌ باختلاف أحوال المستَمِع . وللمستَمِع أربعةُ أحوالٍ :

إحداها — أن يكون سماعه بمجرّد الطبع أى لاحظّ له فى السماع إلا ٱستلذاذ الألحان والنغمات فهذا مباح وهو أخسّ رُتَبِ السماع؛ إذ الإبل شريكة له فيه وكذا سائر البهائم ، ولكل حيوان نوع تلذّذ بالأصوات الطيبة .

الحالة الثانية — أن يسمع بفهم ولكن يُنَزِّله على صورة إما معينةٍ أو غيرِ معيّنةٍ وهو سماعُ الشباب وأربابِ الشهوة ويكون تنزيلُهم المسموعَ على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم ، وهذه الحالة أخسّ من أن يُتَكَلّم فيها إلا ببيان خِسّتها والنهى عنها .

الحالة الثالثة — أن يُنَزِّل مايسمعه على أحوال نفسه فى معاملة الله تعالى وتقلّب أحواله فى التمكن منه مرة وبُعْدِه[(١)] منه أخرى، وهذا سماع المريدين لاسيّما المبتدئين، فإن للمريد لامحالة مرادا هو مَقْصِدُه، ومَقْصِدُه معرفةُ الله تعالى ولقاؤه والوصول إليه بطريق المشاهدة بالسرّ وكشف الغطاء؛ وله فى مَقْصِدِه طريقٌ هو سالكه، ومعاملاتٌ هو مثابرٌ عليها، وحالاتٌ تستقبله فى معاملاته؛ فإذا سمع ذكرَ عتاب أو خطاب أو قبول أو ردٍّ أو وصلٍ أو هجر أو قُرْب أو بُعْد او تلهّف على فائت أو تعطّش إلى مُنتظَر او شوق إلى وارد أو طمع أو يأس أو وحشة أو آستئناس أو وفاء بالوعد أو نقض للعهد أو خوف فراق أو فرح بوصال أو ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب أو همول العَبَرات أو تَرادُف الحَسَرات أو طول الفراق أو عِزّةِ الوصال[(٢)] أو غير ذلك مما يشتمل على وصفه الأشعار؛ فلا بدّ أن يوافق بعضُها حالَ المريد فى طلبه، فيجرى ذلك مَجْرَى القَدّاح الذى يُورى زِنادَ قلبه، فتشتعلُ به نيرانُه، ويقوَى به آنبعاثُ الشوق وهيجانه، وتَهجُمُ عليه بسببه أحوال مخالفة لعادته، ويكون له مجالٌ رَحْبٌ فى تنزيل الألفاظ على أحواله، وليس على المستمع مراعاةُ مراد الشاعر من كلامه؛ بل لِكلّ كلام وجوهٌ ولكلّ ذى فهم فى آقتباس المعنى منه حظٌّ . وضرب الإمام الغزالىّ لذلك أمثلة يطول شرحها .

الحالة الرابعة — سماعُ مَنْ جاوز الأحوالَ والمقامات فَعَزَب عن فهم ما سوى الله تعالى حتى عَزَبَ عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها، وكان كالمدهوش الغائص فى عين الشهود الذى يُضاهى حالُه حالَ النِّسوة اللاتى قَطَّعْنَ أيديهنَّ فى مشاهدة جمال يُوسُفَ حتى بُهِتْنَ وسقط إحساسُهنَّ؛ وعن مثل هذه الحالة تُعبِّر الصوفية بأنه فَنِىَ عن نفسه

(١) فى الإحياء : وتعذره أخرى . (٢) فى الإحياء : «عدة الوصال» .

نفســه ، ومهما فَنِيَ عن نفسه فهو عن غيره أفنى ؛ فكأنه فَنِيَ عن كلّ شىء إلا عن
الواحد المشهود ، وفَنِيَ أيضا عن الشهود فإن القلب إن ٱلتفت إلى الشهود وإلى نفسه
بأنه مُشاهِدٌ فقد غَفَل عن المشهود . فالمستهتر بالمرئىّ لا ٱلتفات له فى حال ٱستغراقه
إلى رؤيته و[لا][1] إلى عينه التى بها رؤيته ولا إلى قلبه الذى به لذّته ؛ فالسكران لا خُبْر له
٥ فى[2] سكره ، والملتذّ لا خُبْر له فى[2] ٱلتذاذه ، إنمـا خُبْره من الملتذّ به فقط ، ولكنّ هذا
فى الغالب يكون كالبرق الخاطف الذى لا يثبت ولا يدوم وإن دام لم تُطقــه القوّة
البشريّة فربما يضطرب تحت أعبائه ٱضطرابا تهلك فيه نفسُه كما رُوِىَ عن أبى الحسن
النورِى أنه سمع هذا البيت

ما زِلتُ أَنزِل من ودادك منزلًا * تتحيّرُ الألباب دون نزوله

١٠ فقام وتواجد وهام على وجهه ووقع فى أَجَمَة قَصَبٍ قد قُطِعت وبقيت أصولها
مثل السيوف فصار يعدو فيها ويعيد البيت إلى الغداة[3] والدم يجرى من رجليه حتى
ورِمت قدماه وساقاه ومات بعــد أيام رحمه الله . قال أبو حامد : وهــذه درجة
الصــدّيقين فى الفهم والوجد وهى أعلى الدرجات ، لأن السماع على الأحوال وهى
ممتزجة بصفات البشرية نوع قُصُور ، وإنما الكمال أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله ،
١٥ أعنى أنه ينساها فلا يبقى له ٱلتفاتٌ إليها كما لم يكن للنِّسْوَة ٱلتفاتٌ إلى اليد والسِّكِّين ،
فيسمع بالله ، ولله ، وفى الله ، ومن الله ؛ وهذه رتبة مَن خاض لُجَّة الحقائق وعَبَر
ساحل الأحوال والأعمال وٱتّحد بصفاء التوحيــد وتحقّق بمحض الإخلاص فلم يبق
فيه منه شىء أصلا ، بل خَمَدت بالكليّة بَشَرِيَّته وفَنِيَ ٱلتفاته إلى صفات البشرية رأسا .
قال : ولستُ أعنى بفنائه فناءَ جسده بل فناء قلبه ، ولستُ أعنى بالقلب اللحم والدم
٢٠ بل سِرٌّ لطيفٌ له إلى القلب الظاهر نسبةٌ خَفِيَّــة ووراءها سرُّ الرُّوح الذى هو من

(١) الزيادة عن كتاب الاحياء . (٢) فى الاحياء من فى الموضعين بدل فى .
(٣) عبارة الاحياء : فكان يغدو فيها و يروح .

أمر الله عَرَفها مَن عَرَفها وجَهِلها من جَهِلها ولذلك السرّ وجودٌ، وصــورة ذلك الوجود ما يحضُرُ فيه فإذا حضر فيــه غيره فكأنه لا وجود إلا للحاضر، ومثاله المرآة المجلُوّة، إذ ليس لها لَوْنٌ فى نفسها بل لَوْنها لَوْن الحاضر فيها، وكذلك الزجاجة فإنها تحكِى لَوْن قرارها، ولونها لَوْن الحاضر فيها وليس لها فى نفسها صورةٌ بل صورتها قَبُول الصُّوَر ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الألوان، قال : وهذه مَغَاصَةٌ من مغاصات علوم المكاشَفَة منها نشأ خَيَالُ من آدّعى الحلول والاتحاد. هذا مُلَخّص ما أورده فى مقام الفهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

المقام الثـانى — بعد الفهم والتنزيل الوجدُ. قال الإمام الغزالىّ رحمه الله تعالى : وللناس كلامٌ طويلٌ فى حقيقة الوجد أعنى الصوفية والحكماء الناظرين فى وجه مناسبة السَّماع للأرواح فلننقل من أقوالهم ألفاظا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه.

أما الصوفيّة، فقد قال ذو النون المصرىّ رحمه الله فى السماع : إنه واردُ حقٍّ جاء يُزعِج القلوبَ إلى الحقّ، فمن أصغى إليه بحقٍّ تحقّق، ومن أصغى إليه بنفسٍ تَزَنْدَق. فكأنه عَبَّر عن الوجد بانزعاج القلوب إلى الحقّ وهو الذى يجده عنـد ورود وارد السماع، إذ سَمَّى السماعَ واردَ حقّ. وقال أبو الحسين الدرّاج مُخْبِرًا عمّا وَجَده فى السماع : والوجدُ عبارةٌ عما يُوجَد عند السماع، وقال : جال بِى السماع فى ميادين البهاء، فأوجدنى وجود الحق عند العطاء، فسقانى بكأس الصفاء، فأدركت به منازل الرضاء، وأخرجنى إلى رياض النزهة والفضاء. وقال الشِّبْلِىُّ : السماع ظاهره فِتْنة وباطنه عِبْرة، فمن عَرَف الإشارة حلّ له آستماع العِـبْرة وإلا فقد آستدعى الفتنة وتعرّض للبليّـة. وأقوال الصوفية فى هذا النوع كثيرة.

وأما الحكماء، فقال بعضهم : فى القلب فَضِيلةٌ شريفةٌ لم تقـدر قوّة النطق على إخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالألحان، فلما ظَهَرت سُرّت وطَرِبت إليها، فاستمِعوا

من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر . وقال بعضهم : نتائج السماع استنهاض العاجز من الرأى واستجلاب العازب من الفكر وحدة الكال من الأفهام والآراء حتى يثوب ما عزب وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويمرح[(١)] فى كل رأى ونية فيصيب ولا يخطئ ويأتى ولا يبطئ . ثم ذكر المعنى الذى الوجد عبارة عنه فقال :

٥ هو عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد [حق][(٢)] جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه ، وتلك الحالة لا تخلو من قسمين : فإنها إما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هى من قبيل العلوم والتنبيهات ؛ وإما أن ترجع إلى تغييرات وأحوال ليست من العلوم والتنبيهات بل هى كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والبسط والقبض ، وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقويها ، فإن

١٠ ضعفت بحيث لم تؤثر فى تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرق أو يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا ، وإن ظهر على الظاهر سمى وجدا إما ضعيفا وإما قويا بحسب ظهوره وتغييره الظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الواجد وقدرته على حفظ جوارحه ، فقد يقوى الوجد فى الباطن ولا يتغير الظاهر

١٥ لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك . وإلى المعنى الأول أشار أبو سعيد بن الأعرابى حيث قال فى الوجد : إنه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد أن يكون السماع منشأ لكشف ما لم يكن مكشوفا قبله ؛ فان الكشف يحصل بأسباب : منها التنبيه ، والسماع منبه .

---

(١) فى بعض نسخ الاحياء : ويخرج من .

٢٠ (٢) الزيادة عن كتاب الاحياء ، وفسره الزبيدى شارح الاحياء بقوله : «أى وارد ورد من الحق تعالى وهو وارد قوى لا يشوبه الباطل» .

ومنها تغيّر الأحوال ومشاهدتها وإدراكها، فإنّ إدراكها نوع علمٍ يفيد إيضاح أمورٍ لم تكن معلومة قبل الورود. ومنها صفاء القلب، والسماع مؤثّر فى تصفية القلوب، والصفاء سبب المكاشفة. ومنها آنبعاث نشاط القلب بقوّة السماع فيقوى على مشاهدة ما كان تقصر عنه [قبل ذلك][1] قوّته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله، وهذا الآستكشاف من ملاحظة أسرار الملكوت؛ وكما أنّ حمل الجمل يكون بواسطة، فبواسطة هذه الأسباب يكون سبب الكشف؛ بل القلب إذا صفا تمثّل له الحقّ فى صورةٍ مشاهدةٍ أو فى لفظٍ منظومٍ يَقرَعُ سمعَه يعبّر عنه بصوت الهاتف إذا كان فى اليقظة و بالرؤيا إذا كان فى المنام، وذلك جزء من النبوّة؛ وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة. وذلك كما روى عن محمد بن مسروقٍ البغدادىّ أنه قال: خرجت يوما فى أيام جهلى وأنا نشوانُ وكنت أُغنّى هذا البيتَ

بِطِـيزَنَاباذَ[2] كَرْمٌ ما مررتُ به * إلا تعجّبتُ ممن يشرب المـاءَ

فسمعت قائلا يقول

وفى جهـنّم ماءٌ ما تجـرّعَه * خَلْقٌ فابقى له فى الجوف أمعاءَ

فقال: وكان ذلك سبب توبتى وآشتغالى بالعلم.

قال أبوحامدٍ: فانظر كيف أثّر الغناء فى تصفية قلبـه حتى تمثّل له حقيقة الحق فى صفة جهنم وفى لفظٍ منظومٍ موزونٍ وقرع ذلك سمعه الظاهر، وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب، ويشاهد أيضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فإنه يتخيّل

---

(١) الزيادة عن كتاب الإحياء.

(٢) قال ياقوت فى معجم البلدان: موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادّة الحاج وبينها و بين القادسية ميل، كانت إقطاعا للأشعث بن قيس بن عمر بن الخطاب وكانت من أنزه المواضع محفوفة بالكروم والشجر والحانات والمعاصر وكانت أحد المواضع المقصودة للهو والبطالة. اهـ.

لأرباب القلوب بصورٍ مختلفةٍ، وفى مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اتقُوا فِرَاسةَ المؤمنِ فإنه يَنْظر بنور الله تعالى» . قال : فحاصل الوجد يَرْجِع إلى مكاشفاتٍ وإلى حالاتٍ ينقسم كل واحدٍ منهما إلى ما لا يمكن التعبير عنه عند الإفاقة منه وإلى ما لا تمكن العبارة عنه أصلا . وضرب لذلك أمثلة : منها أن الفقيه قد تعرض عليه مسألتان متشابهتان فى الصورة ويُدرِك بذوقه أن بينهما فرقًا فى الحُكْم ، فإذا كُلِّف ذكرَ وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير عنه وإن كان من أفصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه، وإدراكه الفرق عِلمٌ يصادفه فى قلبه بالذوق، ولا شك أن لوقوعه فى قلبه سببا وله عند الله تعالى حقيقة، ولا يمكنه الإخبار عنه لا لقصورٍ فى لسانه بل لدقة المعنى أن تناله العبارة .

وأما الحال فكم من إنسانٍ يدرِك فى قلبه فى الوقت [الذى يصبح فيه][1] قبضا أو بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر فى شىء فيؤثّر فى نفسه أثرا فينسى ذلك السبب ويبقى الأثر فى نفسه وهو يُحِسّ به، وقد تكون الحالة التى يُحِسّها سرورا يثبت فى نفسه بتفكره فى سبب موجب للسرور، أو حَزَنا فينسى المتفكر فيه ويحس بالأثر عقيبه، وقد تكون تلك الحال حالة غريبة لا يُعرِب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مُفصِحةٌ عن المقصود، بل ذوق الشعر الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعضٍ وهى حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها، أعنى التفرقة بين الموزون والمنزحف، ولا يمكنه التعبير عنها بما يتضِح به مقصوده لمن لا ذوق له . وفى النفس أحوال غريبة هذا وصفها

(١) الزيادة عن الإحياء .

بل المعانى المشهورة من الخوف والحزن والسرور إنمـا تحصل فى السماع عن غناء مفهومٍ . فأما الأوتار وسائر النغماتِ التى ليست مفهومة فإنهـا تؤثّر فى النفس تأثيرا عجيبا ، ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الأوتار وقد يعبّر عنهـا بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق إليه فهذا عجيب ؛ والذى آضطربت نفسه بسماع الأوتار والشاهين وما أشبهه ليس يدرى إلى ماذا يشتاق ويجد فى نفسه حالة كأنها تتقاضى أمرا ليس يدرى ماهو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبــه لا حبّ آدمىّ ولا حبّ الله تعالى ؛ وهذا له سِرّ وهو أنّ كل شوقٍ فله ركنان : أحدهما ، صفة المشتاق وهو نوع مناسبةٍ مع المشتاق إليه . والثانى معرفة المشتاق إليه ومعرفة صورة الوصول إليه ، فإن وُجِدت الصفة التى بها الشوق ووُجِد العلم بالمشتاق ووُجِدت الصفة المشوِّقة وحركت قلبك الصفة وآشتعلت نارها أورث ذلك دهشة وحيرة لا محالة .

ولو نشأ آدمِىّ وحده حيث لم يرصورة النســاءِ ولا عرف صورة الوِقاعِ ثم راهق الحُلُمَ وغلبت عليه الشهوة لكان يَحُسّ من نفســه بنار الشهوة ولا يدرِى أنه يشتاق إلى الوِقاع لأنه ليس يدرى صورة الوقاع ولا يعرف صورة النساء ، فكذلك فى نفس الآدمىّ مناسبة مع العالَم الأعلى واللذاتِ التى وُعِد بهـا فى سِدرة المنتهى والفراديسِ العلا ، إلا أنه لم يتخيلْ من هذه الأمور إلا الصفات والأسماء كالذى يسمع [لفظ](1) الوقاع و [آسم](1) النساء ولم يشاهِد صورة آمرأةٍ قط ولا صورة رجلٍ ولا صورة نفسِهِ فى المرآة ليعرف بالمقايسة ؛ فالسماع يحرّك منه الشوق والجهل المفرط ، والآشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه ربه وأنساه مستقرّه الذى إليه حنينه وآشتياقه بالطبع ، فيتقاضاه قلبــه أمرا ليس يدرى ما هو فيدهش ويضطرب ويتحيّر ويكون كالمختنق(2)

---

(١) الزيادة فى كليهما عن الإحياء .

(٢) وردت فى الأصل "كالمنجنيق" وهو تحريف .

الذى لا يعرف طريق الخلاص ، فهذا وأمثاله من الأحوال التى لا يُدرَك تمام حقائقها ، ولا يمكن المتصِف بها أن يعبّر عنها . فقد ظهر آنقسام الوجد إلى ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره . قال :

وآعلم أيضا أنّ الوجد ينقسم إلى هاجم وإلى متكلّف يسمى التواجُدَ ، وهذا التواجد المتكلف ، فمنه مذموم وهو الذى يقصد به الرياء وإظهار الأحوال الشريفة مع الإفلاس ٥ منها ؛ ومنه ما هو محمود وهو التوصُّل إلى الآستدعاء للأحوال الشريفة وآكتسابها وآجتلابها بالحيلة ، فإن للكسب مدخلا فى جلب الأحوال الشريفة ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكاء فى قراءة القرآن أن يتباكى ويتحازنَ ، فإن هذه الأحوال قد تُتكلّف مباديها ثم تتحقّق أواخرها ، وكيف لا يكون التكلف ١٠ سببا فى أن يصير المتكلف بالآخرة طبعا ، وكل من يتعلّم القرآن أوّلا يحفظه تكلّفا ويقرؤه تكلفا مع تمام التأمل وإحضار الذهن ثم يصير ذلك دَيْدنا للسان مُطّرِدا حتى يجرى به لسانه فى الصلاة وغيرها وهو غافل فيقرأ تمام السورة وتثوب نفسه إليه بعد آنتهائه إلى آخرها ويعلم أنه قرأها فى حال غفلته . وذكر أبو حامدٍ أمثلة نحو ذلك ثم قال : وكذلك الأحوالُ الشريفة لا ينبغى أن يقع اليأس عنها عند فقدها بل ينبغى ١٥ أن يُتكلّف آجتلابها بالسماع وغيره ، فلقد شُوهِد فى العادات مَن آشتهى أن يعشَق شخصا ولم يكن يعشَقه فلم يزل يردّد ذكره على نفسِه ويديم النظر إليه ويقرّر على نفسه الأوصافَ المحبوبة إليه والأخلاقَ المحمودة فيه حتى عَشِقه ورسخ ذلك فى قلبه رسوخا خرج عن حدّ آختياره ، وآشتهى بعد ذلك الخلاصَ منه فلم يتخلّص ، فكذلك حبُّ الله تعالى والشوقُ إلى لقائه والخوفُ من سخطِه وغير ذلك من الأحوال الشريفة ٢٠ إذا فقدها الإنسان فينبغى أن يتكلّف آجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ، ومشاهدةِ أحوالهم ، وتحسينِ صفاتهم فى النفس ، وبالجلوسِ معهم فى السماع ، وبالدعاء والتضرّع

إلى الله تعالى فى أن يرزقه تلك الحـالةَ بأن يُيسّر له أسبابها ؛ ومن أسبابها السماع
ومجالسة الصالحين والخائفين والمحبّين والمشتاقين والخاشعين ؛ فمن جالس شخصا سَرَت
إليه صفاته من حيث لايدرى . ويدلّ على إمكان تحصيل الحبّ وغيره من الأحوال
بالأسباب قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائه : "اللهم آرزقنى حبّك وحبّ
من أحبّك وحبّ مَن يُقرّبنى إلى حبّك" . فقد فزع[1] إلى الدعاء فى طلب الحبّ . ٥
قال : فهذا بيان آنقسام الوجد إلى مكاشفاتٍ و إلى أحوالٍ ، وآنقسامه إلى ما يمكن
الإيضاح عنه و إلى ما لا يمكن ، وآنقسامه إلى المتكلّف و إلى المطبوع . (٧٨)

المقام الثالث — فى آداب السماع ظاهرا و باطنا وما يُحمد من آثار الوجد ويُذمّ .

قال الإمام أبو حامد رحمه الله تعالى : فأما الآداب فهى خمس جملٍ :

الأوّل — مراعاة الزمانِ والمكانِ والإخوانِ . قال الجُنَيد : السماع يحتاج إلى ثلاثة ١٠
أشياء و إلا فلا تسمع : الزمان والمكان والإخوان . قال الغزالىّ : ومعناه أن الآشتغال
به فى وقت حضور طعامٍ أوخصامٍ أو صلاةٍ أو صارفٍ من الصوارف مع آضطراب
القلب لافائدة فيه ، فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعى فراغ القلب . والمكان قد يكون
شارعا مطروقا أو موضعا كريه الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيُتجنّب ذلك .
وأما الإخوان فسببه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السماع متزهّدٍ بالظاهر مفلس ١٥
عن لطائف القلوب كان مستثقَلًا فى المجلس وآشتغل القلب به ، وكذا إذا حضر
متكبّر من أهل الدنيا فيحتاج إلى مراقبتِهِ ومراعاتِهِ ، أو متكلّف متواجِد من أهل
التصوّف يرائى بالوجد والرقصِ وتمزيقِ الثوب ، فكل ذلك مشوّشات ، فترك السماع
عند فقد هذه الشروط أولى .

---

(١) فى الأصل : نزع والتصويب عن الاحياء . ٢٠

الثـانى — وهو نظر للحاضرين، أن الشيخ إذا كان حوله مُرِيدون يضرّهم السماع فلا ينبغى أن يسـمع فى حضورهم فإن سمِـع فليشغلهم بشغلٍ آخر . والمريد الذى لا يستفيد بالسماع أحد ثلاثةٍ : أقلّهم درجة هو الذى لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع آشتغال بما لا يعنِيه فإنه ليس من أهـل اللهو فيلهو ولا من أهل الذوق فيتنعّم بذوق السماع فليشتغل بذكرٍ أو خدمةٍ وإلا فهو مضيّع لزمانه . الثـانى : هو الذى له ذوق ولكن فيه بقية من الحظوظ والآلتفات إلى الشهوات والصفات البشريّة ولم ينكسر بعـدُ آنكسارا تُؤمَنُ غوائله فربما يُهيّج السماع منه داعيةَ اللهو والشهوة فينقطع طريقه ويصدّه عن الآستكمال . الثالث : أن يكون قد آنكسرت شهوته وأُمِنت غائلته وآنفتحت بصيرته وآستولى على قلبه حبّ الله تعالى، ولكنه لم يُحكِمْ ظاهرَ العـلم ولم يعرِف أسمـاء اللهِ وصفاتهِ وما يجوز عليه وما يستحيل، وإذا فُتِح له باب السماع نزل المسموع فى حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التى هى كفر أعظم عليـه من نفع السماع . قال سهل : كلُّ وجدٍ لا يشهد له الكتاب والسـنّة فهو باطل، فلا يصلح السماع لمثل هـذا ولا لمن قلبه بعـدُ ملوث بحبّ الدنيا وشهوةِ المحمدةِ والثناءِ، ولا من يسمع لأجل التلذّذ والآستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله عن عبادتِهِ ومراعاةِ قلبِهِ وتنقطع عليـه طريقة الأدب ؛ فالسماع مَزِلّة قدمٍ يجب حفظ الضعفاء عنه .

الأدب الثالث — أن يكون مُصغياً إلى ما يقوله القائل، حاضرَ القلب، قليلَ الآلتفات إلى الجوانب، متحرّزًا عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد، مشتغلا بنفسه ومراعاة قلبِهِ ومراقبةِ مايفتح الله له من رحمته فى سِرِّهِ، متحفّظا عن حركةٍ تُشوّش على أصحابه قلوبهم ؛ بل يكون ساكنَ الظاهر، هادئَ

الأطراف متحرّزا عن التنحنح والتثاؤب، يجلس مُطرِقا رأسَه بجلوسِه فى فكرٍ مستغرقٍ لقلبـه، متماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجهِ التصنّع والتكلّف والمراءاة، ساكنًا عن النطق فى أثناء القول بكل ما عنه بدّ، فإن غلبه الوجد وحرّكه بغير آختيار فهو فيه معذور وغير ملوم، ومهما رجع إليه آختياره فليعُد إلى هدوه وسكونه؛ ولا ينبغى أن يستديمه حياء من أن يقال : آنقطع وجده على القرب، ولا أن يتواجد خوفا من أن يقال : هو قاسِى القلب عديم الصفاء والرقّة . قال : وقوّة الوجد تحرّك، وقوّة العقل والتماسُك تَضبط الظواهرَ، وقد يغلب أحدهما الآخر إما لشدّة قوته، وإما لضعف مايقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك، فلا تظنن أن الذى يضطرب بنفسه على الأرض أتمّ وجدا من الساكن باضطرابه بل ربّ ساكنٍ أتمّ وجدا من المضطرب، فقد كان الجنيد يتحرّك فى السماع فى بدايته ثم صار لايتحرّك فقيل له فى ذلك فقال : (وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ) إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل فى الملكوت، والجوارح متأدّبة فى الظاهر ساكنة .

الأدب الرابع — ألّا يقوم ولايرفع صوته بالبكاء وهو يقدِر على ضبط نفسِهِ، ولكن إن رقص أو تباكى فهو مباح إذا لم يقصد به المراءاة لأن التباكى آستجلاب للحزن، والرقص سبب فى تحريك السرور والنشاط، وكل سرور مباح فيجوز تحريكه، ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة رضى الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون[1]، وقد رُوِى عن جماعةٍ من الصحابة أنهم حجلوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك [وذلك][2] فى قصة آبنة حمزة بن عبد المطلب لما آختصم فيها

(١) يزفنون : يرقصون .

(٢) الزيادة عن الاحياء .

علىّ بن أبى طالب وأخوه جعفر و زيد بن حارثة رضى الله عنهم، فتشاحّوا فى تربيتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلىّ : «أنتَ مِنّى وأنا منك» فحجل علىّ . وقال لجعفر : "أشبهتَ خَلْقِى وخُلُقِى" فحجل . وقال لزيد : "أنت أخونا ومولانا" فحجل الحديث . قال : والحجل(1) الرقص ويكون لفرح أو شوقٍ فحكمه حُكْم مهيِّجِه إن كان فرحه محمودا ، والرقصُ يزيده و يؤكده فهو محمود ، فإن كان مباحا فهو مباح، و إن كان مذموما فهو مذموم . نعم لايليق ذلك بمناصب الأكابر وأهل القدوة لأنه فى الأكثر يكون عن لهو ولعبٍ وما له صورة اللعب فى أعين الناس فينبغى أن يجتنبه المقتدَى به لئلا يصغُر فى أعين الخلق فيُترَكَ الاقتداءُ به . وأما تخريق(2) الثياب فلا رُخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن الاختيار، ولا يبعُدُ أن يغلب الوجد بحيث يمزّق ثوبه وهو لايدرِى لغلبة سكر الوجدِ عليه أو يدرِى ولكن يكون كالمضطر الذى لا يقدر على ضبط نفسِه ، وتكون صورته صورة المكرِه إذ يكون له فى الحركة أو التمزيق متنفّس فيضطرّ إليه إضطرار المريض الى الأنين ، ولو كلّف الصبر عنه لم يقدر عليه مع أنه فعل اختيارى ، فليس كلّ فعلٍ حصوله بالإرادة يقدر الإنسان على تركه، فالتنفّس فعلٌ يحصُل بالإرادة ولو كلّف الإنسان نفسه أن يمسك النفس ساعة اضطر من باطنه الى أن يختار التنفّس، فكذلك الزعقة وتخريق(2) الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم .

الأدب الخامس : موافقةُ القومِ فى القيام إذا قام واحد منهم فى وجدٍ صادقٍ من غير رياءٍ وتكلّف، أوقام باختيارٍ من غير إظهار وجدٍ وقام له الجماعة فلا بدّ من الموافقة فذلك من آداب الصحبة ، وكذلك إن جرت عادة طائفةٍ بتنحيةِ العمامةِ على موافقةِ

---

(1) وفى النهاية لابن الأثير: الحجل أن يرفع رجلا و يقفز على الأخرى من الفرح وقد يكون بالرجلين إلا أنه قفز .

(2) الذى فى الاحياء : تمزيق .

صاحبِ الوجدِ إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثو به بالتخريق[(١)]،
فالموافقة فى هذه الأمور من حُسْن الصحبة والعِشرة إذ المخالفة موحشة، ولكلّ قومٍ
رسمٌ ولا بدّ من مخالقةِ الناسِ بأخلاقهم كما ورد فى الخـبرِ لا سيما إذا كانت أخلاقا
فيها حسن المعاشرة والمجـاملة وتطييب القلب بالمساعدة . وقول القائل : إنّ ذلك
بدعة لم تكن فى الصحابة فليس كلّ ما يحكم بإباحتـه منقولا عن الصحابة ولم ينقل
النهىُ عن شىءٍ من هـذا . والقيامُ عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب،
بل كان الصحابةُ لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الأحوال كما رواه
أنس رضى الله عنه، وإن كان لم يثبت فيه نَهْىٌ عامٌّ، فلا نرى به بأسا فى البلاد التى
جرت العادةُ فيها بإكرام الداخل بالقيام، فإنّ القصد منه الاحترام والإكرام وتطييب
القلب به، وكذلك سائرُ أنواعِ المساعدة إذا قُصِدَ بها طيبةُ القلب وٱصطلح عليها
جماعةٌ فلا بأس بمساعدتهم عليها، بل الأحسن المساعدة إلا فيما ورد فيه نَهْىٌ لا يقبل
التأويل . ومن الأدب أن لا يقوم المرقص[(٢)] مع القوم للرقص إذا كان يُستثقل رقصه
و يشوّش عليهم أحوالهم، إذ الرقصُ من غير إظهار التواجد مباح، والمتواجد هو الذى
يلوح للجمع منـه أثر التكلّف، ومَن يقوم عن صدقٍ لا تستثقِله الطباع، فقلوب
الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب مِحَكٌّ للصدق والتكلّف . سئِل بعضهم عن
الوجد الصحيح فقال : صحتـه قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا أشـكالا غير
أضدادٍ . هذا ملخّص ما أورده الغزالىّ رحمه الله تعالى فى معنى السماع وقسمه الى
هذه الأقسام التى ذكرناها .

---

(١) فى الاحياء . بالتمزيق .

(٢) كذا فى الأصل ولم يظهر له معنى . وأصل العبارة فى الاحياء : ألا يقوم للرقص مع القوم ان
كان الخ .

وأما أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم فقد ذكر مسألة السماع وبين إباحته، فبدأ بذكر الأحاديث التى آحتجوا بها وضعّف رُوَاتها نحو ما تقدّم وذكر الآية : (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) وأنه قيل : إنه الغناء، فليس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ثَبَت عن أحد من أصحابه رضى الله عنهم، فإنما هو قول بعض المفسّرين ممن لا يقوم بقوله حُجّة؛ وما كان هكذا فلا يجوز القول به ثم لو صحّ لما كان فيه متعلّق لأنّ الله تبارك وتعالى يقول : (لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ) وكل شىء اقتُنِىَ ليُضَلّ به عن سبيل الله فهو إثم وحرام ولو أنه شِراء مصحف أو تعليم قرآن، فإذا لم يصحّ فى هذا شىء فقد قال الله عز وجلّ : (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ) وقال تعالى : (خَلَقَ لَكُمْ ما فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أعظم الناس جُرْمًا فى الإسلام مَن سأل عن شىء لم يُحَرَّم فحُرِّم من أجل مسألته" فصحّ أن كل شىء حرّمه الله عز وجلّ علينا فقد فصّله لنا، وكلّ ما لم يُفصّل تحريمه لنا فهو حلال . وآستدلّ رحمه الله على إباحته بالأحاديث التى ذكرناها، حديث عائشة عن خبر أبى بكر الصديق رضى الله عنهما فى غناء الجاريتين، وآستدلّ أيضا بحديث نافع أن آبن عمر سَمِع مزمارا فوضع إصبعيه فى أذنيه ونأى عن الطريق وقال : يا نافع، هل تسمع شيئا؟ قلت : لا، فرفع إصبعيه عن أذنيه وقال : كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسَمِع مثل هذا وصنع مثل هذا . قال : فلو كان حراما ما أباح عليه الصلاة والسلام لآبن عمر سماعه ولا أباح آبن عمر لنافع سماعه، ولكنّه عليه الصلاة والسلام كَرِه لنفسه كلّ شىء ليس من التقرّب إلى الله عز وجلّ، كما كَرِه الأكل مُتّكئا، والتنشّف بعد الغسل فى ثوب يعدّ لذلك، والسترَ المَوْرشىَّ على سَهْوة عائشة وعلى بابِ فاطمة رضى الله عنهما، وكما كَرِه صلى الله عليه وسلم أشدّ الكراهة أن يبيت عنده دينار أو درهم؛ وإنما بُعث عليه

(٨٠) الصلاة والسلام مُنكِرا للنكَر، آمرا بالمعروف؛ فلوكان ذلك حراما لمـا ٱقتصر النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يسدّ أذنيه عنه دون أن يأمر بتركه وينهى عنه، ولم يفعل عليه الصلاة والسلام شيئا من ذلك بل أقرّه وتنزّه عنه فصحّ أنه مباح وأن الترك له أفضل كسائر فضول الدنيا المباحةِ . قال : فإن قال قائل : قال الله تبارك وتعالى : (فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَالُ) ففى أىّ ذلك يقع الغناء؟ قيل له : حيث يقع الترَوّح ٥ فى البساتين وصبـاغ ألوان الثياب ، ولِكُلِّ ٱمْرِئٍ مَا نَوَى فإذا نوى المـرء ترويح نفسِــهِ وإجمامَها لتقوى على طاعة الله فمـا أتى ضلالا . قال : ولا يحلّ تحريم شىء ولا إباحته إلا بنصّ من الله عزّ وجلّ أو من رسوله صلى الله عليه وسلم، لأنه إخبار عن الله عزّ وجلّ ولا يجوز عنه تعالى إلا بالنصّ الذى لاشكّ فيه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ كَذَب علىّ مُتعمِّدًا فليتبوّأ مقعدَهُ من النار" . وقد تكلّم ١٠ على إباحةِ السماعِ جمـاعة من العلماء؛ وفيما أوردناه من هذا الفصل كفاية؛ فلنذكر من سَمِع الغناء من الصحابة رضى الله عنهم .

ذكر من سمع الغناء من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم

قد رُوِى أن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم سمعوا الغناء .

منهم النعمان بن بَشير الأنصارىّ الخزرجىّ رضى الله عنـه . روى أبو الفرج ١٥ الأصبهانىّ فى كتابه المترجم : «بالأغانى»، بسَنَدٍ رفعه إلى أبى السائب المخزومىّ وغيره، قال : دخل النعمان بن بَشِير المدينة فى أيام يَزِيدَ بن معاوية وٱبن الزُّبير فقال : والله لقد أخفقت أُذناىَ [من][1] الغناء فأسمعونى ، فقيل له : لو وَجّهت إلى عَزَّة المَيْلاء فإنها مَن قد

(١) الزيادة عن الأغانى، ج ١٤ ص ١٢١

عَرَفت ، فقال : إى وربِّ هذه البَنِيَّة[1] ! إنها لمن يَزِيد[2] النفس طِيبا والعقل شَحْذا ، اِبعثوا إليها عن رسالتى فإن أبت صرتُ إليها ، فقال له بعض القوم : إنّ النُّقْلة تشتدّ عليها لثقل بدنها وما بالمدينة دابّة تحملها ، فقال النعمان : وأين النجائب عليها الهوادج؟ فوجّه إليها بنجيبة فذكرت عِلّة ، فلما عاد الرسول إلى النعمان قال لجليسه : أنت ٥ كنت أخبَر بها ، قوموا بنا[3] ، فقام هو مع خواصّ أصحابه حتى طرقوها فأذِنت وأكرمت وآعتذرت ، فقبل النعمان عذرها وقال لها : غَنِّى ، فغنّت

أَجَدَّ بعَمْرَةَ غُنْيانُها[4] ٭ فتهجُرَ أم شأنُها شانُها[5]؟
وعَمْرةُ من سَرَوَاتِ النسا ٭ ءِ تَنْفَحُ بالمسكِ أردانُها[6]

قال : وهذا الشعر هو لقَيْس بن الخطِيم فى أمّ النعمان بن بشير وهى عَمْرة بنت رَوَاحة ١٠ أخت عبدالله بن رواحة قال : فأُشِير الى عَزَّة أنها أمه فأمسكت فقال : غنّنِي فوالله ماذكر إلا كرما وطِيبا ولا تغنّى سائر اليوم غيرَه ، فلم تزل تغنّيه هذا اللحن حتى آنصرف .

ومنهم : حسان بن ثابت الأنصارىّ رضى الله عنه . روى أبو الفرج الأصفهانىّ بسنده الى محرز بن جعفر قال : خَتَن زَيْد بن ثابت بنيه وأولم وآجتمع إليه المهاجرون والأنصار وعامّة أهل المدينة ، وحضر حسان بن ثابت وقد كُفّ بصره يومئذ وثقل

١٥ (١) فى الأغانى ، ج ١٤ ص ١٢١ طبع بولاق «وربّ الكعبة» .
(٢) الأصل : لمن ، والتصويب عن الأغانى ، ج ١٤ ص ١٢١
(٣) كذا بالأصل ، وفى الأغانى : إليها .
(٤) غنيانها : أى آستغناؤها ، وفى الأصل : « عيانها » والتصويب عن الأغانى واللسان وديوان الشاعر المذكور بعدُ المطبوع فى ليبسيك سنة ١٩١٤ م .
٢٠ (٥) كذا فى الأصل : وفى الأغانى واللسان والديوان « أم شأننا شانها » وكلاهما ذو معنى والأوّل أوجه .
(٦) جمع ردن بضم فسكون وهو مقدّم كم القميص أو القميص كله .

سمعه فوُضع بين يديه خُوَانٌ ليس عليـه غيره إلا عبد الرحمن آبنه ، وكان يسأله كلما وُضعت صحفة قال : أطعام يد أم يدينِ ؟ فلم يزل يأكل حتى جِيء بشِواءٍ ، فقال : أطعام يد أم يدينِ ؟ فقال : بل طعام يدين، فأمسك يده، حتى إذا فُرِغ من الطعام ثُنِيت وِسادةٌ وأقبلت عَزّة المَيْـلاء وهى إذًا شابّة، فوُضع فى حجرها مِزْهَرٌ فضربت به وتغنّت، فكان أوّل ما آبتدأت به شِعر حسان ٥

فلا زال قَصْرٌ بين بُصْرَى وجِلَّقٍ(١) * عليـه من الوَسْمِيّ جَوْدٌ ووابلُ

فطَرِب حسان وجعلت عيناه تنضَحَان على خدّيه وهو مُصغٍ لها .

وروى أيضا بسنده إلى خارجة بن زيد أنه قال : دُعِينا الى مأدُبة فى آل نُبَيط فحضرنا وحضر حسان بن ثابت فجلسنا جميعا على مائدة واحدة وهو يومئـذ قد ذهب بصره ومعه آبنه عبد الرحمن ، وكان إذا أُتِى بطعام سأل آبنه عبد الرحمن أطعام يد ١٠ أم طعام يدين؟ يعنى بطعام اليد الثريدَ، وطعام اليدين الشواءَ لأنه يُنهش نهشا فإذا قال : طعام يد أكل وإذا قال : طعام يدينِ أمسك يده ؛ فلما فرغوا من الطعام أتَوْا بجاريتين مغنّيتين إحداهما "رائقة" والأخرى "عَزّة" فجلستا وأخذتا مِزْهَرَيهما وضربتا ضربا عجيبا وغنّتا بقول حسان بن ثابت

أُنظر خليلى بباب جِلِّقَ هل * تُؤْنِس دون البلقاءِ من أَحَد ١٥

قال : فأسمعُ حسانَ يقول : قد أرانِى هناك(٢) سميعًا بصيرًا، وعيناه تدمعان، فاذا سكتتا سكن عنه البكاء واذا غنّتا يبكى ، قال : وكنت أرى عبد الرحمن آبنـه إذا سكتتا يشير إليهما أن غنّيا، فيبكى أبوه فيقال : ما حاجته إلى بكاء أبيه ؟ . (٨١)

---

(١) هى دمشق أو غوطتها وزنها كحِمِّص وقِنَّب .

(٢) فى الأغانى، ج ١٦ ص ١٥ : بها . ٢٠

وروى أيضا بسنده إلى عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير عن شيخ من قريش قال :
إنى وفِتْية من قريش عند قَيْنة ومعنا عبد الرحمن بن حسان بن ثابت إذ آستأذن
حسان، فكرِهنا دخوله وشقّ علينا فقال لنا عبد الرحمن آبنه : أيسركم ألّا يجلس ؟
قلنا : نعم، قال : فمروا هذه إذا نظرت اليه أن تُغنّى

٥ أَولادُ جَفْنةَ حَوْل قبرِ أَبيهِمُ * قبرِ آبنِ مارِيَةَ الكريم المُفْضِلِ
يُغْشَوْن حتى ما تَهِـرُّ كلابُهم * لا يسألون عن السواد المُقْبِلِ

قال : فغنّته، فوالله لقد بكى حتى ظننّا أنه سيلفظ نفسه، ثم قال : أفيكم الفاسِقُ؟
لَعَمْرى لقد كَرِهتم مجلسى اليوم، وقام فانصرف . وهذا الشعر لحسان بن ثابت وهو
ممـا آمتدح به جَبَلة بن الأَيْهم وهو من قصيدة طويلة منها قوله فى مدح آلِ جفنة

١٠ بِيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهم * شُمُّ الأنوفِ من الطِّرازِ الأوّلِ

وروى أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسىّ رحمه الله تعالى بسند رفعه إلى الحارث
آبن عبد الله بن العباس : أنه بينما هو يسير مع عُمَر بن الخطاب رضى الله عنه بطريق
مكة فى خلافته ومعه مَنْ معـه من المهاجرين والأنصار، ترنّم عمر ببيت، فقال له
رجل من أهـل العراق — ليس معه عراقىّ غيره — : غيرُك فليقُلْها يا أمير المؤمنين !
١٥ قال : فاستحيا عمر وضرب راحلتـه حتى آنقطعت مِنَ الرَّكْب . قال المقـدسىّ :
ويزيد ذلك وضوحا — وساق حديثا بسند رفعه الى يحيى بن عبـد الرحمن — قال : خرجنا
مع عمر بن الخطاب رضى الله عنـه فى الحجّ الأكبر حتى إذا كان عمرُ بالرَّوْحاء[1] كلّم
الناس رَباحَ بنَ المعترِف[2]، وكان حسنَ الصوت بغناء الأعراب، فقالوا : أَسْمِعْنا
وقَصِّر عنا الطريق، فقـال : إنّى أَفْرَقُ من عمرَ قال : فكلّم القومُ عمرَ : إنا كلّمنا

٢٠ (١) موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلا من المدينة .
(٢) فى الأصل : «المعرف» والتصويب عن أسد الغابة .

رباحا أن يُسمِعَنا و يُقصّرَ عنا طريقَ المسير فأبى إلا أن تأذن له ، فقال له : يا رباح أَسْمِعهم وقصّر عنهم المسير فاذا أسحرت فارفع وآحدُهم بشعر ضِرار بن الخطّاب ، فرفع عَقِيرته يتغنّى وهم محرمون .

وروى أيضا بسنده إلى يَزِيدَ بن أسلم عن أبيهِ : أن عمر رضى الله عنه مرّ برجل يتغنّى فقال : إنّ الغناءَ زادُ المسافرِ .

وروى سُفْيان الثَّوْرِىّ وشُعْبة كلاهما عن أبى إسحاق السَّبِيعِىّ عن عامر بن سعد البَجَلىّ : أن أبا مسعود البدرِىّ، وقَرَظَةَ بن كعبٍ، وثابتَ بن يزيد، وهم فى عُرْسٍ وعندهم غناء ، فقلت : هــذا وأنتم أصحاب محمد صلى الله عليــه وسلم ! فقالوا : إنه رُخِّص لنا فى الغناء فى العرس والبكاء على الميّت فى غير نَوْح ، إلا أنّ شعبة قال : ثابت بن وديعة مكان ثابت بن يزيد ولم يذكر أبا مسعود .

وقال الإمام أبو حامد الغزالىّ رحمــه الله تعالى عن أبى طالب المكىّ : سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن الزبير، والمغيرة بن شُعْبة، ومعاوية وغيرهم وقال : قد فعل ذلك كثير من السَّلَف صحابىّ وتابعىّ بإحسان .

وروى الحافظ أبو الفضــل المقدسىّ بسند رفعــه إلى عمر بن أبى زائدة قال : حدّثتنى آمرأة عمر[1] بن الأصمّ قالت : مررنا ونحــن جَوَارٍ بمجلس سَعِيد بن جُبَير ومعنا جارية تغنّى ومعها دُفّ وهى تقول

لئن فَتَنَتْنِى فهى بالأمسِ أَفْتنتْ * سَعِيدًا فأمسَى قد قَلَى كلّ مسلِمِ
وألقَى[2] مفاتيحَ القِــراءةِ وآشترى * وِصَالَ الغوانِى بالكتابِ المُنَمْنَمِ

فقال سعِيد : تكذِبين تكذِبين .

(١) الذى فى شرح الاحياء، ج ٦ ص ٤٦١ « عمرو » .

(٢) فى الاصول فالق بالفاء . والتصويب عن شرح الاحياء، ج ٦ ص ٤٦١

ذكر من سمع الغناء من الأئمة والعُبّاد والزّهّاد

قالوا : وقد سمع الغناء من الأئمة الإمام الشافعيّ ، وأحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى، وغيرهما من أصحابهما . روى الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن على المقدسيّ رحمه الله تعالى بسند رفعه إلى المَرِيسِيّ، قال : مررنا مع الشافعيّ و إبراهيم ٥ آبن اسماعيل على دار قوم وجارية تغنّيهم

خليـــليّ ما بالُ المطايا كأنهـا * نراها على الأعقاب بالقوم تَنْكُصُ (١)

فقال الشافعيّ : مِيلُوا بنا نســمع، فلما فَرَغت قال الشافعيّ لإبراهيم : أيُطرِبك هذا ؟ قال : لا، قال : فما لك حِسّ !

وروى أيضا بسندٍ رفعه إلى صالح بن أحمد بن حنبل قال : كنتُ أُحبّ السماع ١٠ وكان أبي يكره ذلك، فواعدتُ ليلةً آبنَ الخبّازة فمكث عندى إلى أن علمتُ أنّ أبي قد نام، فأخذ يُغنّى، فسمعتُ خَشْفةً فوق السطح، فصَعِدتُ، فرأيتُ أبي فوق السطح يسمع ما يغنّى وذيله تحت إبطِه وهو يتبختر كأنه يرقص . قال : وقد رُوِيتْ هذه الحكاية أيضا عن عبدالله بن أحمد بن حنبل — وساق سندا إليه — قال : كنت أدعو آبنَ الخبّازة وكان أبي ينهانا عن الغناء، وكنت إذا كان عندى كتمته من أبي ١٥ لئلا يسمع، فكان ذات ليلةٍ عندى وهو يقول، فعَرَضَتْ لأبي عندنا حاجةٌ — وكانوا في زقاق — فجاء وسَمِعه يقول، فوقع في سَمْعه شيء من قوله، فخرجتُ لأنظر فإذا بأبي يترجّح (٢) ذاهبا وجائيا، فرددتُ الباب ودخلت، فلما كان من الغد قال أبي : يا بنيّ، إذا كان مثلَ هذا فنعم الكلام، أو معناه . قال أبو الفضل : وآبن الخبّازة هذا هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن زكريّا الشاعر، وكان عاصَرَ أحمد ورثاه حين مات .

(١) تنكص : ترجع، وقد ورد هذا البيت في الأغاني، ج ٤ ص ١٦٤ هكذا ٢٠
خليـــليّ ما بال المطايا كأنما * نراها على الأدبار بالقوم تنكص

(٢) أى يتمايل .

وروى أبو الفضل أيضا بســند رفعه الى مُصْعَب[١] الزُّهْرِىّ أنه قال : حضرت مجلس مالك بن أَنَس فسأله أبو مصعب عن السماع فقال مالك : ما أدرى ، أهلُ العلم ببلدنا لايُنكرون ذلك ولايقعدون عنه ولا ينكره إلا غبىٌّ جاهل أو ناسكٌ عِراقىّ غليظ الطبع . وقال أيضا : أخبرنا أبو محمد التميمىّ ببغداد قال : سألتُ الشريف أبا علىّ محمد بن أحمد بن أبى موسى الهاشمىّ عن السماع فقال : ما أدرى ما أقول فيه ، غيرَ أنى حضرت دار شيخنا أبى الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمىّ سنة سبعين وثلثمائة فى دعوة عَمِلها لأصحابه ، حضرها أبو بكر الأَبْهَرِىّ شيخ المالكية ، وأبو القاسم الدَّارِكىّ شيخ الشافعية ، وأبو الحسن طاهر بن الحسن شيخ أصحاب الحديث ، وأبو الحسن آبن سمعون شــيخ الوعّاظ والزهّاد ، وأبو عبــد الله محمد بن مجاهد شيخ المتكلّمين ، وصاحبــه أبو بكر الباقلانى فى دار شيخنا أبى الحسن التميمىّ شــيخ الحنابلة فقال أبو علىّ : لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق مَنْ يُفتِى فى حادثة يشــبه واحدا منهم ، ومعهم أبو عبد الله غلام تامٌّ ، وكان هذا يقرأ القرآن بصوت حَسَن ، وربما قال شيئا ، فقيل له : قل لنا شيئا ، فقال لهم وهم يسمعون

خَطّتْ أناملُها فى بطن قرطاس * رســالةً بعبـــيرٍ لا بأنقــاسِ[٢]
أَنْ زُرْ فَدَيتك لى من غير مُحْتَشِمٍ[٣] * فإنّ حبّك لى قد شاع فى الناسِ
فكان قولى لمن أدّى رسالتهــا * قفْ لى لأمشى على العينين والراسِ

قال أبو علىّ : فبعد أن رأيت هذا لا يمكننى أن أُفْتِىَ فى هذه المسألة بِحَظْر ولا إباحة .

---

(١) كذا فى الأصل والصواب أبو مصعب كما فى كتب التراجم ويدلّ عليه قوله فيما بعد : فسأله أبو مصعب وهو كنية أحمد بن أبى بكر الزهرى المدنى أحد رواة الموطأ عن الامام مالك .

(٢) بأنقاس : جمع نِقْس وهو المداد .

(٣) الذى فى شرح الاحياء للسيد المرتضى

* أن زر فديتك قف لى غيرَ محتشِمٍ *

وممن أحبّ السماع والغنـاء وسمعه من الزّهاد والعبّاد والعلماء أبو السائب المخزومى . روى أبو الفرج الأصبهانىّ بسنده الى صفيّة بنت الزبير بن هشام قالت: كان أبوالسائب المخزومىّ رجلا صالحا زاهدا مُتقلّلا يصوم الدهر وكان أرقّ خلق الله قلباو أشدّهم غَزَلا، فوجّه غلامه[1] يوما يأتيه بما يُفطِر عليه فأبطأ الغلام الى العَتَمة، فلما جاء قال له : ياعدوّ نفسِه، ما أخّرك الى هذا الوقت ؟ قال : آجتزت بباب فلان فسمعت منه غناء فوقفت حتى أخذته، فقال: هاته يابنىّ، فوالله لئن كنتَ أحسنت لأحْبُوَنّك و إن كنت أسأت لأضربنّك، فاندفع يُغَنّى بشعر كُثَيّر

ولـمّا علَوْا شِعْبا تَبَيّنتُ أنه * يُقَطّع من أهل الحجاز علائِق
فلازِلنَ حَسْرَى ظُلَّعالمْ حَمَلْنها * الى بلدٍ ناءٍ قليـلِ الأصادقِ

فلم يزل يغنيه و يستعيده إلى نصف الليل، فقالت له زوجته : يا هـذا، قد آنتصف الليل وما أفطرتَ، فقال لهـا : أنتِ الطلاقُ إن أفطرنا على غيره، فلم يزل يغنّيه و يستعيده حتى أسحر، فقالت له : هـذا السحَر وما أفطرنا، فقال لها : أنت الطلاق إن كان سَحُورنا غيره، ثم قال لآبنه : يا بُنىّ، خذ جُبّتى هذه وأعطنى خَلَقك ليكون الحِباءُ فضلَ ما بينهما، فقال له : يا أبتِ، أنت شيخ وأنا شابّ وأنا أقوى على البرد منك، فقال له: يا بنىّ، ما ترك هذا الصوتُ للبرد علىّ سبيلا ما حييتُ. و يؤيد هذه الحكاية ما حكاه أبو طالب المكىّ فى كتابه، قال : كان بعض السامعين يقتات بالسماع لِيقوَى به على زيادة طَيّه ، كان يَطْوِى اليوم واليومين والثلاثة ، فاذا تاقت نفسه الى القوت عدل بها الى السماع فأثار تواجدَه فاستغنى بذلك عن الطعام .

و روى أبو الفرج بسندِهِ إلى عبـد الله بن أبى مُلَيكة عن أبيه عن جدّه قال : كان بالمدينة رجل ناسك من أهل العلم والعفّة، وكان يَغْشَى عبدَ الله بن جعفر فسمع جاريةً مُغَنّية لبعض النخّاسين تُغَنّى

(١) فى الأغانى، ج ٧ ص ٣٠ : «ابنه» .

بانت سعادُ وأمسى حَبْلُها آنقطعا * وآحتلّت الغَوْرَ فالجَدّين فالفَرَعَا
وأنكرتْني وما كان الذى نَكِرت * من الحوادثِ إلا الشَّيبَ والصَّلَعَا

فهام الناسك وترك ما كان عليـه حتى مشى إليـه عطاء وطاوس ولاماه، فكان جوابُه لهما أن تمثّل

يلومني فيك أقوامٌ أُجالسهم * فما أبالِي أطارَ اللّومُ أم وَقَعَا

فبلغ عبدَالله بن جعفر خبرُه فبعث إلى النخّاس فاعترض الجاريةَ وسمع غِناءها بهذا الصوت وقال : ممن أخذتيه؟ قالت : مِن عَزَّةَ المَيْلاء فابتاعها بأربعين ألف درهم ثم بعث إلى الرجل فسأله عن خبرها فأعلمه إياه، فقال : أتحبّ أن تسمع هذا الصوتَ ممن أخذتْه عنه تلك الجاريةُ ؟ قال : نعم، فدعا عزّة الميلاء فقال : غنّيه إياه، فغنّته، فصَعِق الرجل [وخرّ][(1)] مَغْشِيًّا عليه، فقال آبن جعفر : أَثِمْنَا فيه، المـاءَ المـاءَ ! فنُضح على وجهِهِ، فلما أفاق قال له : أكلُّ هـذا بلغ بك عشقُها ؟ قال : وما خَفِيَ عليك أكثر قال : أفتحبّ أن تسمعه منها ؟ قال : قد رأيتَ ما نالنى حين سمعتُه من غيرها وأنا لا أحبّها فكيف يكون حالى إن سمعتُه منهـا وأنا لا أقدر على مِلْكها فأخرجها إليه وقال : خذها فهى لك و والله ما نظرتُ إليها إلا عن عُرُضٍ، فقبّل الرجل يديهِ و رجليـهِ وقال : أَنَمْتَ عَيْني وأَحييتَ نفسى وتركتنى أعيش بين قومى و رددتَ إلىّ عقلى ودعا له دعاء كثيرا، فقال عبد الله : ما أرضى أن أُعطيكَها هكذا، يا غلام، آحمِلْ معه مثل ثمنها، ففعل .

قال الغزالىّ رحمه الله فى «إحياء علوم الدين» : كان آبن مجاهد لا يُجيب دعوةً إلا أن يكون فيها سماع . قال : وكان أبو الخير العسقلانىّ الأسود من الأولياء يسمع و يَوْلَهُ

(1) الزيادة عن الأغانى، ج ١٦ ص ١٩

عند السماع وصنّف فيـه كتابا وردّ فيه على منكرِيهِ . وحُكِى عن بعض الشيوخ أنه قال : رأيت أبا العباس الخضر عليـه السلام فقلت : ما تقول فى هذا السماع الذى آختلف فيه أصحابنا؟ قال : هو الصفاءُ الزُّلال الذى لا تثبت عليهِ إلا أقدامُ العلماء .

وروى الأصفهانىّ بسند رفعه إلى آبن كُنَاسـة قال : آصطحب شيخ مع شابّ فى سفِينة فى الفُرَات ومعهم مغنّية، فلما صاروا فى بعض الطريق قالوا للشيخ: معنا جاريةٌ وهى تُغنّى فأحببنا أن نَسمع غناءها فهِبْناكَ ، فإن أَذِنتَ فَعلْنا ، فقال : أنا أصعَدُ فى ظِلال السفينة فاصنعوا أنتم ما شئتم فصَعِد، وأخذت المغنّيةُ عودَها وغنّت

حتى إذا الصبح بدا ضوءُهُ * وغابت الجـوزاءُ والمِرْزَمُ
أقبلتُ والوطءُ خَفِىٌّ كما * ينسـابُ فى مَكْمَنه الأَرْقَمُ

فطرِب الشيخ وصاح ثم رمى بنفسِهِ وبثيـابِهِ فى الفُرَات وجعل يغوص ويطفو ويقول: أنا الأرقم أنا الأرقم! فألقَوْا أنفسهم خلفه فبعد لأْيٍ ما آستخرجوه، وقالوا : يا شيخ، ما حملك على ما فعلت ؟ فقال : إليكم عنّى، فإنى أَعرِف من معانى الشعر ما لا تعرِفون، فقالوا له : ما أصابك ؟ قال : دبّ من قدمى شىء إلى رأسى كدبيب النَّمْل ونزل من رأسى مثلُه ، فلما آجتمعا على قلبي عَمِلتُ ما عَمِلتُ .

وقال أحمد بن أبى دُواد : كنتُ أَعِيبُ الغناء وأطعَنُ على أهله ، فخرج المعتصم يوما إلى الشَّمّاسِيّة فى حَرّاقة ووجّه فى طلبي فصِرتُ إليـه ، فلما قَرُبتُ منه سمعتُ غنـاء حيّرنى وشَغَلنى عن كلّ شىء، فسقط سَـوْطى عن يدى، فالتفتّ إلى غلامى أطلب منه سوطا، فقال لى : قد والله سقط منّى سوطى، فقلت له : أىّ شىء كان سببَ سقوطه ؟ قال : صوت سمعته فحيّرنى فما علمتُ كيف سقط، فإذا قِصّتُه قِصّتى . قال : وكنتُ أُنكر أمر الطرب على الغناء وما يستفزّ الناسَ منه فيغلب على

عقولهم، وأُناظر المعتصمَ عليه، فلما دخلتُ عليه يومئذ أعلمته بالخبر فضحك وقال : هذا عمّى كان يغنّينى

إنّ هذا الطويل من آل حَفْص * أَنشَرَ المجدَ بعد ما كان ماتا

فإن تُبتَ مما كنتَ تُناظر عليه من ذمّ الغناء سألته أن يُعيده، ففعلتُ وفعل، فبلغ بى الطربُ أكثر ممـا يبلغه من غيرى، ورجعتُ عن رأيى منــذ ذلك اليوم؛ وعمه الذى أشار إليه هو إبراهيم بن المهدى» .

ذكر مَنْ غنّى من الخلفاء وأبنائهم ونُسبت له أصواتٌ من الغناء نُقِلَتْ عنــه

كان مَنْ غَنَّى من الخلفاء — على ما أورده أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه المترجم بالأغانى — ونُسِبت له أصواتٌ جماعةٌ، منهم عمر بن عبد العزيز قد نُسِبَتْ له أصواتٌ، ومنهم من أنكر ذلك ولعلّ ما نُقل عنه كان منه قبل الخلافة. وكان رحمه الله من أحسن الناس صوتا فكان مما نسب إليه من الغناء

عَلِقَ القلبُ سُعَادا * عادت القلبَ فعادا
كُلّمـا عُوتب فيها * أو نُهِى عنهـا تمادى
وهومشغوفٌ بسُعْدَى * وعَصَى فيهـا و زادا

وممـا نُسِب إليه من الغناء ما قيل إنه غنّاه من شعر جرير

قِفا يا صاحِبيّ نَزُرْ سُعَادَا * لِوَشْـك فِراقها ودَعَا البِعادا(١)

(١) ورد هذا البيت فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب تحت رقم ١ ش أدب هكذا :

أَلِمّـا صاحبيّ نزر سعادا * لقرب مزارها وذَرَا البعادا

وورد هكذا أيضا فى الأغانى، ج ٨ ص ١٥٠ عدا الشطر الثانى فانه هكذا :

* لوشك فراقها وذرا البعادا *

لَعَمْرُكَ إنّ نفع سعاد عنّى * لمصروف ونفعى عن سعادا
إلى الفاروق ينتسب ابنُ ليلى[1] * ومَرْوانَ الذى رفع العمادا

ومن ذلك ما قيل إنه غنّاه من شعر الأشهب بن رُمَيلة[2]

ألا يا دِينَ قلبُك من سُلَيمى * كما قد دِينَ قلبُك من سعادا
هما سَبَتا الفؤاد وهاضتاه[3] * ولم يُدرِك بذلك ما أرادا
قِفا نَعرِف منازِلَ من سليمى * دَوَارِسَ بين حَوْمَلَ أو عرادا
ذكرتُ لها الشباب وآل ليلى * فلم يزد الشبابُ بها مَرادا
فإن تَشِب الذوائبُ أمّ عمرو * فقد لاقيتُ أياما شِدادا

وممن غنّى من خلفاء الدولة العباسية، ممن دُوِّنت له صنعة، الواثق بالله أبو جعفر هارون بن المعتصم بالله بن الرشيد . حكى أبو الفرج الأصفهانىّ بسند رفعه إلى إسحاق بن ابراهيم الموصلىّ قال : دخلتُ يوما دار الواثق بالله بغير إذن إلى موضع أمر أن أدخله إذا كان جالسا، فسمعت صوت عود من بيت وترنُّما لم أسمع أحسن منه، فأطلع خادم رأسه ثم ردّه وصاح بى، فدخلت وإذا أنا بالواثق بالله، فقال : أىَّ شىء سمعت ؟ فقلت : الطلاق كامل لازم له وكلّ مملوك له حرّ لقد سمعتُ ما لم أسمع مثله قطُّ حُسْنا ! فضحك وقال : وما هو ؟ إنما هذه فَضْلة أدب وعلم مدحه الأوائل وآشتهاهُ أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون بعدهم وكَثُر فى حَرَم الله عزّ وجلّ ومهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتحب أن تسمعه ؟ قلت : إى والله الذى شرّفنى بخطابك وجميل رأيك، فقال : ياغلام، هات العود وأعط إسحاق رطلا، فدفع الرطل إلىّ وضرب وغنّى فى شعر لأبى العتاهية بلحن صنعه فيه

(١) فى الأصل : "لبنى" والتصويب عن الأغانى والديوان . (٢) فى الأصل : رَمْلة . والتصويب عن الأغانى، ج ٨ ص ١٥٨ (٣) فى الأغانى، ج ٨ ص ١٥٨ : وأصبتاه .

أَضحتْ قبورُهُمُ من بعد عِزّتهم * تَسفِي عليها الصبا والحَرْجَفُ الشَّمِلُ
لا يَدْفعون هوامًا عن وُجُوهِهِمُ * كأنهم خَشَبٌ بالقاعِ مُنْجَدِلُ

فشربتُ الرطل ثم قمتُ فدعوتُ له فآحتبسني وقال : أتشتهى أن تسمعه بالله ؟ فقلتُ : إى والله ، فغنّانِيهِ ثانية وثالثة ، وصاح ببعض خدمه وقال : احمِل إلى إسحاق الساعةَ ثلاثمائة ألف درهم ، قال : يا إسحاق ، قد سَمِعتَ ثلاثة أصوات وشربتَ ثلاثة أرطال وأخذتَ ثلاثمائة ألف درهم فآنصرف إلى أهلك مسرورًا ليُسَرّوا معك ، فانصرفتُ بالمال . وقال أبو الفرج بسنده إلى عَرِيب المأمونية قالت : صنع الواثق بالله مائة صوت ما فيها صوت ساقط ، ولقد صنع فى هذا الشعرَ

هل تَعلَمين وراءَ الحبّ منزلةً * تُدْنِى إليكِ فإن الحبّ أقصانى
هذا كِتابُ فَتًى طالت بليّتهُ * يقول يا مُشتكَى بثّى وأحزانى

قال : وكان الواثق بالله إذا أراد أن يَعرِض صنعته على إسحاق نسبها إلى غيره فقال : وقع إلينا صوتٌ قديمٌ من بعض العجائز فآسمعه ، وأمر مَن يغنّيه إياه . وكان إسحاق يأخذُ نفسه بقول الحقّ فى ذلك أشدّ أخذ ، فإن كان جيّدا رَضِيَهُ وآستحسنه . وإن كان فاسدًا أو مُطَّرَحًا أو متوسّطًا ذكر ما فيه ، فإن كان للواثق فيه هوًى سأله تقويمه وإصلاحَ فاسدِهِ وإلا آطّرحه . وقال إسحاق بن آبراهيم : كان الواثق أعلم الناس بالغناءِ وبلغت صنعته مائة صوت وكان أحذقَ مَنْ غنّى بضرب العود ثم ذكر أغانيَه ، وذكر أبو الفرج الأصفهانى منها أصواتا ، منها

ولم أرَ لَيلَى غيرَ مَوْقِفِ لَيلةٍ * بخَيْفِ مِنًى تَرْمِى جِمارَ المُحَصَّبِ
ويُبْدِى الحصى منها إذا خَذَفَتْ به * من البُرْدِ أطرافَ البنانِ المُخَضَّبِ
ألا إنما غادَرْتِ يا أمّ مالكٍ * صدًى أينما تَذْهَبْ به الريحُ يَذْهَبِ
وأصبحتُ من لَيْلَى الغَداةَ كناظِرٍ * مع الصبح فى أعجاز نَجْمٍ مُغَرِّبِ

وذكر أصواتا كثيرة غير هذا تركنا ذكرها آختصارا .

قال : ولما خرج المعتصِم الى عَمُّورِيَّةَ آستخلف الواثقَ، فوجّه الواثقُ إلى الجلساء والمغنّين أن يُبَكّروا إليه يوما حدّه لهم، ووجّه إلى إسحاق، فحضر الجميع، فقال لهم الواثق : إنى عزمتُ على الصَّبوح ولستُ أجلس على سريرٍ حتى أختلط بكم ونكون كالشىء الواحد فآجلسوا معى حَلْقة وليكن إلى جانبِ كلّ جليسٍ مُغنّ، فجلسوا كذلك، فقال الواثق : أنا أبدأ، فأخذ العود فغنّى وشربوا وغنّى مَن بعده حتى آنتهى إلى إسحاق وأُعطِى العودَ فلم يأخذه فقال : دعوه ثم غنّوا دورا آخر، فلما بلَغ الغناءُ إلى إسحاق لم يُغنّ وفعل ذلك ثلاث مرات، فوثب الواثق فجلس على سريره وأمر بالناس فأُدخِلوا فما قال لأحد منهم : اجلس، ثم قال : علىّ بإسحاق، فلما رآه قال : يا خُوزِىّ[1] يا كلبُ، أتبَذّل لك وأُغنّى فترفّع علىّ ! أتُرانى لو قتلتك كان المعتصِم يُقِيدنِى بك ؟ اِبطَحوه، فبُطِح وضُرِب ثلاثين مِقْرعة ضربا خفيفا وحلف لا يُغنّى سائر يومه سِواه، فآعتذر وتكلّمت الجماعةُ فيه، فأخذ العود وما زال يغنّى حتى آنقضى مجلسه. وللواثق بالله فى الغناء أخبار وحكايات يطول بذكرها الشرح .

ومنهم المنتصر بالله أبو جعفر محمد بن المتوكل على الله أبو الفضل جعفر . قال يَزِيد المهلبىّ : كان المنتصر حَسَنَ العلم بالغناء، وكان إذا قال الشعر صَنَع فيه وأمر المغنّين بإظهاره، فلما وَلِىَ الخلافةَ قطع ذلك وأمر بستر ما تقدّم منه، فلذلك لم تظهر أغانِيـــهِ .

ومنهم المعتزّ بالله أبو عبد الله محمد بن جعفر المتوكل . ذُكر أيضا أنه كان يغنّى أصواتا، فما غنّى به فى شعر عدىّ بن الرِّقَاع

(١) الخوزىّ نسبة الى الخوز، وهى بلاد خوزستان وأهلها ألأم الناس وأسقطهم نفسا كما جاء فى معجم البلدان لياقوت .

لعَمْرى لقد أَصْحَرتْ[1] خَيلُنا * بأكناف دِجْـــلةَ للمُصْعَبِ

فمَن يك منّــا يَبِتْ آمنا * ومَن يك من غيرنا يَهْــرُبِ

وهذه الأبيات من قصيدة لعدىّ بن الرِّقاع قالها فى الوقعة التى كانت بين عبد الملك آبن مروان ومُصْعَب بن الزُّبَير وقُتِــل فيهــا مصعب بن الزبير على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى أخبار عبد الله بن الزبير . ٥

ومنهم المعتمد على الله أبو العباس أحمــد بن المتوكل على الله ، هو ممن له يدٌ فى الغناء وصنعةٌ حسنة ، ومما نُقِل من أغانيهِ أنه غنّى فى شعر الفرزدق

ليس الشفيعُ الذى يأتيك مؤتزِرًا * مِثلَ الشفيع الذى يأتيك عُرْيَانَا

وقال[2] عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر : إن المعتضِد جمع النغم العشر فى صوت صنعه فى شعر دُرَيد بن الصِّمَّة وهو ١٠

يا ليتنِى فيهــا جَذَعْ * أَخُبّ فيهــا وأَضَعْ

قال : وآستعلمنى هل هو صحيح القسمة والأجزاء أم لا؟ فعرّفته صحته ودللته على ذلك حتى تيقّنه فسرّ به ، قال عُبَيد الله : وهو لعَمْرى من جيّــد الصنعة ونادرها ، قال : وقد صنع ألحاناً فى هــذه الأشعار[3] صنع فيها الفحولُ من القــدماء والمُحْدَثين وعارضهم بصنعتِهِ فأحسن وشاكل وضاهى فلم يعجز ولا قصّر. ولا أتى بشىءٍ يُعتذر منه . قال : فمن ذلك أنه صنع فى قول الشاعر ١٥

أمّا القَطاةُ فإنى سوفَ أنعتُها * نعتًا يوافق نعتِى بعضَ ما فيها

---

(١) أصحرت : برزت الى الصحراء .

(٢) من هنا ابتدأ المؤلف فى الحديث عن المعتضد الذى هو ابن المعتمد ولم يترجم له كما فعل فى سابقه .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى كتاب الاغانى ، ج ٩ ص ٢٠ : «فى عدّة أشعار قد صنع» الخ . ٢٠

بجاء فى نهاية الجَوْدة وهو أحسن ما صُنِع فى هـذا الشعر على كثرة الصنعة فيه وآشتراك القدماء والمحدَثين فى صنعته ، مثل مَعْبد ونَشيط ومالك وآبن مُحْرِز وسِنَان وعُمَر الوادى وآبن جامع و إبراهيم وآبنه إسحاق وعلّويه . قال : وصنع فى

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْىَ لمّا جَهَدْتُهُ * وبيّن لو يَسْطِيع أن يَتَكَلَّما

فما قَصّر فى صنعته ولا عَجَز عن بلوغ الغاية فيها مع أصوات له صنعها تُناهِز مائة صوت ما فيها ساقط ولا مرذول . فهؤلاء الذين لهم صنعة فى الغناء من الخلفاء .

* * *

وأما أبناء الخلفاء الذين لهم صنعة ويدٌ فى هذا الفن

فمنهم إبراهيم بن المهدىّ ، وأخته عليّة بنت المهدىّ رحمهما الله تعالى ، و إبراهيم يكنى أبا إسحاق وأمه شِكْلة أَمَةٌ مولَّدة كان أبوها من أصحاب المازيار يقال له : شاه أفرند[1] قتل مع المازيار وسُبِيت شكلة فحُملت إلى المنصور فوهبها لمحيّاة أمّ ولده فربّتها و بعثت بها إلى الطائف فنشأت هناك ، فلما كَبِرَت رُدّت إليها ، فرآها المهدىّ فأعجبته فطلبها من مُحيّاةَ فأعطته إياها فولدت له إبراهيم . قال أبو الفرج الأصفهانىّ بسند رفعه إلى إسحاق بن إبراهيم قال : كان إبراهيم بن المهدىّ أشدَّ خَلْق الله إعظاما للغناء وأحرصَهم عليه وأشدّهم منافسةً فيه ، قال : وكانت صنعته ليّنة فكان إذا صنع شيئا نسبه إلى غيره لئلا يقع عليه طعن أو تقريع فَقَلّتْ صنعته فى أيدى الناس مع كثرتها ، وكان إذا قيل له فيها شىء يقول : إنما أصنع تطربا لا تكسّبا وأُغَنّى لنفسى لا للناس فأعملُ ما أشتهى . قال : وكان حُسْن صوته يستر عَوَارَ ذلك ، وكان الناس يقولون : لم يُرَ فى جاهلية ولا إسلام أَخٌ وأخت أحسن غناءً من إبراهيم بن

(١) كذا بالأصل ، وفى الطبرى : سكلة أمّ إبراهيم بن المهدىّ وهى بنت حرناسان قهرمان المصمغان ؛ وكتب مصححه : [illegible] ، أنظر الجزء الاول من القسم الثالث ص ١٠٤٠ طبع أوربا .

المهدىّ وأخته عليّـة، وكان إبراهيم يجادِل إسحاق ويأخذ عليه فى مواطن كثيرة إلّا أنه كان لا يقوم به[(1)] ويُظهِر إسحـاق خطأه، ووقع بينهما فى ذلك بين يدى الرشـيد وفى مجاسـه كلام كثير أفضى إلى أمور نذكرها إن شاء الله تعـالى فى أخبار إسحاق آبن إبراهيم. وكان إبراهيم بن المهدىّ فى أول أمرِه يتستّر فى الغناء بعض التستّر إلا أنه يذكره فى مجلس الرشيد أخيه، فلما كان من أمره فى الوثوب على الخلافة ما نذكره إن شاء الله تعالى فى أخبار الدولة العباسية عند ذكرنا لخلافة المأمون بن الرشـيد ثم أمّنه المأمون بعد هربه منه، تَهتّك بالغناء ومشى مع المغنّين ليلا إذا خرجوا من عنـد المأمون، وإنما أراد المأمون بذلك ليظهِر للناس أنه قد خلع رِبْقة الخلافة من عنقه وأنه تهتّك فلا يصلح للخلافة. وكان من أعلم الناس بالنغم والوَتَرِ والإيقاعات وأطبعهم فى الغناء وأحسنهم صوتا، وكان مع علمـه وطبعه ومعرفته يُقصّر عن الغناء القـديم وعن أن يحوَه فى صنعته، فكان يحـذف نغم الأغانى الكثيرة العمل حذفا شـديدا ويحققها على قدر ما يصلح له ويفِى بأدائه فإذا عِيب ذلك عليه قال: أنا ملِك وآبن ملِك وإنمـا أُغنّى على ما أشتهِى وكما ألتذّ، فهو أول من أفسد الغناء القديم.

ورُوِىَ عن حمدون بن إسماعيل قال: قال إبراهيم بن المهدىّ: لولا أنى أرفع نفسى عن هـذه الصناعة لأظهرتُ منها ما يعلم الناس معـه أنهم لم يروا قبلى مثلى.

وروى أبو الفرج الأصفهانىّ عن جعفر بن سليمان الهاشمىّ قال: حدّثنا إبراهيم آبن المهدىّ قال: دخلتُ يوما على الرشـيد وبى طَرْبَة خُمَار[(2)] وبين يديه آبن جامع  وإبراهيم الموصِلِىّ فقال: بحياتى يا إبراهيم غنّ، فأخذت العود ولم ألتفت إليهما لمـا فى رأسى من الفَضْلة، فغنّيت

(1) فى الأغانى ج ٩ ص ٤٩ «لا يقوم له».

(2) فى الأغانى ج ٩ ص ٥٠ «وفى رأسى فضلة خُمَار».

أَسَرَى لِخَالدةَ الخيالُ ولا أرى * شيئًا ألذّ من الخيال الطارق

إنّ البليّةَ مَن يُمَلّ حديثُهُ * فآنقعْ فؤادَكَ من حديث الوامق

أَهْواكِ فوق هَوَى النفوس ولم يزل * مذ بِنتِ قلبي كالجناح الخافِقِ

شوقًا إليك ولم تُجَازِ مودّتِي * ليس المكذّب كالحبيب الصادِقِ

٥ فسمعتُ إبراهيم يقول لآبن جامع : لو طلب هذا بهذا الغناء ما نطلب لما أكلنا خبزا أبدا، فقال آبن جامع : صدقتَ، فلما فرغتُ من غنائى وضعتُ العود ثم قلتُ : خذا فى حقّكما ودعا باطلَنا .

ورُوِىَ عن إبراهيم قال : كان الرشيد يحب أن يَسمَعَنى نخلا بى مرّات إلى أن سَمِعنى ، ثم حضرته مرّة وعنده سليمان بن أبى جعفر فقال لى : عمّك وسيّد ولد ١٠ المنصور بعد أبيك وقد أحبّ أن يسمعك ، فلم يتركنى حتى غنّيت بين يديه

سَقيًا لربعكِ مِنْ ربعٍ بذى سَلَمِ * وللزمانِ بهِ إذ ذاكَ من زمنِ

إذ أنتِ فينا لمن ينهاكِ عاصيةٌ * وإذ أجُرُّ إليكم سادِرًا رَسَنِي[(١)]

فأمر لى بألف ألف درهم ، ثم قال لى ليلةً ولم يبق فى المجلس عنده إلا جعفر بن يحيى : أنا أحبّ أن تُشرّف جعفرًا بأن تُغنّيه صوتا فغنّيته لحنا صنعتُه فى شعر الدارمِيّ

١٥ كأنّ صورتها فى الوصفِ إذ وُصِفت * دينارُ عَيْنٍ من المصروبةِ الْعُتُقِ[(٢)]

فأمر لى الرشيد بألف ألف درهم .

وحُكِىَ عن إسحاق بن إبراهيم قال : لما صنعتُ صوتى الذى هو

قُلْ لمن صدّ عاتبَا * ونأى عنك جانبَا

قد بلغتَ الذى أرد * تَ وإن كنتَ لاعِبَا

---

٢٠ (١) السادر: المتحير، والرسن الحبل . (٢) فى الأغانى ج ٩ ص ١٥ «من المصريّة العتق» .

وٱعترفنـا بمـا ٱدّعيـتَ وإن كنتَ كاذبا
فافعـل ٱلآن ما أرد * تَ فقد جئتُ تائبًا

اتصل خبره بإبراهيم بن المهدىّ فكتب إلىّ يسألنى عنه، فكتبتُ إليـه الشعر وإيقاعَه وبسيطه ومجراه وإصبعه وتجزئتَه وأقسامَه ومخارجَ نغمه ومواضعَ مَقَاطعه[1] ومقاديرَ أدواره وأوزانه فغنّاه ثم لقِينِى فغنّانِيه، ففَضَلَنِى فيه بحسن صوته .

وقال ٱبن أبى طيبة : كنت أسمع إبراهيم بن المهدىّ يتنحنح فأطرب .

وعن محمــد بن جرير بن عبد الله بن العباس الربيعىّ[2] قال : كنا عنـد إبراهيم بن المهدىّ ذات يوم وقد دعا كلّ مُحسِن من المغنّين يومئذ وهو جالس يُلاعب أحدهم بالشِّطْرَنْج فترنّم إبراهيم بصوت فريدةَ فى شعر أبى العَتاهِيَة

قال لى أحمـــدُ ولم يدر ما بِى * أتُحِبّ الغَـدَاةَ عُتْبَــةَ حقّا
فتنفّســـتُ ثم قلت نعـــم حبًّـا جرى فى العروق عِرْقًا فعِرقا

وهو يبكى، فلما فرغ ترنّم به مُخَارق فأحسن فيه وأطربه وزاد على إبراهيم، فغنّاه إبراهيم وزاد فى صوته على غِناءِ مُخارِق، فلما فرغ ردّه مخارِق وغنّاه بصوته كلّهِ وتحفّظ فيه وكِدنا نطير سرورا ، فٱستوى إبراهيم جالسا وكان مُتّكِئًا وغنّاه بصوته كلّهِ ووفّاه نغمه وشذوره ونظرتُ إلى كتفيه تهتزّان وبدنه أجمعَ يتحرّك إلى أن فرغ منه، ومخارِق شاخِص نحوه يُرْعَدُ وقد ٱنتُقِعَ لونُه وأصابعه تختلِج، فخُيّل إلىّ أن الإيوان يسير بنا، فلما فرغ منـه تقدّم إليه مخارق فقبّل يده وقال : جعلنى الله فِداك أين أنا منـك؟ ثم لم ينتفع مخارق بنفسه بقِيّة يومه فى شىءٍ من غنائه، والله لكأنمـا كان يتحدّث .

(١) فى الأصول «وبساطه» . والتصحيح عن الأغانى ج ٩ ص ٥٤
(٢) فى الأغانى ج ٩ ص ٥٥ «عن محمد بن جبر عن عبد الله» .

ورُوِىَ عن منصور بن المهدىّ قال : كنت عند أخى إبراهيم فى يوم كانت عليه فيه نَوْبة لمحمد الأمين، فتشاغل بالشرب فى بيته ولم يمض، وأرسل إليه الأمين عدّة رُسُل فتأخّر، قال منصور : فلما كان من غدٍ قال لى : ينبغى أن نعمل على الرواح إلى أمير المؤمنين فنترضّاه فما أشكّ فى غضبه علينا ؛ فمضينا فسألنا عن خبره فأَعْلِمْنا أنه مُشرِفٌ على حائِرِ الوحش(١) وهو مخمور، وكان من عادته ألّا يشربَ إذا لحقه الخُمَار، فدخلنا وكان طريقُنا على حُجْرة تُصنع فيها الملاهى فقال لى : اذهب فاختر منها عودا ترضاه وأَصلِحْه غايةَ الإصلاح حتى لا يُحتاجَ إلى إصلاحه وتغييره عند الضرب به ففعلتُ وجعلته فى كمّى، ودخلنا على الأمين وظَهْرُه إلينا، فلما بَصُرْنا به من بُعْد قال : أخرج عودَك، فأخرجته فاندفع يُغنّى

وكأسٍ شَرِبتُ على لذّةٍ * وأُخرى تداويتُ منها بها
لِكَى يعلمَ الناسُ أنى امرؤٌ * أتيتُ الفُتُوّة من بابِها
وشاهدُنا الوردُ(٢) والياسَمِيـ * ـنُ والمُسمِعاتُ بقُصّابِها(٣)
وبَرْبَطُنا(٤) دائمٌ مُعْمَلٌ * فأىّ الثلاثةِ أزرَى بها



فاستوى الأمين جالسا وطَرِب طَرَبًا شديدًا وقال : أحسنتَ والله ياعمّ وأحييتَ لى طربا، ودعا برطل فشَربه على الريق وابتدأ شربه(٥) . قال منصور : وغنّى إبراهيم يومئذ على أشدّ طبقة يُتناهَى إليها فى العود وما سَمِعت مثل غنائه يومئذ قط، ولقد

(١) كذا بالأصول وفى الأغانى «جير الوحش» والأقرب أن يكون مافى الأصل محرّفا عن « حائر » وما فى الأغانى محرّفا عن «حير» والحائر والحير بمعنى البستان والحظيرة كما فى لسان العرب والقاموس .

(٢) كذا فى الأصول . والذى فى الأغانى واللسان «وشاهدنا الجلّ» وقال صاحب اللسان : والجلّ الذى فى شعر الأعشى هو الورد، فارسىّ معرّب .

(٣) القُصّاب : الأوتار التى سُوّيت من الأمعاء وقيل : جمع قاصب وهو الزامر .

(٤) البربط : العود . (٥) فى الأغانى ج ٩ ص ٥٦ «وامتدّ فى شربه» .

رأيتُ منه شيئا عجيبا لو حُدِّثتُ به ما صَدَّقتُ. كان إذا ٱبتدأ يغنّى صَغَتِ الوحوش إليه ومدّت أعناقها، ولم تزل تدنو حتى تكاد تضع رءُوسها على الدكّان الذى كنا عليه، فإذا سَكَتَ نَفَرت و بَعُدت عنا حتى تنتهى إلى أبعـد غاية يمكنها التباعُد عنّا فيها، وجعل الأمين يَعْجَب من ذلك وٱنصرفنا من الجوائز بما لم ينصَرف بمثله قط .

وعن الحسن بن إبراهيم بن رَبَاح قال : كنتُ أسأل مخارقا : أىُّ النـاس أحسنُ غناء؟ فكان يجيبنى جوابا مجملا حتى حقّقتُ عليه يوما فقال : كان إبراهيم الموصِلىّ أحسنَ غِناء من ٱبن جامع بعشر طبقات، و إبراهيم بن المهدىّ أحسن غِناء منّى بعشرِ طبقات، ثم قال لى : أحسنُ الناسِ غناءً أحسنُهم صوتا، و إبراهيم بن المهدىّ أحسن الإنسِ والجنّ والوحشِ والطيرِ صوتا وحسبُك هذا ! .

وعن إسحاق بن إبراهيم قال : غنّى إبراهيم بن المهـدىّ ليلةً محمدا الأمينَ صوتا لم أرضه فى شعر لأبى نُوَاس وهو

يا كثيرَ النوح فى الدِّمَنِ * لا عليهـا بل على السكَنِ
سُـــنّةُ العشّـاقِ واحدةٌ * فإذا أحببتَ فٱستكِنِ[1]
ظنّ بى مَن قد كَلِفتُ به * فهو يجفـونِى على الظِّنَن[2]
رَشَـأٌ لولا ملاحتُـــه * خَلَتِ الدنيا من الفِتَنِ

فأمر له بثلاثمائة ألف دينار، فقال له إبراهيم : يا أمير المؤمنين، أجزتَنى إلى هذه الغاية بعشرين ألف ألف درهم فقال : وهل هى إلا خراج بعض الكوفة[3] . هكذا رواه إسحاق، وقد حُكِيَت هـذه الحكايةُ عن محمد بن الحارث، وفيها أن إبراهـيم لمـا أراد الٱنصراف قال : أَوقِروا زورَق عمّى دنانير فأوقروه، فٱنصرف بمال جليل .

---

(١) فى الأغانى : "فٱستكن" . (٢) الظِّنَنُ : التُّهم، وفى الأصلين : "صنّى" و "الصنن" وهو تحريف والتصويب عن الأغانى ج ٩ ص ٧١ (٣) فى الأغانى ج ٩ ص ٧١ "بعض الكور" .

قال : وكان محمد بن موسى المنجّم يقول : حكمتُ أن إبراهيم بن المهدىّ أحسنُ الناسِ كلِّهم غناءً ببرهان، وذلك أنى كنت أراه فى مجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصِم يُغَنِّى المغنّون ويُغَنّى فإذا ٱبتدأ بالصوت لم يبق من الغلمان أحد إلا ترك ما فى يديه وقَرُبَ من أقرب موضع يمكنه أن يسمعه فلا يزال مُصْغيا إليه لاهيا عما كان فيه ما دام يُغَنِّى حتى إذا أمسك وتَغَنّى غيرُه رجعوا إلى التشاغُلِ بما كانوا فيه ولم ينبعثوا إلى شيء، فلا برهان أقوى من هذا [فى مثل هذا من][1] شهادة الفِطن به وٱتفاق الطبائع مع ٱختلافها وتشعّب طرقها على الميل إليه والٱنقياد نحوه . ولإبراهيم ٱبن المهدىّ أصوات معروفة، منها ما غنّاه بشعر مَرْوان بن أبى حَفْصة

هل تَطْمِسون من السماءِ نجومَها ☆ بأكفّكم أو تستُرُون هِلالَها
او تَدْفعون مقالةً من ربكم ☆ جبريلُ بلّغها النبىَّ فقالها
طَرَقتْك زائرةٌ فحَىِّ خيالَها ☆ زهراءُ تَخْلِط بالدَّلال جمالَها

وأما عليّة بنت المهدىّ فقد قيل : ما ٱجتمع فى جاهلية ولا إسلام أخ وأخت أحسنُ غناء من إبراهيم بن المهدىّ وأخته عليّة . ورُوِى عن أبى أحمد بن الرشيد قال : كنت يوما بحَضْرة المأمون وهو يشرب ثم قام وقال لى : قم، فدخل دار الحرم ودخلتُ معه فسمِعت غناء أذهل عقلى ولم أقدِر أن أتقدّم ولا أتأخّر وفَطِن المأمون لما بى فضحك وقال : هذه عمّتك عليّة تُطارِح عمّك إبراهيم .

قال أبو الفرج : وأمّ عليّة أمّ ولدٍ مغنّية يقال لها : مكنونة، كانت من جَوَارِى المروانيّة المغنّية، والمروانيّة هذه ليست من آل مروان بن الحكم وإنما هى زوجة الحسن بن عبد الله بن عُبَيد الله بن العباس ، وكانت مكنونة من أحسن جَوَارِى المدينة وجها وكانت رَسْحَاء، وكانت حَسَنة البطن والصدر فاشتُرِيَت للمهدىّ فى حياة

(١) الزيادة عن الأغانى ج ٩ ص ٧٢

أبيه بمائة ألف درهم فغلَبت عليــه حتى كانت الخَيْزُرَانُ تقول : ما ملَك أَمَةً أغلظ علىّ منها، ولمـا آشتُرِيت للمهدىّ ستر أمرها عن أبيه المنصور حتى مات، وولدت للمهدىّ عليّة هذه. وكانت عليّة بنت المهدىّ من أجمل الناس وأظرفهم، تقول الشعر الجيّد وتَصُوغ فيه الألحان الحسنة ، وكان فى جَبينها فضلُ سَعَة فاتخذت العصائب المكلّلة بالجوهر لتستُرَ بها جبينها فهى أول من أحدث ذلك . قال : وكانت عليـة حَسَنةَ الدّيـن وكانت لا تُغنّى ولا تشرب النبيذ إلا إذا كانت معتزِلةَ الصلاة فإذا طَهُرت أقبلت على الصـلاة وقراءة القـرآن وقراءة الكتب، ولم تَلْهُ بشىء غير قول الشـعر فى الأحيان إلّا أن يدعوَها الخليفة إلى شىء فلا تقـدِر على خلافه . وكانت رحمها الله تقول : ما حَرّم الله شيئا إلّا وقد جعـل فيما حَلّل منـه عِوَضا فبأىّ شىء يحتجّ عاصِيه والمنتهِكُ لحُرماته ! . وكانت تقول : لا غَفَر الله لى فاحشة آرتكبتُها قط وما أقول فى شعرى إلّا عَبثا .

وعن سَعِيد بن هُرَيم[1] قال : كانت عليّـة بنت المهدىّ تُحبّ أن تُراسل بالأشعار مَن تختصّه فاختصت خادما يقال له : طَلّ من خدم الرشيد ، تراسله بالشعر فلم تره أياما فمشت على مِيزاب وحدّثته ثم قالت فى ذلك

قد كان ما كُلِّفتُـه زمنا * ياطلّ مِن وَجْدٍ بكم يكفِى
حتى أتيتُـك زائرا عَجِلا * أمشِى على حَتْفِى إلى حتفِى[2]

فحلف عليها الرشيـد ألّا تكلّم طلّا ولا تُسمّيَه باسمه فضمِنتْ له ذلك . وآستمع عليها يوما وهى تقرأ آخر سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله عزّ وجلّ :(فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا

(١) وفى الأغانى ج ٩ ص ٨٣ : "سعيد بن ابراهيم"، ويرجّح ما ورد فى الأصل ما جاء فى تاريخ الطبرى فى صفحات ١٤٥ و ٣٠٤ و ٤١١ و ٤٤٨ و ٦٧٦ من القسم الثالث طبع أوربا .

(٢) كذا بالأصل، وفى الأغانى ج ٩ ص ٨٤ : "أمشى على حتف الى حتف" .

وَابِلٌ) فأرادت أن تقول : (فَطَلٌّ) فقالت : فالذى نهى عنه أمير المؤمنين، فدخل الرشيد فقبّل رأسها وقال : قد وهبتُ لكِ طَلًّا ولا أمنعُكِ بعدها من شىءٍ تُرِيدِينَه . ولها فى طلّ هذا عدّة أشعار صنعت فيها ألحانا وكانت فى بعضها تُصحّف آسمَه وتَكْنِى عنه بغيره . وكانت أيضا تقول الشعر فى خادم لها يقال له : رشأٌ وتَكْنِى عنه بزينبَ، فمن شعرها فيه

وَجَدَ الفؤادُ بزَيْنبا * وَجْدًا شـــديدا مُتْعِبَا
أصبحتُ مِن كَلَفٍ بها * أُدعَى شـــقِيًّا مُنصَبَا
ولقد كَنَيْتُ عن آسمها * عمـــدا لكى لا تَغْضَبَا
وجعلتُ زينبَ سُتْرَةً * وكَتَمتُ أمرًا مُعجِبَا
قالت وقد عزّ الوِصا * لُ ولم أجد لى مذهَبَا
واللهِ لا نلتَ المـــودّةَ أو تَنَالَ الكوكَبَا

فصحّفَت آسمه فى قولها : زينبا، وهذا من الجناس الخطّى . قال : وكانت لأمّ جعفر جارية يقال لها : طُغيانُ ، فوشَتْ بعليّة إلى رشأ وحكت عنها ما لم تقل، فقالت عليّة

لطغيانَ خُفٌّ مذ ثلاثين حِجّةً * جديدٌ فلا يَبْـلَى ولا يَتَخَـرَّقُ
وكيف بِلَى خفٍّ هو الدهرَ كلَّهُ * على قَدَمَيها فى السماءِ[1] مُعَـلَّقُ
فما خَرَقَت خفًّا ولم تُبلِ جَوْرَبًا * وأما سَـــرَاوِيلاتُها فتُمَـــزَّقُ

ورُوِىَ عن أبى هِفّان قال : أُهدِيت للرشيد جاريةٌ فى غاية الجمال فخلا معها يوما وأخرج كلّ قَيْنَـةٍ فى داره وآصطبح ، وكان مَن حضر من جَوَاريه الغناءَ والخدمةَ فى الشراب زُهاء ألفَىْ جارية فى أحسن زِىٍّ من كل نوعٍ من أنواع الثياب والجوهر،

(١) كذا بالأصل، ورواية الأغانى ج ٩ ص ٨٥ : "الهواء" .

وآتصل الخبر بأمّ جعفر فعظم عليها ذلك ، فأرسلت الى عليّة تشكو إليها ، فأرسلت إليها عليّة : لا يهولنّكِ هذا ، واللهِ لأردّنّه إليك ، قد عزمتُ أن أضع شِعرًا وأصوغ فيه لحنا وأطرحه على جَوَارِىّ ، فلا تُبقِى عنـدكِ جارية إلّا بعثتِ بهـا إلىّ وأَلبسيهنّ أنواع الثيابِ ليأخذن الصوت مع جَوَارِىّ ، ففعلت أمّ جعفر ما أمرتها به ، فلما جاء وقت صلاةِ العصرِ لم يشعر الرشيد إلّا وعليّة وأمّ جعفر قد خَرَجتا إليه من حُجْرتيهما ، معهما زُهَاء ٥ أَلفَىْ جارية من جَوَارِيهما وسائر جَوَارى القصر عليهنّ غرائب اللباس وكلهنّ فى لحن واحد هَزَجٍ صنعته عليّة ، وهو

مُنفصِـــلٌ عنّى وما * قلبىَ عنــه مُنفصِــلْ
يا هاجِرِى اليومَ لمن * نَوَيْتَ بعدِى أن تَصِلْ

فطَرِب الرشيد وقام على رجليه حتى آستقبل أمّ جعفر وعليّة وهو على غاية السرور ١٠ وقال : لم أر كاليوم قطّ يا مسرورُ ، لا تُبقِينّ فى بيت المـال دِرهما إلا نثرته ، فكان ما نُثِر يومئذ ستةَ آلاف ألف درهم ، وما سُمِـع بمثل ذلك اليوم .

ورُوِىَ عن عَرِيب أنها قالت : أحسنُ يوم رأيتُهُ فى الدنيا وأطيبُه يومٌ آجتمعتُ فيه مع إبراهيم بن المهدىّ عند أخته عليّة وعندها أخوهما يعقوب بن المهدىّ وكان أحذقَ الناسِ بالزَّمْر ، فبدأت عليّة فغنّت من صنعتها وأخوها يعقوب يُزَمِّر عليها ١٥

تَحبّب فإنّ الحبَّ داعيـــةُ الحبّ * وكم من بعِيدِ الدارِ مُستوجِبُ القربِ
تَبصّر فإن حُدِّثتَ أنّ أخا هَــوًى * نجا سالمـا فارجُ النجاةَ من الحبّ
إذا لم يكن فى الحبّ سُخْطٌ ولا رِضًا * فأين حلاواتُ الرسائلِ والكُتْبِ

وغنّى إبراهيم فى صنعته وزمّر عليه يعقوب

لم يُنْسِنِيكِ سرورٌ لا ولا حَزَنُ * وكيف لا ، كيف يُنسَى وَجْهُكِ الحَسَنُ ٢٠
ولا خلا منكِ قلبى لا ولا جَسَدِى * كُلِّى بكُلِّكِ مشغولٌ ومُرْتَهَنُ

يافردةَ الحُسْن مالى منكِ مذ كَلِفَتْ * نفسِى بحبّــكِ إلا الهــمُّ والحَزَنُ
نورٌ تولّد من شمس ومن قمــر * حتى تكامل فيــكِ[1] الروحُ والبَــدَنُ

قالت عَرِيب : فما سَمِعتُ مثل ما سَمِعتُ منها قط وأعلم أنى لا أسمع مثله أبدا .

(٨٩) ورُوِىَ عن خَشْف الواضحيّة قالت : تمَــارَيْتُ أنا وعَرِيب فى غناء عليّة بحَضْرة المتوكل أو غيره من الخلفاء، فقلت أنا : هى ثلاثة وسبعون صوتا، وقالت عَرِيب : هى آثنان وسبعون صوتا ، فقــال المتوكل : غنّيا غناءها فلم أزل أُغَنِّى غناءها حتى مضى آثنان وسبعون صوتا ولم أدرِ الثالثَ والسبعين قالت : فقُطِع بى وآستعلَتْ عَرِيبُ وآنكسرْتُ ، قالت خَشْف : فلما كان الليلُ رأيت عليّة فيما يرى النائم فقالت : يا خَشْفُ ، خالفتكِ عَرِيبُ فى غنائى، قلت : نعم يا سـيدتى، قالت : الصواب معكِ، أفتدرِين ما الصوتُ الذى أُنسِيتِيهِ ؟ قلت : لا والله، ولَوَدِدتُ أنى فَدَيتُ ما جرى بجميع ما أملك. قالت : هو

بُنِىَ الحبّ على الجَــوْرِ فلو * أنْصَفَ المعشوقُ فيــهِ لَسَمُجْ
ليس يُسْتحسَنُ فى وصف الهوى * عاشقٌ يَعــرِف تأليفَ الحُجَجْ
وقليــلُ الحبِّ صِرفًا[2] خالصًا * لكَ خَــيرٌ من كثيرٍ قد مُزِجْ

وكأنها قد آندفعت تغنّى به ، فما سَمِعتُ أحسن ممــا غنّته، وقد زادتنى فيه أشياء فى نومى لم أكن أعرفها، فانتبهتُ وأنا لا أعقِل فَرَحًا به، فباكرتُ الخليفة وذكرتُ له القِصّة ، فقالت عَرِيب : هــذا شىء صَنَعْتِهِ أنتِ لِمَــا جَرَى أمس، وأما الصوت فصحيح، فحلفتُ للخليفة بمــا رَضِىَ به أنّ القِصّة كما حَكَيتُ، فقال : رؤياكِ واللهِ أعجبُ، رحِم الله عليّة فما تَرَكَت ظَرْفها حيّة ولا ميّتة وأجازنى جائزة سنيّة .

(١) فى الأغانى ج ٩ ص ٨٩ "منه" .
(٢) فى الأصول : "صرف خالص" . والتصويب عن الأغانى ج ٩ ص ٨٩ .

وروى أبو الفرج أيضا بسنده الى محمد بن جعفر بن يحيي بن خالد قال: شهدتُ أبى جعفرا وأنا صغير وهو يحدّث جدّى يحيى بن خالد فى بعض ما كان يُخبره به من خَلْوَته مع هرون الرشيد قال: يا أبتِ، أخذ بيدى أمير المؤمنين وأقبل فى حُجَرِه يخترِقها حتى آنتهى إلى حُجْرةٍ مُغْلَقة ففتحها بيده ودخلها ودخلتُ وأغلق بابها من داخلٍ بيده ثم صِرنا إلى رِوَاق ففتحه وفى صدره مجلس مُغْلَق، فقَعَد على باب المجلس ونقَر الباب بيده نَقَرات فسمعنا حِسًّا ثم أعاد النقرَ ثانيةً، فسمعتُ صوت عود ثم أعاد النقر ثالثة، فغنّت جارية ما ظننت واللهِ أنّ الله جلّ وعزّ خلق مثلَها فى حُسْن الغناء وجَوْدة الضرب، فقال أمير المؤمنين بعد أن غنّت أصواتا: غنّى صوتى فغنّت صوته وهو

وُمُخَنَّثٍ شَهِد الزِّفافَ وقبلَهُ * غَنَّى الجوارِى حاسِرًا ومُنَقَّبَا
لَبِسَ الدَّلالَ وقام ينقُرُ دُفَّهُ * نَقْرًا أَقَرَّ به العيـونَ وأطربَا
إنّ النسـاء رأَينه فعشِقنه * فشَكَوْن شِدّةَ ما بِهِنّ فأكذبَا

قال: فطَرِبتُ واللهِ طَرَبًا هَمَمْتُ معـه أن أنطَح برأسى الحائطَ ثم قال: غنّى

* طال تكذيبى وتصديقى *

فغنّت

طال تكذيبى وتصديقى * لم أجِدْ عهـدًا لمخـلوقِ
إنّ ناسًا فى الهوى غَدَرُوا * حَسَّنُوا نقضَ المواثيقِ
لا تَرانِى بعـــدهم أبدًا * أَشتكِى عِشقًا لمعشـوقِ

قال: فرَقَص الرشيد ورَقَصتُ معه ثم قال: آمضِ بنا فإنى أخشى أن يبدوَ منّا ما هو أكثر من هذا، فمَضَيْنا، فلما صِرنا إلى الدِّهليز قال وهو قابض على يدى: هل عرفتَ هذه المرأةَ؟ فقلتُ: لا يا أمير المؤمنين، قال: فإنى أعلم أنك ستسأل عنها ولا تكتم ذلك وأنا أُخبرك بها، هذه علَيّة بنت المهدىّ، وواللهِ لئن لفظتَ به بين يدى

أحد و بلغنى لأقتلنّك، قال فسمعتُ جدّى يقول لأبى : فقد والله لفظت به ،ووالله ليقتلنّك فاصنع ما أنت صانع .

وأخبار عليّة وأغانيها كثيرة وقد ذكرنا منها ما يُكتَفَى به . قال أبو الفرج : وكان مولد عليّة سنة ستين ومائة وتوفيت سنة عشرة ومائتين، وقيل : سنة تسع ومائتين ولها خمسون سنة، وكانت عند موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ بن عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما . وكان سبب وفاتها أن المأمون ضمّها اليه وجعل يقبّل رأسها ووجهها مُغطًّى، فشَرِقت من ذلك وسَعَلت ثم حُمّت بعقب هذا أياما يسيرة وماتت رحمها الله .

ومنهم أبو عيسى بن الرشيد، هو أبو عيسى أحمد وقيل : بل آسمه صالح[1] ابن هارون الرشيد، وأمّه أمّ ولد بربريّة . كان من أحسنِ الناسِ وجها ومجالسة وعِشْرة وأمجنِهم وأحدِّهم نادرةً وأشدِّهم عبثا، وكان أبو عيسى جميل الوجه جدّا، فكان إذا عزم على الركوب جلس الناس له حتى يروه أكثر ما كانوا يجلسون للخلفاء، وكانت عَرِيب المأمونيّة تقول : ما سَمِعتُ غِناء أحسن من غناء أبى عيسى بن الرشيد ولا رأيتُ وجها أحسن من وجهه .

ورُوِىَ أنّ الرشيد قال يوما لأبى عيسى وهو صبىّ : ليتَ جمالَك لعبد الله ! يعنى المأمون فقال له : يا أمير المؤمنين على أنّ حظّه منك لى ! فعجِب الرشيد من جوابه على صِباه وضمّه إليه وقبّله . قال أبو الفرج : وكان أبو عيسى جيّد الصنعة وله أغانٍ منسوبة إليه ومعروفة به، منها

---

(١) أورده الطبرى باسم «صالح» فى صفحات ٧٣٨، ٧٥٨، ٧٦٤، ٧٦٦، ٧٦٨، ١٠٣٩، ١٠٦٧، ١١٥٨، أنظر المجلد الثالث من القسم الثالث طبع أوربا .

رَقَدَت عنك سَلْوتى * والهـوَى ليس يَرْقُدُ
وأطار السهـادُ نَوْ * مى فنـــومى مُشَرَّدُ
أنتَ بالحُسْن منك يا * حَسَن الوجهِ يُشْهَدُ
وفؤادِى بحُسْــنِ وجــْـــهِك يَشْــقَى ويَكْمَدُ

٥ وله غير هذا من الأصواتِ . قال : وكان كثير البَسْطِ والمُجُونِ والعَبَثِ ، وكان المأمون أشــدّ الناس حبّا له ، وكان يُعِدّه للأمر بعده ويذكر ذلك كثيرا حتى لقد حُكِىَ عنه أنه قال يوما : إنه ليسهُل علىّ أمر الموتِ وفَقْد المُلْكِ ولا يسهل شىء منهما على أحد وذلك لمحبّتِى أن يَلِى أبو عيسى الأمرَ بعدِى لِشدّة حبّى إياه . وكانت وفاة أبى عيسى (٩٠) فى سنة سبع ومائتين .

١٠ رُوِىَ عن عبــد الله بن طاهر قال : حدّثنى مَن شَهِد المأمون ليلة وهم يتراءون هِلال شهر رمضانـــ وأبو عيسى أخوه معه وهو مُستلقٍ على قفاه ، فرأوه وجعلوا يدعون ، فقال أبو عيسى قولا أُنكِر عليه كأنه يسخط لورود الشهر فما صام بعده . ونُقِل عنه أنه قال

دعانِىَ[1] شهرُ الصوم لا كان من شهرِ * ولا صمتُ شهرًا بعــــده آخرَ الدهرِ
١٥ فلو كانــ يُعـــدِينى الإمامُ بقدرة * على الشهر لاستعديتُ[2] جُهدى على الشهرِ

فناله بعقب هذا القول صَرْع ، فكان يُصرع فى اليوم مرّات حتى مات ، ولما مات وَجِد المأمون عليه وَجْدا شديدا .

روى عن محمد بن عبّاد المهلّبىّ قال : لما مات أبو عيسى بن الرشيد دخلتُ على المأمون فخلعتُ عمامتى ونبذتها ورائى -- والخلفاء لا تُعزّى فى العمائم -- ، فقال لى :

٢٠ (١) فى الأغانى ج ٩ ص ٩٦ «دَهَانِىَ» .
(٢) يقال : «استعديت على فلان الأمير فأعدانى» أى استعنت به عليه فأعانى .

يا محمد، حال القَدَر دون الوَطَر، فقلت: يا أمير المؤمنين، كلّ مصيبة أخطأتك شَوًى[1]، فجعل الله الحزن لك لا عليك، قال: فركب المأمون إلى دار أبي عيسى فحضر جهازه وصلّى عليه ونزل في قبره، وآمتنع من الطعام أياما حتى خِيف أن يضرّ ذلك به، قال: وما رأيتُ مصابا حزينا قط أجمَلَ أثرًا في مصيبته ولا أحرق وجدًا منه، صامتٌ ودموعه تَهمي على خدّيه من غير كلح[2] ولا آستنثار.

وروى عن أحمد بن أبي دُوَاد قال: دخلتُ على المأمون وقد تُوفّى أخوه أبو عيسى وهو يبكي و يمسح عينيه بمنديل، فقعدتُ الى جنب عمرو بن مَسْعَدة وتمثّلتُ قول الشاعر

نَقْصٌ من الدنيا وأسبابها * نَقْصُ المنايا من بني هاشم

فلم يزل على تلك الحال يَبْكي ثم يمسح عَيْنيه وتمثّل

سأبكيكَ ما فاضت دُمُوعي فإن تَغِضْ * فحسبكَ مِنّي ما تُجِنّ الجوانحُ[3]

كأن لم يَمُت حيّ سِواكَ ولم تَقُمْ * على أحد إلّا عليك النوائحُ

ثم آلتفت إليّ وقال: هيه يا أحمد! فتمثلت بقول عَبْدَة بن الطبيب

عليكَ سلامُ الله قَيْسَ بنَ عاصمٍ * ورحمتُهُ ما شاءَ أن يترحّمَا

تحيّةَ من أوليتَهُ منك نعمةً * إذا زار عن شَحْط بلادَكَ سَلّمَا

فما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْكُ واحدٍ * ولكنّه بنيانُ قوم تهدّما

فبكى ساعة، ثم آلتفت إلى عمرو بن مَسْعَدة فقال: هيه يا عمرو! فقال: نعم يا أمير المؤمنين

بكَوا حُذَيفةَ لم تُبكَوا مثلَهُ * حتى تعودَ قبائلٌ لم تُخْلَقِ

(١) الشوى في الأصل ما ليس بمقتل كاليدين والرجلين يقال: رماه فأشواه أي لم يصب مقتله ثم استعمل في كل من أخطأ عرضا وإن لم يكن له شوى ولا مقتل والمراد هنا الأمر الهيّن. وفي اللسان يقال: «كلّ شيء شَوًى أي هيّن ما سلم لك دينك». (٢) كذا في الأصل ولم نجد في كتب اللغة الا كلح كمنع كُلُوحا وكُلَاحا بضمهما اذا تكشر في عبوس. (٣) في الأصل «الجوارح» والتصحيح عن الأغاني ج ٩ ص ٩٨

قال : فإذا عَرِيب وجَوَارٍ معها يَسمعْن ما يدور بيننا فقالت : اجعلوا لنـا معكم فى القول نصيبا ، فقال المأمون : قولى فرُبّ صواب منكِ كثير، فقالت

كذا فَلْيَجِلّ الخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الأمْرُ * فليس لعَيْنٍ لم يَفِضْ ماؤها عُذْرُ
كأنّ بنى العباس يوم وفاته * نجومُ سماءٍ خرّ من بينها البدرُ[1]

فبكى و بكينا ثم قال لها المأمون : نوحى ، فناحت وردّ عليها الجـوارى ، فبكى المأمون حتى قلت قد فاضت نفسـه و بكينا معـه أحرق بكاء ، ثم أمسكت فقال المأمون : ٱصنعى فيه لحنا على مذهب النَّوح وغنّى به ، ففعلت وغنّته إياه على العود ، فوالذى لا يُحلَف بأعظمَ منه لقد بكينا عليه غِناءً أكثر مما بكينا عليه نَوْحًا .

ومنهم عبد الله بن موسى الهادى ، قال أبو الفرج : كان له فى الغناء صنعة حسنة وله أصوات مذكورة منها قوله

تقاضاكَ دهرُك ما أَسْلفا * وكدّر عيشَك بعد الصفا
فلا تجـزعنّ فإنّ الزمان * رهـينٌ بتشتيت ما أُلّفا
ولمـا رآك قليلَ الهموم * كثيرَ الهوى ناعما مُترفَا
ألحّ عليـــك برَوْعاته * وأقبـل يَرميك مُستهدِفَا

قال : وكان عبد الله هذا من أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناء ، وكان له غلام أسود يقال له «قَلَمٌ» ، فعلمه الضرب فحَذَقَ فيه ، فاشترته منه أمّ جعفر بثلاثمـائة ألف درهم .

ورُوِى عن سليمان بن داود كاتب أمّ جعفر قال : كنت جالسا مع عبـد الله بن موسى الهادى فمرّ به خادم لصالح بن الرشيد فقال له : ما ٱسمك؟ قال : ٱسمى لا تَسَلْ ،

(١) هذان البيتان من قصيدة لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى يرثى بها محمدا وقحطبة وأبا نصر بن حميد الطوسى وقد غيرت فيهما عريب «بنى نبهان» بـ «بنى العباس» لاقتضاء المقام .

فأعجبه حسنه وحسن منطقه فقال لى : قم بنا حتى نشرب اليوم ونذكر هذا البدر، فقمت معه، فأنشدنى فى ذلك اليوم

وشادنٍ مرّ بنـا * يجرَح باللحظ المُقَلْ
مظلومُ خَصْرٍ ظالمٌ * منه اذا يمشى الكَفَلْ
٥ إعتـــدلت قامتـــه * والطرف منه ماعَدَلْ
بـــدرٌ تـــراه أبدًا * طالعَ سَـــعْد ما أفَلْ
سألته عن آسمه * فقال : إسمى لا تَسَـــلْ
وطَلَعَت فى وَجْنَتَيْـــه * وردتان من خَجَلْ
فقلت ما أخطأ آلذى * سمّاك بل قال المَثَلْ
١٠ لا تسألن عن شادن * فاق جمـــالا وكَمَـــلْ

وقال فيه

عزّ الذى تَهوَى وذَلّ * صبّ الفؤاد مُختَبَلْ
جدّ به الهجر وذا آلـــهجر اذا جدّ قَتَـــلْ
من شادن ممنطَق * فاق جمـــالا وكَمَـــلْ
١٥ تناصَفَ الحُسْنُ به * فلا تسل عن لا تَسَلْ



وعن أحمد بن المكىّ قال : دعانى عبد الله بن موسى يوما فقال لى : أتقوّم غلاما ضاربا مغنّيا قيمة عَدْل لا حَيْف فيها على البائع ولا على المشترى ؟ فقلتُ : نعم، فأخرج إلىّ آبنَه القاسم وكنتُ قد عرفت خبره وهو أحسن من القمر ليلة البدر، فأخذ عودا يضرب به فأكببت على يديه أقبّلهما، فقال لى عبد الله : أتقبّل يد غلام مملوك ! فقلتُ : بأبى وأمى هو من مملوك ! وقبّلْتُ رجله أيضا، فقال : أمّا اذ عرفتَه ٢٠ فأُحِبّ أن تضاربه، ففعلت فلما رأى الغلام زيادتى فى الضرب عليه آغتمّ وأقبل على

أبيه فقال له كالمعتذر إليه : يا أبت، أنا متلذِّذٌ وهذا متكسِّبٌ، فضحكتُ وقلتُ : هو كذلك ياسيدى، وعجبتُ من حدّة جوابه معتذرا على صغر سنه .

قال عبد الله بن حبيب : كان عبد الله بن موسى الهادى مُعَرْبِدا ، وكان قد أحفظ[1] المأمونَ مما يُعربد عليه إذا شرب معه، فأمر به أن يُحبس فى منزله فلا يخرج منه ، وأقعد على بابه حرسا ، ثم تذمّم من ذلك فأظهر له الرضا وصرف الحرس عن بابه، ثم نادمه فعربد عليه أيضا وكلمه بكلام أحفظَه . وكان عبد الله مُغرَما بالصيد، فأمر المأمون خادما من خواص خدمه يقال له : حسن[2] فَسمّه فى دُرّاجٍ، فلما أكله أحسّ بالسّم، فركب فى الليل وقال لأصحابه : هو آخر ما تَرَونى ، ومات بعد أيام، وأكل معه خادمان، فمات أحدهما لوقته، وضَنِىَ الآخر ثم مات بعد مدّة .

ومنهم عبد الله بن محمد الأمين، قال أبو الفرج الأصفهانى : كان عبد الله ابن محمد الأمين ظريفا غَزِلا يقول شعرا ليّنا و يصنعه صنعة صالحة ، وكان بينه وبين أبى نَهْشل بن حميد[3] مودّة، فاعترض عبدالله جارية مغنّية لبعض نساء بنى هاشم، وأعطى بها مالا عظيما، وعَرَفت مولاتُها منه رغبة فيها فزادت عليه فى السّوم فتركها، فاشتراها أخ لأبى نهشل فتبعتْها نفسُ عبد الله فسأل أبا نهشل أن يسأل أخاه النزولَ عنها، فسأله ذلك فوعده ودافعه، فكتب عبد الله إلى أبى نهشل

يآ بنَ حُمَيد يا أبا نَهْشل * مفتاح باب الحَدَث المُقْفَلِ
يا أكرمَ الناس ودادًا وأَرْ * عاهم لحقّ ضائع مُهْمَلِ
أحسنتَ فى وُدّى وأجملتَ بل * جُزتَ فَعَال المحسن المجمِلِ
بيتُك فى ذى يمنٍ شامخٌ * تقصُرُ عنه قُنّتا يَذْبُلِ

(١) كذا بالأغانى ج ٩ ص ١٠١ وفى الأصل : «أعصل» (٢) فى الأغانى ج ٩ ص ١٠١ «حسين» .
(٣) فى الأصل «جميل» ، والتصويب عن الأغانى ، ويرجحه قوله فى أول القصيدة الآتية : يآبن حميد الخ .

خَلَفتَ فينا حاتما ذا الندى * وجُدتَ جودَ العارضِ المسبَلِ
أىّ أخ أنت لذى وَحْدة * تركته بالعزّ فى جحفَلِ
نجومُ حظّى منك مسعودةٌ * فيما أُرَجّى ليس بالأُفَّلِ
فصدِّقِ الظنّ بما قلتَه * وسهِّل الأمرَ به يَسهُلِ
٥ لا تَحرِمنّى ولديك المنى * بالله صيدَ الرشأ الأكحلِ
رُميتُ منه بسهام الهوى * وما دَرَى ما الرمى فى مقتَلى
أدنيتَنى بالوعد فى صيده * إدناء (١) عطشانٍ من المنهَلِ
ثم تناسَيتَ وأسلمتَنى * إلى مِطالٍ مُوحِشِ المنزلِ
تركتَنى فى لُجّة عائما * لا أعرِف المدبِرَ من مُقبِلِ
١٠ صَرِّحْ بأمرٍ واضحٍ بيننا (٢) * لا خيرَ فى ذى لَبْسٍ مشكِلِ

قال : فلم يزل أبو نهشل بأخيه حتى نزل له عنها . ولعبد الله هذا صنعة منها قوله

ألا يادير حَنظلة المفدّى * لقد أورثتَنى سُقما وكدا
أزفّ (٣) من الفُرَات اليك زقًّا * وأجعل تحته الورد المندّى

ومنهم أبو عيسى بن المتوكل، قال عبد الله بن المعتز : جُمِعَ لأبى عيسى بن المتوكل
١٥ صنعةٌ مقدارُها أكثر من ثلثمائة صوت ، منها الجيّدُ الصنعةِ ومنها المتوسّط .
وقال الثميرىّ : سمعت أبا عيسى بن المتوكل يقول : إذا أتممتُ صنعةَ ثلثمائة وستين

---

(١) فى الأصول «إذا أنا» والتصويب عن الأغانى ج ٩ ص ١٠٢
(٢) فى الأغانى ج ٩ ص ١٠٣ «بيّن» . (٣) رواية الأغانى فى ج ٩ ص ١٠٢
أزُفُّ من العُقار اليك دَنًّا * وأجعل تحته الورق المندّى
٢٠ ولعل مافى الأصل محرّف عن * أزف من المرات اليك زِقًّا * بالقاف، لقوله بعدُ فى الشطر الثانى
وأجعل تحته الخ اذ يدل على أنه شىء مادىّ محسوس .

صوتا عدد أيام السنة تركتُ الصنعةَ، فلما أتمها ترك الصنعةَ ، فمنها قوله فى شعر على ابن الجَهْم

هى النفسُ ماحَمَّلتها تتحمّـــلُ * وللدهر أيامٌ تجُـــور وتَعدِلُ
وعاقبــةُ الصبر الجميــل جميلةٌ * وأفضلُ أخلاق الرجال التجمُّلُ

قال أبو الفرج الأصفهانىّ : وهو لَعَمْرى من جيِّــد الغناء وفاخرِ الصنعة وما لو لم يصنع غيرَه لكفى .

ومنهم عبد الله بن المعتز، هو أبو العباس عبدالله بن المعتزّ بالله العباسىّ ، قد وصفه أبو الفرج الأصفهانىّ فقال : وأمره مع قُرب عهده بعصرنا مشهور فى فضائله وأدبه شهرةً يشـــترك فى أكثرها الخاصُّ والعامّ، وشعره وإن كان فيه رقّة الملوكية وغَزَل الظرفاء وهَلْهَلة المحدَثين ، فإنّ فيه أشياء كثيرة تجرى فى أسلوب المجيدين، ولا تقصُر عن مَدَى السابقين ، وأشياء ظريفة من أشعار الملوك فى جنس ماهم بسبيله ليس عليه أن يتشبّه فيها بفحول الجاهلية ، وأطنب فى وصفه وتقريظه وهو فوق ما قال . ثم قال : وكان عبد الله حسنَ العلم بصناعة الموسيقى والكلام على النغم وعِلَلها ، وله فى ذلك وفى غيره من الآداب كتب مشهورة ومراسلات جرت بينه وبين عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر وبين بنى حمدون وغيرهم تدلّ على فضله وغزارة أدبه ، وذكر منها شيئا ليس هذا موضعَ إيراده ثم قال : ومن صنعة عبد الله بن المعتز فى شعره



هل ترجعنّ ليالٍ قد مَضَين لنا . والدارُ جامعـــةٌ أزمان أزمانا

قال أبو الفرج : ومن صنعته الظريفة الشكل مع جودتها

وابلائى مِن مُحضَرٍ ومَغيبِ * وحبيبٍ منّى بعيــدٍ قَرِيبِ
لم تَرِد ماءَ وجهه العينُ إلّا * شَرِقَت قبــل ريّها برقيبِ

قال : ومن صنعته التى تَظَارف فيها ومَلُح

زاحـــمَ كُمِّى كُمَّـــه فالتَوَيَا * وافقَ قلبى قلبَه فاســـتَوَيَا

وطالمـا ذاقا الهوى فا كْتَوَيَا * ياقرّةَ العيـــن ويا همّى وَيَا

وحكى عن جعفر بن قُدَامة قال : كان لعبد الله بن المعتزّ غلام يحبّه فغضب الغلام
٥ عليه بجَهَد أن يترضّاه فلم يكن له فيه حيلة ، ودخلتُ عليه فأنشدنى فيه

بأبى أنتَ قـــد تمـا * ديتَ فى الهَجْر والغَضَبْ

واصطبارى على صدو * دك يوما من العَجَبْ

ليس لى إن فَقَدتُ وجـــهك فى العيش مِن أَرَبْ

رحِم اللهُ مَنْ أعا * ن على الصلح واحتَسَبْ

١٠ قال : فمَضيتُ إلى الغلام فلم أزل أُداريهِ وأرفُق به حتى ترضّيته له وجئته به فتمّ
لنا يومئذ أطيبُ يوم وأحسنُه .

ذكر من غنّى من الأشراف والعلماء رحمهم الله

كان ممن غنّى من الأشراف والعلمـــاء على ما نقل إلينا من أخبارهم :

عبد العزيز بن عبد المطلب[(١)] . رَوَى الحافظ أبو الفضـــل محمد بن طاهر بن
١٥ على المقدسىّ رحمه الله بسند رفعه إلى محمد بن مَسْلَمة قال : حدّثنى أبى قال : أتيت
عبد العزيز بن عبد المطلب[(١)] أسأله عن بيعة الجنّ للنبىّ صلى الله عليه وسلم بمسجد
الأحزاب ما كان بدؤها ؟ فوجدته مستلقيا وهو يغنّى

فمـا رَوضةٌ بالحَزْن طيّبةُ الثرى * يَمُجّ النّـدَى جَثْجاثُهـا[(٢)] وعَرارُها[(٣)]

---

(١) كذا فى الاصول . والذى فى كتب التراجم والاغانى ج ١٥ ص ٦٨ «عبد العزيز بن المطلب»
٢٠ وهو عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله بن حنطب ولى قضاء المدينة لعهد المنصور ثم المهدى وولى قضاء مكة .
(٢) شجر له زهر أصفر طيب الرائحة . (٣) النرجس البرّى .

بأطيبَ من أردان عَزّةَ مَوْهِنًا * وقد أُوقِدَت بالمَنْدَل الرَّطْب نارُها

من الخَفِرات البِيض لم تلقَ شِقوَةً * و بالحَسَب المكنون صافٍ نِجارُها

فإن بَرَزَت كانت لعينيك قرّةً * و إن غبتَ عنها لم يَغُمَّك عارُها (١)

فقلت له : تُغنِّى أصلحك الله وأنت فى جلالتك وشرفك! أما والله لأحدُوَنّ بها رُكبانَ نجد، قال : فوالله ما اكترث وعاد يتغنّى ٥

فما ظبيةٌ أدماءُ خفّاقةُ الحشى * تجوبُ بظِلْفيها بطونَ الخمائلِ

بأحسنَ منها إذ تقول تدلُّلًا * وأدمُعُها تُذْرِين حَشْوَ المَكاحِلِ

تمتّع بذا اليوم القصير فإنه * رهينٌ بأيام الشهور الأطاول

قال : فندمت على قولى له فقلت : أصلحك الله، أتُحدّثنى فى هذا بشئ؟ فقال : نعم حدّثنى أبى قال : دخلت على سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم وأشعبُ يُغنّيــه ١٠

مُعقرَبةٌ كالبدر يُشبه وَجهَها * مُطهَّرةُ الأثواب والعِرضُ وافرُ

لها نَسَبٌ زاكٍ وعِرضٌ مهذّبٌ * وعن كلّ مكروهٍ من الأمر زاجرُ

مِنَ الخَفِرات البِيض لم تلقَ رِيبةً * ولم يستمِلْها عن تُقَى اللهِ شاعر

فقال له سالم رضى الله عنه : زدنى، فقال ١٥

ألمّت بنا والليلُ داجٍ كأنه * جناحُ غُرابٍ عنه قد نَفَض القَطْرَا

فقلت أعطّارٌ ثوى فى رحالنا * وماآحتملت ليلَى سوى ريحها عِطْرا

فقال سالم : أما والله لولا أنْ تداوله الرواةُ لأجزلتُ جائزتك فلك من هذا الأمر مكانٌ .

(١) رواية الأغانى فى ج ١٤ ص ٥٩ ٢٠

فان خفيت كانت لعينيك قرة * و إن تبد يوما لم يعمّك عارها

ومنهم ابراهيم بن سعد ، هو أبو إسحاق ابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف الزهرى ، كان من العلماء الثقات المحدثين ، سمع أباه وابن شهاب الزهرى وهشام بن عروة وصالح بن كيسان ومحمد بن إسحاق بن يسار ، روى عنه يزيد ابن عبد الله بن الهاد وشعبة بن الحجاج والليث بن سعد وابناه يعقوب وسعد[1] ابنا ابراهيم وعبد الرحمن بن مهدى و يزيد بن هارون و يونس المؤدب وأبو داود الطيالسى وسليمان بن داود الهاشمى وعبد العزيز الآدمى وعلى بن الجعد ومحمد بن جعفر الوركانى وأحمد بن حنبل وغيرهم ، كان يبيح السماع و يضرب بالعود و يغنى عليه . وله فى ذلك قصة رواها أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى بسند رفعه إلى سعيد بن كثير بن عفير قال : قدم إبراهيم بن سعد الزهرى العراق سنة أربع وثمانين ومائة فأكرمه الرشيد وأظهر برّه وسئل عن الغناء فأفتى بتحليله ، فأتاه بعض أهل الحديث ليسمع منه أحاديث الزهرى ، فسمعه يتغنى فقال : لقد كنتُ حريصا على أن أسمع منك فأما الآن فلا سمعت منك حديثا أبدا ، قال : إذاً لا أفقد إلا شخصك ، علىّ وعلىّ ألّا أحدّث ببغداد ما أقمتُ حديثا واحدا حتى أُغنّى قبله ، وشاعت هذه الحكاية ببغداد فبلغت الرشيد ، فدعا به فسأله عن حديث المخزومية التى قطعها النبىّ صلى الله عليه وسلم فى سرقة الحلىّ ، فدعا بعود ، فقال الرشيد : أعودُ المِجْمَر ؟ قال : لا ولكن عود الطرب ، فتبسّم ، ففهمها إبراهيم بن سعد فقال : لعلك بلغك يا أمير المؤمنين حديثُ السفيهِ الذى آذانى بالأمس وألجأنى إلى أن حلفت ، قال : نعم ، فدعا له الرشيد بعود فأخذه إبراهيم وغنّى

يا أمّ طلحةَ إنّ البين قد أفِدَا ... قَلّ الثَّواءُ لأن كان الرحيل غدَا

---

(١) فى الأصول «سعيد» والتصويب عن تهذيب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال .

فقال له الرشيد : مَن كان من فقهائكم ينكر السماع؟ قال: مَن رَبَط الله على قلبه. قال : فهل بلغك عن مالك فى هذا شيء ؟ فقال : لا والله، إلّا أن أبى أخبرنى أنهم آجتمعوا فى مَدعاة كانت فى بنى يربوع وهم يومئذ جِلّة، ومالك أقلّهم فى فقه وقَدْر ومعهم دفوف ومعازف وعِيدان يغنّون و يلعبون، ومع مالك دفّ مربّع وهو يغنّيهم

سُلَيمَى أَزمعَت بَيْنا * وأين لقاؤها أَيْنَا ٥

وقد قالت لأتراب * لها زُهْرٍ تلاقَيْنَا

تَعَالين فقد طاب * لنا العيش تعالَيْنا

فضحك الرشيد ووصله بمال عظيم . ومات إبراهيم فى هذه السنة وهو ابن خمس وسبعين سنة . قال : وكان ابراهيم بن سعد يُبالِغ فيه إلى هذا الحدّ، وقد أجمعت الأئمة على ثقته وعدالته والرواية عنه، وآتفق البخارىّ ومسلم على إخراج حديثه ١٠ فى الصحيح، ولم تسقُط عدالته بفعله عند أهل العلم بل قُلّد قضاءَ بغداد على جلالتها، وقُلّد أبوه القضاء بالمدينة على شرفها .

وروى أبو الفرج الأصفهانىّ بسند رفعه إلى إسحاق بن ابراهيم الموصلىّ قال : شَهِدتُ إبراهيم بن سعد يحلف للرشيد وقد سأله عمن بالمدينة ينكر الغناء فقال : مَن قَنّعه الله خزيَه مالك بن أَنَس، ثم حلف إنه سمع مالكا يغنّى ١٥

سُلَيمَى أزمعَت بَيْنا * فأين لقاؤها أَيْنَا

فى عُرس لرجل من أهل المدينة يُكنَى أبا حَنْظلة . وروى أيضا بسنده إلى الحسين بن دَحْمان الأشقر قال : كنتُ بالمدينة فخلا لى الطريق فى نصف النهار فجعلتُ أتغنّى

ما بال أهلكِ يارَبَاب * خُزْرا كأنهمُ غضَاب ٢٠

قال : فإذا خَوْخة قد فُتحت وإذا وجه قد بدا تتبعه لحية حمراء فقال : يافاسق، أسأتَ التأدية، ومنعتَ القائلة، وأذعتَ الفاحشة ثم آندفع يغنّيه، فظننتُ أن طُوَيسا قد نُشر يغنّيه فقلتُ : أصلحك الله من أين لك هذا الغناء ؟ قال : نشأتُ وأناغلام أتبع المغنّين وآخذ عنهم، فقالت لى أمّى : يابنىّ، إن المغنّى إذا كان قبيح الوجه لم يُلتفَت إلى غنائه، فدع الغناء وآطلب الفقه فإنه لا يَضُرّ معه قبح الوجه، فتركتُ المغنّين وآتبعت الفقهاء، فبلغ الله بى ماترى، فقلت : فأعِدْ جُعِلتُ فداءك، فقال : لا ولا كرامة أتريد أن تقول أخذتُه عن مالك بن أنس وإذا هو مالك ولم أعلم .

ومنهم محمد بن اسماعيل بن علىّ بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، كان عالما بالفقه والغناء جميعا، وكان يحيى بن أكثم وصفه للأمون بالفقه، ووصفه أحمد بن يوسف بالغناء، فقال المأمون : ما أعجبَ ما آجتمع فيه العلم بالعلم والغناء! .

ذكر من غنّى من الأعيان والأكابر القوّاد ممن نُسِبت له صنعةٌ فى الغناء

منهم أبو دُلَف العِجْلىّ، هو أبو دلف القاسم بن عيسى بن إدريس أحد بنى عجل آبن لجيم بن صَعْب بن على بن بكر بن وائل. كان محله من الشجاعة وبعد الهمّة وعلوّ المحلّ عند الخلفاء وعظم الغناء فى المشاهد وحُسْن الأدب وجَوْدة الشعر محلا كبيرا ليس لكثير من أمثاله . قال أبو الفرج الأصبهانىّ : وله صنعة حَسَنة، فمن جيّد صنعته قوله — والشعر له أيضا —

بنفسى ياجِنَانُ وأنتِ منّى * مكانَ الرُّوح من جَسَد الجبانِ
ولو أنى أقول مكان نفسى * خَشِيتُ عليك بادرةَ الزمانِ
لإقدامى إذا ما الخيل حامت * وهاب كُماتُها حَرّ الطّعان

قال : وكان أحمد بن أبى دُواد ينكر أمر الغناء إنكاراً شديداً ، فأعلمه المعتصم أن ابا دُلَف صديقَه يغنّى ، فقال : ما أُراه مع عقله يفعل ذلك ! فستر المعتصم أحمـد آبن أبى دُواد فى موضع ، وأحضَر أبا دُلَف وأمره أن يغنّى ففعـل ذلك وأطال ، ثم أخرج أحمد بن أبى دواد عليه ، فخرج والكراهة ظاهرة فى وجهه ، فلما رآه أحمد قال : سَوْءةً لهذا من فعل ! أبعد [هذا](١) السن وهذا المحلّ تصنع بنفسك(٢) ما أرى ! فخجل ٥
أبو دُلَف وتشوّر(٣) وقال : إنهم لَيُكرِهونى على ذلك ، فقال : هبهم أكرهوك على الغناء أهم أكرهوك على الإحسان فيه والإصابة؟ . قال : وكان أبو دُلَف ينادم الواثق ، فوُصِف للمعتصم فأحبّ أن يسمعه وسأل الواثقَ عنه فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنا على نيّة القَصْد غدًا وهو عندى ، وفصد الواثق فأتاه أبو دُلَف وأتته رُسُل الخليفة بالهدايا فأعلمهم الواثق حصول أبى دلف عنده فلم يلبث أن أقبل الخدَم يقولون : قد جاء ١٠
الخليفة ، فقام الواثق وكلّ مَن كان عنده حتى تلقَّوه ، وجاء حتى جلس وأمر بندَماء الواثق فرُدّوا إلى مجالسهم ، وأقبل الواثق على أبى دلف فقال : يا قاسم ، غنّ أمير المؤمنين ، (٩٤)
فقال : صوتا بعَينه أو ما آخترتُ؟ قال : بل من صنعتك فى شعر جرير ، فغنّى

بانَ الخَليطُ برامَتَين فودّعوا * أوَكلّما آعتزموا لَبيْن تَجْزَعُ
كيف العَزاء ولم أجد مذ غبتمُ * قلبا يَقِـرّ ولا شرابًا يَنقَعُ ١٥

فقال المعتصم : أحسن أحسن ثلاثا وشرب رطلا ، ولم يزل يستعيده حتى شرب تسـعة أرطال ثم دعا بحمار فركبه وأمر أبا دلف أن ينصرف معه فخرج معـه فثُبِّتَ فى ندمائه ، وأمر له بعشرين ألف دينار . قال : وكان أبو دلف جوادا ممـدوحا وفيه يقول علىّ بن جَبَلة من قصيدة يقول فيها

ذادَ وردَ الغىّ عن صَدَرِهْ * وآرعوَى واللهوُ من وَطَرِهْ ٢٠

---

(١) الزيادة عن الاغانى ج ٧ ص ١٥٥ (٢) فى الاغانى ج ٧ ص ١٥٥ «تضع نفسك» .
(٣) يقال : شوّرت الرجل وبالرجل فتشوّر : اذا خجّلته فخجل .

نَدَمِى أنّ الشباب مضى * لم أبلّغه مَدَى أَشَرِهْ
حَسَرت عنّى بشاشتُه * وذَوَى المحمودُ من ثَمَرِهْ
ودمٍ أهدرتُ من رشأٍ * لم يُرِد عقلا على هَدَرِهْ

جاء منها

٥ دَع جَدَا قحْطان أو مُضَر * فى يمانيهِ وفى مُضَرِهْ
وآمتدح من وائل رجلا * عَصَرُ الآفاقِ مِنْ عَصَرِهْ

ومنها

المنايا فى مَقَانبه * والعطايا فى ذَرا حُجَرِهْ
مَلِكٌ تَنْدَى أنامِلُه * كآنبلاج النَّوْءِ عن مَطَرِهْ
١٠ مُستَهِلّ عن مواهبه * كآبتسام الرَّوض عن زَهَرِهْ

ومنها

إنما الدنيا أبو دُلَفٍ * بين باديه ومُحتَضَرِهْ
فإذا وَلَّى أبو دُلَف * ولّت الدنيا على أَثَرِهْ
كلّ مَن فى الأرض من عَرَب * بين باديهِ إلى حَضَرِهْ
١٥ مستعيرٌ منه مَكرُمَةً * يكتسيها يومَ مُفتخَرِهْ

وهذان البيتان اللذان أحفظا المأمونَ على علىّ بن جبلة حتى سلّ لسانه من قفاه ، وقوله فيه

أنتَ الذى تُنزِل الأيّامَ منزِلَها * وتنقُل الدهرَ من حالٍ إلى حالِ
وما مددتَ مَدَى طَرْف إلى أحدٍ * إلا قضيتَ بأرزاقٍ وآجالِ
٢٠ تَزْوَرُّ سُخْطًا فتُضحِى البِيضُ ضاحكةً * وتستهِلّ فتبكى أعيُنُ المالِ

وكان سبب مدح علىّ بن جبلة أبا دلف بقوله

* إنما الدنيا أبو دُلَفٍ *

ما رواه أبو الفرج الأصفهانىّ بسنده عن علىّ بن جبلة قال : زرت أبا دلف بالجبل فكان يُظهر من بِرّى و إكرامى والتحقّى بى أمرا عظيما مُفرطا حتى تأخّرت عنه حياء، فبعث إلىّ مَعْقِلا وقال : يقول لك الأمير : قد آنقطعتَ عنّى وأظنّك قد آستقللت بِرّى ، فلا يُغضبنك ذلك فإنى سأزيد فيه حتى ترضى ؛ فقلت : والله ما قطعنىَ إلا الإفراط فى البرّ، وكتبت إليه

هجـرتُكَ لم أهجُرْك من كفر نعمةٍ * وهل يُرتجَى نَيْلُ الزيادة بالكفر
ولٰكنّنى لما أتيتـك زائرًا * فأفرطتَ فى برّى عجزتُ عن الشكر
فَمِ الآن[1] لا آتيـك إلا مسـلّمًا * أزورك فى الشهرين يومًا وفى الشهر
فإنْ زدتَنى بِرًّا تزايدتُ جفوةً * ولم تلقنى طُولَ الحياة إلى الحشر

فلما قرأها معقِل آستحسنها، وقال : أحسنت والله ، أما إن الأمير يُعجبه هذا من المعانى ؛ فلما أوصلها إلى أبى دلف قال : قاتله الله، ما أشعره وأرقّ معانيه ! وأجابنى لوقته — وكان حسنَ البديهة حاضر الجواب —

ألا ربّ طيف طارقٍ قد بسطتُه * وآنستُه قبل الضيافة بالبشر
أتانى يُرجّينى فما حال دونه * ودون القِرى والعُرف من نائلى سترى
وجدتُ له فضلًا علىّ بقصده * إلىّ وبِرًّا زاد فيه على بِرّى
فزوّدته ما لا يدوم بقاؤه * وزوّدنى مدحًا يدوم على الدهر

قال : وبعث بالأبيات وصيفا وبعث إلىّ معه بألف دينار، فقلت حينئذ

* إنما الدنيا أبو دلف * الأبيات

وروى أبو الفرج عن أحمد بن عبيد الله بن عمّار، قال : كنا عند أبى العبّاس المبرّد يوما وعنده فتى من ولد أبى البَخْترىّ وهب بن وهب ، أمرد حسن الوجه،

(١) أصله «فَمِن الآن» ، حُذفت النون تخفيفا .

وفتى من ولد أبى دُلَف العِجْلىّ شبيه به فى الجمال، فقال المبرّد لآبن أبى البَخْتَرِىّ :
أعرف لجدّك قصّة ظريفة من الكرم حَسَنة لم يُسبَق إليها، قال : وما هى؟ قال :
دُعِىَ رجل من أهل الأدب إلى بعض المواضع فسقَوه نبيذا غير الذى يشربون منه
فقال فيهم

٥ نَبِيذان فى مجلس واحد * لإيثار مُثْرٍ على مُقْترِ
فلو كان فعلُك ذا فى الطعام * لزمتَ قياسَك فى المسكرِ
ولو كنتَ تفعل فعل الكرام * صنعتَ صنيعَ أبى البَخْتَرِى
تتبّع إخوانَه فى البلاد * فأغنى المقلّ عن المُكثِرِ

فبلغت الأبياتُ أبا البَخْتَرِىّ، فبعث إليه ثلثمائة دينار . قال آبن عمّار : فقلت
١٠ وقد فعل جدّ هذا الفتى فى هذا المعنى ما هو أحسن من هذا، قال : وما فعل ؟
قلت : بلغه أن رجلا آفتقر من ثروة فقالت له امرأته : آفترِضْ فى الجند فقال

إليكِ عنّى فقد كلّفتِنى شططا * حملَ السلاح وقولَ الدّارعِينَ قِفِ
تمشى المنايا إلى قوم فأكرهها * فكيف أمشى إليها عارِىَ الكتِفِ
حَسِبتِ أن نفاد المال غيّرنى * أو أنّ رُوحِىَ فى جنبَىْ أبى دُلَفِ؟

(٩٥)

١٥ فأحضره أبو دُلَف وقال : كم أمّلتِ آمرأتُك أن يكون رزقك؟ قال : مائة دينار،
قال : كم أمّلتَ أن تعيش ؟ قال : عشرين سنة، قال : فذلك لك علىّ ما أمّلتَ
وأمّلتِ آمرأتُك فى مالنا دون مال السلطان، وأمر بإعطائه إياه ، قال : فرأيت وجه
آبن أبى دلف يتهلّل وآنكسر آبن أبى البَخْتَرِىّ، وهذه الأبياتُ رُويت لآبن أبى فَنَنٍ

ومنهم أخوه مَعقِل بن عيسى ، كان فارسا شاعرا جوادا مغنّيا فَهِما بالنغَم
٢٠ والوَتَر، ذكره الجاحظ مع ذكر أخيه أبى دُلَف وهو القائل لمخارق — وقد كان زار
أبا دلف بالجبل ثم رجع الى العراق، وله فى ذلك غناء —

لعمرى لئن قرّت بقُربك أعينٌ * لقــد سَخِنت بالبُعــد عنك عيونُ
فسِر أو أَقِم، وقفٌ عليك مودّتى * مكانُك من قلبى عليك مصونُ
فما أوحشَ الدنيا إذا كنتَ نازحا * وما أحسنَ الدنيــا بحيث تكونُ

ومنهم عبد الله بن طاهر بن الحسين وآبنه عبيد الله، فأما عبد الله فكان محله من علو المنزلة وعظم القدر والتمكن عند الخلفاء ما هو مشهور مذكور فى أخبارهم، وتقلّد الولايات الكبيرة مثل مصر والجزيرة وما يلى ذلك، ثم نقــل إلى خُراسان وله عطايا وهبات وصِلات لا ينكرها أحد، ومحله من الشجاعة والإقدام معروف، وكان يعتنى بالغناء ويصنعه إلا أنه كان يترفّع عن ذكره والآعتراف به ونسبته إليه .

قال أبو الفرج : والأصوات التى غنّى فيها عبد الله بن طاهر كثيرة ، وكان آبنه عُبَيد الله إذا ذكر شيئا منها من صنعته قال : الغناء للدار الكبيرة، وإذا ذكر شــيأ من صنعة نفسه قال : الغناء للدار الصغيرة ؛ فمن الأصوات التى صنع فيها عبد الله آبن طاهر قوله

هـــلّا سَــقيتم بنى حَزم[1] أسـيرَكمُ * نفسى فداؤك من ذى غُلّة صادى
الطاعنِ الطعنةَ النجلاء يتبعها * مضرِّج بعـــد ما جادت بإزباد

قال : فقد جاء به عبد الله صحيح العمل مزدوج النغم [بين][2] لين وشدّة على رسم الحذّاق القدماء . قال عُبَيد الله ــ وذكر صوتا من أصواته ــ : لمــا صنع أبى هذا الصوت لم يُحب أن يُسمَع عنه شىء من الغناء ولا يُنسَب إليه ؛ لأنه كان يترفّع[3] عن ذلك وما جسّ بيده وترًا قط ولا تعاطاه، ولكنه كان يعلم من هــذا الشأن بطول الدُّربة

(١) كذا بالأصل، وفى الأغانى ج ١١ ص ١٤ "بنى سهم" ثم قال : وهم بطن من هــذيل وذكره فى موضع آخر بلفظ «بنى جرم» . (٢) الزيادة عن الأغانى ج ١١ ص ١٤
(٣) فى الأصل «يرتفع» وما أثبتناه رواية الأغانى. ج ١١ ص ١٦

وحُسْن الثقافة ما لا يعرفه كثير، قال: و بلغ من علم ذلك الى أن صنع فى أبيات أصواتا كثيرة فألقاها على جواريه، فأخذنها عنه وغنّين بها وسمعها الناس منهنّ [وممن أخذ عنهنّ، فلما أن صنع هذا الصوت

هــلّا سقيتم بنى سَهْم أسيرَكــمُ * نفسى فداؤك من ذى غُلّة صادى] (١)

نسبه إلى مالك بن أبى السَّمْح، وكانت لآل الفضل بن الربيع جارية يقال لها: راحة (٢)، وكانت ترغب إلى عبد الله لمّـا ندبه المأمون إلى مصر وكانت تغنّيه وأخذت هذا الصوت عن جواريه وأخذه المغنّون عنها ورُوِىَ لمـالك بن أبى السمح مدّةً، ثم قدم عبـد الله العراق، فحضر مجلس المأمون وغُنِّىَ الصوتُ بحضرته ونُسِب إلى مالك، فضحك عبد الله ضحكا كثيرا، فسُئِل عن القصّة فصدق فيها (٣)، واعترف بصنعة الصوت وكشف المأمون عن القصة، فلم يزل كل مَن سُئل عنه عن (٤) أخذه فينتهى بالقصة إلى راحة و يقف فلا يعدوها، فأُحضِرت راحةُ وسُئِلت، فأَخبرَت بقصته فعلم أنه من صنعته حينئذ بعد أن جاز على إسحاق وطبقته أنه لمـالك ويقال: إنه لم يعجب من شيء عجبه من حذق عبد الله بمذاهب الأوائل وحكاياتهم.

وأما عبيد الله ويُكنَى أبا أحمد. قال أبو الفرج الأصبهانىّ: له محلّ من الأدب والتصرّف فى فنونه ورواية الشعر وقوله والعلم باللغة وأيام الناس وعلوم الأوائل من الفلاسفة فى الموسيق والهندسة وغير ذلك (٥) [ممـا] (٦) يجل عن الوصف ويكثر ذكره؛ وله

(١) الزيادة عن الأغانى ج ١١ ص ١٧ (٢) فى الأغانى ج ١١ ص ١٧: «داحة».

(٣) كذا بالأغانى، ج ١١ ص ١٧ وفى الأصل «عنها».

(٤) كذا بالأصل، وفى الأغانى ج ١١ ص ١٧ «كل من سئل عنه يخبر عمن أخذه».

(٥) كذا بالأغانى، ج ٨ ص ٤٤ وفى الأصل «الطبقة».

(٦) الزيادة عن الأغانى ج ٨ ص ٤٤

صنعة فى الغناء حسـنة متقنة عجيبة إلى ما يعجز عنـه الأوائل من جمع النغم كلها فى صوت واحد حتى بلغـه هو[1] وأتى به على ما فصله فيهـا وطلبه منها . وكان المعتضد بالله ربما أراد أن يصنع فى بعض الأشعار غناء ويحضره أكابر المغنّين فيعدل عنهم إليه فيصنع فيه أحسن صنعة ويترفّع عن إظهار نفسه بذلك فيومئ الى أنه من صنعة جاريته شاجى[2]، وسنذكر شاجى[2] إن شاء الله تعـالى فى أخبار القيان، وكانت تخريجَ عبيد الله وتأديبـه . قال : ولمـا آختلّت حال عُبَيد الله كان المعتضد بالله يتفقّده بالصِّلات . ومن أصوات عُبَيد الله التى جمع فيهـا النغم العشر قوله فى شعر إبراهيم بن علىّ بن هَرْمة

وإنك إذْ[3] أطمعتَنى منكَ بالرضا * وأيأستَنى من بعد ذلك بالغَضَبْ
كَممكنةٍ مِنْ دَرّها كفَّ حالب * ودافقــةٍ من بعــد ذلك ما حَلَبْ

وأخبار عُبَيد الله كثيرة سنذكر منها فى هذا الباب فى أخبار شاجى[2] طرفا ونورد منها إن شاء الله تعالى فى فنّ التاريخ ما يناسب، وأستغفر الله العظيم .

ذكر أخبار المغنّين الذين نَقَلوا الغناء من الفارسية إلى العربية ومَنْ أخذ عنهم ومَنِ آشتهر بالغناء

والغناء قديم فى الفرس والروم ولم يكن للعرب قبـل ذلك إلا الحُدَاء والنشيد، وكانوا يسمّونه «الركبانية» . وأوّل مَن نقل الغناء العجمىّ إلى العربىّ من أهل مكة "سَعِيد بن مِسْجَح" ومن أهل المدينـة "سائب خاثر" . وأوّل من صنع الهَزَج "طُوَيس" ولنبدأ بذكر أخبار هؤلاء ثم نذكر مَنْ أخذ عنهم إن شاء الله تعالى .

(١) عبارة الأغانى فى ج ٨ ص ٤٤ «فى صوت واحد تتبعه هو» . (٢) كذا بالأغانى ج ٨ ص ٤٤ . وفى الأصل «ساجى» . (٣) كذا بالأغانى ج ٨ ص ٤٤ ، وفى الأصل «إن» .

ذكر أخبار سعيد بن مِسْجَح

هو أبو عثمان سَعيد بن مِسْجَح مَوْلى بنى جُمَح، وقيل: مَوْلى بنى مخزوم، وقيل: مَوْلى بنى نَوْفل بن الحارث بن عبد المطلب، مكىّ أسود، وقيل: أصفر حَسَن اللون، وقيل: كان مُوَلَّدا يُكنَى أبا عيسى، وقيل: كان هو وآبن سُرَيج لرجل واحد. مغنّ متقدّم من فحول المغنّين وأكابرهم، وهو أوّل مَن وضع الغناء منهم، وأوّل من غنّى الغناء العربىّ بمكة، وذلك أنه مرّ بالفُرْس وهم يبنون المسجد الحرام فى أيام عبد الله آبن الزُّبَير فسمع غناءهم بالفارسيّة فقلبه فى شعر عربىّ ثم رحل إلى الشأم فأخذ ألحان الروم والبَرْبَطية والأسطوخوسية[1]، وآنقلب إلى فارس فأخذ غناء كثيرا وتعلّم الضرب ثم قدم إلى الحجاز وقد أخذ محاسن تلك النغم وألقى منها ما آستقبحه من النبَرَات والنغَم، وكان أوّلَ من فعل ذلك وتبعه الناس بعد، وعلّم آبنَ سريج، وعلّم آبنُ سريج الغريضَ. قالوا: وكان فى صباه فطنا ذكيا، وكان مولاه مُعجَبا به فكان يقول: ليكوننّ لهذا الغلام شأنٌ وما يمنعنى من عتقه إلّا حُسْنُ فِراستى فيه، ولئن عشتُ لأتعرفنّ ذلك، وإن مُتّ قبله فهو حرّ، فسمعه مولاه يوما يتغنّى بشعر آبن الرِّقَاع يقول

ألِمْ على طَلَلٍ عفا متقادِمِ * بين الذُّؤَيبِ[2] وبين غيب الناعم
لولا الحياءُ وأنّ رأسىَ قد عسا * فيه المَشِيبُ لزرتُ أمّ القاسم

(١) كذا بالأغانى ج ٣ ص ٨٤ وفى الأصل «الأسطرحوسية». وعبارة الأغانى هى الصحيحة والأسطوخوسية معناها الأجرام السماوية وقد ورد فى الفصل الثانى من كتاب «زين الألحان فى علم التأليف والأوزان» لمؤلفه محمد بن عبد الحميد اللاذقى «أن المتأخرين نسبوا المقامات الى البروج والآوازات الى الكواكب السبعة السيارة والشعب الى العناصر لمشاهداتهم بين طبائع المنسوب اليه والمنسوب مناسبات معنوية حال رياضتهم وان كانت غير معلومة لنا وأما ثمرة الانتساب فمعلومة لنا فى علم جر القلوب وتسخيرها». أفاده حضرة الأستاذ نور الدين بك مصطفى.

(٢) فى الأصل «الدكيك» والتصويب عن معجم ياقوت ج ٢ ص ٧٢٥ طبع أوربا.

فدعاه مولاه، فقال : أعد يابنىّ ، فأعاده فإذا هو أحسن مما آبتدأ به وقال : إن هذا لبعض ما كنتُ أقول، ثم قال له : أنَّى لكَ هذا ؟ قال : سمعتُ هذه الأعاجم تتغنى بالفارسيّة فقلبتها فى هذا الشعر، قال : فأنت حرّ لوجه الله ، فلزم مولاه وكثر أدبه وآتسع فى غنائه وشُهِر بمكة وأُعْجِبُوا به، فدفع إليه مولاه عُبَيدَ بن سُرَيج وقال : يابنىّ عَلّمه وآجتهد فيه، وكان آبن سُرَيج أحسنَ الناس صوتا فتعلّم منه ثم برّز عليه . وقد قيل : إنه إنما سمع الغناء من الفُرس لما أمر معاويةُ ببناء دُوره بمكة التى يقال لها : «الرقط» ، وكان قد حمل إليها بنّائين من الفُرس الذين كانوا بالعراق فكانوا يبنونها ، وكان سَعيد بن مِسْجَح يأتيهم فيسمع غناءهم على بنائهم ، فما آستحسنَ من ألحانهم أخذه ونقله إلى الشعر العربىّ ثم صاغ على نحو ذلك ، وكان من قديم غنائه الذى صنعه على تلك الألحان شعرُ الأحوص وهو

أسلامُ إنكِ قد ملكتِ فأسجِحى * قد يملك الحرُّ الكريمُ فيُسْجِحُ
مُنّى على عانٍ أطلتِ عَناءه * فى الغُلّ عندك والعُناةُ تُسَرَّحُ
إنى لأنصحكم وأعلم أنه * سِيّانِ عندكِ مَن يَغُشُّ ويَنصَحُ
وإذا شكوتُ إلى سلامةَ حبّها * قالت أجِدٌّ منك ذا أم تَمزَحُ

وهذا من أقدم الغناء العربىّ المنقول عن الفارسىّ . قال : وعاش سَعيد بن مسجح حتى لقيه مَعْبد وأخذ عنه فى أيام الوليد بن عبد الملك .

ومن أخبار سعيد ما حكاه أبو الفرج الأصفهانىّ بسند رفعه قال : كتب عامل لعبد الملك بن مروان بمكة إليه أن رجلا أسود يقال له : سعيد بن مسجح قد أفسد فتيان قريش وأنفقوا عليه أموالهم ، فكتب إليه أن آقبض ماله وسيّره إلىّ ، فتوجه آبن مسجح إلى الشأم ، فصحبه رجل له جَوَار مغنّيات فى الطريق ، فقال له : أين تريد؟ فأخبره الخبر وقال : أريد الشأم ، فصحبه حتى بلغا دمشق ، فدخلا مسجدها

(٩٧) فسألا : مَن أخصّ الناس بأمير المؤمنين؟ فقالوا : هؤلاء النفر من قريش وبنو عمّه، فوقف آبن مسجح عليهم فسلّم ثم قال : يافتيانُ، هل فيكم مَنْ يُضيف رجلا غريبا من أهل الحجاز؟ فنظر بعضهم إلى بعض وكان عليهم موعد أن يذهبوا إلى قَيْنة يقال لها : «برق الأُفُق» ، فتثاقلوا به إلّا فتًى منهم تذمّم[1] فقال له : أنا أُضيفك وقال لأصحابه : آنطلقوا أنتم وأنا أذهب مع ضيفى فقالوا : لا، بل تجىء معنا أنت وضيفك، فذهبوا جميعا إلى بيت القَيْنة، فلما أُتُوا بالغداء قال لهم سَعيد : إنى رجل أسود ولعلّ فيكم مَن يَقذَرُنى فأنا أجلس وآكل ناحيةً وقام، فآستحيوا منه وبعثوا له بما أكل . فلما صاروا إلى الشراب قال لهم مثل ذلك ففعلوا، ثم أخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وُضِع لها فغنّتا إلى العشاء، ثم دخلتا وخرجت جارية حَسَنة الوجه والهيئة وهما معها فجلستا أسفلَ السرير عن يمينه وشماله وجلست هى على السرير، قال آبن مسجح : فتمثّلتُ هذا البيت

فقلتُ أشمسٌ أم مصابيحُ بِيعَة * بدت لك خلفَ السِّجف أم أنتَ حالم

فغَضِبت الجارية وقالت : أيضرب مثلُ هذا الأسود بى الأمثالَ ! فنظروا إلىّ نظرا منكَرا، ولم يزالوا يُسكّنونها ثم غنّت صوتا . قال آبن مسجح : فقلت أحسنتِ والله، فغضب مولاها وقال : أمثلُ هذا الأسود يُقدِم على جاريتى ! فقال لى الرجل الذى أنزلنى عنده : قم فآنصرف إلى منزلى فقد ثقّلتَ على القوم، فذهبتُ أقوم فتذمّم[1] القوم وقالوا : بل أقم وأحسن أدبك، فأقمت فغنّت فقلت : أخطأتِ والله وأسأتِ ثم آندفعتُ فغنّيتُ الصوت، فوثبت الجارية فقالت لمولاها : هذا أبو عثمان سَعيد بن مسجح فقلت : إى والله، أنا هو، والله لا أقيم عندكم ووثبتُ، فوثب القرشيّون

(١) جاء فى لسان العرب فى مادة «ذمم» : التذمّم للصاحب هو أن يحفظ ذمامه ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه .

فقال هذا : تكون عندى ، وقال هذا : تكون عندى ، [وقال هذا : بل عندى[1]] فقلت : والله لا أقيم إلا عند سيّدكم ! يعنى الرجل الذى أنزله منهم ، وسألوه عما أقدمه ، فأخبرهم ، فقال له صاحبه : إنى أسْمُر الليلة عنـد أمير المؤمنين فهل تُحسِن أن تحدوَ؟ فقال : لا والله ولكنى أصنع حُدَاءً ، فقال له : إن منزلى بحذاء منزل أمير المؤمنين فإذا وافقتُ منه طيبَ نفس أرسلتُ إليك ، ومضى إلى عبد الملك فلما رآه طيِّبَ النفس أرسل إلى ابن مسجح ، فأخرج رأسه من وراء شُرَف القصر ثم حدا ٥

إنك يا معاذُ يابْنَ الفُضَّـلِ[2] * إنْ زُلزِلَ الأقدامُ لم تُزَلزَلِ

عن دين موسى والكتاب المنْزَلِ * تُقيم أصداغَ[3] القرونِ المُيَّلِ

* للحقّ حتى ينتحوا للأعدلِ *

فقال عبد الملك للقرشيّ : مَن هذا؟ فقال : رجل حجازىّ قدم علىّ ، قال : أحضره ، ١٠ فأحضره ، ثم قال له : [هل][1] تُغنّى غناء الركبان ؟ فغنّى ، فقال له : هل تغنّى الغناء المتقَنَ؟ قال : نعم ، قال : هِيهِ ، فغنّى ، فاهتزّ عبد الملك طربا ثم قال : أُقسم بالله إن لك فى القوم آسما كبيرا ، مَن أنت؟ ويلك ! قال : أنا المظلوم المقبوض ماله المسيّر عن وطنه « سَعِيد بن مِسْجَح » قبض مالى عاملُ الحجاز ونفانى ، فتبسّم عبد الملك ثم قال : قد وضَحَ عُذر فِتيان قُرَيش فى أن يُنفِقُوا عليك أموالَهم ، وأمّنه ووصله وكتب ١٥ إلى عامله بالحجاز أن آردد إليه مالَه ، ولا تتعرّض اليه بسوء[4] ، والله أعلم .

---

(١) الزيادة عن الأغانى ج ٣ ص ٨٧

(٢) فى الأصل هكذا * إنك يا معاوى المفصل * والتصويب عن الأغانى ج ٣ ص ٨٧

(٣) فى الأصـل هكذا «أضراع» ، وفى الأغانى ج ٣ ص ٨٧ «أصداع» وكلاهما محرّف عن «أصداغ» بالغين المعجمة لأنه من صدغ يصدَغ صدوغا وصَدَغا بمعنى مال ومنه لأقيمن صَدَغك أى ميلك . ٢٠

(٤) كذا بالأصل وفى الأغانى ج ٣ ص ٨٨ «وكتب الى عامله بردّ ماله عليه وألّا يعرض له بسوء» .

ذكر أخبار سائب خاثر

هو أبو جعفر سائب خاثر بن يسار مولى لبنى ليث، وأصله من فىْء كسرى وآشتراه عبد الله بن جعفر فأعتقه، وقيل: بل كان على ولائه لبنى ليث ولكنه آنقطع إلى عبد الله بن جعفر ولزمه وعُرِف به . وهو أوّل من عمل العود بالمدينة وغنّى به .
قال : وكان عبد الله بن عامر بن كُرَيز سبي[1] إماءً صَنّاجات[2] فأتى بهنّ المدينة، فكنّ يلعبن فى يوم الجمعة و يسمع الناس منهنّ فأخذ عنهنّ . وقدم رجل فارسىّ يُعرَف بنَشِيط، فغنّى، فعجِب عبد الله بن جعفر منه، فقال له سائب خاثر : أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسىّ بالعربية[3] ثم غدا على عبد الله بن جعفر وقد عمل فى

لِمَنِ الديارُ رُسومُها قَفْـرُ * لعبتْ بها الأرواحُ والقَطْرُ
وخلا لها من بَعد ساكنها * حِجَجٌ مَضَينَ ثمانٍ أو عَشْرُ
والزعفرانُ على ترائبها * شَرِقٌ به اللَّبّـاتُ والنَّحْرُ

قال آبن الكلبىّ : وهو أوّل صوت غُنِّىَ به فى الإسلام من الغناء العربىّ المتقَن الصنعة . قال : ثم آشترى عبد الله بن جعفر نَشِيطا بعد ذلك فأخذ عنه سائب خاثر الغناء العربىّ، وأخذ عنـه آبن سُرَيج وجَمِيلة ومَعْبد وعَزّة المَيْلاء وغيرهم . وقيل : إنه لم يكن يضرب بالعود و إنما كان يقرع بالقضيب و يغنّى مرتجلا . قال آبن الكلبىّ : وكان [سائب تاجرا][4] مُوسِرًا يبيع الطعام بالمدينـة، وكان تحتـه أربعُ نسوة، وكان آنقطاعه إلى عبد الله بن جعفر وهو مع ذلك يُخالط سَرَوات النـاس

---

(١) فى الاغانى ج ٧ ص ١٨٨ : «اشترى» . (٢) هنّ اللاعبات بالصنج، وهو صفيحة مستديرة من نحاس تضرب بأخرى مثلها، وقيل : الصنج ذو الاوتار الذى يُلعب به .
(٣) كذا بالأصل، وفى الأغانى ج ٧ ص ١٨٨ «وقد صنع لمن الديار» الخ .
(٤) الزيادة عن الاغانى ج ٧ ص ١٨٨ .

وأشرافهم لظَرْفه وحلاوته وحُسْن صوته ، وكان قد آلى على نفســه ألّا يغنّى أحدا سوى عبد الله بن جعفر إلا أن يكون خليفة أو ولىّ عهد أوآبن خليفة ، فكان على ذلك الى أن قُتِل على ما نذكره . وأخذ عنه مَعْبد غناءً كثيرا ، قال : وسمع معاوية غناء سائب خاثر مرارا ، فالمرّة الأولى لما وَفَد عبــد الله بن جعفر إلى معاوية وهو معه ، فسأل عنه معاوية ، فأخبره عبد الله خبره وآستأذنه فى دخوله عليه ، فأذِنَ له ؛ فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته فغنّى

لمن الديارُ رسومُها قَفْرُ * الأبيات

فالتفت معاوية إلى عبد الله وقال : أَشهَد لقد حسَّنه ، وقضى معاوية حوائجه وأحسن اليه ووصله ، وقيل : أشرف معاوية ليلةً على منزل يزيد فسمع صوتا أعجبه وآستخفّه السماعُ ، فاستمع حتى ملّ ثم دعا بكرسىّ فجلس عليه وآشتهى الاستزادة ، فاستمع بقيّة ليلته ، فلما أصبح غدا عليه يزيد فقال : يا بنىّ ، مَن كان جليسَك البارحةَ؟ قال : أىّ جليس يا أمير المؤمنين ؟ وآستعجم عليه ، فقال : عرّفنى به فإنه لم يخفَ علىّ شىء من أمرك ، قال : هو سائب خاثر، قال معاوية : فأكثِرْ له يا بنىّ من برّك وصلتك فما رأيتُ بمجالسته بأسا .

قال آبن الكلبىّ : وقَدِم معاوية المدينة فى بعض ما كان يَقْــدَمُ ، فأمر حاجبه بالإذن للناس ، فخرج ثم رجع فقال : ما بالباب أحد ، فقال معاوية : وأين الناس؟ قال : عند عبد الله بن جعفر ، فركب معاوية بغلته ثم توجه إليهم ، فلما جلس قال بعض القرشيّين لسائب خاثر : مِطرَفى هذا لكَ إن آندفعتَ تغنّى ، وكان المطرف من خزّ ؛ فقام بين السِّماطين وغنّى فقال

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمعنَ بالضحى[1] * وأسيافُنا يَقطُرنَ من نَجْدة دَمَا

(١) كذا فى الأغانى ج ٧ ص ١٩٠ وكامل المبرّد وديوان قائله سيدنا حسان بن ثابت المطبوع فى أوروبا ، وورد بالأصل «فى الدجى» .

فسمع منه معاوية وطرِب وأصغى اليه حتى سكت وهو مُستحسِن لذلك ثم آنصرف وأخذ سائب خاثر المِطرَف[1]. وكان مقتل سائب خاثر بالمدينة يوم الحرَّة، قال: وكان يخشى على نفسه من أهل الشأم، فخرج اليهم وجعل يقول : أنا مغنٍّ ومن حالى ومن قصّتى كَيْتَ وكَيْتَ وقد خدمتُ أمير المؤمنين يزيد وأباه قبله، فقالوا له : غنّ لنا، ففعل. فقام أحدهم فقال : أحسنتَ والله، ثم ضربه بالسيف فقتله، وبلغ يزيدَ خبرُه ومرّ به آسمه فى أسماء مَن قُتِل فلم يعرفه وقال: مَن سائب خاثر؟ فعُرِّف به، فقال : وَيله ماله ومالنا ! ألم نحسن إليه ونصله ونخلطه بأنفسنا ! فما الذى حمله على عداوتنا ! لا جَرَم أن بَغْيه علينا صرعه. وقيل إنه لما بلغه قتلُه قال: إنا لله! أوبلغ القتلُ إلى سائب خاثر وطبقته ! ما أرى أنه بقى بالمدينة أحد، وقال : قبّحكم الله يا أهل الشأم، تجدهم وجدوه فى حائط أو حديقة مستترا فقتلوه، وقد قيل : إنه تقدّم يوم الحرَّة وقاتل حتى قُتِل، والله أعلم .

ذكر أخبار طُوَيس

هو عيسى بن عبد الله وكنيته أبو عبد المنعم، وغيّرها المخنّثون فقالوا: أبو عبد النعيم، وطُوَيس لقبٌ غَلَب عليه وقيل : آسمه طاوس مَوْلى بنى مخزوم، وكان أيضا يلقّب بالذائب لأنه غنّى

قد برانى الحبُّ حتى * كِدتُ من وجدى أذوبُ

وهذا أوّل غناء غنّاه وهَزَجٍ هَزَجه، وقد ضُرب المثل به فى الشؤم فقالوا : "أشأمُ من طُوَيس" لأنه وُلِد يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفُطِم يوم

(١) روى المبرد فى الكامل حكاية لمعاوية مع عبد الله بن جعفر تشبه هذه من بعض الوجوه انظر صحيفة ٣٩٠ طبع أوروبا .

مات أبو بكر رضى الله عنه، وخُتِن يوم مات عمر رضى الله عنه، وتزوج يوم قُتِل عثمان، ووُلِد له يوم مات علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، وكان مخنثا أحوَل طويلا

(٩٩) وقيل : إنه وُلد ذاهبَ العين اليمنى . قالوا : وكانت أمه تمشى بين نساء الأنصار بالنمائم . وطُوَيس أول مَن صَنَع الهَزَج والرَمَل فى الإسلام، وكان الناس يضربون به المثل

٥ فيقولون : «أهْزَجُ من طُوَيس» وكان لا يضرب بالعود وإنما ينقُر بالدفّ، وكان ظريفا عالما بأمر المدينة وأنساب أهلها .

حكى أبو الفرج الأصفهانىّ بسنده إلى المدائنىّ قال : قدم ابن سُرَيج المدينة فجلس يوما فى جماعة وهم يقولون له : أنتَ والله أحسنُ الناس غناء ، إذ مرّ بهم طُوَيس فسمعهم وما يقولون، فاستلّ دُفّه من حِضْنه ونقره وغنّى ، فلما سمعه ابن سُرَيج، قال :

١٠ هذا والله أحسنُ الناس غناء لا أنا . وقال المدائنىّ : قال مُسلم[(١)] بن مُحارب : حدّثنى رجل من أصحابنا قال : خرجنا فى سفر ومعنا رجلٌ من أصحابنا فانتهينا إلى واد فدعَوْنا بالغَداء فمدّ الرجل يده إلى الطعام فلم يقدر عليه وكان قبل ذلك يأكل معنا ، فخرجنا نسأل عن حاله فلقينا رجلا طويلا أحولَ مضطربَ الخَلْق[(٢)] فى زِىّ الأعراب، فقال لنا : مالكم؟ فأنكرنا سؤاله لنا، فأخبرناه خبر الرجل، فقال : ما اسمُ صاحبكم؟ فقلنا : أَسِيد

١٥ فقال : هـذا واد قد أُخِذت[(٣)] سباعه فارتحلوا فلو قد جاوزتم الوادى استمَرّ صاحبكم وأَسِد[(٤)] وأَكَل ، قلنا فى أنفسنا : هو من الجنّ، ودخلتنا فزْعة ، ففهم ذلك وقال : لِيُفْرِخْ رَوْعُكم فأنا طُوَيس، فقال له رجل منا : مرحبا بك أبا عبد النّعيم، ما هذا الزىّ؟ فقال : دعانى بعض أَوِدّائى من الأعراب فخرجتُ إليهم وأحببتُ أن أتخطى

---

(١) فى الأغانى ج ٢ ص ١٧٤ : «مسلمة» .

٢٠ (٢) فى الأصول «فلق» والتصويب عن الأغانى ج ٢ ص ١٧٤

(٣) كذا بالأصل . وفى الأغانى ج ٢ ص ١٧٥ «أخاف» .

(٤) هكذا بالأصول . والذى فى الأغانى ج ٢ ص ١٧٥ «استمرّ صاحبكم وأكل» بدون أسد ،

الأحياء فلا يُنكرونني، فسأله رجل منا أن يغنّينا، فاندفع ونقر بدُفّ كان معه مربّع، فلقد خُيِّل لي أن الوادي ينطق معه حسنا وتعجّبا من علمه وما أخبرنا به من أمر صاحبنا.

قال المدائنيّ: وكان طُوَيس وَلِعًا بالشعر الذي قالته الأَوس والخَزْرَج في حروبهم، وكان يريد بذلك الإغراء، فقلّ مجلسٌ آجتمع فيه هذان الحيّان فغنّى فيه طُوَيس إلا وقع فيه شيء، فنُهِيَ عن ذلك فقال: والله لا تركتُ الغناء بشعر الأنصار حتى يُوَسِّدوني الترابَ وذلك لكثرة تولّع القوم به، وكان يُبدِي السرائرَ ويُخرِج الضغائنَ؛ وغناؤه يُستحسن ولا يُصبَر عن حديثه.

وحكى الأصبهانيّ عفا الله عنه، قال: كان بالمدينة مخنّث يقال له: النُّغَاشِيّ فقيل لمروان بن الحَكَم: إنه لا يقرأ من كتاب الله تعالى شيئا، فبعث إليه فاستقرأه أمّ الكتاب، فقال: والله ما معي بناتُها، أو ما أقرأ البناتِ فكيف أقرأ أمّهنّ! فقال: أتهزأ لا أمّ لك!، فأمر به فقُتِل ببُطْحانَ[1] وقال: من جاءني بمخنّث فله عشرة دنانير، فَأُتِيَ طُوَيس وهو في بني الحارث بن الخزرج فَأُخبِرَ بمقالة مروان، فقال: أما فَضَّلني الأميرُ عليهم بفضلٍ حتى جعل فيّ وفيهم شيئا واحدا؟ ثم خرج حتى نزل السُّوَيداء على ليلتين من المدينة في طريق الشأم فنزلها فلم يزل بها بقيّة عمره وعمّر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك. ثم ساق الأصفهانيّ هذه القصة في موضع آخر بسند آخر قال: خرج يحيى بن الحَكَم وهو أمير على المدينة فبصُر بشخص في السَّبَخَة مما يلي مسجد الأحزاب، فلما نظر إلى يحيى جلس فاستراب به فوجّه إليه أعوانه فَأُتِيَ به كأنه آمرأة في ثياب مُصَبَّغة مصقولة وهو ممتشط مُختضِب فقال له أعوانه: هذا آبن نُغَاش المخنّثُ، فقال: ما أحسَبُك تقرأ من كتاب الله تعالى شيئا، اقرأ أمّ القرآن، فقال:

---

(١) بطحان بفتح الباء اسم واد بالمدينة واليه ينسب البطحانيون وأكثرهم يضم الباء، قال ابن الأثير: ولعله الأصح. انظر اللسان في مادة «بطح».

لو عَرَفتُ أمّهنّ عَرَفتُ البناتِ، فأمر به فضُرِبت عنقه وساق نحو ماتقدّم إلا أنه قال : جعل فى كل مخنّث ثلثمائة درهم .

وحكى أيضا بسند رفعه إلى صالح بن كَيْسان وغيره أن أبَان بن عثمان لما أمّره عبد الملك على الحجاز، أقبل حتى [إذا] (١) دنا من المدينة، تلقّاه أهلُها وخرج إليه أشرافُها، فخرج معهم طُوَيس فلما رآه سلّم عليه، ثم قال له : أيها الأمير، إنى كنتُ قد أعطيتُ الله تعالى عهدا إن رأيتك أميرا لأخضِبنّ يدىّ إلى المرفقين ثم أردو (٢) بالدّف بين يديك ثم أبدى عن دفّه وتغنّى [بشعر ذى جَدَنٍ الحميرىّ] (١)

ما بالُ أهلكِ يا رَبابُ ،، خُزْرًا كأنهـمُ غِضابُ

فطربَ أبانُ حتى كاد يطير، ثم جعل يقول : حَسْـبُكَ يا طاوس، ولم يَقُل له طُوَيس لنُبْله فى عَيْنه، ثم قال له : آجلس، فجلس، فقال له أبان : قد زعموا أنك كافر فقال له : جُعلتُ فداءك، والله إنى لأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله [صلى الله عليه وسلم] (٣) وأصلّى الخمس وأصوم رمضان وأحجّ البيت، قال : أفأنت أكبر أم عمرو ابن عثمان ؟ وكان عمرو أخا أبانَ لأبيه وأمّه، فقال طُوَيس : جعلتُ فداءك أنا والله مع جلائل نساء قومى أمسكُ بذيولهنّ يومَ زُفّت أمّك المباركةُ الى (٤) أبيك الطيّب، فاستحيا أبانُ ورمى بطَرْفه إلى الأرض .

(١) الزيادة عن الاغانى ج ٤ ص ٣٨

(٢) هكذا بالأصـول، والذى فى اللسان والقاموس أنه من باب رمى فضارعه «أردِى» يقال ردى الغلام إذا رفع إحدى رجليه وقفز بالأخرى .

(٣) وردت هذه الجملة فى الأصول ولم ترد فى رواية الأغانى ج ٤ ص ٣٨ وقد جرت عادة النساخ فى مثل هذا المقام أن يزيدوها .

(٤) فى الأصول «على» والتصويب عن الأغانى ج ٤ ص ٣٨

ذكر أخبار عبد الله[1] بن سُرَيج

هو أبو يحيي عبد الله بن سُرَيج مَوْلى بنى نَوْفل بن عبد مناف، وقال آبن الكلبيّ: إنه مَولى لبنى الحارث بن عبد المطلب، وقيل: إنه مَولى لبنى لَيث ومنزله بمكة. وقال الحسن بن عُتبة اللّهْبيّ: إنه مَولى لبنى عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. وحكى أبو الفرج الأصبهانيّ أنه كان آدمَ أحمرَ ظاهرَ الدم سِناطا[2] فى عينيه قَبَل[3]، وبلغ خمسا وثمانين سنة، وكان منقطعا إلى عبد الله بن جعفر.

ونَقَل أيضا عن آبن الكلبيّ أنه كان مُخنّثا أحوَلَ أعمَش يُلقب وجهَ الباب، وكان لا يُغنّى إلا مُتنقبا، مُسْبِلَ القِناع على وجهه، قال: وكان أحسنَ الناس غناء، وكان يغنّى مرتَجِلا و يُوَقِّعُ بقضيب، وقيل: كان يضرب بالعود، وغنّى فى زمن عثمان بن عفّان، ومات فى خلافة هشام بن عبد الملك. وقيل: كان آسمه عُبَيد بن سُرَيج من أهل مكة. وقال آبن جُرَيج: كان عُبَيد بن سُرَيج مَولى آل خالد بن أُسَيد، وقيل: كان أبوه تركيّا. وقيل: كان عُودُه على صنعة عيدان الفُرس، وهو أوّل مَن ضرب به على الغناء العربىّ بمكة. وذلك أنه رآه مع العجَم الذين قدِم بهم آبنُ الزُّبَير لبناء الكعبة، وأعجبَ أهلَ مكة غناؤهم. فقال آبن سُرَيج: أنا أضرب به على غنائى، فضرب به فكان أحذقَ الناس. وأخذ الغناء عن سَعيد بن مِسْجَح وقد تقدّم ذكر ذلك. وأوّل ما آشتهر بالغناء فى ختان آبن مولاه عبدِ الله بن عبد الرحمن بن أبى حُسَين، قال آبن سُرَيج لأمّ الغلام: خفِّضى عليك بعض المغرَم والكُلفَة فوالله لأُلهِينّ نساءك حتى لا يدرين ماجئتِ به. وكان مَعْبد إذا أعجبه غناءُ نفسه قال: أنا اليوم سُرَيجىّ.

---

(١) هكذا بالأصول، وفى الأغانى ج ١ ص ٩٧ «عبيدالله» وسيأتى قريبا أنه يسمى «عبيد بن سريج».

(٢) السِّناط فى اللغة هو الذى لا لحية له أصلا أو الخفيف العارض أو من له لحية وليس فى عارضيه شيء.

(٣) القَبَل: مثل الحول فى العين أو هو أحسن منه.

ومن أخباره أيضا أن عَطاء بن أبى رَباح لقيه بذى طُوًى وعليه ثياب مُصَبَّغة وفى يده جَرَادة مشدودة الرِّجل بخَيط يُطيرها ويَجذبها كلما تخلّفت، فقال له عطاء : يا فتّان، ألا تكُفّ عما أنت فيه ! كفى الله الناسَ مئونتَك، فقال له آبن سُرَيج : وما على الناس من تلوينى ثيابى ولَعِبى بجرادتى ! فقال : تفتنهم أغانيك الخبيثة، فقال له آبن سُرَيج : بحقِّ مَنْ تبعتَه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و بحقّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك إلّا سمعتَ منّى بيتا من الشعر فإن سمعتَ منكرا أمرتَنى بالإمساك عما أنا عليه، وأنا أُقسم بالله و بحقّ هذه البَنِيَّة إن أمرتَنى بعد آستماعك منّى بالإمساك عما أنا عليــه لأفعلنّ ، فأطمعَ ذلك عطاءً فى آبن سُرَيج وقال له : قل ، فاندفع يغنّى بشعر جرير

إنّ الذين غَدَوْا بلُبّك غادروا * وَشَــلًا بعَيْنك لا يزال مَعِينَا
غَيَّضْنَ مِنْ عبَراتهنّ وقلن لى * ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينَا

قال : فلما سمعه عَطاء آضطرب آضطرابا شديدا وداخلته أَرْيَحِيَّةٌ، فحلف ألّا يكلم أحدا بقيّة يومه إلا بهذا الشعر وصار إلى مكانه من المسجد الحرام ، فكان كل مَن يأتيــه يسأل عن حلال أو حرام أو خبر لا يجيبه إلا بأن يضرب إحدى يديه على الأخرى ويُنشِدَ هذا الشعرَ حتى صلى المغرب، ولم يُعاوِد آبنَ سُرَيج بعدها ولا تعرّض له .

وحُكِىَ عنه أيضــا أن عمر بن أبى ربيعة حجّ فى عام من الأعوام ومعه آبن سُرَيج، فلما رَمَوا الجمراتِ تقدّما الحاجّ إلى كثيب على خمسة أميال من مكة مشرِف على طريق المدينــة وطريق الشأم والعراق وهو كثيب شامخ مُفرَد عن الكُثْبان ، فصارا إليه فأكلا وشربا ، فلمــا آنتشيا أخذ آبن سُرَيج الدفّ فنقره وجعل يتغنّى وهم ينظرون إلى الحاجّ، فلما أمسيا رفع آبنُ سُرَيج صوتَه وتغنّى بشعر لعمر بن أبى ربيعة فسمعه الرُّكبانُ، فجعلوا يَصيحون به : يا صاحبَ الصوت أما تتقى الله ! قد حبستَ الناس عن

مناسكهم، فيسكتُ قليلا حتى إذا مَضَوْا رفع صوته، فيقف آخرون إلى أن وقف عليه فى الليل رجل حَسَن الهيئة على فرس عتيق حتى وقف بأصل الكَثِيب، ثم نادى: ياصاحب الصوت، أيسهل عليك أن تُرَدّد شيئا ممـا سمعتُه منك؟ قال: نعم ونُعمةَ عينٍ، فأيّها تريد؟ فاقترح صوتا فغنّاه، ثم قال له آبن سُرَيج: ازدد إن شئت، فاقترح صوتا آخر فغنّاه، فقال له: والثالث ولا أستزيدك، فغنّاه الثالث، وقال له آبن سُرَيج: أبقِيَتْ(١) لك حاجة؟ قال: نعم تنزلُ لأخاطبَك، فنزل إليه فاذا هو يزيد بن عبـد الملك فأعطاه حُلّته وخاتمه وقال: خذهما ولا تُخدَع فيهما فإن شراءهما ألف وخمسمائة دينار. فعاد آبن سُرَيج بهما فأعطاهما لعُمَر بن أبى ربيعة وقال: هما بك أشبه منهما بى، فأخذهما وعوّضه عنهما ثلثمائة دينار، وغدا فيهما إلى المسجد فعرفهما الناس وجعلوا يتعجّبون ويسألون عمر عنهما، فيخبرهم أنّ يزيدَ بن عبد الملك كساه ذلك. وقيل: إن عمر بن عبد العزيز مرّ به فسمع آبنَ سُرَيج وهو يُغنّى، فقال: لله درّ هذا الصوت لو كان بالقرآن!

قال إبراهيم بن المهدىّ: كان آبن سُرَيج رجلا عاقلا أديبا وكان يعاشر الناس بما يشتهون فلا يغنّيهم بمـا مُدِحَ به أعداؤهم ولا بمـا فيه عارٌ عليهم أو غَضاضة منهم.

ومن أخباره ما حكاه أبو الفرج الأصبهانىّ بإسناده، قال: كتب الوليد بن عبدالملك إلى عامل مكة أن أَشخِصْ إلىّ آبنَ سُرَيج، فأشخصَه إليه، فلما قَدِم مكث أياما لا يدعوه ولا يلتفت إليه ثم ذَكَره فآستحضره، فدخل عليه وسلّم فأذن له بالجلوس وآستدناه حتى كان قريبا منه، فقال: ويحك يا عُبَيد! لقد بلغنى عنك ما حملنى على الوِفَادَة بك من كثرة أدبك وجَوْدة آختيارك مع ظَرْف لسانك وحلاوة مجلسك، قال: جُعِلتُ

---

(١) فى الأصول هكذا: «دأنعبت الزجاجة» والتصويب عن الأغانى ج ١ ص ١٠٣

فَدَاءَك يا أمير المؤمنين «تسمع بالمُعَيْدِىّ لا أن تراه»(١)، قال الوليد: إنى لأرجو ألّا تكون أنت ذاك، ثم قال: هات ما عندك، فاندفع يغنّى بشعر الأَحْوَص

وإنّى إذا حلّت ببَيْش(٢) مُقيمةً * وحلّ بوَحٍّ(٣) جالسا أو تَتَهَّمَا

يَمانيَةٌ شطّت وأصبح نفعُها * رجاءً وظنًّا بالمَغيب مُرَجَّمَا

أُحبّ دنوّ الدار منها وقد أبى * بها صَدْعُ شَعْب الدار إلّا تَثَلُّمَا

بكاها وما يَدرِى سوى الظنّ ما بَكَى * أحيًّا يُبَكِّى أم ترابًا وأعظُمَا

فدعها وأخلِف للخليفة مِدحةً * تُزِلْ عنك بؤسَى أو تُفِدْك مَغْنَمَا(٤)

فإنّ بكفّيه مفاتيحَ رحمة * وغَيْثَ حَيًا يَحيَا به الناسُ مُرْهِمَا

إمامٌ أتاه المُلكُ عفوًا ولم يُثِبْ * على ملكه مالًا حرامًا ولا دَمَا

تخيّره ربُّ العباد لخَلْقه * وليًّا وكان اللهُ بالناس أعلَمَا

ينالُ الغِنى والعزَّ مَن نال وُدّه * ويرهبُ موتًا عاجلًا مَنْ تشأَمَا(٥)

فقال الوليد: أحسنتَ والله وأحسن الأحوص، ثم قال: يا عُبَيد هِيه! فغنّاه بشعر عَدِىّ بن الرِّقاع العاملىّ يمدح الوليدَ

طار الكَرى وألمّ الهمُّ فاكتنعا * وحِيلَ بينى وبين النوم فامتنَعَا

كان الشبابُ قِناعا أستكِنُّ به * وأستظِلّ زمانا ثُمَّتَ انقشَعَا

واستَبْدَل الرأسُ شَيبًا بعدَ داجيةٍ * فَيْنانةٍ ما ترى فى صُدغها نَزَعَا

فإن تكن ميعةٌ من باطل ذهبت * وأعقب الله بعد الصبوة الوَرَعَا

(١) هذى احدى روايات المثل، حكاها الميدانى فى مجمع الأمثال، والرواية المشهورة وهى التى صدّر بها هذه الروايات «تَسْمَعُ بالمعيدىّ خيرٌ منْ أن تراه». (٢) بيش: اسم واد. (٣) وَحٌّ: ناحية بعُمان.

(٤) فى الأغانى ج ١ ص ١١٨: أنعما. (٥) فى الأصول: «ان تشئا» ولم يظهر له معنى. وما أثبتناه رواية الأغانى. وتشأم أخذ نحو شماله ولعله يريد بذلك الكناية عن كونه حائدا عن الطريق السوى وقد كنى فى القرآن الكريم بأصحاب الميمنة عن أهل الخير كما كنى بأهل المشأمة عن أهل الشر.

فقد أبيتُ أُراعِي الخَوْد رابيةً [1] * على الوسائد مسرورًا بها وِلِعَا

برّاقة الثغر يَشفِي القلبَ لذّتُها * إذا مُقَبِّلُها فى ريقها كَرَعَا

كالأُقحوان بضاحى الروض صبّحه * غيثٌ أرَشّ بتَنْضَاحٍ وما نَقَعا

صلّى الذى الصلواتُ الطيّباتُ له * والمؤمنون اذا ما جمّعوا الجُمَعَا

على الذى سبَقَ الأقوامَ ضاحيةً * بالأجر والحمد حتى صاحبَاه مَعَا

صلّى الذى جمع الرحمنُ أمّتَهُ [2] * على يَدَيْه وكانوا قبله شِيَعا

عُذْنا بذى العرش أن نحيا ونفقِدَه * وأن نكون لراعٍ بعده تَبَعَا

إن الوليد أميرَ المؤمنين له * مُلْكٌ أعان عليه اللهُ فآرتفَعَا

لا يمنع اللهُ [3] ما أعطى الذين هُمُ * له عباد ولا يُعْطُونَ ما مَنَعا

فقال الوليد: صدقتَ يا عُبَيد، أنّى لكَ هذا؟ قال: (هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ). قال الوليد: لو غيرَ هذا قلتَ لأحسنتُ أدبكَ، قال آبن سريج: (ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) قال الوليد: (يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَاءُ) قال آبن سُرَيج: (هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ) قال الوليد: لَعِلْمُكَ والله أكثر وأعجب إلىّ من غنائك! غنّنى، فغنّاه بشعر عَدِىّ بن الرِّقَاع يمدح الوليد فقال [4]

عَرَفَ الديارَ تَوَهُّمًا فآعتادها * من بعد ما شَمِلَ البِلَى أبلادَها [5]

[إلّا رواسِىَ كلّهنّ قد آصطلى * جمرا وأشعل أهلُها إيقادَها [6]

(١) فى الأغانى ج ١ ص ١١٨ : «راقدة» . (٢) كذا فى الأصول ولعله محرف عن «على» وفى الأغانى ج ١ ص ١١٨ «هو» . (٣) فى الأغانى ج ١ ص ١١٨ «الناس» .

(٤) رأينا أن نثبت هذه القصيدة كاملة، وقد نقلناها عن مجلة الآثار السنة الثانية ص ٤٤٤ وقد نشرها فيها حضرة الأستاذ أحمد تيمور باشا وقال انه لا يوجد منها فى كتب اللغة والأدب الا أبيات متفرقة وإنه عثر عليها تامة فى مجموع مخطوط قديم بخزانة الأستاذ أحمد زكى باشا مكتوب عليه بخط حديث أنه للثعالبى . والأبيات الموضوعة بين قوسين مربعين غير موجودة بالأصل .

(٥) أبلادها : آثارها . وفى رواية أخرى «درس» بدل «شمل» .

(٦) رواية الأغانى ج ٨ ص ١٨٣ «رواكد» بدل رواسى ، وحمراء أشعل بدل «جمرا وأشعل» .

كانت رواحلَ للقدور فعرِّيت * منهنّ وآستلب الزمانُ رمادها

وتنكّرت كلُّ التنكّر بعدنا * وآلأرض تعرف بعلها وجمادها] (١)

ولرُبّ واضحــةِ العوارض حُرّةٍ * كالرِّيم قد ضَرَبت به أوتادَها (٢)

[تصطاد بهجتُها المعلَّل بآلصِّبا * عرضا فتُقْصِدُه ولن يصطادها (٣)

كالظبيــة البكر الفريدة ترتعِى * من أرضها قُفَّاتِها وعِهادها (٤)

خصِبت بها عقد البِرَاق جنينها * عن عكرِها عَلَجَانَها وعَرَادَها (٥)

كالزَّيْن فى وجه العَرُوس تبذَّلَتْ * بعد الحياء فلاعبت أرْآدها

تُزْجِى أَغَنَّ كأنّ إبرة رَوْقه * قلمٌ أصاب من الدواة مِدَادها

ركبت به من عَالِجٍ متحيرًا * قَفْرا تُرَبِّبُ وحشُه أولادها (٦)

فترى مَحَانِيَـه التى تَسِقُ الثّرى * والهَــبْرَ يُونِق نبتُها رُوَّادها (٧)

بانَتْ سُعَادُ وأخلفت ميعادَها * وتباعدت عنا لِتمنَع زادها]

إنى إذا ما لم تصِــلنى خُلّــتى * وتباعدت عنى آغتفرتُ بِعَادَها (٨)

(١) البعل الأرض المرتفعة التى لا يصيبها مطر الا مرة واحدة فى السنة ، والجماد اليابسة التى لم يصبها مطر ولا شىء فيها . (٢) فى الأغانى ج ١ ص ١١٩ «طفلة» .

(٣) المعلل بالصبا المشغول به المتلهى ، وأقصده رماه بسهم فقتله .

(٤) القفات جمع قفة وهى كما قال الأزهرى شجرة مستديرة ترتفع عن الأرض قدر شبر وتيبس ، والعهاد جمع عهد بالفتح وعهدة بالفتح والكسر وهى مطر بعد مطر يدرك آخره بلل أوّله .

(٥) فى هذا البيت اضطراب ويروى

خصبت لها عقد البراق جبينها * من عركها علجانها وعرادها

والبراق جمع برقة وهى أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل ، والعلجان والعراد نباتان .

(٦) عالج اسم موضع . (٧) محانيه : معاطفه وثناياه ، وتسق من الوسق وهو الجمع ، والهبر المطمئن من الأرض . (٨) الخلة بالضم الخليلة .

[إمّا تَرَىْ شَيْبِي تقشّع لِمّتِي * حتى علا وَضَحٌ يَلُوح سوادَها (١)

فلقد ثنيت يدَ الفتاة وِسَادَةً * لى جاعلا يسرى يدىّ وِسَادها

وأُصاحِبُ الجيشَ العرمرمَ فارسا * فى الخيل أَشهد كَرَّها وطِرَادَها

وقصيدةٍ قد بتُّ أجمع بينها * حتى أقوِّم مَيلَها وسِنَادها (٢)

نظرَ المُثَقِّف فى كعوب قَنَاتِه * حتى يقيم ثِقَافُه مُنْآدها (٣)

فسترتُ عيب معيشتى بتكرّمٍ * وأتيت فى سعةِ النعيم سِدَادَها (٤)

وعلمتُ حتى ما أسائِل واحدا * عن علمِ واحدةٍ لكى أزدادها]

صلّى الإلٰه على امرئٍ ودّعتُه * وأتمّ نعمتَهُ عليه وزادَهَا

وإذا الربيعُ تتابعت أنواؤه * فسَقَى خُناصِرَةَ الأحصّ بجَادَها (٥)

نزل الوليدُ بها فكان لأهلها * غيثًا أغاث أنيسَها وبلادَهَا

أوَ لا ترى أنّ البريّة كلّها * ألقت خزائمَها إليه فقادَهَا

ولقد أراد اللهُ إذ ولّاكها * مِن أمّة إصلاحَهَا ورَشَادَهَا

أعمَرتَ أرضَ المسلمين فأقبلتْ * وكفَفْتَ عنها مَن يرومُ فسادَهَا

وأصبتَ فى أرض العدوّ مصيبةً * عمّت أقاصىَ غَوْرِها ونِجادَهَا

ظَفَرًا ونصرًا ما تناول مثلَهُ * أحدٌ من الخلفاء كان أرادَهَا

فإذا نشرتُ له الثناءَ وجدتُه * جَمَعَ المكارمَ طِرْفَهَا وتِلادَهَا

---

(١) يلوح من لاحه : غيّره . (٢) السناد كل عيب يلحق القافية .

(٣) منآدها : معوّجها . (٤) يقال : سداد من عوز وعيش لما تسدّ به الخلّة .

(٥) جاء فى معجم البلدان لياقوت : الأحص كورة كبيرة مشهورة ذات قرى ومزارع بين القبلة وبين الشمال من مدينة حلب قصبتها « خناصرة » مدينة كان ينزلها عمر بن عبد العزيز وهى صغيرة وقد خربت الآن إلا اليسير منها ؛ وقد أورد البيت هكذا

وإذا الربيع تتابعت أنواؤه * فسقى خُنَاصرةَ الأحصّ وزادها

[غلب المسامِيحَ الوليدُ سماحة * وكفى قريشَ المُعْضِلاتِ وسَادها
تأتيه أَسْلاب الأَعِزّة عَنْوة * قسرا ويجمع للحروب عَتَادها
واذا رأى نارَ العدوّ تضرّمت * سامى جماعةَ أهلها فَٱقتادها
بِعَرمرمٍ تبدو الروابى ذى وَغًى * كالحَرّة ٱحتمل الضحى أطوادَها (١)
أطفأتَ نارا للحروب وأُوقِدت * نار قدحتَ براحتيك زنادَها ٥
فبدتْ بصيرتُها لمن يبغى الهدى * وأصاب حَرُّ شديدها حُسَّادَها
واذا غدا يوما بنَفْحة نائل * عرضتْ له الغَدَ مثلُها فأعادها
واذا عَدَتْ خيلٌ تبادِر غاية * فٱلسابقُ الجالِى يقود جِيادَها]

(١٠٣) فأشار الوليد إلى بعض الخدم فغطّوه بالخلع، ووضعوا بين يديه كيسَ الدنانير وبِدَرَ الدراهم، ثم قال الوليد : يا مَوْلى بنى نَوْفل بن الحارث لقد أُوتيتَ أمرًا جليلًا، ١٠
فقال ٱبن سُرَيج : وأنت يا أمير المؤمنين لقد آتاك الله مُلْكا عظيما وشرفا عاليا وعزًّا بَسَط يدك فيه، فلم يقبضه عنك ولا يفعل إن شاء الله. فأدام الله لك ما ولّاك وحفظك فيما ٱسترعاك، فإنك أهلٌ لما أعطاك، ولا يَنزِعه منك إذ رآك له موضعا.
قال : يا نَوْفلىّ، وخطيب أيضا! قال ٱبن سُرَيج : عنك نطقتُ، وبلسانك تكلّمتُ، وبعزّك بيّنتُ، وكان قد أمر بإحضار الأحوص بن محمد الأنصارىّ وعَدِىّ بن ١٥
الرِّقاع العاملىّ، فلما قدما عليه أمر بإنزالهما حيث ٱبن سُرَيج فأُنزِلا منزلا بجوار منزله، فقالا : والله لقُربُ أمير المؤمنين كان أحبَّ إلينا من قُربك يا مَوْلى بنى نَوْفل، وإن فى قربك لما يَلَذّنا ويَشغَلنا عن كثير مما نُريد، فقال لهما ٱبن سُرَيج : أَوَ قِلّةُ شكر!

(١) الوغى بالمهملة الجلبة، والحرة بالفتح الأرض الصلبة الغليظة. والمعنى أن الروابى التى يحارب فيها هذا الجيش تبدو للناظر كأنها حرة حمل سراب الضحى أطوادها وجبالها العالية. ٢٠

فقال له عدى : كأنك يابن اللَّخناء تمنّ علينا [علىّ وعلىّ](١) إن جمعَنا و إياك سقفُ بيت أو صحنُ دار عند أمير المؤمنين ، فقال الأحوص : أَوَ لَا تحتمل لأبى يحيى الزلّةَ والهفوةَ ، وكفّارةُ يمين خيرٌ من لَجَاج فى غير منفعة ، فتحوّل عدى و بقى الأحوص ، وبلغ الوليدَ ما جرى بينهم ، فدعا آبنَ سُرَيج فأدخله بيتا وأرخى دونه سِترًا ثم أمره إذا فرغ الأحوص وعدى مِنْ كلمتيهما أن يغنّى ، فلمادخلا وأنشداه مدائحَ لهما فيه ، رفع آبن سُرَيج صوته من حيث لا يَرَوْنه وضرب بعود ، فقال عدى : يا أمير المؤمنين أتأذن لى أن أتكلّم؟ قال : قل يا عاملى ، قال : مثلُ هذا عند أمير المؤمنين و يبعث إلى آبن سُرَيج يتخطّى رقابَ قريش والعرب من تِهَامةَ إلى الشأم ترفعُه أرض وتخفضُه أخرى ليسمعَ غناءه ! قال : ويحكَ يا عدى ! أَوَلَا تعرف هذا الصوت؟ قال : لا والله ما سمعتُه قط ولا سمعتُ مثله ، ولولا أنه فى مجلس أمير المؤمنين لقلتُ طائفة من الجنّ يَتغنّون ، فقال : آخرج عليهم ، نخرج فإذا آبن سُرَيج ، فقال عدى : حَقّ لهذا أن يُحمَلَ ! حَقّ لهذا أن يُحمَلَ ! ثلاثا ، ثم أمر لهما بمثل ما أمر به لآبن سُرَيج وآرتحل القوم .

و روى أبو الفرج أيضا عن سهل بن بركة وكان يحمل عود آبن سُرَيج قال : كان على مكة نافعُ بْنُ عَلْقمة الكِنانى فشدّد فى الغناء والمغنّين والنبيذ ونادى فى المخنّثين ، نخرج فتية من قريش إلى بطن مُحسِّر(٢) و بعثوا برسول لهم ، بجاءهم براوية من شراب الطائف ، فلما شربوا وطَرِبوا قالوا : لو كان معنا آبن سُرَيج تمّ سرورنا ، فقلت : هو علىّ لكم ، فقال لى بعضهم : دونكَ هذه البغلةَ فاركبها وآمض إليه ، فأتيته فأخبرته بمكان القوم وطلبهم إياه ، فقال لى : ويحك ! وكيف لى بذلك مع شدّة السلطان

(١) الزيادة عن الأغانى ج ١ ص ١١٩ .

(٢) جاء فى معجم البلدان : أنه موضع بين مكة وعرفة ، وقيل بين منى وعرفة .

فى الغناء ونِدائه فيه! فقلتُ له : أترِدهم؟ قال : لا والله فكيف لى بالعود! فقلت : أنا أخبؤه لك فشأنَك، فركب وسترتُ العودَ فأردفنى، فلما كنا ببعض الطريق إذا بنافع ابن عَلْقمة قد أقبل، فقال لى : يابن بركة، هذا الأمير . فقلت له : لا بأس عليك أرسِل عِنانَ البغلة وآمضِ ولا تخف، ففعل . فلمـا حاذيناه عَرَفنى ولم يعرف آبن سُرَيج، فقال لى : يابن بركةَ مَنْ هذا أمامك ؟ قلت : من ينبغى أن يكون ! هـذا آبن سُرَيج، فتبسّم ثم تمثّل

فإن تَنْجُ منها يا أَبانُ مُسَلَّمًا * فقد أَفْلَتَ الحجّاجُ خَيلَ شَبِيبِ

ثم مضى ومضينا، فلما كنا قريبا من القوم نزل إلى شجرة يستريح، فقلت له : غنّنى مرتَجِلا، فرفع صوته فخُيِّل إلىّ أن الشجرة تنطق معه، فغنّى وقال

كيف الثّواءُ ببطن مكة بعد ما * همّ الذين تُحِبّ بالإنجـاد

أم كيف قلبُكَ إذ ثَوَيت مُخَمَّرًا * سَقِماً خلافَهُـمُ ولونك[1] بادِى

هل أنتَ إن ظعن الأحبّة غادِى * أَم[2] قبلَ ذلك مُدلِجٌ بســوادِ

قال : فقلت أحسنتَ والذى فَلق الحبّة و برأ النسَمَة! ولو أن كنانة كلّها سمعتك لأستحسَنَتْك[3]، فكيف بنافع بن عَلْقمة! المغرورُ مَن غرّه نافعٌ، ثم قلتُ : زدنى و إن كان القومُ متعلقةٌ قلوبُهم بك ، فغنّى وتناول عُودًا من الشجرة فوقّع به على الشجرة فكان صوتُ الشجرة أحسنَ من خَفْق بطون الضأن على العيدان إذا أخذتها عيدانُ الدِّفْلَى وغنّى

(١) فى الأغانى ج ١١ ص ٢٠ «وكربك بادى» .

(٢) فى الأصل «من» ، والتصويب عن الأغانى ج ١١ ص ٢٠ .

(٣) فى الأصل «لأستحسنتَ» والتصحيح عن الأغانى ج ١١ ص ٢١ .

لا تجمعي هجرًا عليّ وغربةً * فالهجرُ فى تلف المحبّ سريعُ
مَن ذا فَدَيتُكِ يستطيع لحبّه * دَفعًا إذا آشتملتْ عليه ضلوعُ

فقلتُ : بنفسي أنتَ والله ، مَنْ لا يُكَلّ ولا يُمَلّ ! والله ما جَهِل مَنْ فَهِمَك ، آركب بنا فدتك نفسي ، قال : أَمْهِلْنى كما أمهلتُك أَقضِ بعضَ شأنى ، فقلتُ : وهل عما تريد مَدْفع ؟ فقام فصلّى ركعتين ثم ضرب بيده إلى الشجرة وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده و رسوله ، ثم مضينا والقوم مُستشرِفون ، فلما دنونا منهم إذا الغَرِيضُ يُغنّيهم

مِنْ خَيْل حيٍّ لا تزالُ مُغيرَةً * سَمِعَتْ على شَرَف صَهيلَ حِصانِ

فبكى آبن سُرَيج حتى ظننتُ أن نفسه قد خرجت ، فقلت : ما يُبكيك يا أبا يحيى؟ جُعِلتُ فداك لا يسوءك الله ولا يُريك سوءا (١) ، قال : أبكانى هذا المخنّث بحسن غنائه وشَجَا صوته ، والله ما ينبغي لأحد أن يغنّى وهذا الصبيّ حيّ ، ثم نزل وآستراح وركب ، فلما سرنا هُنيهةً آندفع الغَرِيضُ يغنّى لهم بلحنه

يا خليليّ قد مَلِلتُ ثَوَائى * بالمُصَلّى وقد سَئِمتُ البقيعَا
بلّغانى دِيارَ هندٍ وسُعدَى * وآرجِعانى فقد هَوِيتُ الرجوعَا

قال : ولصوته دويّ فى تلك الجبال ، فقال آبن سُرَيج : يآبن بركة ، أسمعتَ مثل هذا الغناء قط ؟ قال : ونظروا إلينا فأقبلوا تَسَاوَى يَسحَبون أعطافهم وجعلوا يقبّلون وجه آبن سُرَيج ، فنزل فأقام عندهم ثلاثا ، والغَرِيضُ لا ينطق بحرف ، وأخذوا فى شرابهم وقالوا : يا حبيب النفس وشقيقها ، أعطها بعض شأنها (٢) ، فضرب بيده إلى جيبه (٣) فأخرج

(١) فى الأصول «والله لا يسوءك هذا ولا يريك سوءا» والتصويب عن الأغانى ج ١١ ص ٢١
(٢) فى الأغانى ج ١١ ص ٢١ «مناها» .
(٣) كذا فى الأغانى ج ١١ ص ٢١ وفى الأصل «جنبه» .

منه مِضرابا ثم أخذه بيده ووضع العود فى حجره، فما رأيتُ [يدًا][1] أحسن من يده ولا خشبة تخيَّلَت لى أنها جوهرة إلا هى، ثم ضرب فلقد ضجّ[2] القوم جميعا ثم غنّى، فكلٌّ قال : لَبَّيْك لَبَّيْك، فكان مما غنّى به هَزَج

لَبَّيْـكِ يا سَيِّدتِى * لَبَّيْـك ألْفـا عَدَدَا

لَبَّيْـكِ من ظالمـة * أحببتُهَـا مجتهـدَا

قـومى إلى مَلعَبنا * نحكِ الجَوَارى الخُرَّدَا

وَضْع يدٍ فوق يدٍ * نرفعها يدًا يـدَا

فكلٌّ قال : نفعل ذاك فلقد رأيتُنا نستبق أيّنا تقع يده على يده، ثم غنّى

ما هَاجَ شَوقَكَ بالصرائمْ * رَبْـعٌ أحالَ لآل[3] عاصِمْ

رَبْعٌ تقـادَم عَهـدُهُ * هاجَ المحبّ على التقادُمْ

فيـه النواعمُ والشـبا * بُ الناعمون مع النواعمْ

مِنْ كل واضحـة الجبيـن عميمةٍ رَيّا المعاصِمْ

ثم غنّى بقوله

شجانى مَغانى الحىّ وآنشقَّتِ العَصَا * وصاح غُرابُ البَيْن أنتَ مريضُ

ففاضَت دموعى عند ذاك صبابةً * وفيهنّ خَوْدٌ كالمَهَاة غَضِيضُ

ووَلَّيتُ محزونَ الفؤاد مُرَوَّعًا * كئيبا ودمعى فى الرِّداء يَفِيضُ

(١) الزيادة عن الأغانى ج ١١ ص ٢١ .

(٢) فى الأغانى ج ١١ ص ٢١ «سبّح» .

(٣) فى الأغانى ج ١١ ص ٢٢ «لأمّ عاصم» .

قال : فلقد رأيتُ جماعةً من الطير وَقَعن بقُربنـا وما نُحِسّ قبل ذلك فيها شيئا ، فقالت الجماعة : يا تمام السرور وكمال المجالس ، لقد سَعِد مَن أخذ بحظّه منك[(١)] وخابَ مَن حُرِمَك ، يا حياة القلوب ونسيم النفوس جعلنا الله فداءك ، غنّنا ، فغنّى

يا هِندُ إنكِ لو علمـــتِ بعاذِلَيْن تتابَعَا

٥ قال : فبدرتُ من بينهم فقبّلتُ عينيه ، فتهافت القوم عليه يقبّلونه ، ولقد رأيتُنى وأنا أرفعهم عنه شفقةً عليه . وكانت وفاة آبن سُرَيج بالعلة التى أصابته من الجُذَام بمكة فى خلافة سليمان بن عبد الملك أو فى خلافة الوليد ، ودفن فى موضع يقال له «دسم»[(٢)] . رحمة الله عليه وعفا عنه وغفر له ، والحمد لله رب العالمين .

(١٠٥) حُكِى أنه لمـا آحتُضِر نظر إلى آبنتـه تبكى فبكى وقال : إنه مِنْ أكبر همّى أنتِ ١٠ وأخشى أن تَضيعى بعدى ، فقالت : لا تخف فما غنّيتَ شيئا إلا وأنا أُغنّيه ، فقال : هاتى ، فآندفعت فغنّت وهو مُصغٍ إليها ، فقال : قد أصبتِ ما فى نفسى وهوّنتِ علىّ أمركِ ثم دعا سَعِيدَ بن مسعود الهُذَلِىّ فزوّجه إياها ، فأخذ أكثر غناء أبيها وآنتحله .

ذكر أخبار مَعْبَد

هو مَعْبد بن وهب ، وقيل : آبن قَطَنِىّ مَوْلى آبن قَطَن ، وقيل : إن قَطَنا مَوْلى ١٥ العاص بن وابِصة[(٣)] المخزومىّ ، وقيل : مَوْلى مُعاوية بن أبى سُفيان . غنّى مَعْبد فى أيام بنى أميّة فى أوائلها ، ومات فى أيام الوليد بن يزيد بدمشق . قال أبو الفرج الأصفهانىّ :

---

(١) فى الأصول «بحظك» والتصويب عن الأغانى ج ١١ ص ٢٢

(٢) موضع قرب مكة كما فى القاموس ومعجم البلدان .

(٣) هكذا بالأصول وفى الأغانى ج ١ ص ١٩ «وابصة» بالباء الموحدة .

إنه لمــا مات خرجت سلامَةُ جاريةُ الوَليــد بن يزيد بن عبد الملك وأخذت بعمود السرير والناسُ ينظرون إليها وهى تندُبه وتقول شعر الأَحْوَص

قد لَعَمْرِى بتُّ لَيْلِى * كأخِى الداءِ الوَجِيعِ

ونجىّ الهمِّ مِــنِّى * باتَ أدنَى من ضَجِيعِى

كلّمــا أبصَرتُ رَبعًا * خاليًا فاضَت دموعِى ٥

قد خلا من سيِّدٍ كا * ن لنــا غيرَ مُضِــيعِ

لا تَلُمنَا إن خَشَعنَا * أو هَمَمنا بخُشُــوعِ

وكان مَعْبد قد علّمها هذا الصوت فندبته به . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ : كان مَعْبد من أحسن الناس غِناءً وأجودهم صنعةً وأحسنهم خُلُقًا، وهو إمام أهل المدينة فى الغناء ، وأخذ عن سائب خاثر ونَشيط الفارسىّ مَوْلى عبد الله بن جعفر، ١٠ وعن جميلة مَوْلاة بَهْز بطن من بنى سُلَيم ، وفى مَعْبدٍ يقول الشاعر

أجادَ طُوَيسٌ والسُّرَيجِىُّ بعدَهُ * وما قَصَبَاتُ السَّبْق إلا لمَعْبَدِ

وحكى أبو الفرج أيضا أن الوَليد بن يزيد آشتاق إلى مَعْبد فوجّه إليه البريد إلى المدينة فأحضره ، فلمــا بلغ الوليدَ قدومُه أمر ببركة مُلِئت ماءَ ورد وخُلِط بمســك وزعفران، ثم جلس الوليد على حافَة البركة وفُرِش لمعبد مقابلَه وضُرِب بينهما سِتْرٌ ١٥ ليس معهما ثالث ، وجىء بمعبد فقيل له : سلِّم على أمير المؤمنين وآجلس فى هذا الموضع ، فسلَّم ، فردَّ عليه من خَلْف السِّجْف ، ثم قال له : أتدرى لم وَجَّهتُ اليك؟ قال : الله أعلم وأميرُ المؤمنين ، قال : ذكرتك فأحببتُ أن أسمع منك ، فقال له مَعْبد : أُغَنِّى ما حضر أو ما يقترحه أمير المؤمنين؟ قال : غَنِّ

ما زالَ يعدُو عليهم رَيْبُ دهرِهمُ * حتى تفانَوْا ورَيْبُ الدهرِ عَدّاءُ ٢٠

فغنّاه، فرفع الجوارى السجْف، ثم خرج الوليد فألق نفسه فى البركة فغاص فيها، ثم خرج منها فآستقبله الجوارى بثياب غير الثياب التى كانت عليه ثم شرب وسقى مَعْبَدًا ثم قال له : غنِّنى يا معبد

يا رَبْعُ مالكَ لا تُجيبُ مُتَيَّمًا * قد عَاجَ نحوَك زائرًا ومُسَلِّمَا

٥ جادتك كُلُّ سحابةٍ هَطّالةٍ * حتى تُرى عن زَهْره مُتَبَسِّمَا

لو كنتَ تدرِى مَن دعاك أجبتَهُ * وبكيتَ مِنْ حُرَقٍ عليه إذًا دَمَا

قال : فغنّاه، وأقبل الجوارى فرفعْن السِّتْر، وخرج الوليد فألق نفسه فى البركة فغاص فيها ثم خرج، فلبس ثيابا غير تلك الثياب، ثم شرب وسقى معبدا وقال له : غنِّنى يا معبد

١٠ عَجِبَتْ لما رَأَتْنِى * أندُبُ الرَّبْعَ المُحِيلَا

واقفًا فى الدار أبكِى * لا أرى إلا الطُّلولَا

كيف تَبكِى لأُناسٍ * لا يَمَلُّون الذَّمِيلَا(١)

كُلّما قلتُ آطمأنَّت * دارُهم جَدُّوا(٢) الرحيلَا

قال : فلما غنّاه ألق نفسه فى البركة ثم خرج فردّوا عليه ثيابه، ثم شرب وسقى مَعْبَدًا وقال له : يا مَعْبد، مَن أراد أن يزداد حُظوة عند الملوك فليكتُم أسرارهم،

١٥ فقال : ذلك مما لا يحتاج أمير المؤمنين إلى إيصائى به، فقال الوليد : ياغلام آحمل إلى معبد عشرةَ آلاف دينار تُحَصَّلُ له فى بلده، وألفى دينار لنفقة طريقه، فحُملت إليه كلُّها، وحُمِل على البريد من وقته إلى المدينة . وقد قيل : إنه أعطاه فى ذلك المجلس خمسةَ عشر ألف دينار .

---

٢٠ (١) ضرب من السير . (٢) فى الأغانى ج ١ ص ٢٧ «قالوا» .

وقال أبو الفرج بسند رفعه : إن معبّدا كان قد علّم جارية من جوارى الحجاز الغناء تدعى "طيبة"[١] وعُنِي بتخريجها، فآشتراها رجل من أهل العراق وأخرجها إلى البصرة وباعها هناك، فاشـتراها رجل من أهل الأهواز فأُعجب بها وذهبت به كلّ مذهب وغلبت عليه، ثم ماتت بعد أن أقامت عنده برهةً من الزمان، فأخذ جواريه أكثر غنائها عنها؛ فكان لمحبّته إياها وأسـفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار مَعْبَـد وأين مستقرّه، ويُظهر التعصّب له والميل إليـه والتقديم لغنائه على سائر الأغانى من أهل عصره إلى أن عُرِف ذلك منه وبلغ مَعْبدا خبرُه، فخرج من مكة حتى أتى البصرة، فلما وردها صادفَ الرجُلَ قد خرج عنها فى ذلك الوقت واليوم إلى الأهواز، فجاء معبد فى طلب سفينة تحمله إلى الأهواز فلم يجد غير سفينة الرجُل، فركب فيهـا وكلاهما لا يعرِف الآخر، وآنحدرت السفينة؛ فلما صاروا بفَم نَهْر الأُبُلَّة[٢]، أمر الرجل جَوَاريه بالغناء فغنّين إلى أن غنّت إحداهنّ صَوْتا من غناء مَعْبد فلم تُجِـد أداءه، فصاح بها معبد : يا جارية إن غناءك هذا ليس بمستقيم، فقال مولاها : — وقد غضب — وأنت ما يدريك ما الغناء! ما هو إلا أن تُمسِك وتَلزَم شأنَك، فأمسك. ثم غنّت أصواتا من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلم حتى غنّت من غنائه فأخلّت ببعضـه، فقال لها معبد : يا جارية قد أخللتِ بهذا الصوت إخلالا كثيرا. فغضب الرجل وقال له : ويلك! ما أنت والغناء، ألا تَكُفّ عن هذا الفُضُول! فأمسك معبد، وغنّى الجوارى مليًّا، ثم غنّت إحداهنّ صوتا من غنائه فلم تصنع فيه شيئا، فقال لها معبد: يا هذه، أما تقوين[٣] على أداء صوت واحد! فغضب الرجل وقال له : ما أراك تدع

(١) وفى بعض النسخ «طبية» وفى الأغانى ج ١ ص ٢٤ «ظبية».

(٢) الأبلة بضم أوّله وثانيه وتشديد اللام وفتحها اسم بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى فى زاوية الخليج الذى يدخل الى مدينة البصرة كما فى معجم البلدان لياقوت.

(٣) كذا فى الاغانى ج ١ ص ٢٥ وفى الأصل «ألا تقومين».

هذا الفضول بوجه ولا حيلة فأُقسِمُ بالله إن عاودتَ لأُخرِجنَّك من السفينة، فأمسك معبد حتى سكتت الجوارى سكتة، فاندفع يغنّى الصوت الأوّل حتى فرغ منه، فصاح الجوارى أحسنتَ والله يا رجل فأعده، قال : لا والله ولا كرامة . ثم آندفع يغنّى الثانى فقُلنَ لسيّدهنّ : وَيْحك! هذا والله أحسن الناس غناء، فسله أن يعيده
٥ علينا ولو مرّة واحدة لعلّنا نأخذه منه، فإنه إن فاتنا لم نجد مثله أبدا . قال : قد سمعتُنّ سوء ردّه عليكنّ وأنا خائفٌ مثلَه منه، وقد آستقبلناه بالإساءة فاصبرنَ حتى نداريه، قال : ثم غنّى الثالث فزلزل عليهم الأرض . فوثبَ الرجُل فقبّل رأسه، وقال : يا سيّدى أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك، فقال له : وهَبْكَ لم تعرف موضعى قد كان ينبغى لك أن تتثبّت ولا تُسرع إلى سوء العِشرة وجَفَاء القَول ، فلم يزل يرفُق
١٠ به حتى نزل إليه ، وكان معبد قد أُجلس فى مُؤَخَّر السفينة، فقال له الرجُل : ممن أخذت هذا الغناء ؟ قال : من بعض أهل الحجاز، فمن أين أخذه جواريك؟ قال : أخذنه من جارية كانت لى، كانت قد أخذت الغناء عن أبى عَبَّاد مَعْبَد وكانت تَحُلّ منّى مكانَ الرُّوح من الجسد، ثم آستأثر الله بها وبقى هؤلاء الجوارى وهُنَّ [من][1] تعليمها، فأنا إلى الآن أتعصّب لمعبد وأُفضّله على المغنّين جميعا ، وأُفضّل صنعته على كل
١٥ صنعة، فقال له مَعْبَد : وإنك لأنت هو، أفتعرِفنى ؟ قال : لا، قال : فصكَّ مَعْبَد بيده صَلعته، ثم قال : فأنا[2] والله معبد وإليك قدمتُ من الحجاز ووافيتُ البصرة ساعة نزلتُ السفينة لأقصدك بالأهواز، ووالله لا قصّرتُ فى جَوَاريك هؤلاء ولأجعلنّ لك فى كلّ واحدة خَلَفا من الماضية ؛ فأكبَّ الرجلُ والجوارى على يديه

(١) الزيادة عن الأغانى ج ١ ص ٢٦
٢٠ (٢) فى الأصول «فانه» والتصويب عن الأغانى ج ١ ص ٢٦

ورجليه يقبّلونها ويقولون : كتمتَنا نفسَك حتى جفوناك فى المخاطبة وأسأنا عشرتك وأنت سيِّدنا ومن نتمنَّى أن نلقاه، ثم غيّر الرجُل أثواب مَعْبَد وخلَع عليه عدَّة خِلَع وأعطاه فى ذلك الوقت ثلثمائة دينار وطِيباً وهدايا مثلها، وآنحدر معه إلى الأهواز فأقام عنده حتى رَضِىَ حِذْقَ جَوَارِيهِ ثم ودَّعه وآنصرف إلى الحجاز .

ذكر أخبار الغَرِيض ٥

وما يتصل بها من أخبار عائشة بنت طلحة

هو عبد الملك وكنيته أبو زَيْد، وقيل : أبو مَرْوان. والغَرِيض لَقَبٌ لُقِّب به؛ لأنه [كان](١) طرىّ الوجه نَضِرا غضَّ الشباب حَسَنَ المنظَر فلُقِّب بذلك، والغَرِيض الطرىّ من كل شىء. وقال آبن الكلبىّ : شُبِّه بالإغريض وهو الجُمَّار ثم نُقل ذلك على الألسنة فحذفت الألف فقيل : الغَرِيض، وهو من مُوَلَّدِى البربر وولاؤه للثُّرَيّا صاحبة عُمَر ١٠ آبن أبى ربيعة وأخواتها الرُّضَيّا وقريبة وأم عثمان بنات علىّ بن عبدالله بن الحارث بن أميّة الأصغر. قالوا : وكان يضرب بالعود وينقُر بالدفّ ويُوقّع بالقَضِيب، وكان قبل الغناء خيَّاطا، وأخذ الغناء فى أوّل أمره عن عَبيد بن سُرَيج، لأنه كان قد خدمه، فلما رأى آبن سُرَيج طبعَه وظَرْفه وحلاوةَ منطقه، خَشِىَ أن يأخذ غناءَه فيغلبه عليه ويَفُوقه بحُسْن وجهه وحسده، فاعتلّ عليه وشكاه إلى مَوْلَيَاته وكُنّ دفعنه إليه ليعلّمه ١٥ الغناء، وجعل يتجنّى عليه ثم طرده، فعرف مَوْلَيَاتُه غرضَ آبن سُرَيج فيه وأنه حسده، فقُلن له : هل لك أن تسمع نَوْحنا على قتْلانا فتأخذَه وتُغَنِّىَ عليه؟ قال : نعم، فأسمعنَهُ المراثىَ فاحتــذاها وخرّج غناءه عليها، وكان يَنُوح مع ذلك فيدخل المآتم وتُضرَب

---

(١) الزيادة عن الأغانى ج ٢ ص ١٢٩

دونه الحُجُبُ[1] ثم ينوح فيفتِنُ كلَّ مَن سمعه، فلما كَثُرَ غناؤه عدل الناس إليه لشجائه، فكان آبن سُرَيج لا يغنّى صوتا إلا عارضه فيه فيغنّى فيه لحنا آخر، فلما رأى آبن سُرَيج موقع الغَرِيض آشتدّ عليه وحسده، فغنّى الأرمال والأهزاج، فاشتهاها الناس فقال له الغَرِيض : ياأبا يحيى قَصَّرت الغناء وحذفته، قال : نعم يامخنّث حين جعلت تنوح على أبيك وأمّك، قال : ولم يُفضَّل آبنُ سُرَيج عليه إلا بالسَّبْق وأما غير ذلك فلا . ٥

وقال بعضهم : كان الغَرِيض أشجى غناء، وآبن سُرَيج أحكم صنعة . وحكى أبو الفرج الأصفهانىّ بسند رفعه إلى أيّوب بن عَبَاية عن مَولى لآل الغَرِيض قال : حدّثنى بعض مَوْلَيَاتى وقد ذكرنَ الغَرِيض فترحّمنَ عليه، وقُلنَ جاءنا يوما فحدّثنا بحديث أنكرناه عليه ثم عَرَفناه بعد ذلك حقيقة، قالت : وكان آبن سُرَيج بجوارنا فدفعناه إليه ولُقِّن الغناء، وكان من أحسن الناس صوتا ، ففتَنَ أهل مكة بحُسْن وجهه مع ١٠ حُسْن صوته، فلما رأى ذلك آبن سُرَيج جلاه عنه، فكان بعض مَوْلَيَاته تُعلِّمه النياحة فبرّز فيها، فجاءنى يوما فقال : نَهَتنِى الجنّ أن أنوح وأسمَعَتْنى صَوْتا عجيبا فقد آبتنيتُ عليه لحنا فآسمَعِيه منّى، فآندفع فغنّى بصوتٍ عجيبٍ فى شعرٍ لمَرَّار الأَسَدى :

حَلَفتُ لها بالله ما بين ذى الغَضَى * وهَضْب العِنَانِ[2] من عَوَان ومن بِكْرِ

أَحَبُّ إلينا منكِ دَلًّا وما نَرَى * به عند لَيلَى من ثواب ولا أَجْرِ ١٥

قالت : فكذبناه وقلنا : شىء فكر فيه وأخرجه على هذا الجنس، فكان فى كل يوم يأتينا فيقول : سمعتُ البارحة صوتا من الجنّ بترجيع وتقطيع فقد بنيتُ عليه صوت كذا وكذا بشعر فلان ، فلم يزل على ذلك ونحن ننكر عليه، فإنّا لكذلك ليلةً

---

(١) كذا فى الأصول ولعله « لإشجائه » اذ لم نجده فى اللسان ولا فى القاموس، وعبارة الأغانى فى ج ٢ ص ١٢٩ «لما كان فيه من الشجا» . ٢٠

(٢) فى الأغانى ج ٢ ص ١٣٥ : «القيان» .

وقد اجتمع جماعة من نساء أهل مكة فى جمعٍ لنا سَمَرْنا فيه ليلتنا والغرِيض يغنّينا بشعر عُمَر بن أبى ربيعة حيث يقول

أَمِن آل زينبَ جدّ البُكُورُ * نَعَمْ فلأىٌّ هَـواهَا تَصِـيرُ

(١٠٨) إذ سمعنا فى بعض الليل عَزِيفًا عجيبًا وأصواتًا ذَعَرتنا وأفزعتنا، فقال لنا الغَرِيض : إن فى هذه الأصوات صوتا إذا نمتُ سمعتُهُ وأُصْبِحُ أبنى عليه غِنائى، فأصغينا إليـه ٥ فإذا نغمَتُه نغمةُ الغَرِيض بعينها، فصدّقناه تلك الليلة . وكانت وفاة الغَرِيض باليمن فى خلافة سُليمان بن عبد الملك أو عُمَر بن عبد العزيز، وكان قد هَرَب من نافع آبن عَلْقمة لمـا وَلِىَ مكّة من مكّة إلى اليمن وآستوطنها ومات بها . وللغريض أخبار مستظرفة وحكايات مستحسنة قد رأينا أن نُثْبِت فى هذا الموضع ما سنقف عليـه إن شاء الله تعالى . ١٠

فمن ذلك ما حكاه أبو الفرج الأصبهانىّ فى كتابه المترجم «بالأغانى»، فى أخبار الحارث آبن خالد بن العاص بن هشام بن المُغيرة المخزُومىّ، بعـد أن ساق قطعة من أخباره مع عائشة بنت طلحة بن عُبَيد الله ، وأنه كان يهواها ويُشبّب بها فى شعره، ثم قال فى أثناء ذلك : لمـا قدمت عائشة بنت طلحة مكة أرســل اليها الحارث وهو أمير مكة يومئذ، وكان وَلِيَها مِنْ قِبَل عبد الملك بن مَرْوان، فأرسل إليها، إنّى أريد ١٥ السلام عليكِ، فاذا خفّ ذلك عليكِ أذِنتِ، وكان الرسولُ الغَرِيضَ، فأرسلت إليه إنّا حُرُمٌ فاذا أحللنا أذِنَّاك ، فلمـا حَلّت خرجت سرًّا على بغلاتها ، ولحقها الغريضُ بعُسْفانَ أو قريب منه ومعه كتاب الحارث إليها وفيه

ما ضَرَّكُم لو قُلْتُمُ سَدَدًا * إنّ المطايا عاجلٌ غَدُهَا

ولها علينا نعمةٌ سَلَفَت * لسنا على الأيام نَجحَدُهَا ٢٠

لو أتممتْ أسبابَ نعمتها * تمّت بذلك عنـدنا يَدُهَا

فلما قرأت الكتاب قالت : ما يَدَع الحارثُ باطلَه ! ثم قالت للغريض هل أحدثتَ شيئا؟ قال : نعم فآسمعي، ثم آندفع يُغَنِّى فى هذا الشعر، فقالت عائشة : والله ما قال إلا سَدَدًا ولا أردنا إلا أن نشترى لسانه، وآستحسنت الشعر، وأمرت للغريض بخمسة آلاف درهم وأثواب، [وقالت][1] : زدنى، فغنّى فى قول الحارث أيضا حيث يقـــول

زعمـوا بأنّ البَيْن بعـدَ غَدٍ * فالقلبُ ممـا أحدثوا يَجِفُ
والعيْنُ منـذ أجدَّ بَينُهمُ * مثلُ الجُمَان دُمُوعُها تكِفُ
تشـكو ونشكو ما أشَتَّ بنا * كلٌّ بوشْـك البين مُعترِفُ
ومقالها ــ ودموعها سُجُمٌ ــ * أقلِلْ حنينَك حين تنصرِفُ

فقالت عائشـة : يا غريض، بحقّ عليـك أهو أمَرَك أن تُغنِّينى فى هذا الشعر؟ قال : لا وحياتك باسيّدتى فأمرت له بخمســة آلاف درهم، ثم قالت : غنّنى فى شعره، فغنّاها بشعر عُمَر بن أبى ربيعة ــ وكان عمر قد سأله ذلك ــ فقال

أجمعتْ خُلّتى مع الهجر بَيْنا * جَلَّل الله ذلك الوجهَ زَيْنـا
أجمعتْ بَينها ولم نَكُ منهـا * لذّةَ العيشِ والشبابِ قَضَينا
فتولّتْ حُمولُهـا وآستقلّت * لم تَنِل طائلا ولم تَقضِ دَيْنا
ولقـد قلتُ يومَ مكّة لمّـا * أرسلتْ تَقرأُ السلامَ علينا
أنعمَ الله بالرســول الذى أُر * سِلَ والمُرســلِ الرسالةَ عَيْنا

قال فضحكت ثم قالت : وأنتَ يا غريض فأنعم الله بك عَينا وأنعم بابن أبى ربيعة عَينا، بِم لطفتَ[2] حتى أدّيت إلينا رسالته، و إن وفاءك له لممّا يزيدنا رغبةً فيك وثقةً بك،

(١) الزيادة عن الأغانى ج ٣ ص ١٠٤
(٢) كذا بالأصل، وفى الأغانى ج ٣ ص ١٠٥ «لقد تلطفت».

وكان عمر سأل الغريض أن يغنيها بشعره هذا لأنه كان قد ترك ذكرها لما غضبت بنو تيم من ذلك، فلم يحب التصريح بها وكره إغفال ذكرها، فقال له عمر بن أبى ربيعة: إن أبلغتها هذه الأبياتَ فى غناءٍ فلكَ خمسةُ آلاف درهم، فوفّى له، وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أخرى، ثم آنصرف الغَريض من عندها فلَقِىَ عاتكة بنت يزيد بن معاوية آمرأة عبد الملك بن مَرْوان وقد كانت حجّت فى تلك السنة فقال لها جواريها: هذا الغريض، فقالت لهنّ: علىَّ به، فجئن به إليها، قال الغريض: فلما دخلتُ سلّمتُ فردّت علىَّ وسألتنى عن الخبر، فأقصصنُه[1] عليها فقالت: غنِّنى بما غنّيتَها به، ففعلت، فلم أرَهَا تَهَشّ لذلك، فغنّيتها مُعَرِّضا ومُذكّرا بنفسى فى شعر مُرَّة بن مُحَكَانَ السَّعدِىّ — يخاطب آمرأته وقد نزل به أضياف —

أقولُ والضيفُ مخشىٌّ ذَمامته * على الكريم وحقُّ الضيف قد وَجَبَا
يا ربّةَ البيت قُومى غيرَ صاغرة * ضُمِّى إليكِ رِحالَ القوم والقِرَبَا
فى ليلةٍ من جُمَادَى ذات أنديَةٍ * لا يُبصرُ الكلبُ فى ظلمائها الطُّنُبَا
لا ينبحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدة * حتى يَلُفَّ على خَيْشومه الذنَبَا

فقالت وهى مبتَسِمة: نَعَمْ وقد وجب حقّك يا غَريض، فغنِّنى، فغنّيتُها

يا دهرُ قد أكثَرتَ فجعتَنا[2] * بسَـــرَاتنا ووَقَرْتَ[3] فى العَظْمِ
وسلبتَنا ما كنتَ مُخلِفَـــهُ * يا دهرُ ما أنصفتَ فى الحُكْمِ
لو كان لى قِرنٌ أُناضـــله * ما طاشَ عند حَفيظةٍ سَهْمى
لو كان يُعطِى النِّصْفَ قلتُ له * أحرزتَ قِسْمك فآلْهُ عن قِسْمى

---

(١) كذا بالأصول والأغانى، ولم نجد فى القاموس واللسان أقصّ بمعنى قصّ، ولعلها محرّفة عن فاقتصصتُه.

(٢) فى الأصول «كَثُرَتْ فَجِيعَتُنا» والتصويب عن لسان العرب فى مادة «وقر» والأغانى ج ٣ ص ١٠٥

(٣) وَقْرُ العظم صدعُه.

فقالت : نعطيك النِّصف فلا يَضيع سهمُك عندنا ونُجْزل لك قِسْمك ، وأمرت له بخمسة آلاف درهم وثياب عَدَنية وغير ذلك من الألطاف ، قال الغريض : فأتيتُ الحارث بن خالد فأخبرته الخبر وقصصتُ عليــه القصة ، فأمر لى بمثل ما أمرتا لى جميعا ، وأتيتُ آبن أبى ربيعة فأعلمته بما جرى ، فأمر لى بمثل ذلك ، فما آنصرف أحدٌ من ذلك الموسِم بمثل ما آنصرفتُ به ، نظرة من عائشة ونظرة من عاتكة — وهما أجمل نساء عالَمِهما — وبما أمرتا لى به ، والمنزلة عند الحارث — وهو أمير مكة — وآبنِ أبى ربيعة وما أجازانى به جميعا من المــال .

ولْنَصِلْ هذا الفصلَ بشىء من أخبار عائشة بنت طلحة ، لأن الشىء بالشىء يذكر .

هى عائشة بنت طَلْحة بن عُبَيد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد آبن تَيْم ، وأمّها أمّ كلثوم بنت أبى بكر الصــديق رضى الله عنــه ، وكانت عائشة لا تستُر وجهها من أحد ، فعاتبها مُصعَب فى ذلك ، فقالت : إن الله تبارك وتعالى وَسَمَنى بمِيسَم جَمال أحببتُ أن يراه الناس ويعرفوا فضلى عليهم ، فما كنتُ لأستُره ، ووالله ما فِيَّ وَصْمة يقــدر أن يذكرنى بهــا أحد . قال أبو الفرج الأصبهانىّ : وكانت شَرِسَــةَ الخُلُق وكذلك نساء بنى تَيْم ، هنّ أشرس خَلق الله خُلُقا وأحظاهنّ عنــد أزواجهنّ . قال : وآلَتْ عائشة من زوجها مُصعَب بن الزُّبَير ، فقالت : أنتَ علىّ كظهر أمى ، وقعدت فى غرفة وهيأت ما يُصلِحها ، فجَهَد مُصعب أن تكلمَه فأبت ، فبعث إليها آبنَ قيس الرُّقَيّات فسألها كلامَه ، فقالت : كيف بيمينى[1] ؟ فقال : ها هنا الشَّعبىّ فقيه أهل العراق فآستفتِيه ، فدخل الشعبىّ عليها فأخبرته ، فقال : ليس هذا بشىء ، فأمرت له بأربعــة آلاف درهم . وحكى أبو الفرج أن مصعب بن الزبير لمــا عزم على زواج عائشة بنت طلحة ، جاء هو وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر

(١) فى الأصل : «بحيى» والتصويب من الأغانى ج ١٠ ص ٥٤ .

الصـــدّيق وسَعيد بن العاص إلى عَزَّة المَيْلاء، وكانت عَزَّة هـذه يألفها الأشراف وغيرهم من أهل المروءات، وكانت من أظرف الناس وأعلمهم بأمور النساء، فقالوا لها : إنا خطبنا فآنظرى لنا، فقالت لمصعب : يآبن أبى عبد الله ومن خَطبتَ؟ قال : عائشـــة بنت طلحة، قالت : فأنت يآبن أبى أُحَيْحَة؟ قال : عائشـــة بنت عُثمان آبن عفّان، قالت : فأنت يآبن الصـدّيق؟ قال : أمّ الهيثم بنت زكريّا بن طلحة، فقالت : يا جارية، هاتى مِنْقَلَىَّ تعنى خفّيها، فلبستهما وخرجت ومعها خادم لهـا، فبدأت بعائشة بنت طلحة، فقالت : فَدَيتُكِ، كنا فى مأدُبة أو مأتم لقريش فتذاكروا جمـالَ النساء وخُلُقَهن فذكروكِ فلم أدر كيف أصفُكِ، فَديتُكِ، فألْقِى ثيابَكِ، ففعلت، فأقبلتْ وأدبرت فآرتجّ كلّ شىء منها، فقالت لهـا عَزَّة : خذى ثوبك، فقالت عائشـــة : قد قضيتِ حاجتَـكِ وبقيت حاجتى، فقالت عَزّة : وما هى فَدَيتـكِ؟ قالت : تغنّينى صوتا، فآندفعت تغنّى لحنها فى شـعر جَميل بن عبد الله آبن مَعْمَر العُذْرِى :

خَليلىّ عُوجَا بالمحلّة من جُمْـلِ * وأترابِهـا بين الأُصَيْفِرِ فآلحَبْـل

نقِفْ بمَغَانٍ قـد عَفَا[1] رَسمَها البِلَى * تَعـاقَبُها الأيّامُ بالريح والوَبْل

فلو دَرَج النمـلُ الصِّغارُ بجلدهـا * لأندبَ أعلى جلدها مَدْرَجُ النمل

وأحسن خلق الله جِيـدًا ومُقلةً * تُشبَّه[2] [فى النسوان بالشادنِ الطِّفْل]

فقبّلت عائشة مابين عينيها ودعت لها بعشرة أثواب وطرائف من أنواع الفضّة، فدفعته إلى مولاتها، وأتت النسوةَ على مثل ذلك تقول ذلك لهنّ، ثم أتت القوم فى السقيفة فقالوا : ماصنعتِ؟ فقالت : يآبن أبى عبد الله، أمّا عائشة فلا والله مارأيت

(١) فى الأغانى ج ١٠ ص ٥٥ «محا».

(٢) لم تذكر هذه التكملة فى الأصل وهى منقوله عن الأغانى ج ١٠ ص ٥٥

مثلها مقبلة ولا مدبرة ! مخطوطة المتنين، عظيمة العجيزة، ممتلئة الترائب، نقيّة الثَّغْر وصَفْحة الوجه، فَرْعاء الشعر، ممتلئة الصدر، خَمِيصة البطن ذات عُكَن، ضخمة السرّة، مُسَرولة الساق، يرتجّ مابين أعلاها إلى قدميها؛ وفيها عيبان : أما أحدهما فيواريه الخمار، وأما الآخر فيواريه الخف، عِظَمُ الأُذُن والقَدَم، وكانت عائشة بنت طلحة كذلك . ثم قالت عَزّة : وأما أنتَ يآبن أبى أُحَيْحَة فإنى والله ما رأيتُ مثل خَلْق عائشة بنت عثمان لآمرأة قط ! ليس فيها عيب والله لكأنما أُفرِغَت إفراغا ولكن فى الوجه رَدَّةٌ، و إن آستشرتنى أشرتُ عليك ، قال : هات ، قالت : عليك بوجه تستأنس به . وأما أنتَ يآبن الصدِّيق : فوالله ما رأيتُ مثل أم الهيثم كأنها خُوط بانة تنثنى ، أو كأنها جَانٌّ[1] يتثنّى على رَمْل . لو شئتَ أن تعقد أطرافها[2] لفعلتَ . ولكنها شختة[3] الصدر وأنت عريض الصدر . فإذا كان كذلك كان قبيحا . لا والله حتى يملأ كلّ شىء مثله ؛ قال : فوصلها الرجال والنساء وتزوّجوهنّ .

وحكى أبو الفرج أيضا أن مُصعَب بن الزُّبَير إنما تزوّجها بعد عبدالله بن عبدالرحمن آبن أبى بكر، وقال : وكانت عائشة بنت طلحة تُشَبَّه بخالتها عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها، فزوّجتها عائشة من آبن أخيها عبد الله بن عبدالرحمن بن أبى بكر، وهو أوّل مَن تزوّجها، ولم تَلِد عائشة بنت طلحة من أحد من أزواجها غيره، ولدت له عِمْرانَ و به كان يُكنَّى[4]، وعبد الرحمن وأبا بكر وطلحة ونفيسة، ولكلٍّ من هؤلاء عَقِب . وأنا من عقب طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر من ولده ليث بن طلحة، وليس هذا موضعَ سرد نَسَبى فأسرُدَه . قال أبو الفرج : وصارَمَت عائشة بنت طلحة زوجها

---

(١) فى الأغانى ج ١٠ ص ٥٥ : « حشف » .

(٢) فى الأصل «طرفاها» والتصويب عن الأغانى ج ١٠ ص ٥٥

(٣) أى دقيقته . (٤) فى الأغانى ج ١٠ ص ٥٦ : «و به كانت تكنى» .

عبـد الله بن عبد الرحمن وخرجت من داره مُغضَبة تريد عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها، فرآها أبو هُرَيرة فسبّح الله تعالى وقال : كأنها من الحُور العِين ! فمكثت عند عائشة قريبا من أربعة أشهر، وكان عبد الله قد آلى منها، فأرسلت عائشة إليه : إنى أخاف عليك الإيلاء، فضمّها إليه وكان مُولِيًا منها[1] فقيل له : طلّقها، فقال

يقولون طلِّقها لِأُصْبِحَ ثاوِيًا * مُقِيمًا علىّ الهـمُّ، أحلامُ نائم

وإنّ فِراقى أهلَ بيتِ أُحِبُّهم * لهم زُلفَةٌ عندى لَإحدَى العَظائم

وتُوُفِّى عبد الله بعـد ذلك وهى عنده ، فما فتحت فاهَا عليه . وكانت عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها تعـدّ هذا عليها فى ذنوبها التى تعدّدها ، ثم تزوّجها بعـده مُصعَب بن الزُّبَير ، فمهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك، فبلغ ذلك أخاه عبد الله بن الزبير فقال : إن مُصعَبًا قدّم أَيْره وأخّر خيره، فبلغ قولُه عبدَ الملك آبن مروان، فقال : لكنّه هو أخّر خيره وأَيره؛ وكتب عبد الله إلى أخيه يؤنّبه على ذلك ويُقسم عليه ألّا يلحقَ بمكّة ولا ينزل بالمدينه ولا ينزل إلّا بالبَيْداء ، وقال له : إنى لأرجو أن تكون الذى يُخسَف به بالبيداء ، فما أمرتك بنزولها إلا لهذا ، فصار إليه وأرضاه من نفسه فأمسك عنه .

وكانت عائشةُ تمتنع على مُصعَب فى غالب الأوقات، فحُكِىَ أنه دخل عليها يوما وهى نائمة ومعه ثمانى لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار، فأنبهَهَا ونَثَر اللؤلؤ فى حجرها ، فقالت : نَوْمتى كانت أحبَّ إلىّ من هذا اللؤلؤ، ولم تزل حالُها معه على مثل ذلك حتى شكا ذلك إلى كاتبه آبن أبى فَرْوَة، فقال له : أنا أكفيك هذا إن أذِنتَ لى، قال : نعم آفعل ما شئتَ، فأتاها ليلا ومعه أسودان فآستأذن عليها، فقالت : أفى مثل هذه الساعة؟ قال : نعم، فأذِنَت له فدخل، فقال للأسودَين : آحفِرا هاهنا

(١) فى الأصول هكذا «ملق فيها» والتصويب عن الأغانى ج ١٠ ص ٥٦

بئرا، فقالت له جاريتها : وما تصنع بالبئر؟ قال : شؤم مولاتك، أمرنى هذا الظالم أن أدفنها حيّة، وهو أسفكُ خلقِ الله لدم حرام . قالت عائشة : فأنظِرْنى أذهبْ إليه، قال : هيهات لاسبيل إلى ذلك، وقال للأسودَين : آحفِرا، فلما رأت الجِدّ منه بكت وقالت : يابن أبى فَرْوَة إنك لقاتلى ما منه بدّ ؟ قال : نعم، وإنى لأعلم أن الله عزّ وجلّ سيخزيه بعدكِ ، ولكنّه قد غضب وهو كافرُ الغضب، قالت : وفى أىّ شىء غضبُه؟ قال : مِنَ آمتناعكِ عليه وقد ظنّ أنكِ تُبغِضينه وتَتطلّعين الى غيره، فقد جُنّ، فقالت : أَنشُدُك اللهَ إلّا عاودتَه . قال : أخاف أن يقتُلنى . فبكت وبكى جواريها . فقال لها : قد رققتُ لكِ وحلفَ لها إنه يُغرِّر بنفسه وقال لها : فما أقول؟ قالت : تضمن له عنّى أنّى لا أعود أبدا، قال : فمالى عندك؟ قالت : قيامٌ بحقّك ما عِشتُ، قال : فأعطينى المواثيقَ، فأعطته، فقال للأسودين : مكانَكما، وأتى مُصعَبا فأخبره، فقال : آستوثِق منها بالأيمان، فاستوثق منها ففعلت، وصَلَحَتْ بعد ذلك لمصعَب . قال : وكان مصعب من أشدّ الناس إعجابا بها، ولم يكن لها شبيه فى زمانها حُسْنا وديانة وجمالا وهيئة وشارة وعفّة، وأنها دعت يوما نِسوة من قُرَيش، فلما جئنها أجلستهُنّ فى مجلس قد نُضِدَ فيه الرَّيحانُ والفواكه والطِّيب والمجامر، وخلعت على كلّ آمرأة منهنّ خلعة من الوَشْى والخزّ ونحو ذلك، ودعت عَزَّةَ المَيْلاء ففعلت بها مثل ذلك وأضعفته، ثم قالت لعَزّة : هات ياعَزّة فغنّينا، فغنّتهنّ فى شعر آمرئ القيس، فقالت

وثَغْرٍ أغرّ شَنيب اللِّثاتِ * لَذيذ المُقَبَّلِ والمُبْتَسَمْ
وما ذُقتُه غيرَ ظَنٍّ به * وبالظنّ يَقضِى عليكَ الحَكَمْ

وكان مُصعَب قريبا منهنّ ومعه إخوان له، فقام فآنتقل حتى دنا منهنّ والستور مُسبَلة، فصاح بها : يا هذه إنا قد ذقناه فوجدناه على ما وصفتِ، فبارك الله فيكِ

ياعَزَّةُ ثم أرسل إلى عائشة : أمّا أنت فلا سبيل لنا إليكِ مع من عندكِ، وأمّا عَزَّة فتأذنين لها أن تُغنينا هــذا الصوتَ ثم تعودَ إليكِ ، ففعلت وخرجت عَزَّة إليهم ، فغنَّتهم هذا الصوتَ مرارا، وكاد مُصعب أن يذهبَ عقلُه فرحا ثم قال لها : ياعَزَّة، إنك لتُحسِنينَ القول والوصف وأمرها بالعَوْد إلى مجلسها . قال : ولم تزل عنــد مُصعَب حتى قُتِل عنها، فخطبها بِشْر بن مَرْوان، وقَدِمَ عُمُر بن عُبَيــد الله بن مَعْمَر التَّيْمىّ من الشأم فنزل الكوفة فبلغه أن بشرا خطبها،فأرسل إليها جارية لها وقال : قولى لابنة عمّى : ابنُ عمّكِ يُقرئكِ السلامَ و يقول لكِ : أنا خيرٌ لكِ من هذا المبسور المطحــول وأنا ابنُ عمّــك أحقّ بك ، وإن تزوّجتُ بكِ ملأتُ بيتــكِ خيرًا فتروّجته فَبَنَى عليها بالحِيرَة، فمهّدت له سبعةَ أَفرِشة عرضها أربعُ أذرع ، فأصبح ليلةَ بَنَى بها عن تسعة، فلقيته مَوْلاة لها، فقالت : أبا حَفص، فَدَيتك قد كَمُلتَ فى كلّ شىء حتى فى هذا . وقيــل : إنه لمّــا تزوجها حمل إليها ألفَ ألف درهم، خمسمائة ألف مهر، وخمسمائة ألف هديّة وقال لمولاتها : لكِ علىّ ألفُ دينار إن دخلتُ بها الليلةَ ، وأمر بالمــال فحُمِل فأُلقِيَ فى الدار وغُطِّىَ بالثياب وخرجت عائشــة فقالت لمولاتها : ما هذا، أفرشٌ أم ثيابٌ ؟ قالت : انظرى إليه ، فنظرت فإذا هو مال، فتبسّمت، فقالت الجارية : أجزاءُ مَن حَمَل هذا المــال أن يبيت عَزَبًا ! قالت : لا والله ولكن لا يجوز دخوله إلا بعد أن أتزيّن له وأستعدّ، قالت : وماذا ؟ فوالله لَوَجهُكِ أحسنُ من كل زينــة وما تَمُدّين يديك إلى طِيب أو ثَوب أو مال أو فراش إلا وهو عندكِ وقــد عزمتُ عليكِ أن تأذنى له ، فقالت : افعلى ، فذهبت إليــه فقالت له : بِتْ بنا الليلةَ ، فجاءهم عند العشاء الآخرة فَأُدْنِيَ إليه طعامٌ فأكل الطعام كله حتى أعرى الخِوانَ وغسل يده وسأل عن المتوضأ فأُخبر به ، فقام فتوضّأ وقام يصلِّى حتى ضاق صدرى ونمتُ ،ثم قال : أعليكم آذَنُ؟ قلتُ : نعم فادخُل ، فأدخلتُه

(١٦٢) وأسبلتُ السِّتر عليهما، فعددتُ له فى بقيّة الليلة على قلّتها سبع عشرة مرة دخل المتوضّأ فيها، فلما أصبحنا وقفتُ على رأسه فقال: أتقولين شيئا؟ قلتُ: نعم والله ما رأيتُ مثلك! فضحك وضرب بيده على مَنكِب عائشة وقال لها: كيف رأيتِ آبنَ عمّكِ؟ فضحكت وغطّت وجهها وقالت

٥ قد رأينـاكَ فلم تَحلُ لنا * وبلوناكَ فلم نَرضَ الخَبَرْ

ومكثت عائشة عند عُمَر بن عُبَيد الله ثمانىَ سنين حتى مات سنة آثنتين وثمانين، ولما مات ندَبته قائمةً ولم تندُب أحدًا قبله من أزواجها إلا جالسة، فقيل لها فى ذلك، فقالت: إنه كان أكرمَهم علىّ وأمسَّهم بى رحما، فأردتُ ألّا أتزوّجَ بعده. وكانت المراة إذا ندبت زوجها قائمـةً لا تتزوج بعده أبدا، ولم تتزوج عائشة بنت طلحة بعد ١٠ زوجها عُمَر بن عُبَيد الله.

ومن أخبار عائشة بنت طلحة أيضا ما رواه أبو الفرج الأصبهانىّ بسنده إلى يزيد ابن عياض، قال: آستأذنت عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية عبدَ الملك فى الحجّ، فأذن لها وقال: آرفعى حوائجك وآستظهرى، فإن عائشة بنت طلحة تحجّ، ففعلت، وتجهّزت بهيئة جَهَدَت فيها، فلما كانت بين مكّة والمدينة إذا موكبٌ قد جاء فضعضعها[(١)] ١٥ وفرّق جماعتها، فقالت: أرى هذه عائشة بنت طلحة، فسألت عنها، فقالوا: هذه جاريتُها[(٢)]، ثم جاء موكب آخر أعظم من ذلك، فقالوا: عائشـة عائشة، فضعضعهم[(١)] فسألت عنها، فقالوا: هذه ماشِطتها، ثم جاءت مواكب على هذا الحاشيتها ثم أقبلت فى ثلثمائة راحلة عليها القِبابُ والهوادجُ، فقالت عاتكة: ماعند الله خير وأبقى. قال:

---

٢٠ (١) فى الأغانى ج ١٠ ص ٦٠ «ضغطها» أو «ضعطهم».

(٢) فى الأغانى ج ١٠ ص ٦٠ «خازنتها».

ووفدت عائشة بنت طلحة على هشام بن عبد الملك، فقال لها: ما أوفدَكِ؟ قالت: حَبَسَت السماءُ مطرَها ومنع السلطانُ الحقَّ، قال: فأنا أصِلُ رحمكِ وأعرف حقَّكِ، ثم بعث إلى مشايخ بنى أميّة فقال: إن عائشة عندى فاسمُرُوا عندى الليلة، فحضروا فما تذاكروا شيئا من أخبار العرب وأشعارها وآثارها إلا أفاضت معهم فيه، وما طَلَع نجم ولا غارَ إلا أسْمَتْه، فقال لها هشام: أمّا الأوّل فلا أنكره، وأمّا النجوم فمن أين لكِ؟ قالت: أخذتُهُ[1] عن خالتى عائشة رضى الله عنها، فأمر لها بمائة ألف درهم وردّها إلى المدينة. قال: ولما تأيَّمت عائشة كانت تُقيم[2] بمكّة سنة وبالمدينة سنة، وتخرج إلى مال لها بالطائف عظيم وقصر لها هناك فتتنزّه وتجلس فيه بالعشيّات فتتناضل بين الرُّماة، فمرّ بها النُّمَيْرِىّ الشاعر فسألت عنه، فانتسب لها فقالت: ائتونى به، فجىء به، فقالت له: أنشدنى مما قلتَ فى زَيْنَب، فامتنع وقال: بنتُ عمِّى وقد صارت عظاما بالية، قالت: أقسمتُ عليك لَمّا فعلتَ، فأنشدها قوله

نَزَلْنَ بفَخٍّ[3] ثم رُحنَ عَشِيَّةً * يُلَبِّينَ للرحمن مُعتمِرَاتِ
يُخَمِّرْنَ أطرافَ الأَكُفِّ من التقى * ويَخرُجنَ جُنْحَ الليل مُعتجِرَاتِ[4]
ولمّا رأتْ رَكْبَ النُّمَيرِىّ راعَهَا * وكُنّ من آنْ يلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ
تضوَّعَ مِسكًا بطنُ نَعمانَ أنْ مَشَتْ * به زَيْنَبٌ فى نِسْوةٍ خَفِرَاتِ

وزَينب هذه هى زينب بنت يوسف الثَّقفىّ أخت الحجّاج، وكان النميرىّ يهواها ويُشبِّب بها، وله معها أخبار يطول شرحها ليس هذا موضع إيرادها، قال: فقالت له

(١) هكذا بالأصول. وفى الأغانى ج ١٠ ص ٦٠ «أخذتها».
(٢) كذا بالأغانى ج ١٠ ص ٦١ وفى الأصل «مقيمة».
(٣) اسم واد بمكة.
(٤) فى الكامل للمبرد ج ١ ص ٢٩٠ طبع أوروبا ورد هذا البيت هكذا:
يُخَبِّئن أطرافَ البنان من التقى * ويخرجن شطر الليل معتجرات

عائشة — لمّا أنشدها هذا الشعر — : والله ما قلتَ إلا جميلا، ولا وصفتَ إلا كرما وطيبا ودينا وتُقًى، أَعْطُوه ألفَ درهم؛ فلما كانت الجمعة الأخرى تعرّض لها، فقالت : علىّ به، فجاء فقالت له : أنشدنى من شعرك فى زينب، قال : فَأُنشِدُكِ من قول الحارث فيك؟ فوثب مواليها إليه، فقالت : دَعُوه فإنه أراد أن يَستقيد لابنة عمّه، هات فأنشدها

(١١٣)

ظَعنَ الأميرُ بأحسَنِ الخَلْقِ * وغدا بلُبّك مَطلِعَ الشَّرْقِ
وتنوءُ تُثقِلُها عَجِيزَتُها * نَهْضَ الضعيف ينوءُ بالوَسْقِ
ما صَبَّحَتْ زَوْجًا بطلعتها * إلا غدا بكواكب الطَّلْقِ
بيضاء من تَيْمٍ كَلِفتُ بها * هذا الجنونُ وليس بالعِشْقِ

١٠ فقالت : والله ما ذكر إلا جميلا، ذكر أنى إذا صبّحتُ زوجا بوجهى غدا بكواكب الطَّلْق، وأنى غدوت مع أمير تزوّجنى إلى الشرق. أَعطُوه ألف درهم واكسوه حُلّتين ولا تعُدْ لإتياننا يا نُمَيرىّ؛ والله أعلم [ولنرجع الى أخبار المغنّين][1].

ذكر أخبار محمد بن عائشة

يُكْنَى أبا جعفر ولم يكن له أب يُعرف فنُسب إلى أمه؛ وكان يزعم أن اسم أبيه ١٥ جعفر. وعائشة أمه مولاة لكَثِير بن الصَّلْت الكِندىّ حليف قريش، وقيل : هى مولاة لآل المطّلب بن [أبى][2] وَداعة السّهمىّ. وقال ابن عائشة — وقد سأله الوليد بن يزيد فقال : يا محمد أَلِبغْيَةٍ أنتَ؟ — قال[3] : كانت أمى يا أمير المؤمنين ماشطةً وكنتُ غلاما وكانت إذا دخلت إلى موضع قالت[4] : ارفعوا هذا لابن عائشة، فغلبتْ على نسبى.

(١) هذه الزيادة فى إحدى النسخ. (٢) الزيادة عن الأغانى ج ٢ ص ٦٢
٢٠ (٣) كذا بالأصل وهى مكررة مع قوله : «وقال ابن عائشة».
(٤) رواية الأغانى ج ٢ ص ٦٢ «قالوا».

قالوا : وكان ابن عائشـة يَفتن كلّ من سمعه ، وكان فتيان المدينة قد فَسدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته ، وأخذ عن مَعْبَد ومالك بن أبي السَّمْح ، ولم يموتا حتى ساواهما على تقديمه لهما واعترافه بفضلهما . وكان تيّاها سيئ الخُلق ، إن قال له إنسان : تَغنَّ ، قال : أَلِمثلي يقال هذا ! فإن غنّى وقال له إنسان : أحسنتَ ، سكت ، فكان قليلا ما يُنتفع به . ٥

وكان ابنُ عائشة مُنقطعا إلى الحسن بن الحسن ، وكان الحسن مُكرما له ، فسأله الحسن أن يخرج معـه إلى البُغَيبِغة(١) ، فامتنع ابنُ عائشة ، فأقسم عليه وأظهر الجدّ ، فلما عاين ما ظهر عليه قال : أَخْرُج طائعا لا كارها ، فأمر له ببغلة فركبها ومضيا إلى البُغَيبغة ، فنزلا الشِّعْب ثم أكلوا ، وقال له : غنِّي ، فاندفع فغنّاه صوتًا فاستحسنه ، فقال ابن عائشة : والله لاغنّيتُك في يومي هـذا شيئا ، فأقسم الحسن ألّا يفارق البُغَيبغةَ ثلاثة أيام ، فاغتمّ ابن عائشة ليمينه وندم ، فلما كان في اليوم الثاني قال له : ١٠ غنِّ فقد برّت يمينُك ، فنظر إلى ناقة تقدُمُ جماعةَ إبل فاندفع يغنّي

تَمُــرُّ بجَنــدَلَةَ المَنْجَنِيــقِ يُرْمَى بها السُّور يوم القتال

وهي أبيات لأُمَيّة بن أبي عائذ الهُذَليّ يصف حمارًا وحشيًّا ، والبيت يمر بالياء .

وقيل : سال العقيقُ مرّةً فدخل عَرْصةَ سعيد بن العاص [الماء](٢) حتى ملأها ، فخرج ١٥ الناس إليها ، وخرج ابن عائشة فجلس على قَرْن البئر ، فبيناهم كذلك إذ طلع الحسن على بغلة ومعه غُلامانِ أسودان ، فقال لهما : امضيا رُوَيدًا حتى تقفا بأصل القَرْن الذي عليه ابن عائشة ، ففعلا ذلك ، ثم ناداه الحسن : كيف أصبحت يابن عائشة ؟ (١١٤)

(١) ضيعة بالمدينة أو عين غزيرة كثيرة النخل لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في القاموس .

(٢) الزيادة عن الأغاني ج ٢ ص ٦٣ ٢٠

قال : بخير ؛ قال : آنظر مَن تحتَك فنظر فإذا العبـدان ؛ قال : أتعرفهما ؟ قال : نعم ؛ قال : فهما حرّان لئن لم تغنّني مائة صوت لآمُرَنّهما بطرحك فى البئر، وهما حُرّان لئن لم يفعلا لأقطعنّ أيديهما[1] ، فآندفع آبن عائشة وغنّى بشعر الهُذَلىّ

ألا للهِ درُّكَ مِنْ * فَتَى قـومٍ إذا رَهِبُـوا

وقالوا مَنْ فَتًى للحر * ب يرقُبُنا ويرتقِبُ[2]

فكنتَ فتـاهُمُ فيهـا * إذا تُدْعَى لهـا تَثِبُ

ذكرتُ أخى فعاوَدَنى * صُداعُ الرأسِ والوَصَبُ

كما يَعتـادُ[3] ذاتَ آلبَـوِّ بعـد سُـلُوِّها الطرَبُ

وروى أبو الفرج الأصفهانىّ بسـند رفعه إلى حمّاد الراوية أن الوليد بن يزيد آستقدمه من العـراق إلى الشأم على دوابّ البريد ، وكان ممـا حكاه عنـه قال : قدِمتُ عليه فأذِن لى ، فدخلتُ فإذا هو على سريرٍ ممهّد وعليه ثَوْبان أصفران وعنده مَعْبَد ومالك بن أبى السَّمْح وأبو كامل مولاه ، فآستنشدنى

* أمِنَ المنونِ وريبِها[4] تتوجّعُ *

فأنشدته حتى أتيت على آخرها ؛ ثم قال : يا مالك ، غنّنى

أَلَا هل هاجك الأظعا * نُ إذ جاوزن مُطَّلَحَا

فغنّاه ؛ ثم قال : غنّنى

جَلَا أميّـةُ عنّى كلَّ مَظلِمَـةٍ * سهْلَ الحجاب وأوفى بالذى وَعَدَا

---

(١) كذا فى الأغانى ج ٢ ص ٦٣ وفى الأصـل : « فهما أحرار إن لم تغنّ مائة صوت لآمرهما بطرحك فى البئر وهما حران ان لم يفعلا إن لم أقطع أيديهما » .

(٢) فى الأصل «فترتقب» والتصحيح عن الأغانى ج ٢ ص ٦٤ وديوان الهذليين .

(٣) فى الأصل : «على عبدين» . والتصويب عن ديوان الهذليين .

(٤) وروى «وريبه» وكلاهما صحيح لأنّ المنون يذكّر ويؤنّث .

فغنّاه، ثم قال : غنِّى

أتنسَى إذ تُودِّعنا سُلَيْمى[1] ✽ بِفَرْعِ بَشَامةٍ، سُقِىَ البَشَامُ!

فغنّاه، ثم أتاه الحاجب فقال : يا أمير المؤمنين، الرجل الذى طلبت بالباب، فأذن له، فدخل شابّ لم أر أحسن وجهًا منه، فقال له : غنِّى

وهى إذ ذاك عليهـا مِئزرٌ ✽ ولها بيتُ جَوَارٍ من لُعَبْ

فغنّاه، فنبذ إليه الثوبين، ثم قال : غنِّى

طاف الخيالُ فمرحَبا ✽ ألفًـا برؤية زَيْنبـا

فغضِبَ مَعْبد وقال : يا أمير المؤمنين إنا مقبلون عليك بأقدارنا وأسناننا وإنك تركتنا بمزجَر الكلب وأقبلتَ على هذا الصبىّ، فقال : يا أبا عبّاد، ما جَهِلتُ قدرَك ولا سنَّك، ولكن هذا الغلام طرحنى فى مثل الطناجير من حرارة غنائه، قال حمّاد: فسألتُ عن الغلام فقيـل لى : هو آبنُ عائشة . وحُكِى عن شيخ من تَنُوخَ قال : كنتُ صاحبَ سِترِ الوليد بن يزيد فرأيتُ آبنَ عائشة عنده وقد غناه

إنّى رأيتُ صبيحة النَّفْـر ✽ حُورًا نَفَيْـنَ عزيمةَ الصبرِ

مثلَ الكواكب فى مطالعها ✽ بعدَ العشاء أطَفْنَ بالبــدرِ

وخرجتُ أبغِى الأجْرَ مُحتسِبًا ✽ فرجَعتُ مَوْفورًا من الوِزْرِ

فطرِب الوليدُ حتى كَفَر[2] وألحـد، وقال : ياغلام، آسقنا بالسماء السابعة، ثم قال : أحسنتَ والله يا أميرى، أعِد بحقّ عبد شمس فأعاد، ثم قال : أحسنتَ يا أميرى والله، أعِد بحقّ أمية فأعاد، ثم قال : أعِد بحقّ فلان حتى بلغ من الملوك نفسَه،

(١) ورد هذا الشطر هكذا بالأصول والأغانى ج ٢ ص ٦٥، ورواية اللسان «أتذكر» بدل «أتنسى» وروى بوجه آخر فيه منسوبا لجرير ✽ أتذكر يوم تصقل عارضيها ✽

(٢) فى الأغانى ج ٢ ص ٧٢ «الرابعة» .

فقال : أعد بحياتى فأعاده ، فقام فأكبَّ عليه ، فلم يبق عضو من أعضائه إلا قبَّله ثم نزع ثيابه فألقاها عليه وبقى مجردا إلى أن أتَوْه بمثلها ، ووهب له ألف دينار وحمله على بغلة وقال : آركبها بأبى أنت وآنصرف فقد تركتنى على مثل المِقْلَى من حرارة غنائك ، فركبها على بساطه وآنصرف . وحُكِى أيضا أن آبن عائشة آنصرف من عند الوليد وقد غنّاه

أبعدكَ مَعقِلاً أرجو وحِصنًا * وراعتنى[1] المعاقلُ والحصونُ

فأمر له بثلاثين ألف درهم وبمثل كَارَةِ القَصّار[2] كُسوةً، فبينا آبنُ عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادى القُرَى وكان يشتهى الغناء ويشرب النبيذ ، فقال لغلامه : مَن هذا الراكب ؟ قال : آبن عائشة المغنِّى ، فدنا منه فقال : جُعلتُ فِداءَك أنتَ آبن عائشة أمّ المؤمنين؟ قال : لا ، أنا مَوْلى لقريش وعائشة أمّى وحسبُك هذا ، قال : وما هذا الذى أراه بين يديك من المال والكُسْوة؟ قال : غنّيتُ أمير المؤمنين صوتا فأطربه فكفَر وترك الصلاة وأمر لى بهذا المال وهذه الكسوة ؛ قال : جُعلتُ فداءَك فهل تمنّ علىّ أن تُسمِعَنى ما أسمعتَهُ إياه ؟ فقال : ويلك ! أمثلى يُكلَّم بهذا فى الطريق ! قال : فما أصنع ؟ قال : آلحقنى بالباب ، وحرَّك آبنُ عائشة بغلته لينقطع عنه ، فعدا معه حتى وافيا الباب كفرسَىْ رِهَانٍ ، ودخل آبنُ عائشة فمكث طويلا طمعا أن يضجَر فينصرفَ ، فلم يفعل حتى أعياه ، فقال لغلامه : أَدخِله ، فلما دخل ، قال له : ويلك ! مِنْ أين صبّك الله علىّ ! قال : أنا رجل من

---

(١) فى الأغانى ج ٢ ص ٧٣ : « قد أعيى » .

(٢) القصّار هو الذى يحوّر الثياب ويدقها والكارة ما يحمله من الثياب . قال صاحب اللسان : وسمّيت بذلك لأنه يكوّر ثيابه فى ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها على بعض .

أهل وادى القُرى أشتهى هذا الغناء، فقال له : هل لك فيا هو أنفع لك منه؟ قال: وماذاك؟ قال : مائتا دينار وعشرةُ أثواب تنصرف بها إلى أهلك، فقال له : جُعِلتُ فداءَك والله إن لى بُنَيَّة ما فى أُذُنها — علم الله — حَلْقَةٌ من الوَرِق فضلا عن الذهب، وإن لى زوجةً ما عليها — شهد الله — قميصٌ، ولو أعطيتَنى جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الحالة والفقر الذى عرَّفتكهما وأضعفتَ لى هذا لكان الصوتُ أعجبَ إلىّ ، فتعجَّب آبنُ عائشة وغنَّاه الصوتَ ، فجعل يحرّك رأسه ويطرَب له طربا شديدا حتى ظنّ أن عنقه ستنقصف ثم خرج من عنده ولم يرزأه شيئا، وبلغ الخبرُ الوليدَ بن يزيد، فسأل آبنَ عائشة عنه، فجعل يغيب عن الحديث، فلم يزل به حتى صَدَقه الحديثَ ، فطَلَبَ الرجل فطُلِبَ حتى أُحضِر إليه ووَصَله صِلة سنيّة وجعله من ندمائه ووكّله بالسقى فلم يزل معه حتى قتل رحمه الله .

وعن علىّ بن الجَهْم الشاعر ، قال : حدّثنى رجل أن آبن عائشة كان واقفا بالمَوْسِم مهجِّرا[1]، فمرّ به بعضُ أصحابه، فقال : ما يُقيمك هاهنا؟ قال : إنى أعرف رجلا لو تكلّم لحبس الناسَ هاهنا فلم يذهب أحد ولم يجئ، فقال له الرجل : ومَن ذاك؟ قال : أنا؛ ثم آندفع يُغنّى

جَرَتْ سُنُحًا فقلتُ لها أجِيزِى * نوًى مشمولةٌ فمتى اللقاءُ
بنفسى مَن تَذَكُّرُهُ سَقامٌ * أُعانيه ومَطْلَبُهُ عَناءُ

قال : فحبس الناسَ وآضطربت المحاملُ ومدّت الإبلُ أعناقَها فكادت الفتنةُ أن تقع، فَأُتِىَ به هِشَام بن عبد الملك، فقال له : يا عدوّ الله أردتَ أن تَفتِنَ الناسَ! قال : فأمسك عنه وكان تيّاها ، فقال له هشام : آرفُقْ بتِيهِك، فقال : يَحِقّ لمن كانت هذه مقدرته على القلوب أن يكون تيّاها! فضحك هِشَام وخلّى سبيله .

(١) فى الأغانى ج ٢ ص ٦٤ «متحيرا» .

وآختُلِفَ فى وفاة آبن عائشة وسببها ؛ فقيل : كانت وفاته فى أيام هشام بن عبد الملك ، وقيل : فى أيام الوليد بن يزيد وهو أشبه ، لأنه قد تقدّم أنه نادم الوليد وغنّاه ؛ والذى يقول : إنه تُوُفِّىَ فى أيام هشام يزعُم أنه نادمَ الوليد فى أيام ولايته العَهْـدَ . وكانت وفاته بذى خُشُب وهو على أميال من المدينة . قيل : كان سبب وفاته أن الغَمْر بن يزيد خرج إلى الشأم فلما نزل قَصْر ذى خُشُب جلس على سطحه ، فغنّى آبنُ عائشة صَوْتا طَرِبَ له الغَمْرُ ، فقال : أعِده ، فأبى ، وكان لا يردّد صوتا لسوء خُلُقه ، فأمر به فطُرِح من أعلى السطح فمات . وقيل : بل قام من الليل يَبُول وهو سكرانُ فسقط من السطح فمات . وقيل : بل كان قد رجع من عند الوليد بن يزيد فلما قَرُب من المدينة نزل بذى خُشُب وكان والى المدينة إبراهيم بن هشام المخزومىّ وكان فى قصره هناك ، فدعاه فأقام عنده ذلك اليوم ، فلما أخذوا فى الشُّرب أخرج المخزومىّ جَوَارِيهُ فنظر إلى آبن عائشة وهو يَغمِز جارية منهنّ ، فقال لخادمه : إذا خرج آبن عائشة يريد حاجته فآرم به من القصر ، وكانوا يشربون فى سطح القصر ، فلما قام رماه الخادم فمات . وقيل : بل أقبل من الشأم فنزل بقصر ذى خُشُب فشرب فيه ثم صَعِد إلى أعلى القصر فنظر إلى نِسوة يمشِينَ فى ناحية الوادى ، فقال لأصحابه : هل لكم فيهنّ ؟ فقالوا : وكيف لنا بهنّ ! فلبس مُلاءة مدلوكة ثم قامَ على شُرْفة من شُرُفات القصر وتغنَّى بشعر آبن أُذَيْنَة

وقد قالت لأتراب * لهـا زُهْرٍ تَلاقَيْنَا
تَعَالَيْنَ فقـد طابَ * لنـا العيشُ تعَالَيْنَا

فأقبلنَ عليه فطرب وآستدار فسقط فمات عفا الله تعالى عنه ورحمه ، وقيل : بل مات بالمدينة . وأوّل هذه الأبيات

سُلَيْمَى أزمعَت بَيْنَا * وأيـنَ لقاؤها أيْنَا

وقد قالت لأترابٍ * لهـا زُهْرٍ تلاقَيْنَـا
تعـالَيْنَ فقد طابَ * لنـا العيشُ تعـالَيْنا
فأقبلنَ إليهـا مُسْـتـرِعَاتٍ يتهـادَيْنَـا
إلى مثـل مَهاة الرمـــلِ تكسو المجلس الزَّيْنَا
إلى خَـــود منعَّمة * حففنَ بهـا وَفَدَّيْنـا
تَمَنَّيـن[1] مُنَـاهُنّ * فكنّا ما تَمَنَّيْنَـا

ذكر أخبار آبن مُحرِز

هو مسلم، وقيل: عبد الله بن مُحْرِز، ويُكنَى أبا الخطاب، مَوْلى عبد الدار بن قُصَيّ، وكان أبوه من سَدَنَة الكعبة وأصله من الفُرس، وكان يسكن المدينة مرّة ومكّة مرّة، فكان إذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر يتعلّم الضرب من عَزَّة المَيْلاء ثم يرجع إلى مكّة فيقيم بها ثلاثة أشهر ثم شَخَص إلى فارسَ فتعلّم ألحان الفُرس وأَخَذ غناءهم، ثم صار إلى الشأم فتعلّم ألحان الشأم[2] وأَخَذ غناءهم، وأسقَط من ذلك مالا يُستَحسَن من غناء الفريقين ونغمهم وأَخَذ محاسنَها، فمزج بعضَها ببعض وألّف منها الأغانى التى صنعها فى أشعار العرب فأتى بمـا لم يسمع مثله، وكان يقال له: صَنَّاجُ العرب. وقيل: إنه أوّل مَن أخذ الغناء عن آبن مِسجح، وهو أوّل مَن غَنَّى بالرمَل وما غُنِّيَ قبله. وكان آبن مُحرِز قليلَ الملابسة للناس فأخمَل ذلك ذكره، وأخذ أكثرَ غنائه جاريةٌ كانت لصديق له من أهل مكّة كانت تألفه فأخذه الناس عنها. ومات بعلّة الجُذَام، وكان ذلك سببَ آمتناعه من معاشرة الخلفاء ومخالطة الناس.

(١) فى الأصل: «فمين» والتصويب عن الأغانى ج ٢ ص ٧٨
(٢) فى الأغانى ج ١ ص ١٥١ «الروم».

وحُكِيَ أنه رحل إلى العـراق ، فلما بلغ القادسيَّة لقيه حُنَين فقال له : كم منّتك نفسُك من العراق؟ قال : ألف دينار، قال : هذه خمسمائة دينار فخذها وآنصرف وآحلف ألّا تعودَ ، ففعـل ، فلما شاع ما فعل حنين لَامهُ أصحابه، فقال : والله لو دخل العراق ما كان لى معه خبز آكله ولأُطُرِحتُ ثم سقطتُ إلى آخر الدهر . ولم أقف من أخبار آبن محرز على أكثر من هذا فأُورِدَه والسلام . ٥

ذكر أخبار مالك بن أبي السَّمْح

هو أبو الوليد مالك بن أبى السمح، وآسم أبى السَّمْح جابر بن ثعلبة الطائى وأمّه قرشيّة من بنى مخزوم؛ وقيل : بل أمّ أبيه [منهم][1]؛ وقيل فيه مالك بن أبى السمح بن سليمان، وكان أبوه منقطعا إلى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب و يتيما فى حجره أوصى به أبوه إليـه، وكان مالكٌ أحولَ طو يلا، وأخذ الغناء عن جَمِيلة ومَعْبد وعُمَر وأدرك ١٠ الدولة العباسيّة، وكان منقطعا إلى بنى سُليمان بن علىّ، ومات فى خلافة أبى جعفر المنصور . و روى الأصفهانىّ بسنده إلى الوردانىّ، قال : كان مالك بن أبى السمح المغنِّى من طيئ فأصابتهم حُطْمَة[2] فى بلادهم بالجبلين، فقَدِمت به أمّه و بإخوة له وأخوات أيتام لا شىء لهم، وكان يسأل الناس على باب حمزة بن الزُّبَير، وكان مَعْبد منقطعا إلى حمزة يكون عنده فى كل يوم، فسَمِعَ مالك غناءه فأعجبه وآشتهاه، وكان ١٥ لا يُفارق بابَ حمزة يسمع غناء مَعْبـد إلى الليل ولا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئا ولا يَرِيمُ[3] موضعَه، فينصرف إلى أمه ولم يكسب شيئا فتَضْربُه، وهو مع (١١٧)

(١) الزيادة عن الأغانى ج ٤ ص ١٦٨

(٢) السنة الشديدة والجدب .

(٣) أى لا يبرح . ٢٠

ذلك يترنّم بألحان معبد فيؤدّيها نغماً بغير لفظ ، وجعل حمزة كلما غدا أو راح رآه ملازما لبابه ، فقال لغلامه يوما : أَدْخِلْ هذا الغلامَ إلىّ فأدخله الغلامُ إليه ، فقال له حمزة : مَنْ أنتَ ؟ قال : غلام مِنْ طيئ أصابتنا حَطْمَة بالجبلين فهبطنا إليكم ومعى أمّ لى وإخوةٌ وإنى لزمتُ بابَك فسمعتُ من دارك صوتا أعجبنى ولزمتُ بابك من أجله ، قال : فهل تَعرف منه شيئا؟ قال : أعرف لحنَه كلّه ولا أعرف الشعرَ، فقال : إن كنت صادقا إنك لَفَهِمٌ[1]، ودعا بمعبد فأمره أن يُغنّى صوتا فغناه، ثم قال لمالك : هل تستطيع أن تقولَه؟ قال : نعم، قال : هاته، فاندفع فغناه فأدّى نغمه بغير شعر يؤدّى مَدّاته وليّاته وعَطَفاته ونَبَراته ومتعلّقاته لا يَخْرِمُ منه حرفا، فقال لمعبد: خذ هذا الغلامَ إليك وخَرِّجه فليكوننّ له شأنٌ، قال معبد: لا أفعل ذلك، قال: لتكوننّ محاسنُه منسوبة إليك وإلا عدَاكَ إلى غيرك ، فكانت محاسنُه منسوبةً إليه ، فقال معبد : صدقَ الأميرُ وأنا أفعل ما أمرتَنى به . قال حمزة لمالك : كيف مُلازمتُك لبابنا ؟ قال : أرأيتَ إن قلتُ فيك غيرَ الذى أنت له مُستحقّ من الباطل، أكنتَ ترضى بذلك؟ قال : لا، قال : وكذلك لا يَسرّك أن تُحمَدَ بما لم تَفعل، قال : نعم، قال : فوالله ماشَبِعْتُ على بابك شَبْعَةً قط، ولا آنقلبتُ إلى أهلى منه بخير، فأمر له ولأمه ولإخوته بمنزل وأجرى عليهم رزقا وكُسوةً وأمر لهم بخادم يَخدُمهم وعبد يَسقِيهم الماء، وأجلس مالكا معه فى مجالسه وأمر معبدا أن يُطارِحه فلم يَنشَبْ أن مَهرَ، فخرج مالك يوما فسمع آمرأة تنوح على زيادةَ الذى قتله هُدبةُ بن خَشْرَم، والشعر لأخى زيادةَ .

أبعد الذى بالنَّعْف نَعْفِ كُوَيكب * رَهينة رَمسٍ ذِى ترابٍ وجَندَلِ

---

(١) هكذا بالأصول والأغانى بدون فاء الجواب ، ولعلها سقطت من الناسخ .

(٢) فى الأصول «شىء» والتصحيح عن الأغانى ج ٤ ص ١٦٩

أُذَكَّرُ بالبُقْيَا على مَنْ أصابنى * وذلك أنّى جاهِدٌ غيرُ مُؤْتَلِى[(١)]

فلا يَدْعُنِى قومى لزيد بن مالك * لئن لم أُعَجِّل ضربةً أو أُعَجَّلِ

وإلّا أنل ثأرى من اليوم أو غدٍ * بَنِى عمّنا فالدهرُ ذو مُتَطَوَّلِ

أنختُم علينا كَلكَلَ الحربِ[(٢)] مرةً * فنحن مُنِيخوها[(٣)] عليكم بكَلكَلِ

فغنى فى هذا الشعر لحنين، أحدهما نحا فيه نحو المرأة فى نوحها ورقّقه وأصلحه، والآخر نحا فيه نحو معبد فى غنائه ثم دخل على حمزة فقال له: أيها الأمير إنى قد صنعتُ غناءً فى شعر سمعتُ أهلَ المدينة يُنْشِدُونه وقد أعجبنى فإن أذن الأمير غنّيته، قال: هات، فغنى اللحنَ الذى نحا فيه نحوَ معبد، فطرب حمزة وقال: أحسنتَ يا غلامُ، هذا الغِناءُ غناءُ معبد بطريقته، قال: لا تَعجلْ أيها الأمير، وٱسمع منّى شيئا ليس منْ غناء معبد ولا طريقته، فغنّاه اللحنَ الذى تَشبّه فيه بنوح المرأة، فطَرِب حمزةُ حتى ألقَى عليه حُلّةً كانت عليه قيمتُها مائتا دينار، ودخل معبد فرأى حُلّة حمزةَ على مالكٍ فأنكرها، وعلِم حمزةُ بذلك فأخبرَ معبدًا بالسبب وأمرَ مالكا فغنّاه الصوتين، فغضب معبد لمّا سمع الصوتَ الأوّل وقال: قد كرِهتُ أن آخذ هذا الغلامَ فيتعلّمَ غنائى فيدّعِيَه لنفسه، فقال حمزة: لا تَعجل وٱسمع غناءً [صَنعه][(٤)] ليس من شأنك ولا غنائك، وأمره أن يُغنّيَ الصوتَ الآخر، فغناه فأطرقَ معبدٌ، فقال له حمزة: والله لو آنفرد بهذا لضاهاكَ ثم تزايد على الأيام، وكلّما كَبِرَ وزاد شِخْتَ أنتَ وانتقصتَ، فَلأن يكون منسوبا إليك أجملُ، فقال

(١) كذا بالأصول وأورد صاحب اللسان فى مادة «بق» هذا البيت منسوبا الى أبى القمقام الأسدىّ هكذا

أُذَكِّرُ بالبَقْوَى على ما أصابنى * وبَقْوَاىَ أنّى جاهدٌ غيرُ مُؤْتَلِى

(٢) فى الأصول «الدهر» والتصويب عن الأغانى ج ٤ ص ١٦٩

(٣) فى الأصول «سنخوها» والتصويب عن الأغانى ج ٤ ص ١٦٩

(٤) الزيادة عن الأغانى ج ٤ ص ١٦٧

له معبد وهو مُنكسر : صَدق الأميرُ، فأمر حمزةُ لمعبد بخلعة من ثيابه وجائزة حتى سكن وطابت نفسُه، فقام مالك على رجليه وقبل رأس معبد، وقال له : يا أبا عبّاد، أساءكَ ما سمِعت منّى؟ واللهِ لا أُغنّى لنفسى شيئا أبدا ما دمت حيًّا! وإن غلبتنى نفسى فغنّيتُ فى شـعر آستحسنتُه لا نَسَبتُه إلا إليك، فَطِبْ نفسًا وآرضَ عنى، فقال له معبدٌ : أتفعل هذا وتفى به؟ قال : إى والله وأزيد، فكان مالك إذا غنّى صوتا وسُئل عنه قال : هذا لمعبد، ما غنّيتُ لنفسى شيئا قط، وإنما آخذُ غناء معبد فأنقلهُ إلى الأشعار وأُحسنُه وأَزيدُ فيه وأنقُصُ منه. وحضر مالك بن أبى السَّمْح عند يزيدَ بن عبد الملك مع معبد وابن عائشة فغنَّوْه فأمر لكل واحد منهم بألف دينار .

وحُكِىَ عن آبن الكلبي قال : قال الوليد بن يزيد لمعبد : قد آذتْنِي وَلْوَلَتُكَ هذه، وقال لآبن عائشة : قد آذانى آستهلالُكَ هذا، فآطلبا لى رجلا يكون مذهبُه متوسّطا بين مذهبَيْكما، فقالا له : مالك بن أبى السّمح ، فكتب فى إشخاصه إليه وسائرِ مَنْ بالحجاز من المغنّين ، فلما قدِمَ مالك على الوليد بن يزيد فيمن معه نزل على الغَمْرِ بن يزيد، فأدخله على الوليد فغناه فلم يُعجِبه، فلما آنصرف قال له الغَمْرُ : إنّ أميرَ المؤمنين لم يُعجِبه شىءٌ من غنائك، فقال له : جعلنى الله فداك، آطلب لى الإذن عليه مرة أخرى فإن أعجبه شىء مما أُغنّيه وإلا آنصرفتُ إلى بلادى، فلما جلس الوليدُ فى مجلس اللهو ذكره الغَمْرُ له فأذِن له ، فشرب مالك ثلاثَ صُرَاحِيَّاتٍ[1] صِرْفًا ، ودخل على الوليد وهو يَخْطِرُ فى مِشيته، فلما بلغ باب المجلس وقف ولم يُسَلِّم وأخذ بِحَلْقَةِ الباب ثم رفع صوته فغنّى

لا عَيْشَ إلا بمـالكِ بنِ أبى السَّمْحِ فـلا تَلْحَـنِي ولا تَلُمِ
أبيضَ كالبدر أو كما يَلْمَعُ الـبارقُ فى حَالِكٍ مِنَ الظُّـلَمِ

(١) جمع صراحية وهى آنية للخمر .

فليس يَعْصِيكَ إن رَشَدْتَ ولا * يَهتِكُ حَقَّ الإسلامِ والحُرَمِ
يُصيبُ مِنْ لَذّة الكرام ولا * يَجهَلُ آىَ التّرخيصِ فى اللَّمَمِ
يارُبَّ ليل لنا كحاشيةِ البُرْدِ ويوم كذاكَ لم يَدُمِ
نَعِمْتُ فيه ومالك بن أبِى السمح الكريم الأخلاقِ والشِّيَمِ

٥ فطرب الوليد و رفع يديه حتى بان إبطاه وقام فاعتنقه ثم أخذ فى صوته ذلك فلم يزالوا فيه أياما، وأجزل له العطيةَ حين أراد الانصرافَ، قال : ولما أتى مالك على قوله : أبيض كالبدر، قال الوليد

أحولُ كالقِرد أوكما يَرقُبُ السّارق فى حالكٍ مِنَ الظُّلَمِ

قالوا : وكان مالك بن أبى السمح مع الوليد بن يزيدَ يوم قُتِل هو وابنُ عائشةَ .

١٠ قال ابن عائشة : وكان مالك مِنْ أحمق الخلق، فلما قُتل الوليدُ قال : اهرُبْ بنا، قلتُ وما يريدون منا؟ قال : وما يُؤْمِنُكَ أن يأخُذوا رأسَيْنا فيجعَلوا رأسَه بينهما ليُحَسِّنُوا أمرهم بذلك! .

ذكر أخبار يونس الكاتب

هو يونسُ بن سليمانَ بن كُرد بن شَهْرِيَار من ولد هُرْمز مولى لعمرو بن الزبير[1] ،

١٥ ومنشؤه ومنزله بالمدينة، وكان أبوه فقيها فأسلمه فى الديوان وكان من كُتّابه ، وأخذ الغناءَ عن معبد وابن سُريج وابن مُحْرِز والغَرِيض، وكان أكثرُ روايته عن معبد، ولم يكن فى أصحاب معبد أحذقُ منه ولا أقْوَمُ بما أُخِذَ عنه منه . وله غناء حسنٌ وصنعةٌ كثيرة وشعر جَيِّدٌ، وهو أول من دوّن الغناء، وله كتاب فى الأغانى نسبها إلى مَنْ غَنّى فيها . وخرج إلى الشأم فى تجارة فبلغ الوليدَ بن يزيدَ مكانُه فأحضره والوليد

٢٠ (١) فى الأغانى ج ٤ ص ١١٤ «وقيل إنه مولى» الخ .

إذ ذاك وليّ العهد . قال : فلما وصلتُ إليه سلمتُ عليه ، فأمرني بالجلوس ثم دعا بالشَّراب والجواري . قال يونس : فمكثنا يومًا وليلتنا في أمر عجيب وغنّيته فأعجب بغنائي إلى أن غنّيته

إن يَعِشْ مُصْعَبٌ فنحن بخيرٍ * قد أتانا مِنْ عيشنا ما نُرَجّي

ثم تنبّهتُ فقطعتُ الصوتَ وأخذتُ أعتذِرُ مِنْ غنائي بشعرٍ في مُصْعَب ، فضحك ثم قال : إنّ مصعبًا قد مضى وٱنقطع أثره ولا عداوة بيني و بينه و إنما أُريد الغناءَ ، فَأَمِضِ الصوتَ ؛ فعدتُ فيه فغنيتُه ولم يزل يستعيده حتى أصبح فشرب مُصطبِحًا وهو يستعيدني هذا الصوتَ ولا يتجاوزُه ، فلما مضت ثلاثة أيام قلت : جعلني الله فداك إني رجل تاجر خرجتُ مع تُجّارٍ وأخاف أن يرتحلوا فيضيعَ مالي ، فقال : أنت تغدو غدًا ، وشرب باقي ليلته وأمر لي بثلاثة آلاف دينار ، فحُمِلَتْ إليّ وغدوتُ إلى أصحابي ، فلما ٱستُخْلِف بعث إليّ فأتيتُه فلم أزل معه حتى قُتِلَ .

ذكر أخبار حُنَين

هو حُنَينُ بنُ بلوع الحِيرِي ، وٱختلف في نسبه ، فقيل : هو من العِبَادِيّينَ من تميم وقيل : إنه مِنْ بني الحارث بن كعب ، وقيل : إنه من قوم نبوا[1] من طَسْم وجَدِيس ، فنزلوا في بني الحارث بن كعب فَعُدَّ فيهم ، و يُكْنَى أبا كعب ؛ وكان شاعرًا مُغَنِّيًا من فحول المغنّين ، وكان يسكن الحِيرةَ و يُكْرِي الجمالَ إلى الشأم وكان نصرانيا . وعن ٱبن المدائني قال : كان حُنينٌ غلاما يحمِلُ الفاكهة بالحِيرة ، وكان إذا حمل الرياحينَ إلى بيوت القِيَانِ[2] ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القِيان والمُتَطَرِّبين ، ورأوا رَشَاقته

(١) في الأغاني ج ٢ ص ١٢٠ "بقوا" .

(٢) في الأغاني ج ٢ ص ١٢٢ «بيوت الفتيان» .

وحسنَ قَدّه وحلاوته وخِفّةَ رُوحه آستَحْلَوْه وأقام عندهم، فكان يَسمعُ الغناء ويُصْغى
له حتى شدَا منه أصواتا فاستمعه النـاسُ وكان مطبوعًا حسَنَ الصوت، وآشتهر
غناؤه وشُهِر بالغناء ومَهَر فيه وبلغ فيه مبلغا كثيرا ثم رحل إلى عمرو بن داود الوَادِى (١)
وإلى حَكَمٍ الوادِى وأخذ منهما وغنّى لنفسه، وآستولى على الغناء فى عصره وهو الذى
بذل لآبن مُحْرِزٍ خمسمائة دينار حتى رجع عن العـراق كما قدّمناه فى أخبار ابن محرز،
وبلغ من الناس بالغناء مبلغا عظيما حتى قيل له فيما حُكِىَ : إنك تُغنّى منذ خمسين سنة
فما تركتَ لكريم مالا ولا دارا ولا عقارا إلا أتيتَ عليه، فقال : بأبى أنتم إنمـا هى
أنفَاسِى أقسِمُها بين الناس أفتلومُونَنِى أن أُغْلِىَ بها الثمنَ .

وحكى المدائنىّ قال : حجّ هشام بن عبد الملك وعديلُه الأبرشُ الكلبىّ، فوقف له
حُنينٌ بظهر الكوفة ومعـه عودٌ وزامِرٌ له، فلما مرّ به هشام عرض له فقال : مَنْ
هـذا؟ قيل : حنينٌ، فأمر به هشام فحُمِلَ فى مَحمِلٍ على جمل وعديلُه زامِرُه وسَيَّرَهُ
أمَامه فغنّاه

أمِنْ سَلْمَى بِظَهْرِ الكو * فةِ الآياتُ والطَّلَلُ
تلوحُ كما تلوحُ على * جفونِ الصّيقلِ الخِلَلُ

فأمر له هشام بمـائتى دينار وللزامر بمـائة دينار . وحُكِى أن خالد بن عبد الله
القسرىّ حرّم الغناء بالعراق فى أيامه ثم أذن للناس يوما فى الدخول عليه عامة، فدخل
عليه حُنين فى جملة الناس ومعه عود تحت ثيابه فقال : أصلح الله الأمير، كانت لى
صِناعةٌ أعود بهـا على عيالى فحرمها الأميرُ فأضرّ ذلك بى وبهم، فقال : وما كانت

(١) هكذا بالأصـول باثبات الواو . والذى فى تاج العروس فى مادة «ودى» وفى الاغانى ج ٢
ص ١٢٢ «عمرو» بدون واو .

صِناعتُك ؟ فكشف عن عوده وقال : هـذا . فقال له خالد : غَنِّ ، فعَركَ أوتاره وغنّى

أيُّهـا الشّامتُ المعَـيِّرُ بالدهــ * ـر أأنتَ المـبرَّأُ الموفـورُ
أم لديك العهدُ الوثيق من الأيّا * م بل أنت جاهـلٌ مغرورُ
مَن رأيتَ المنونَ خلّدنَ أم مَنْ * ذا عليه مِنْ أن يُضامَ خفـيرُ

قال : فبكى خالد وقال : قد أذِنتُ لك وحدك خاصّـةً ، ولا تُجالِسْ سفيهًا ولا مُعَرْبِدًا ، فكان إذا دُعِىَ قال : أفيكم سفيه أو مُعربِدٌ؟ فإذا قالوا : لا ، دخل .

وقال بشر بن الحسين بن سليمان بن سمرة بن جُندب : عاش حنين بن بلوع مائةَ سنة وسبعَ سنين .

ذكر أخبـار [عبد الله أبى وهب المعروف[(١)] ب]سِياط

هو عبد الله بن وهب ويُكْنَى أبا وهب ، وسياط لقب غلب عليه ، وهو مكىّ مولى خُزاعة ، كان مُقدَّمًا فى الغناء روايةً وصنعةً مقدما فى الطرب . وهو أستاذ ٱبن جامع وإبراهيم الموصلىّ وعنه أخذا ، وأخذ هو عن يونس الكاتبِ ، وكان سياط زوجَ أمّ ٱبن جامع ، قيل : وإنمـا لُقِّبَ سِياطٌ بهذا اللقبِ لأنه كان كثيرا ما يُغَنّى

كأن مزاحفَ الحيّاتِ فيها[(٢)] * قُبيلَ الصبح آثارُ السِّياطِ

حُكِى أنّ إبراهيم الموصلىّ غنّى صوتا لسياط فقال ٱبنه إسحاق : لِمَنْ هذا الغناءُ يا أبت؟ قال : لِمن لو عاش ما وجد أبوك خبزا يأكله، سياط . وحكى أنّ سِياطا مَرَّ بأبى رَيْحَانةَ فى يوم بارد وهو جالسٌ فى الشمس وعليه سَمَـلُ ثوبٍ رقيق رث ،

(١) زيادة فى بعض النسخ .

(٢) فى الأغانى ج ٦ ص ٧ «فيه» .

فوثب إليــه أبو ريحانةَ المدنىّ، وقال : بأبى أنتَ ياأبا وهب، غَنِّنى صوتَك فى شعر آبن جُندَب

فؤادِى رهينٌ فى هواكِ ومُهجتِى * تَذوبُ وأجفانى عليك هُمُولُ

فغنّاه إياه، فشقّ قميصَه ورجع إلى موضــعه من الشمس وقد آزداد بردا وجَهْدًا، فقال له رجل : ما أغنى عنك هــذا مِنْ شقّ قميصك! فقال : يابن أخى إنّ الشعرَ الحسنَ مِنَ المغنّى المُحسِنِ ذى الصوت المُطرِبِ أدفأ للقرورِ مِنْ حَمَّام مُحْمًى، فقال له رجل : أنتَ عندى من الذين قال الله تعالى فيهم : (فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) فقال : بل أنا مِمن قال الله تعالى فيهم : (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) وقد حُكِيَتْ هذه الحكايةُ أيضا من طريق آخر: أنه لمــا غنّاه هذا الصوتَ شَقَّ قميصَه حتى خرج منه وبقى عاريا وغُشِىَ عليه وآجتمع الناسُ حوله، وسِياطٌ واقفٌ يتعجبُ مما فعل، ثم أفاق فقام إليه، فقال له سياط : مالكَ أيضا يامشئومُ، أىّ شىء تريد؟ قال : غَنِّنى بالله عليك ياسيدى

وَدِّعْ أُمامةَ حانَ منك رحيلُ * إنّ الوداعَ لمــن تُحِبُّ قليلُ
مِثل القَضِيب تَمَايَلَتْ أعطافُها * والريحُ تجــذِبُ مَتنَها فَتَميلُ
إن كان شأنَكُمُ الدَّلالَ فإنه * حَسَنٌ دَلالُكِ يا أُميم جَميــلُ

فغنّاه، فلَطَمَ وجهَــه حتى خرج الدمُ مِن أنفه ووقع صريعا، ومضى ســياط وحمل الناسُ أبا ريحانةَ إلى الشمس، فلما أفاق قيل له فى ذلك فقال نحو ما تقدّم، قال : ووجّه إليــه سياط بقميص وسراويلَ وجُبَّة وعمــامة . وكانت وفاةُ سياط فى أيام موسى الهادى، ودخل عليه ابن جامع وقد نزل به الموت فقال له : ألكَ حاجةٌ؟ قال : نعم لا تَزِدْ فى غنائى شيئا ولا تَنقُصْ منه، فإنما هو ثمانيةَ عشر صوتًا دَعْهُ، رأسًا برأس .

وقيل : بل كانت وفاتُه بَجْأَةً ، وذلك أنه دعاه بعض إخوانه فأتاهم ، وأقام عندهم وبات ، فأصبحوا فوجدوه ميتا فى منزلهم فجاءوا إلى أمه وقالوا : ياهذه إنّا دعونا ٱبنَكِ لِنُكرمَه ونُسَرَّبه وَنَأنَس بِقُربه فماتَ بَجْأَةً ، وها نحنُ بين يديكِ فاحْكُمى ما شِئتِ وناشَدنَاكِ الله أن [لا][1] تُعَرِّضينَا للسلطان أو تَدَّعِى علينا مالم نَفعَلْه ، قالت : ما كنتُ لأفعلَ وقد صَـــدقتُم وهكــذا مات أبوه بَجْأَةً وتَوجّهتْ معهم فحملتُــه إلى منزله ودَفنتهُ .

ذكر أخبار [عبيد الله بن القاسم الشهير ب][2]الأَبْجَرِ

هو عُبيدُ الله بنُ القاسم بن منبه[3] ويُكْنَى أبا طالب ، وقيل : ٱسمه محمد بن القاسم ، والأبجرُ لقبٌ غلب عليه ، وهو مولى لكنانة ثم لبنى ليث بن بكر[4] ، وكان يُلقّب بالحَسْحَاس ، وكان مَدنيّــا مَنشؤه مكةُ أومكيّا منشؤُه المدينة . قال عَوْرَك اللّهبِىّ : لم يكن بمكةَ أحدٌ أظرفَ ولا أسرَى ولا أحسنَ هيئةً من الأبجر ، كانت حُلّتُه بمائة دينار وفرسُه بمــائة دينار ومَرْكَبُه بمــائة دينار ، وكان يقف بين المَأزِمَينِ ويرفع عَقِيرتَه ، فيقفُ الناس له فيركبُ بعضُهم بعضا . وروى الأصفهانىّ بســنده إلى إسحــاق بن إبراهيم الموصلىّ قال : جلس الأبجر فى ليلة اليوم السابع من أيام الحج على قريب[5] من

---

(١) زيادة فى الأغانى ج ٦ ص ٩

(٢) زيادة فى بعض النسخ .

(٣) فى الأغانى ج ٣ ص ١١٥ «ضبية» .

(٤) هكذا بالأصول . وفى الأغانى ج ٣ ص ١١٥ « وهو مولى لكنانة ثم لبنى بكر ، ويقال إنه مولى لبنى ليث» .

(٥) فى الأصول «قرين» والتصحيح عن الأغانى ج ٣ ص ١١٥

التنعيم فإذا عسكر جرّار [قد أقبل](١) فى آخر الليـل وفيه دوابّ تُجنَبُ ومنهـا فرس أدهمُ عليه سرج حليته ذهب فاندفع يُغنّى

عرفتُ ديارَ الحىّ خاليةً قفْرَا * كأن بهـا لمـا توهّمتُها سَطْرَا

فلمـا سَمعه مَنْ فى القِباب والمحامل أمسكوا وصاح صائح : ويحك أعِدِ الصوتَ ! فقال : لا والله إلا بالفرس الأدهم بسَرجه وبلجامه وأربعمائة دينار ، وإذا الوليد بن يزيد صاحبُ العسكر فنودى : أين منزلك ، ومَنْ أنتَ؟ فقال : أنا الأبجر ومنزلى على زقاق باب الجزّارين(٢) ، فغدا عليـه رسول الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتخت ثيـاب وَشْى وغير ذلك ثم أُتِىَ به الوليـدُ ، فأقام وراح مع أصحابه عشـيّةَ التروية وهو أحسنهم هيئة ، وخرج معه أو بعده إلى الشأم . وحُكِى عن عمرو بن حفص بن أم كلاب(٣) ، قال : كان الأبجر مولانا وكان مكّيا وكان إذا قدم من مكة نزل علينا فقال لنا يوما : أسمِعُونا غِناءَ ابن عائشتكم هذا ، فأرسلنا إليه فجمعنا بينهما فى بيت ابن هَبّار ، فغنّى ابنُ عائشة ، فقال الأبجر : كلّ مملوك له حرّ إن غنّيتُ معك إلا بنصف صوتى ، ثم أدخل إصبعَه فى شِدقِه وغنّى فسمع صوتَه مَنْ فى السوق ، فحَشَرَ الناسَ علينا فلم يَفترِقا حتى تَشاتَمـا .

ذكر أخبار أبى زيد الدَّلَال

هو أبو زيد ناقد ، مدنىّ مولى عائشة بنت سـعيد بن العاص وكان مخنثا . قال إسحـاق : لم يكن فى المخنّثين أحسنُ وجها ولا أنظفُ ثوبا ولا أظرفُ من الدَّلَال قالوا : ولم يكن بعد طُوَيس أظرفُ منـه ولا أكثرُ مُلَحًا ، وكان كثيرَ النوادر نَزْرَ الحديث ، فإذا تكلم أضحك الثَّكالى وكان ضاحكَ السنّ ولم يكن يُغنّى إلا غناء مُضعَّفا

(١) الزيادة عن الأغانى ج ٣ ص ١١٥ (٢) بالأغانى ج ٣ ص ١١٦ «الخرازين» .
(٣) فى الأغانى ح ٣ ص ١١٦ «عن عمر بن حفص بن أبى كلاب» .

يعنى كثيرَ العمل . وقال أيوب بن عَبَايَةَ : شهدت أهلَ المدينة إذا ذكروا الدَّلَالَ وأحاديثَــه طوّلوا رقابهم وفخَروا به ، فعلمت أن ذلك لفضيلةٍ كانت عنده . قالوا : وكان مُبتلًى بالنساء والكَوْنِ معهن فكان يُطْلَبُ فلا يُقدَرُ عليه ، وكان صحيحَ الغِناء حَسنَ الجِرْم ، قالوا : وإنما لُقِّبَ بالدلال لشكله وحسن ظَرْفِه ودَلِّه وحلاوة مَنطِقه وحسن وجهه ، وكان مشــغوفا بمخالطة النساء يُكثِرُ وصفهنّ للرجال ، وكان يُشاغِل كلَّ مَنْ يجالسه عن الغناء بأحاديث النساء كراهةً منــه للغناء ، وكان إذا غَنّى أجاد كما حكاه آبن المــاجشون عن أبيه قال : غنّانى الدَّلَال يوما بشعر مجنون بنى عامر فلقد خفت الفتنةَ على نفسى ، وآستحضره سليمان بن عبد الملك من المدينة سرّا وغناه وأقام عنده شهرا ثم صرفه إلى الحجاز مُكرَّمًا . قال الأصمعىّ : حجّ هشام بن عبد الملك فلمــا قدم المدينة نزل رجل من أشراف أهل الشأم وقوّادهم بجنب دار الدّلال ، فكان الشامىّ يسمع غناء الدَّلَال ويُصْغِى إليــه ويصعد فوق السطح لِيقرُبَ من الصوت ثم بعث إلى الدَّلَال : إما أن تزورَنا وإما أن نزورَكَ ، فبعث إليه الدَّلَالُ بل تزورُنا ، فبعث الشامىّ ما يَصلحُ ومضى إليه بغلامين مــن غِلمانه كأنهما دُرّتان مكنونتان ، فغنّاه الدَّلَالُ ، فاستحسن الشامىُّ غناءه ، فقال : زدنى ، قال : أو ما يكفيكَ ما سمعتَ ؟ قال : لا والله ما يكفينى ، قال : فإن لى حاجةً ، قال : وما هِىَ ؟ قال : تبيعنى أحدَ هذين الغلامين أو كليهما ، فقال : آخترْ أيَّهما شئتَ ، فاختار أحدَهما ، فقال له الشامىّ : هو لك ، فقبِله منه الدَّلَالُ ثم غنّاه ، وغنّى

دَعتنى دَوَاعٍ من أُرَيًّا فهيَّجتْ * هَوًى كان قِدْمًا مِن فؤاد طَرُوبِ
لعلّ زمانًا قد مضى[1] أن يعودَ لى * فتغفِرَ أَرْوَى عنــد ذاكَ ذنوبى
سَبَتنِى أُرَيًّا يومَ نَعْفِ مُحَسِّرٍ * بوجهٍ جميــلٍ للقلوب سَلُوبِ

(١) كذا فى الأغانى ج ٤ ص ٦٧ وفى الأصل «لعل زمانا للرضا» .

فقال له الشامىّ : أحسنتَ ، ثم قال له : أيها الرجل الجميل إنّ لى [إليك] (١) حاجةً ، قال الدَّلَّالُ : وما هى؟ قال : أُريدُ وصيفةً وُلِدَتْ فى حِجْر صالحٍ ونشأَتْ فى خير، جميلةَ الوجه مجدولةً وضيئةً جعدةً فى بياض مُشْرَبةً حمرةً حسنةَ الهامةِ سَبَاطةً أسيلةَ الخد عَذبةَ اللسان لها شَكلٌ يملأُ العينَ والنفسَ ، فقال له الدَّلَّالُ : قد أصبتُها لكَ ، فما لى عندك

٥ إن دَللتُكَ عليها؟ قال : غلامى هذا ، قال : إذا رأيتَها وقبلتَها فالغلامُ لى؟ قال : نعم ، قال : فأتى آمرأةً كَنَى عن آسمها ، فقال لها : جُعِلتُ فِداءكِ ، نزل بقربى رجل مِنْ قُوّاد هشام ، له ظَرفٌ وسخاء وجاءنى زائرا فأكرمتُه ورأيت معه غلامين كأنهما الشمسُ الطالعةُ المنيرةُ والكواكبُ الزاهرةُ ما وقعتْ عيني على مثلِهما ولا يطول لسانى بوصفهما ، فوهب لى أحدَهما والآخرُ عنده وإن لم يَصِرْ إلىّ فنفسى ذاهبةٌ ، قالت :

١٠ وتريد ما ذا ؟ قال : طلب منّى وصيفةً على صفة لا أعلمُها إلا فى آبنتكِ ، فهل لك أن تُرِيهِ إياها؟ قالت : وكيف لكَ بأن يدفعَ الغلامَ إليك إذا رآها ؟ قال : إنّى قد شرطتُ عليه ذلك عند النظر لا عند البيع ، قالت : شأنَكَ لا يعلم هذا أحدٌ ، فمضى الدَّلَّالُ وأتى بالشامىّ ، فلما صار إلى المرأة وُضِع له كرسىّ وجلس ، فقالت له المرأةُ : أمِنَ العرب أنتَ؟ قال : نعم ، قالت : مِنْ أيِّهم؟ قال : مِن خُزَاعة ، قالت : مرحبا بك

١٥ وأهلًا ! أىّ شىء طلبتَ؟ فوصف لها الصفةَ ، قالت : قد أصبتَها وأسرَّتْ إلى جارية لها فدخلت فمكثَتْ هُنَيهةً ثم خرجت ، فنظرت فقالت : آخرجى ، فخرجت وصيفةٌ ما رأى [الراءون] (٢) مثلها ، فقالت لها : أقبلى فأقبلتْ ، ثم قالت : أدبِرى فأدبرت تملأُ العينَ والنفسَ ، فما بقى منها شىء إلا وضع يدَه عليه ، فقالت له : أتُحبّ أن نُؤَزِّرَها لكَ؟ قال : نعم ، قالت : آئتزرى فضمّها الإزارُ وظهرت محاسنُها الخفيةُ ، فضرب بيده إلى

(١) الزيادة عن الأغانى ج ٤ ص ٦٧

(٢) الزيادة عن الأغانى ج ٤ ص ٦٨

٢٠

عجيزتها وصدرها، ثم قالت: أتحب أن نُجَرِّدها لك؟ قال: نعم، قالت: [أى حبيبتى][1]
وَضِّحِي، فألقت الإزارَ فإذا أحسنُ خلق الله كأنها سبيكةٌ، فقالت: يا أخا العرب
كيف رأيتَ؟ قال: منيةَ المتمنّى، قال: بِكَمْ تقولين؟ قالت: ليس يومُ النظر يومَ
البيع ولكن تعود غدا حتى نُبايعَكَ فلا تَنصرفُ إلا عن رضًا، فآنصرف من عندها
فقال له الدَّلاَلُ: أرضيتَ؟ قال: نعم، ما كنت أحسَبُ أنّ مثلَ هذه فى الدنيا ٥
وإن الصفةَ لتقصُرُ دونها ثم دَفَعَ إليه الغلامَ الثانى، فلما كان من الغدِ قال له الشامىّ:
آمض بنا، فمضيا حتى قرعا الباب فأذِنَ لهما، فدخلا فسلّما، فرحّبتِ المرأةُ بهما
ثم قالت للشامىّ: أعطنا ما تَبذُلُ، فقال: ما لها عندى ثمنٌ إلا وهى أكثرُ منه فقولى
أنتِ يا أمةَ الله، قالت: بل قل أنتَ فإنا لم نُوطِئْكَ أعقابَنا ونحن نريد خِلافكَ
وأنتَ لها رضًا، قال: ثلاثة آلاف [دينار][1]، قالت: والله لَقُبلةٌ منها خيرٌ من ثلاثة ١٠
آلاف [دينار][1]، قال: أربعة آلاف [دينار][1]، قالت: غفر الله لك أعطنا أيها
الرجلُ، قال: والله ما معى غيرها — ولو كان لزدتكِ — إلا رقيقٌ ودوابّ، قالت:
ما أُرَاكَ إلا صادقا، أتدرى مَنْ هذه؟ قال: تُخْبِرِينِي، قالت: هذه آبنتى فلانةُ
بنت فلان وأنا فلانةُ بنت فلان قم راشِدًا، فقال للدَّلاَل: خَدَعْتَنِى، قال: أو ما ترضى
أن ترى ما رأيتَ من مثلها وتَهَبُ مائةَ غلام مثل غلامك؟ قال: أمّا هذا فنعَم، ١٥
وخرجا من عندها. والدَّلاَلُ أحد مَنْ خُصِىَ من المخنّثين بالمدينة لما أمر سليمان بن
عبد الملك عاملَه على المدينة أبا بكر بن عمرو بن حزم بِخَصْيِهِم.

---

(١) الزيادة عن الأغانى ج ٤ ص ٦٨.

(١٢٣)

ذكر أخبار عَطَرَّدٍ

هو أبو هرون[١] عَطَرَّدٌ مولى الأنصار [ثم مولى][٢] بنى عمرو بن عوف ، وقيل : إنه مولى مُزَينة ، مدنىّ كان ينزل قُبَاءَ ، وكان جميلَ الوجه حسَنَ الغناء طيّبَ الصوت جيّدَ الصنعة حسنَ الزِّىّ والمروءة فقيها قارئا للقرآن ، وقيل : إنه كان مُعَدّل الشهادة بالمدينة ، وأدرك دولةَ بنى أمية وبقِىَ إلى أوّل أيام الرشيد ، وكان يُغنّى مُرْتَجِلًا . وحكى أبو الفرج الأصبهانىّ بسند رفعه قال : لما آستُخْلِفَ الوليدُ آبن يزيد كتب إلى عامله بالمدينة فأمره بإشخاص عَطَرَّدٍ المغنّى إليه ، ففعل ، قال عَطَرَّدٌ : فدخلتُ على الوليد وهو جالس فى قصره على شفير بركة مُرَصّصة مملوءة خمرا ليست بالكبيرة ولكنها يدور الرجل فيها [سِباحةً][٣]، قال : فوالله ما تركنى أُسَلِّم حتى قال : أعَطَرَّدٌ ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : مازلتُ إليك مشتاقا يا أبا هرون، غَنِّنى .

حَىِّ الحُمُولَ بجانب العَزْلِ[٤] * إذ لا يُلَائِمُ[٥] شَكلُها شَكلى

أللهُ أنجحُ ما طلبتَ به * والبِرُّ خيرُ حَقيبةِ الرّحلِ

---

(١) كذا فى الأغانى ج ٣ ص ٩٦ و يؤيده ما سيأتى قريبا . والذى فى الأصول «أبو مروان» .

(٢) الزيادة عن الأغانى ج ٣ ص ٩٦

(٣) الزيادة عن الأغانى ج ٣ ص ٩٨

(٤) هو ماء بين البصرة واليمامة .

(٥) فى الأصول «يشا كل» . والتصويب عن الأغانى ج ٣ ص ٩٨ وتاج العروس ومعجم البلدان لياقوت فى مادة «عزل» .

إنّى بحبلكِ واصـــلٌ حبلى * وبِرِيش نَبْلِكِ رائشٌ نَبْـلِي
وشمائلى ما قـد علِمتِ وما * نَبحتْ كِلابُكِ طارقًا مِثـلِي

قال : فغنيته إياه، فوالله ما أتممتُه حتى شـق حُلّةَ وَشْى كانت عليـه لا أدرى كم قيمتُها، فتجرّد منها كما ولدتْه أمه ، وألقى نفسَـه فى البركة فَنَهِلَ منها حتى تبيّنتُ أنهـا قد نقصت نقصانا بيّنًا وأُخرِجَ منها وهو كالميت سُـكْرًا ، فأُضجِـعَ وغُطِّىَ ، فأخذتُ الحلّة وقمتُ وآنصرفتُ إلى منزلى مُتعجِّبًا من فعله ، فلما كان فى غد جاءنى رسولُه فى مثل الوقت فأحضرنى ، فلما دخلت عليه قال : يا عَطَرَّدُ، قلت : لبيك يا أميرَ المؤمنين! قال : غَنِّنِي

أيذهبُ عُمْـرِى هكذا لم أنَلْ به * مجالسَ تَشْفِى قَرْحَ قلبى من الوَجْدِ
وقالوا تَداوَ[(١)] إنّ فى الطبّ راحةً * فعلّلتُ نفسى بالدّواء فـلم يُجْـدِ

فغنيتُه إياه فشقّ حلّةَ وَشْى كانت تَلمعُ عليـه بالذهب احتفرتُ والله الأولى عنـدها ثم ألقى نفســه فى البركة فَنَهِلَ منها حتى تبينتُ نقصانَها وأُخْرِجَ كالميت سُكْرًا ، فأُلْقِىَ وغُطِّىَ ونام ، وأخذتُ الحلّةَ وآنصرفتُ ، فلما كان اليومُ الثالثُ ، جاءنى رسولُه فدخلتُ إليه وهو فى بَهْوٍ قدأُلْقِيَتْ سُتورُه، فكلّمنى من وراء الستور، وقال: يا عَطَرَّدُ، قلت : لبّيكَ يا أميرَ المؤمنين ! قال : كأنى بك الآن قد أتيتَ إلى المدينة فقمتَ فى مجالسها وقعدتَ وقلتَ : دعانى أميرُ المؤمنين فدخلتُ عليـه فاقترحَ علىّ فغنيتهُ فأطربتُـه فشقّ ثيابه وأخذتُ سَلَبَه وفعلَ وفعـلَ ، ووالله يابن الزانية إن تَحرَّكتْ شفتاكَ بشىءٍ مما جرى لأَضرِبَنَّ عُنقكَ، يا غلامُ أعطِهِ ألفَ دينار، خُذها وآنصرف

(١) بالأصول والأغانى ج ٣ ص ٩٩ «تداوى» بإثبات حرف العلة والقواعد تأبى بقاءه .

إلى المدينة، فقلتُ : إنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يأذنَ لى فى تقبيل يده و يُزَوِّدَنى نظرة منه وأُغنِّيه صوتا، فقال : لا حاجة بى و لا بك إلى ذلك، فانصرِفْ، قال عَطَرَّدٌ : فخرجتُ من عنــده وما علم الله أنى ذكرتُ شيئا ممـا جرى حتى مضتْ من دولة بنى هاشم مدّةٌ . ودخل عَطَرَّدٌ على المهدىّ وغنّاه . قيــل : ودخل على الرشيد وغنّاه ٥ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

ذكر أخبار عُمَرَ الوَادِى

هو عُمَرُ بن داودَ بن زاذان، وجدّه زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفان، وأخذ الغناء عن حَكَمٍ، وقيل : بل أخذ حَكَمٌ عنه، وهو من أهل وادى القُرَى، قَدِمَ الحرمَ وأخذ مِن غناء أهله فحَــذَقَ وصَنَعَ فأجادَ، وكان طيّبَ الصوت شَجِيًّا مُطْرِبًا، وهو ١٠ أوّل مَنْ غَنّى من أهل وادى القُرَى، واتّصل بالوليد بن يزيدَ فى أيام إمارته فتقدّم عنده جدًّا، وكان يُسَمِّيه «جامِعَ لذّاتى ومُحْيِى طَرَبِى»، وقُتِلَ الوليدُ وهو يُغَنِّيه، وكان آخرَ النّــاس به عهدًا . قال : وكان يجتمع مع مَعبد ومالك بن أبى السَّمْح وغيرهما من المغنّين عند الوليد بن يزيدَ، فلا يمنعه حضورُهم من تقديمه والإصغاء إليه والاختصاص به، وفى عمرَ هذا يقول الوليد بن يزيدَ

١٥ إنّمــا فَكّرتُ فى عُمَــر * حين قال القولَ واختلجَا
إنّه للستنــير بــه * قَمَرٌ قــد طَمَّسَ السُّرُجَا
ويُغَنِّى الشــعرَ ينظِمُه * ســيّدُ القوم الذى فَلَجَا
أكمَلَ الوَادِىُّ صَنْعَتَــه * فى كتاب الشــعر فاندمَجَا

أراد الوليدُ بن يزيدَ بقوله سيدُ القوم نفسَه .

ذكر أخبار حَكَمٍ الوادى

هو أبو يحيى الحكم بن ميمون، وقيل : الحَكَمُ بن يحيى بن ميمون مولى الوليد بن عبد الملك، كان أبوه حلّاقا يحلِقُ[1] رأسَ الوليد، فاشتراه فأعتقه، وكان حَكَمٌ طويلا أحولَ يُكرِى الجمالَ ينقل [عليها][2] الزيتَ من الشام إلى المدينة، وقيل : كان أصله من الفرس. وكان واحدَ عصره فى الحِذْقِ وكان يُغنّى بالدُّف ويغنّى مُرتجِلاً. وعمّرَ عمرا طويلا، غنّى الوليدَ بن عبد الملك، وغنّى الرشيد، ومات فى الشَّطْر من خلافته، وأخذ الغناء عن عُمَرَ الوادِى، وقد قيل : إن عُمَرَ أخذ عنه. قال حماد بن إسحاق : قال لى أبى : أربعةٌ بلغتْ فى أربعة أجناس من الغناء مبلغا قَصُرَ عنه غيرهم : «معبد» فى الثقيل، و «ابن سريج» فى الرمَل، «وحَكَمٌ» فى الهزَج، «وإبراهيم» فى الماخُورِى. قال أبو الفرج الأصفهانىّ : وزار حَكَمٌ الوادى الرشيدَ فبرّه ووصله بثلثمائة ألف درهم، وخيّره فيمن يكتب له بها عليه. فقال: آكتب لى بها على إبراهيم بن المهدىّ — وكان إبراهيم إذ ذاك عاملا له بالشأم — فقدم عليه حَكَمٌ بكتاب الرشيد فأعطاه ما كتب له به، ووصله بمثل ذلك إلا أنه نقصه ألفَ درهم من الثلثمائة ألف، وقال له : لا أصلك بمثل ما وصلك أمير المؤمنين. قال إبراهيم بن المهدىّ : وأقام عندى ثلاثين يوما أخذت عنه فيها ثلثمائةِ صوت، كلّ صوت أحب إلىّ من الثلثمائة ألف التى وهبتها له. وقيل : إنه لم يشتهر بالغناء حتى صار إلى بنى العباس فانقطع إلى محمد ابن أبى العباس وذلك فى خلافة المنصور، فأعجب به واختاره على المغنّين وأعجبته أهزاجُه، وكان يقال : إنه أَهْزَجُ الناس، ويقال : إنه غنّى الأهزاجَ فى آخر عمره، فلامه ابنُه على ذلك، وقال : أبعدَ الكِبَرِ تُغَنّى غِناء المخنّثين! فقال له : آسكت فانك جاهل، غنّيتُ [الثقيل][2] ستين سنة فلم أَنَلْ إلا القوتَ وغنّيتُ الأهزاجَ منذ سنتين فكَسَبْتُكَ مالم تَرَ مثلَه قطّ، والله أعلم.

(١) كذا فى الأغانى ج ٦ ص ٦٤ وفى الأصل «علاما». (٢) الزيادة عن الأغانى ج ٦ ص ٦٤ و ٦٦

ذكر أخبار [اسماعيل][1] بن جامع

هو أبو القاسم إسماعيلُ بن جامع بن عبد الله بن المطلب بن أبى وداعةَ ابن صبيرةَ بن سهم بن هُصَيص بن كعب بن لؤىّ، قالوا : وكانُ ابن جامع من أحفظِ خلق الله لكتاب الله تعالى، كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلّى الصبحَ ثم يَصُفّ قدميه حتى تَطلُعَ الشمسُ فلا يصلّى الناسُ الجمعةَ حتى يختِمَ القرآنَ ثم يَنصرفُ إلى منزله، وكان حسنَ السَّمْتِ كثير الصلاة، وكان يَعتمّ بعمامة سوداء على قَلَنْسُوة ويَلبَسُ لباسَ الفقهاء ويركب حمارًا مريسيًّا[2] فى زِىّ أهل الحجاز. ورُوِى عنه أنه قال : لولا أن القِمارَ وحُبَّ الكلاب قد شغلانى لتركتُ المغنّين لا يأكلون الخبزَ. قال ابن جامع : أخذتُ من الرشيد ببيتين غنّيتُه إياهما عشرةَ آلاف دينار. فالوا : وكان إبراهيم بن المهدىّ يُفضّل ابنَ جامع فلا يُقدّم عليه أحدًا. قال : وكان ابن جامع منقطعا إلى موسى الهادى فى أيام أبيه، فضربه المهدىّ وطرده، فلما مات المهدىّ بعث الفضل بن الربيع إلى مكّة فأحضر ابن جامع فى قبّة ولم يُعْلِم به أحدا فذكره موسى الهادى ذاتَ ليلة فقال لجلسائه : أما فيكم أحد يرسل إلى ابن جامع، وقد عرَفتم موقعه منّى ؟ فقال الفضل بن الربيع : هو والله عندى يا أمير المؤمنين وأحضره إليه، فوصل الفضلَ فى تلك الليلة بعشرة آلاف دينار وولّاه حجابته .

وحُكى أنه دخل على الهادى فغنّاه فلم يُعجبه، فقال له الفضل : تركتَ الخفيف وغنّيتَ الثقيل، قال : فأدخِلْنى عليه أخرى فأدخَلَه، فغنّاه الخفيف، فأعطاه ثلاثين ألف دينار. قال أحمد بن يحيى المكىّ : كان ابن جامع أحسنَ ما يكون غناءً إذا

(١) زيادة فى إحدى النسخ .

(٢) فى الأصول «مرمسا» والتصويب عن الأغانى ج ٦ ص ٦٩، والمريسىّ نسبة الى مريس وهى أدنى بلاد النوبة التى تلى أرض أسوان وهى معروفة بجودة الحمير .

حَزِن، وأحبَّ الرشيدُ أن يسمع ذلك، فقال للفضل بن الربيع : ٱبعث بخريطة فيها نعيُ أمّ ٱبن جامع وكان برًّا بأمّه ففعل، فقال الرشيد : يابن جامع فى هذه الخريطة نعيُ أمّك، فاندفع ٱبن جامع يغنّى بتلك الحُرقة والحزن الذى فى قلبه

كم بالدُّرُوب وأرضِ السِّندمن قَدَم [(١)] * ومن جَمَاجِمِ صَرْعَى ما بها قُبِرُوا
بقُنْدُهَارَ [(٢)] ومَن تُكْتَبْ مَنِيَّتُهُ * بقُنْدُهَار يُرَجَّمْ دُونَهُ الخَبَرُ ٥

قال : فوالله ما مَلَكْنَا أنفُسَنا، ورأيتُ الغِلمان يضربون برءوسهم الحيطانَ والأساطينَ، وأمر له الرشيد بعشرة آلاف دينار .

وروى أبو الفرج بسنده إلى عبد الله بن على بن عيسى بن مَاهَان قال : سمعتُ يزيد يُحَدِّثُ عن أمّ جعفر أنه بلغها أن الرشيد جالسٌ وحدَه وليس معه أحد من النُّدَماء ولا المسامرين، فأرسلتْ إليه : يا أمير المؤمنين، إنى لم أرك منذ ثلاث ١٠ وهذا اليوم الرابع، فأرسل إليها : عندى ٱبنُ جامع، فأرسلتْ إليه : أنت تعلم أنى لا أتهنّأ بشرب ولا سماع ولا غيرهما إلا أن تَشرَكَنى فيه، ما كان عليكَ أن أَشرَكَكَ فى هذا الذى أنتَ فيه ! فأرسل إليها : إنى صائر إليكِ الساعةَ، ثم قام وأخذ بيد ٱبن جامع وقال للخادم : ٱمضِ إليها وأَعلِمْها أنى قد جئتُ. وأقبل الرشيد، فلما نظر إلى الخدم والوصائف قد ٱستقبلوه عَلِم أنها قد قامت تستقبله، فوجّه إليها : إنّ معى ٱبنَ جامع ١٥ فعدَلتْ إلى بعض المقاصير، وجاء الرشيد وصَيّر ٱبنَ جامع فى بعض المواضع التى يُسمَعُ منه فيها، ثم أمر ٱبنَ جامع فاندفع يُغنّى

ما رَعَدَت رَعْدةٌ ولا بَرَقت * لٰكنّها أنشأت لنا خُلُقَهْ

---

(١) ورد هذا البيت فى معجم البلدان لياقوت عند الكلام على «قُندُهار» هكذا :
كم بالجُرُوم وأرض الهند من قدَم * ومن سَرَابيلِ قَتْلَى ليتهم قُبِروا ٢٠
(٢) جاء فى معجم البلدان : أنها مدينة من بلاد السند أو الهند مشهورة فى الفتوح .

المـاءُ يَجرى ولا نظامَ له (١) * لو يجد المـاءُ مَخْرَقًا خَرَقَهْ
بِتْنـا وباتتْ على نَمَارِقها * حتّى بدا الصبحُ عَينُها أَرِقَهْ
أن قيل إنّ الرحيلَ بَعدَ غدٍ * والدارُ بعـد الجميع مُفترِقَهْ

فقالت أمّ جعفر للرشـيد : ما أحسنَ ما ٱشتهيتَ والله يا أمير المؤمنين ! ثم قالت
٥ لمسلم خادمها : ٱدفع إلى ٱبن جامع بكلّ بيت مائةَ ألف درهم ، فقال الرشيد : غلبتِينا
يابنـةَ أبى الفضل وسبقتِينا إلى برّ ضيفنا وجليسنا ، فلما خرج حمل الرشـيد إليها
مكانَ كلّ درهم دينارا .

ذكر أخبار عمرو بن أبى الكَنَّات (٢)

(١٢٥)

قال أبو الفرج الأصفهانىّ : هو أبو عثمان ، وقيل : أبو مُعَاذ عمرو بن أبى الكنات
١٠ مَوْلى بنى جُمَح ، وهو مكىّ مُغَنٍّ حسن الصوت من طبقة ٱبن جامع وأصحابه ؛ وفيه
يقول الشاعر :

أحسنُ الناسِ فاعلموه غناءً * رَجُلٌ من بنى أبى الكَنَّات .

قال محمد بن عبد الله بن فروَة : قلتُ لإسماعيل بن جامع يوما : هل غلبك أحد
من المغنِّين قط ؟ قال : نعم ، كنتُ ليلةً ببغداد إذ جاءنى رسول أمير المؤمنين هارون
١٥ الرشيد فأمرنى بالركوب ، فركبتُ حتى صرتُ إلى الدار فإذا أنا بالفضل بن الربيع
ومعه زَلزَل العوّادُ و برصوما ، فسلّمتُ وجلستُ يسيرا ، فطلع خادم فقال للفضل :
هل جاء؟ قال : لا ، قال : فابعث إليه ، ولم يزل المغنّون يدخلون واحدا واحدا حتى

(١) فى الأغانى ج ٦ ص ٧٧ « على » .
(٢) فى الأصول «الكتات» بالتاء بدل النون وهكذا ورد فى هذا الفصل كله ، والمثبت هنا هو ما ورد
٢٠ فى الأغانى ج ١٨ ص ١٢٦ وما بعدها الى آخر الترجمة .

كنّا ستّة أو سبعة، ثم طلع الخادم فقال : هل جاء ؟ فقال : لا، فقال : قم فابعث في طلبه، فقام فغاب غير طويل فإذا هو قد جاء بعمرو بن أبي الكنّات، فسلّم وجلس إلى جنبي، فقال لي : مَن هؤلاء؟ قلتُ : مُغنّون : هذا «زَلزَل» وهذا «برصوما» فقال : لأُغنّينك غناءً يخرِق هذا السقف وتُجيبه الحيطان، ثم طلع الخصيّ فدعا بكراسيّ، وخرج الجواري فلما جلسنَ قال الخادم : شُدّوا فشدّوا عيدانهم ثم قال : يُغنّي آبنُ جامع، فغنّيتُ سبعة أو ثمانية أصوات، قال : آسكت، وليغنِّ إبراهيم الموصليّ، فغنّى مثل ذلك أو دونه ثم سكت، وغنّى القوم كلهم واحدا بعد واحد حتى فرغوا، ثم قال لآبن أبي الكنّات : غنِّ، فقال لزلزل : شُدّ طبقتك فشَدّ ثم قال له : شُدّ فشَدّ، ثم أخذ العود من يده بجَسّه حتى وقف على الموضع الذي يريده، ثم قال : على هذا، وآبتدأ الصوت الذي أوّله «ألالا» فوالله لقد خُيّل إليّ أن الحيطان تُجاوبه ثم رَجّع النغمة فيه فطلع الخصيّ فقال : آسكُت لا تتمّ الصوت، فسكت، ثم قال : يجلس عمرو آبن أبي الكنّات وينصرف سائر المغنّين، فقُمنا بأسوإ حال وأكسف بال، ولا والله ما زال كلّ واحد منّا يسأل صاحبه عن كل ما يرويه من الغناء الذي أوّله «ألالا» طمعًا في أن يعرفه وأن يوافق غناءه فما عَرَفه منّا أحد؛ وبات عمرو عند الرشيد ليلته وآنصرف من عنده بجوائزَ وصِلات وطُرَف سنيّة . وقال موسى بن أبي المهاجر : خرج آبنُ جامع وآبنُ أبي الكنّات حين دفع الإمام[1] من عرفة حتى إذا كانوا بين المأزِمَيْن جلس عمرو على طرف الجبل ثم آندفع يُغنّي، فركب الناس بعضُهم بعضا حتى صاحوا به وآستغاثوا : يا هذا، الله الله ! آسكُتْ عنّا يَجُزِ الناسُ، فضَبط آبنُ جامع بيده على فِيه حتى مضى الناسُ إلى مُزدَلفة .

(١) في الأغاني ج ١٨ ص ١٢٧ «حين دفعا من عرفة حتى اذا كانا» .

قال عليّ بن الجَهْم : حدّثني مَن أثق به قال : واقفتُ آبنَ أبي الكَنّات على جِسر بغداد أيام الرشيد ، فحدّثته بحديث آتصل بي عن آبن عائشة أنه وقف في المَوْسِم في أيام هِشَام ، فمرّ به بعضُ أصحابه فقال : ما تصنع ؟ فقال : إني لأعرف رَجُلًا لو تكلّم لحبسَ الناسَ فلم يذهب منهم أحدٌ ولم يجئ ، فقلت له : مَن هذا الرجل؟ قال : أنا ثم آندفع فغنّى ، فحبسَ الناسَ فاضطربت المحاملُ ومدّت الإبل أعناقها ، فقال آبنُ أبي الكَنّات وكان مُعجَبا بنفسه : أنا أفعلُ كما فعـل وقدرتي على القلوب أكثر من قدرته ثم آندفع فغنّى الصوت الذي غنّى فيه آبنُ عائشة وهو

جَرَت سُنُحًا فقلتُ لها أَجِيزِى * نَوًى مَشْمُولَةً فمتى اللّقَـاءُ
بنفسى مَـنْ تَذَكُّرُهُ سَقَامٌ * أُعالجُـــهُ ومَطْلَبُـــهُ عَنَـاء

قال : فغنّاه وكنّا إذ ذاك على جسر بغـداد ، وكان على دِجلة ثلاثة جُسُور ، فانقطعت الطرُق وآمتلأت الجسور بالناس فازدحموا عليها وآضطربت حتى خِيفَ عليها أن تنقطع لثِقَل مَن عليها من الناس ، فأُخذَ فأُتِيَ به الرشيدُ ، فقال له : ياعدوّ الله أردتَ أن تَفتِن النـاس ! قال : لا والله ياأمير المؤمنين ولكنّه بلغني أنّ آبن عائشة فعل مثل هذا في أيام هِشَام فأحببتُ أن يكون في أيامك مثلُه ، فأعجبَهُ ذلك وأَمَرَ له بمال وأَمَرَهُ أن يُغَنِّيَ فغنّى ، فسمع شيئا لم يسمع مثله فآحتبسه عنده شهرا يستزيده ، وكلّ يوم يُسـتأذن له في الآنصراف فلا يأذَنُ له حتى تَمّ شهرا وآنصرف بأموال جسيمة . وقال عثمان بن موسى : كنّا على شراب يوما ومعنا عمرو بن أبي الكَنّات إذ قال لنـا قبل طلوع الشمس : مَن تحبّون أن يجيئكم ؟ قلنـا : منصور الحَجَبيّ ، فقال : أمهِلُوا حتى يكون الوقت الذي ينحـدر فيه إلى سُـوق البقر ، فمكثنا ساعة ثم آندفع يُغَنِّي

أحسنُ الناسِ فاعلموه غِناءً * رَجُلٌ من بنى أبى الكَنَّاتِ
عَفَتِ الدارُ فالهِضابُ اللواتى * بينِ (١) ثَوْرٍ فَمُلتقَى عَرَفاتِ

(١٣٦) فلم نلبث أن رأينا منصورا من بُعْـد قد أقبل يركُضُ دابَّته نحونا ، فلما جلس إلينا قلتُ له : من أين عَلِمْتَ بنا؟ قال : سمعتُ صوت عمرو وأنا فى سُوق البقر، فخرجتُ أركُضُ دابَّتى حتى صِرتُ إليكم ،قال : وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال . وقال يحيى بن يَعْلَى بن سَعيد : بينا أنا ليلةً فى منزلى فى الرَّمْضَة بأسفل مكّة إذ سمعتُ صوت عمرو بن أبى الكَنَّات كأنه معى ، فأمرتُ الغـلام فأسرج لى دابَّتى وخرجتُ أريده فلم أزل أتبع الصوت حتى وجدتُه جالســا على الكثيب العارض ببطن عرفة يُغَنِّى

خُذِى العفوَ مِنِّى تستديمى مودّتى * ولا تنطقى فى سَوْرتِى حين أَغْضَبُ
ولا تَنْقُرِينِى نَقْـــرَةَ الدُّفِّ مرّةً * فإنّكِ لا تدرين كيف المُغَيَّبُ
فإنّى رايتُ الحُبَّ فى الصدر والأذى * إذا آجتمعا لم يَلْبَثِ الحبُّ يذهبُ

ذكر أخبـار أبى المُهَنَّأ مُخارِق

هو أبو المُهَنَّأ مُخارِق بن يحيى بن ناوُوس الجَزّار مَوْلى الرشيد ، وقيل : بل ناوُوس لَقَب أبيه يحيى وإنما لُقِّب بناوُوس لأنه بايع رجلا أنه يمضى إلى ناوُوس الكوفة فيطبخ فيه قِدْرا بالليل حتى ينضَجَ ، فطرح رهنــه بذلك ، فدسّ الرجل الذى راهنه رجلا فألقى نفسه فى الناوُوس بين الموتى ، فلمـا فرغ ناوُوس من الطبخ مدّ الرجل يده من بين الموتى وقال له : أطعمنى ، فغرف بالمِغْرفة من المرقة وصبّها فى يد الرجل فأحرقها وضربها بالمغرفة وقال له : آصبر حتى نُطعمَ الأحياء أوّلا ثم نتفرَّغَ للموتى ، فلُقِّب ناوُوسا

(١) فى الأغانى ج ١٨ ص ١٢٧ * بسوار فلتق عرفات *
وثور جبل بمكة فيـه الغار الذى احتفى فيه النبىّ صلى الله عليه وسـلم ، وأما سَوَارُ فمن قرى البحرين أنظر ياقوت ج ١ ص ٩٣٨ و ج ٣ ص ١٨٠

لذلك . قال : وكان مخارق لعاتكة بنت شهدَة وهي من المغنّيات المحسِنات المتقدّمات
فى الضرب . نشأ مُخارِق بالمدينة ، وقيل : كان منشؤه بالكوفة ، وكان أبوه جزّارا
مملوكا وكان مخارق وهو صبيّ ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم ، فلما بان طيب صوته
علّمتْه مولاته طرَفًا من الغناء ثم أرادت بيعه فاشتراه إبراهيم الموصليّ منها وأهداه
للفضل بن يحيي فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه ؛ وقيل : آشتراه إبراهيم من مَوْلاته
بثلاثين ألف درهم وزادها ثلاثة آلاف درهم ؛ قال : ولما آشتراه قال له الفضل
آبن يحيي : ما خبرُ غلامٍ بلغنى أنك آشتريتَه ؟ فقال : هو ما بلغك ، قال : فأَرِنيهِ ،
فأحضره ، فغنّى بين يديه ، فقال له : ما أرى فيه الذى رأيتَ ، قال : أنتَ تريد أن
يكون فى الغناء مثلى فى ساعة واحدة ، فقال : بكم تبيعُه؟ قال : آشتريتُه بثلاثين ألف
درهم ، وهو حرّ لوجه الله تعالى إن بعتُه إلا بثلاثة وثلاثين ألف دينار ، فغضبَ
الفضل وقال : إنما أردتَ ألا تبيعه أو تجعله سببا لأن تأخذ منّى ثلاثة وثلاثين
ألف دينار ، فقال إبراهيم : أنا أصنع بك خَصْلة واحدة ، أبيعك نصفه بنصف
هذا المال وأكون شريكك فى نصفه [وأعلّمه] (1) ، فإن أعجبك إذا علّمتُه أتممتَ لى
باقى المال وإلّا بعتُه بعدُ وكان الربح بينى وبينك ، فقال الفضل : إنما أردتَ
أن تأخُذ منّى المال الذى قدّمتَ ذكره فلمّا لم تقدر على ذلك أردتَ أن تأخُذ
نصفه وغَضِب ، فقال إبراهيم له : فأنا أَهَبُه لك على أنه يساوى ثلاثة وثلاثين ألف
دينار ، قال : قد قبلتُه ، قال : وقد وهبتُه لك ، وغدا إبراهيم على الرشيد فقال له :
يا إبراهيم ما غلامٌ بلغنى أنك وهبتَه للفضل ؟ قال : غلامٌ يا أمير المؤمنين لم تملك
العرب ولا العجم مثلَه ! ولا يكون مثلُه أبدا ، قال : فوجّه إلى الفضل يأمره
بإحضاره ، فوجّه به إليه فغنّى بين يديه فقال له : كم يُسَاوِى ؟ قال إبراهيم : يساوِى

(1) الزيادة عن الأغانى ج ٢١ ص ٢٢٢

خَرَاجَ مصر وضِيَاعَها، قال : ويحك! أتدرى ما تقول! مبلغ هذا المـال كذا وكذا، قال : وما مقدار هذا المـال فى غلام لم يملك أحد مثله قط! قال : فالتفت الرشيد إلى مسرور الكبير وقال : قد عَرَفتَ يمينى أنى لا أسأل أحدا من البرامكة شيئا، فقال مسرور : فأنا أمضى إلى الفضل فأستوهبـه منه فإذا كان عندى فهو عندك، فقال له : شأنَك، فمضى مسرور إلى الفضل وآستوهبه منـه، فوهبه له . وقيل : بل إبراهيم هو الذى أهداه للرشيد، فأمره الرشيد بتعليمه فعلَّمه حتى بلغ ما بلغـه . قال : وكان مخارق يقف بين يدى الرشيد مع الغِلمان لا يجلس ويُغَنِّى وهو واقف، فغنَّى آبن جامع ذات يوم بين يدى الرشيد

كأنّ نيرانَنـا(١) فى جنب قَلْعتهم * مُصبَّغاتٌ على أَرْسانِ قَصَّـارِ(٢)
هَوَت هِرَقْلَةُ لمـا أن رأتْ عَجَباً * جوائمـاً(٣) تَرْتَمى بالنِّفْط والنـار

فطرب الرشـيد وآستعاده مرارا ، وهو شـعر مُدح به الرشـيد فى فتح هرقلة، فأقبل الرشيد على آبن جامع دون غيره، فغمز مُخارِق إبراهيمَ بعينه وتقدّمه إلى الخلاء، فلمـا جاء قال له : مالى أراك منكسرا؟ فقال له : أما ترى إقبالَ أمير المؤمنين على آبن جامع بسبب هـذا الصوت! فقال مخارق : قد والله أخذتُه فقـال : وَيْحك! إنه الرشيد، وآبن جامع مَن تَعلم، ولا يمكن معارضته إلا بما يزيد على غنائه وإلا فهو الموتُ، فقال : دعنى وخَلاكَ ذمٌّ وعرِّفْه أنى أغنِّى به، فإن أحسنتُ فإليك يُنسَب وإن أسأتُ فإلىّ يعود، فقال إبراهيم للرشـيد : يا أمير المؤمنين أراك متعجّبا من هذا الصوت بغير ما يستحقّه وأكثر ما يستوجبه! فقال : لقد أحسن فيه آبنُ جامع



(١) فى الأغانى ج ٢١ ص ٢٢٣ «نيرانها» .
(٢) القصّار كالمقصِّر : المحوّر للثياب .
(٣) فى الأغانى ج ٢١ ص ٢٢٣ «حوائما» .

ما شاء ، قال : أوَ لابن جامع هو؟ قال : نعم ، كذا ذكر ، قال : فإن عبدك مخارقا يغنّيه ، فنظر إلى مخارق ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين قال : هاته ، فغنّاه وتحفّظ فيه فأتى بالعجائب ، وطرب الرشيد حتى كاد يطير ثم أقبل على ابن جامع فقال : ويلك! ما هذا؟ فابتدأ يحلف بالطلاق وكل مُحْرِجة إنه لم يسمع ذلك الصوت قط من غيره وإنه صنعه وإنما حيلة جرت عليه ، فأقبل على إبراهيم وقال : اصدُقْنى بحياتى ، فصدَقه عن قصّة مخارق فقال لمخارق : اجلس إذًا مع أصحابك فقد تجاوزتَ مرتبة مَن يقوم ، وأعتقه ووصله بثلاثة آلاف دينار وأقطعه ضَيعة ومنزلا .

وقد روى أبو الفرج الأصفهانىّ عن هارون بن مخارق ، قال : كان أبى إذا غنّى هذا الصوت

يا رَبعَ سَلمَى لقد هيَّجتَ لى طربَا * زدتَ الفؤادَ على عِلاّته وَصَبَا
رَبعٌ تبدّل ممن كان يسكنه * عُفرَ الظّباء وظِلْمانا به عُصَبَا

يبكى ويقول : أنا مَوْلى هذا الصوت فقلت له : كيف يا أبت؟ فقال : غنّيته مولاى الرشيد ، فبكى وشرب عليه رطلا ثم قال : أحسنت يا مخارق! فسلنى حاجتك فقلت : تُعتقنى يا أمير المؤمنين أعتقك الله من النار ، فقال : أنت حرٌّ لوجه الله تعالى ، فأعِدِ الصوت فأعدته ، فبكى وشرب رطلا ثم قال : أحسنت يا مخارق! فسلنى حاجتك فقلت : ضيعة تقيمنى غلّتها[1] ، فقال : قد أمرت لك بها ، أعد الصوت فأعدته ، فبكى وقال : سل حاجتك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر لى بمنزل وفرس وخادم فقال : ذلك لك ، أعد الصوت فأعدته ، فبكى وقال : سل حاجتك ، فقبّلت الأرض بين يديه وقلت : حاجتى أن يُطيل الله بقاءك ويُديمَ عزّك ويجعلَنى من كلّ سوء فداءك ، فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاى .

(١) كذا فى الأغانى ج ٢١ ص ٢٢٤ وفى الأصل «عليها» .

وروى أيضا عن الحسين بن الضحّاك عن مخارق أن الرشيد قال يوما للمغنّين وهو مُضْطَبِحٌ : مَنْ منكم يُغَنِّى

* ياربعَ سَلمى لقد هيَّجتَ لى طربا *

فقمت وقلت : أنا يا أمير المؤمنين ؛ فقال : هاته ، فغنّيته فطرب وشرب ثم قال : علىّ بهرثمة ، فقلت فى نفسى : ماذا يريد منه ! فجاء هرثمةُ فقال له : مخارق الشارى الذى قتلناه بنواحى الموصل ما كانت كنيته؟ فقال : أبو المهنّأ فقال : آنصرف ، فانصرف ثم أقبل الرشيد علىّ فقال : قد كنيتك أبا المهنّأ لإحسانك ، وأمر لى بمائة ألف درهم فانصرفت بها و بالكنية .

قال أبو عبد الله بن حمدون كنا عند الواثق وأمّه عليلة ، فلما صلَّى المغرب دخل إليها وأمر ألّا نبرح بجلسنا فى صحن الدار ، وكانت ليلةٌ مُقمِرة وأبطأ الواثق علينا ، فاندفع مخارق يغنّى فاجتمع علينا الغلمانُ ، وخرج الواثق فصاح : يا غلام ، فلم يجبه أحد ، ومشى فى المجلس الى أن توسّط الدار ، فلما رأيته بادرت إليه فقال لى : ويلك ! هل حدث فى دارى شىء؟ فقلت : لا ياسيّدى ، قال : فما بالى أَصِيح فلا أُجاب؟ فقلت : مخارق يغنّى والغلمانُ قد آجتمعوا اليه فليس فيهم فضل لسماع غير ما يسمعونه ؛ فقال : عذر والله لهم يابن حمدون وأىّ عذر! ثم جلس وجلسنا بين يديه الى السحَر . وقد روى نحو هذه الحكاية فى أمر الغلمان مع مخارق عند المعتصم . وقال محمد بن عبد الملك الزّيات : قال لى الواثق : ما غنّانى مخارق قط إلا قدّرت أنه من قلبي خُلق . وكان يقول : أتريدون أن تنظروا فضل مخارق على جميع أصحابه ؟ انظروا الى هؤلاء الغلمان الذين يقفون فى السِّماط فكانوا يتفقّدونهم وهم وقوفٌ فكلهم يسمع الغناء من المغنين جميعا وهو واقف مكانه ضابطٌ لنفسه ،

فاذا تغنّى مخارق خرجوا عن صُوَرِهم فتحرّكت أرجلهم ومناكبهم وبانت أسباب الطرب فيهم وآزدحموا على الحبل الذى يقفون من ورائه .

وحكى أنه خرج مرّة الى باب الكُنَاسة بمدينة السلام والناس يرحلون الى مكة، فنظر الى كثرتهم وآزدحامهم فقال لأصحابه الذين معه : قد جاء فى الخبر أن آبن سُرَيج كان يغنّى فى أيام الحجّ والناس يمشون فيستوقفهم بغنائه وسأستوقف لكم هؤلاء الناس وأستلهيهم جميعا لتعلموا أنه لم يكن ليفضُلَنى إلا بصنعته دون صوته؛ ثم آندفع يؤذّن ، فاستوقف أولئك الخلق وآستلهاهم حتى جعلت المحاملُ يغشى بعضُها بعضا. قالوا : وجاء أبو العَتاهِية الى باب مخارق وطرقه، فخرج اليه فقال له : يا حسّانَ هذا الإقليم، يا حكيمَ أرض بابل، آصبُبْ فى أُذُنى شيئا يفرح به قلبى وتنعَّم به نفسى — وكان فى جماعة منهم محمد بن سَعِيد اليزيدىّ — فقال : آنزلوا ، فنزلوا، فغنّاهم؛ فقال محمد بن سعيد: فكدتُ أسعى على وجهى طربا، قال: وجعل أبو العتاهية يبكى ثم قال : يا دواءَ المجانين لقد رَقَقْتَ حتى كدتُ أن احسُوَكَ ، فلو كان الغناء طعاما لكان غناؤك أُدْما ولو كان شرابا لكان ماء الحياة .

وقال أبو الفرج عن عمرَ بن شَبَّة قال : حدّثنى بعضُ آل نُوبَخْت قال : كان أبى وعبد الله بن أبى سهل و جماعة من آل نُوبَخْت وغيرهم وقوفا بكُنَاسة الدواب فى الجانب الغربىّ ببغداد يتحدّثون و إنهم لكذلك إذ أقبل مخارق على حمار أسود وعليه قميص رقيق ورداءُ مُسَهَّمٌ؛ فقال : فيمَ كنتم؟ فأخبروه؛ فقال : دعونا من وَسْوَاسكم هذا ، أىّ شىء لى عليكم إن رميتُ بنفسى بين قبرين من هذه القبور وغطّيتُ وجهى وغنّيتُ صوتا فلم يبق أحدٌ بهذه الكناسة ولا فى الطريق مِنْ مُشترٍ ولا بائعٍ ولا صادرٍ ولا واردٍ إلا ترك عملَه وقَرُب منّى وآتبع صوتى؟ فقال عبد الله : إنى لأحبّ أن أرى هذا ، فقل ما شئتَ ؛ فقال مخارق: فرسَك الأشقرَ الذى طلبتُه منك فمنعتَنيه، قال :

هو لك إن فعلتَ ما قلتَ، قال: فرمى بنفسه بين قبرين وتغطّى بردائه ثم آندفع يغنّي بشعر أبي العتاهية

نادت بوَشْــك رحيـلِكَ الأيامُ * أَفَلَستَ تسمعُ أم بكَ آستِصمامُ
ومضى أمَامَكَ مَنْ رأيتَ وأنت للـــباقين حتى يلحقوكَ أمامُ
مالى أراك كأن عينك لا تَرَى * عِـــبَراً تمـرّ كأنهن سِهَـام
تمضى الخطوبُ وأنت مُنتبه لها * فإذا مضت فكأنهـا أحلام

قال : فرأيتُ الناس يأتون الى المقبُرة أرسالا بين راكب وراجل وصاحب شغل ومارّ فى الطريق حتى لم يبق أحد، ثم قال لنا من تحت ردائه : هل بقى أحد؟ قلنا : لا، وقد وجب الرهنُ، فقام فركب حماره، وعاد الناسُ إلى صنائعهم وقال لعبد الله : أَحْضِرِ الفرسَ، قال : على أن تُقيمَ عندى، قال : نعم، فسلم الفرس إليه و برّه وأحسن رِفـــده .

ورُوِى عن يحيى المكىّ قال: خرج مخارِق مع بعض إخوانه الى بعض المتنزّهات، فنظر الى قوس مُذْهبة مع بعض من خرج معـه، فسأله إياها، وكأنّ المسئول ضنّ بهـا، وسنحت ظباء بالقرب منه فقال لصاحب القوس : أرأيتَ إن تغنّيتُ صوتا فعَطَفَتْ علىّ[1] به خدودُ هذه الظباء أتدفع إلىّ القوسَ؟ قال : نعم، فاندفع يُغنّى

ماذا تقول الظباءُ * أفُـرقة أم لِقـاء
أم عهدُها بسُليمَى * وفى البيان شِفاء
مرّتْ بناسانِحَاتٍ * وقد دنا الإمساء
فما أحارتْ جوابا * وطال فيها العناء

(١) فى الأغانى ج ٢١ ص ٢٣٧ «عليك» .

قال : فعطفتِ الظباءُ راجعةً إليــه حتى وقفت بالقرب منــه تنظر اليه مُصغِيةً الى صوته، فعجِب مَنْ حضر من رجوعها ووقوفها وناوله الرجل القوسَ فأخذها وقطع الغناء [فعاودت الظباء نِفَارها ومضت راجعةً على سننها] (١) .

ورُوِى عن إسحاق بن إبراهيم قال : دخلت على أبى وهو جالس بين بابين له ومخارق بين يديه وهو يغنيه

يا ربعَ بِشرةَ إن أضرّ بكَ البِلى * فلقــد رأيتُــكَ آهِلًا معمورَا

قال : فرأيت أبى ودموعه تجرى على خدّيه من أربعــةِ أماكنَ وهو ينشِجُ أحرَّ نشيجٍ، فلما رآنى قال : يا إسحاق، هــذا والله صاحب اللواء غدا إن مات أبوك .

وروى عن مخارق قال : رأيت وأنا حَدَثٌ كأن شيخا جالسا على سرير فى روضة حسنة، فدعانى فقال لى : غَنِّنى يامخارق فقلت : أصوتا تقترحه أو ماحضر؟ فقال : ما حضر، فغنّيتُه

دَعِى القلبَ لا يَزددْ خبالا مع الذى * به منــكِ أو داوِى جَواهُ المكتَّمَا
وليس بتزويق اللســان وصَوغه * ولكنّه قد خالط اللحمَ والدمَا

فقال لى : أحسنتَ يا مخارق، ثم أخذ وترا من أوتار العود فلفّــه على المضراب ودفعه الىّ فجعل المضرابُ يطول ويغلُظ والوتر ينتشر ويعرُض حتى صار المضراب كالرمح والوتر كالعذبة [عليه] (٢) وصار فى يدى علما ثم آنتبهت فحدّثتُ برؤياى إبراهيم الموصلىّ فقال لى : الشيخُ بلا شك إبليسُ، وقد عقد لواء صنعتك فأنتَ ما حييتَ رئيسُ أهلها .

(١) الزيادة عن الأغانى ج ٢١ ص ٢٣٧
(٢) الزيادة عن الأغانى ج ٢١ ص ٢٣٣

وقال أحمد بن حمدون : غَضِب المعتصم على مخارق فأمر أن يُجعلَ فى المؤذنين ويلزمَهـم ففعل ذلك، وأمهل حتى علم أن المعتصم يشرب، فَأَذّنتِ العصرُ، فدخل الى السِّـتر حيث يقف المؤذن للسلام، ثم رفع صوته جُهدَه وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، الصلاةَ يرحمك اللهُ، فبكى حتى جرت دموعه وبكى كلُّ من حضر ثم قال : أدخلوه علىّ، وأقبل علينا ثم قال : سمعتُم هكذا قط؟ هذا الشيطان لا يترك أحدا يغضب عليه! فدخل اليه فقبّل الأرض بين يديه، فدعاه المعتصم اليه فأعطاه يده فقبّلها وأمر بإحضار عوده فأُحضِر[1] وأعاده الى مرتبته . وأخباره كثيرة، وفيما أوردناه منها كفاية . وكانت وفاته فى أوّل خلافة المتوكل، وقيل : بل فى آخر خلافة الواثق . وغنّى خمسة من الخلفاء : الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق رحمهم الله تعالى .

ذكر أخبار يحيى بن مرزوق المكىّ

(١٢٩)

هو أبو عثمانَ يحيى بن مرزوق المكىّ مولى بنى أميـة وكان يكتم ذلك لخدمتـه للخلفاء من بنى العباس، وكان اذا سُئِل عن ولائه آنتمى الى قريش، ولم يذكر البطن الذى ولاؤه له ويَستعفِى مَنْ يسأله عن ذلك . قال الأصفهانىّ : وعمَّر يحيى المكىّ مائة وعشرين سـنة وأصاب بالغناء ما لم يُصبه أحد من نظرائه ومات وهو صحيح العقل والسـمع والبصر، وكان قدم مع الحجازيين الذين قدموا على المهـدىّ فى أوّل خلافته فبقى بالعراق، وكان آبن جامع وإبراهيم الموصلىّ وفُلَيح يفزعون اليه فى الغناء القـديم فيأخذونه عنه، ويُعَانى[2] بعضهم بعضا بمـا يأخذونه منه، فاذا خرجت لهم

---

(١) كذا فى الأغانى ج ٢١ ص ٢٤٥، وفى الأصل «فأحضره» .

(٢) فى الأغانى ج ٦ ص ١٧ «بمـا يأخذه منه ويُغرِبُ به على أصحابه» .

الجوائز أحذوه[1] منها ووفروا نصيبه . وله صنعة عجيبة نادرة متقدمة . قال : وله كتاب في الأغاني ونسبها وأجناسها كبير جليـل مشهور إلا أنه كالمطروح عند الرواة لكثرة تخليطه في رواياته . والعمل على كتاب آبنه أحمد فإنه صحح كثيرا ممـا أفسده وأزال ما عرفه من تخاليط أبيه ، وحقّق مانسبه من الأغاني الى صانعه ؛ قال : وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت . قال أحمد بن سعيد : كانت صنعةُ يحيى ثلاثة آلاف صوت ، منها زهاءُ ألف صوت لم يقارِبه فيها أحد . وسئل آبنه أحمد عن صنعة أبيه فقال : الذى صحّ عندى منها ألف صوت وثلثمائة صوت ، منها مائة وسبعون صوتا ، غلب[2] فيها على الناس جميعا من تقدّم منهم و [من][3] تأخر فلم يقم له أحد فيها . قال أحمد آبن يحيى قال لى إسحاق : يا أبا جعفر ، لأبيـك مائة وسبعون صوتا من أخذها عنه بمائة وسبعين ألف درهم فهو الرابح ؛ والله أعلم .

ذكر أخبار أحمد بن يحيى المكىّ الملقّب بطنين[4]

هو أبو جعفر أحمد بن يحيى المكىّ وكان يلقب طنينا[4] ، وهو أحد المحسنين المبرّزين الرواة للغناء المحكِي الصـنعة . كانـ إسحاق يقدّمه و يؤثره و يشدو[5] بذكره و يجهر بتفضيله . قال أبو الفـرج : وكتابه المجرّد فى الأغانى ونسبها أصـلٌ من الأصول المعوّل عليها . قال : وكان مع جودة غنائه وحسن صنعته أحدَ الضرّاب الموصوفين

---

(١) يقال أحذى الرجل اذا أعطاه ممـا أصاب من غنيمة أو جائزة .

(٢) فى الأصل «خطب» ، والتصويب عن الأغانى ج ٦ ص ١٩ .

(٣) الزيادة عن الأغانى ج ٦ ص ١٩

(٤) فى الأغانى ج ١٥ ص ٦٥ «ظنين» بالظاء .

(٥) فى الأغانى ج ١٥ ص ٦٥ «يشيد» .

المتقدّمين . قال علىّ بن يحيى : قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصلىّ — وقد جرى ذكر أحمد بن يحيى المكىّ — : يا أبا محمد، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى مملوكا كم كان يساوِى؟ قال: أُخبركَ عن ذلك، آنصرفتُ ليلةً من دار الواثق فآجتزت بدار الحسن ابن وهب فدخلت اليــه فإذا أحمد عنده ، فلما قاموا لصلاة العشاء الآخرة قال لى الحسن بن وهب : كم يُساوِى أحمــد لو كان مملوكا ؟ قلت : يساوى عشرين ألف دينار، قال : ثم رجع فغنّى صوتا فقال لى الحسن : كم يساوى أحمــد لو كان مملوكا ؟ قلت : يُساوى ثلاثين ألف دينـار، ثم تغنّى صوتا آخر فقلت للحسن : يا أبا علىّ أَضْعِفْها، ثم أردتُ الآنصراف فقلتُ لأحمد : غنّنى

لولا الحياء وأن الســيرَ من خُلُقِى(١) * إذًا قعدتُ إليــك الدهرَ لم أَقُمِ

أليس عنــدك شكرٌ(٢) للتى جعلت * ما آبيضّ من قادِمات الرأس كالحُمَمِ

فغناه فأحسن فيه كلّ الإحسان ، فلما قمت للآنصراف قلت : يا أبا علىّ، أضعف الجميع، فقال له أحمد : ما هذا الذى أسمعُكما تقولانه ولستُ أدرى ما معناه؟ فقال : نحن نبيعكَ ونشتريكَ منذ الليلةِ وأنت لا تدرى . وقال محمد بن عبد الله بن مالك : سألنى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ يوما : مَنْ بقِى من المغنين؟ قلت : وجهُ القَرْعةِ محمدُ ابن عيسى فقال : صالح كيِّسٌ، ومَنْ أيضا؟ قلت : أحمد بن يحيى المكىّ، قال : بَخٍ بَخٍ ! ! ذاكَ المحسِنُ المجمِلُ الضاربُ المغنّى، القائمُ بمجلســه لا يُحوِجُ أهلَ المجلس الى غيره . وكانت وفاته فى أوّل خلافة المستعين .

---

(١) كذا فى الأغانى ج ١٥ ص ٦٦ وفى الأصل « الستر » .

(٢) فى الأغانى ج ١٥ ص ٦٦ « سكر » وهو تحريف .

ذكر أخبار هاشم بن سليمان مولى بنى أمية

يُكْنَى أبا العباس، وكان موسى الهادى يُسمّيه أبا الغريض . قال أبو الفرج : وهو حسن الصنعة غزيرها، وفيه يقول الشاعر

يا وحشتي بعدك يا هاشمُ * غِبتَ فشَجوى بكَ لى لازمُ [1]
اللهوُ واللذةُ يا هاشم * ما لم تكن حاضرَهُ ماتمُ [2]

٥

وقال الأصبهانىّ بسند رفعه الى هاشم : أصبح موسى أمير المؤمنين يوما وعنده جماعة فقال : يا هاشم، غنّنى

* أبَهارُ قد هيّجتِ لى أوجاعَا *

فإن أصبتَ مرادى فيه فلك حاجةٌ مقضية؛ قال : فغنيته وهو

أبهارُ قد هيّجتِ لى أوجاعَا * وتركتِنِى عبدا لكم مِطواعَا
بحديثك الحسنِ الذى لو كُلِّمتْ * وحشُ الفلاةِ به لجِئن سِراعَا
وإذا مررتُ على البهار مُنَضَّدًا * فى السوق هيّجَ لى إليك نزاعَا
واللهِ لو علم البهارُ بأنها * أضحت سميّتَه لصار ذراعَا

١٠

فقال : أصبتَ وأحسنتَ، سل حاجتكَ، فقلت : يا أمير المؤمنين، تأمر بأن يُملأ هذا الكانونُ دراهمَ — وكان بين يديه كانون عظيم — فأمر به فملئ فوَسِعَ ثلاثين ألف درهم فلما حصّلتُها قال لى : يا ناقصَ الهمّةِ، والله لو سألتَ أن أملأه لك دنانير لفعلتُ، فقلت : أقلنى يا أمير المؤمنين . قال : لا سبيل الى ذلك ولم يُسعِدْك الجَدّ به . وقد رُويت هذه الحكاية فى موضع آخر، وذُكر أن الذى غناه غيرُ هذا الشعر، وأن الكانون وَسِعَ ستَّ بِدَرٍ فدفعها اليه .

١٥

(١٣٠)

---

(١) فى الأغانى ج ١٤ ص ٤٤ : «دائم» .
(٢) أصلها «مأتم» وسهلت الهمزة للضرورة لأنها ألف التأسيس .

٢٠

ذكر أخبار يزيد حوراء[1]

هو رجل من أهل المدينة من موالى بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، ويُكنَى أبا خالد ، مُغنّ مُحسن كثير الصنعة من طبقة آبن جامع وإبراهيم الموصلىّ ، وكان ممن قدم على المهدىّ فى خلافته فغناه ، وكان حسنَ الصوت حُلوَ الشمائل ، فحسده إبراهيم الموصلىّ على شمائله وإشاراته فى الغناء فاشترى عدّة جوار وشاركه [فيهنّ][2] وقال له : علّمهنّ ، فما رزق الله تعالى من ربح فيهنّ فهو بيننا ، وأمرهنّ أن يجعلن وَكْدَهُنّ[3] أخذَ إشاراته ففعلن ذلك ، فكان إبراهيم يأخذها عنهنّ هو وآبنه ويأمرهنّ بتعليم كلّ مَن يَعرِفْنَه ذلك حتى شهرها فى الناس فأبطل عليه ما كان منفردا به من ذلك .

قال عبدالله بن العباس الربيعىّ : كان يزيد بن حوراء نظيفا ظريفا حسنَ الوجه شكلا ، لم يَقدَم علينا من الحجاز أنظفُ منه ولا أشكلُ ، وما كنتَ تشاء أن ترى خَصلةً جميلة لا تراها فى أحد منهم إلا رأيتَها فيه ، وكان يتعصب لإبراهيم الموصلىّ على آبن جامع ، فكان إبراهيم يَرفعُ منه ويُشيع ذكره بالجميل ويُنبّه على مواضع تقدّمه [وإحسانه][2] ويبعث بابنه إسحاق [إليه][2] يأخذ عنه . وحكى أبو الفرج بسند رفعه الى يزيد بن حوراء قال : كلّمنى أبو العتاهية فى أن أُكلّم المهدىّ فى عُتبةَ ، فقلت : إن الكلام لا يمكننى ولكن قل شعرا أغنيه به ، فقال :

نفسى بشىء من الدنيا مُعلّقةٌ ❊ اللهُ والقائمُ المهدىّ يَكفيها

إنى لأيأسُ منها ثم يُطمِعُني ❊ فيها آحتقارُك للدنيا وما فيها

---

(١) هكذا بالأصل وفى الأغانى ج ٣ ص ٧٣ بغير زيادة «ابن» وسيأتى فى بعض مواضع من هذا الفصل «يزيد بن حوراء» وفى بعضها «يزيد حوراء» .

(٢) الزيادة عن الأغانى ج ٣ ص ٧٤

(٣) الوَكْد : الهمّ والقصد .

قال : فعملتُ فيه لحنا وغنّيتُه ، فقال : ما هذا ؟ فأخبرته خبر أبي العتاهية ، فقال : ننظر فيما سأل ، فأخبرت بذلك أبا العتاهية ، ثم مضى شهر فجاءني فقال : هل حدث خبر؟ قلت : لا ، قال : فاذكرني للمهديّ ، فقلت : إن أحببتَ ذلك فقل شعرا تُحرّكه به وتُذكره وعدَه حتى أُغنّيَه به ؛ فقال

ليتَ شعري ما عندكم ليت شعري * فلقــد أُخر الجــوابُ لأمر

ما جوابٌ أولى بكلّ جميلٍ * مِن جوابٍ يُرَدُّ مِن بعــد شهر

قال يزيد : فغنيت المهديّ فقال : عليّ بعُتبةَ ، فأُحضرتْ فقال : إن أبا العتاهية كلمني فيك فما تقولين؟ ولك عندى وله ما تُحبّان مما [لا] (١) تبلغه أمانيكما ؛ فقالت : قــد علم أميرُ المؤمنين ما أوجبَ الله عليّ من حق مولاتى وأريد أن أذكر هذا لها قال : فافعلى ، قال : فأعلمتُ أبا العتاهية ، ومضت أيام فسألني مُعاودةَ المهــديّ فقلت : قد عرفتَ الطريق فقل ما شئتَ حتى أُغنّيه به ؛ فقال

أشربتُ قلبي مِن رجائكَ ماله * عَنَقٌ يَخُبُّ إليك بى ورَسِــيمُ

وأملتُ نحوَ سماء جودكَ ناظرى * أرعَى مخايِل برقهــا (٢) وأَشِــيمُ

ولقد تَنسَّمتُ الرياح لحاجتى * فإذا لهــا منْ راحتَيْكَ نسِــيمُ

ولربما آستيأستُ ثم أقول لا * إن الذى وعدَ النجاحَ كريمُ

قال يزيد : فغنيته الشعرَ فقال : عليّ بعتبةَ ، فجاءت ، فقال : ما صنعتِ؟ فقالت : ذكرت ذلك لمولاتى فكرهتْه وأبت أن تفعل ، فليفعل أميرُ المؤمنين ما يريد ؛ قال : ما كنتُ لأفعل شيئا تكرهه ، فأعلمتُ أبا العتاهية بذلك ، فقال

---

(١) الزيادة عن الاغاني ج ٣ ص ٧٤

(٢) كذا في الاغاني ج ٣ ص ٧٥ وفي الأصل «قربها» .

قَطَّعتُ منـكَ حبائلَ الآمالِ * وأرحتُ مِن حَلٍّ ومن تَرْحالِ
ما كان أشأمَ إذ رجاؤكَ قاتلى * وبَناتُ وعدكَ يعتلِجنَ ببالى
ولئن طمعتُ لَرُبَّ بَرْقةِ خُلَّبٍ * مالت بذى طمع ولَمْعةِ آل

وقد حكى أبو الفرج أيضا هذه الحكاية وآختصرها ولم يذكر الأبيات التى منها
* أَشرَبتُ قلبى من رجائك ماله * ٥

إلا أنه غير قوله : أشربتُ قلبى بقوله : أعلمتُ[1] نفسى من رجائك؛ وقال : فصنع فيه يزيد لحنا وغناه المهدىّ، فدعا بأبى العتاهيــة وقال له : أمّا عُتبة فلا سبيل إليها لأنّ مولاتَها قد مَنعت منها ولكن هــذه خمسون ألف درهم فاشتر ببعضها خيرا من عتبة، فحُملت إليه، فأخذها وآنصرف .

وحكى عن حماد بن إسحاق قال، قال يزيد حوراء : كنت أجلس بالمدينــة على ١٠ أبواب قريش وكانت تمرّ بى جاريةٌ تختلف الى الزَّرقاء تتعلّم منها الغناء، فقلت لهـا يوما : افهمى قولى ورُدّى جوابى وكونى عنــد ظنّى؛ فقالت : هاتِ ما عنــدك، فقلت : بالله ما آسمُكِ؟ فقالت : مُمنعَــة، فأطرقتُ طِيرَةً من آسمها مع طمعى فيها ثم قلت : بل باذلة ومبذولة إن شاء الله فاسمعى منّى ؛ فقالت وهى تتبسم : إن كان عندك شىء فقل، فقلت ١٥

لِيهنَـكِ منّى أننى لستُ مُفشِـيًا * هواكِ إلى غيرى ولو متُّ من كربى
ولا مانِحًا خَلْقا ســواكِ محبّــة * ولا قائلا ماعِشتُ من حبكم حَسْبى

فنظرت إلىّ طويلا ثم قالت : أنشُــدُك الله، أعن فرط محبــةٍ أم آهتياج غُلْمةٍ [تكلمتَ][2]؟ فقلت : لا والله إلّا[3] عن فرط محبة؛ فقالت

(١) فى الأغانى ج ٣ ص ٧٣ «أشربت نفسى»، وفى ص ٧٥ «أشربت قلبى» . ٢٠
(٢) الزيادة عن الأغانى ج ٣ ص ٧٥ . (٣) فى الأغانى ج ٣ ص ٧٥ «ولكن» .

فوالله ربِّ الناسِ لا خنتكَ الهوى * ولا زلتَ مخصوصَ المحبة منْ قلبي

فثِقْ بِي فإني قــد وثقتُ ولا تكن * على غير ما أظهرتَ لي يا أخا الحبّ

(١٣١)

قال : فوالله لكأنما أضرمت فى قلبى نارا، فكانت تلقانى فى الطريق الذى كانت تسلكه فتحدّثنى فأتفرّج بها، ثم آشتراها بعض أولاد الخلفاء، وكانت تكاتبنى وتلاطفنى دهرا طويلا .

٥

ذكر أخبار فُلَيح بن [أبى][1] العوراء

هو رجل من أهل مكة مولى لبنى مخزوم وهو أحد مغنّى الدولة العباسية ؛ له محل كبير من صناعته، وهو أحد الثلاثة الذين آختاروا المائة صوت للرشيد التى بنى أبو الفرج الأصفهانىّ كتابه المترجمَ بالأغانى عليها . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ : ما سمعت أحسن من غناء فليح وآبن جامع ، وكان المهدىّ لا يغنيه مغنّ إلا مِنْ وراء الستارة إلا فليحٌ فإنّ الستارة كانت تُرفع بينه و بين المهدىّ . وهو أوّل مغنّ نظر وجه المهدىّ .

١٠

و روى أبو الفرج الأصفهانىّ عن يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم بن المهدىّ قال : كتب إلىّ جعفر بن يحيى — وأنا عامل الرشيد على [جند][2] دمشق — : قد قدم علينا فليح بن [أبى][1] العوراء فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كلَّ غناء سمعناه قبله وأنا محتال لك فى تخليصه إليك لتسمع منه كما أسمعَنا ، فلم ألبث أن ورد علىّ فليح بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلاف دينار، فورد علىّ منه رجل أذكرنى لقاؤه الناسَ وأخبرنى أنه قد ناهز

١٥

(١) كذا فى الأغانى ج ٤ ص ٩٨ ، وفى الأصل «فليح بن العوراء» .

(٢) الزيادة عن الأغانى ج ٤ ص ١٠١

المـائة، فأقام عندى ثلاث سنين ، وأخذ جوارىّ عنه كلَّ ما كان معه من الغناء، وآنتشر بعضُ غنائه بدمشق .

وروى أيضا بسنده إلى أحمد بن يحيى المكىّ عن فليح بن [أبى] العوراء قال : كان بالمدينة فتى يعشَق آبنة عم له فوعدتْه أنها تزوره، وشكا إلىّ أنها تأتيه ولا شىء عنده، فأعطيته دينارا للنفقة ، فلما زارته قالت له : مَن يُلْهِينا؟ قال : صديق لى، ٥
ووصفنى لهـا ودعانى، فأتيته وكان أوّل ما غنّيته

مِنَ آلخفِرات لم تفضَح أخاها * ولم ترفع لوالدهـا شَـنَارا

فقامت الى ثوبها فلبِسَته لتنصرف ، فتعلّق بهـا وجَهَد كلَّ الجهـد فى أن تُقيمَ فلم تفعل وآنصرفتْ ، فأقبل يلومنى فى أن غنّيتُها ذلك الصوتَ، فقلت : والله ما هو شىء آعتمدتُ به مَسَاءتك ولكنه شىء آتفق، قال : فلم نبرح حتى عاد رسولُها ومعه ١٠
صُرّة فيها ألف دينار فدفعها الى الفتى وقال : تقول لك آبنةُ عمّك هذا مَهرى فادفعه إلى أبى وآخطبنى، ففعل وتزوّجها .

ذكر أخبار إبراهيم الموصلىّ عفا الله عنه

هو إبراهيم بن ماهانَ بن ميمون، وأصله من فارس، ومولده فى سنة خمس وعشرين ومائة بالكوفة، ووفاته ببغداد فى سنة ثمان وثمـانين ومائة . قالوا : ومات ماهانُ ١٥
وترك إبراهيمَ صغيرا فكفله آل خُزَيمة بن خازم، فكان ولاؤه لبنى تميم؛ وكان السبب فى نسبه إلى الموصل أنه لمـا كبِر وآشتدّ وأدرك صحِب الفِتيانَ وآشتهى الغناء وطلبه، فاشتدّ أخواله بنو عبـد الله بن دارم عليه فى ذلك وبلغوا منه، فهرَب منهم إلى المَوْصِل فأقام بها سـنة، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانه من الفتيان : مرحبا

بالفتى الموصلىّ، فغلب عليه ثم آرتحل الى الرَّىّ(١) فى طلب الغناء، فطال مُقامُه هناك، وأخذ الغناء الفارسىّ والعربىّ . قال إسحاق : حدّثنى أبى قال : أوّلُ شيء أُعطيتُه بالغناء أنى كنت بالرىّ أُنادِمُ أهلها بالسوية لا أرزؤهم شيئا ولا أُنفِق إلا من بقية مال كان معى، فمرّ بنا خادم أنفذه أبو جعفر المنصور إلى بعض عُمّاله برسالة، فسمعنى عند رجل من أهل الرىّ فشُغِفَ بى وخلع علىّ دُوّاجَ(٢) سَمُّورٍ له قيمة، ومضى بالرسالة فرجع وقد وصله العامل بسبعة آلاف درهم وكُسوة كثيرةٍ، فجاءنى إلى منزلى الذى كنت أسكنه، فأقام عندى ثلاثة أيام ووهب لى نصف الكُسوةِ [التى معه](٣) وألفى درهم، وكان ذلك أوّلَ مال كسبتُه من الغناء فقلتُ : والله لا أُنفق هذه الدراهمَ إلا على الصناعة التى أفادتنيها، ووُصِفَ لى رجلٌ بالأُبُلَّة آسمه : "جوانويه" وكان حاذقا، فخرجتُ إليه وصحبتُ فتيانَها وأخذت عنهم وغنيتهم فشُغِفُوا بى. قال ابراهيم : ولما أتيت "جوانويه" لم أصادفه فى منزله فأقمت حتى جاء، فلما رآنى آحتشمنى وكان مجوسيا فأخبرته بصناعتى والحال التى قصدتُه فيها، فرحّب بى وأفرد لى جَناحا فى داره ووكّل بى جارية(٤)، فقدّمتْ لى ما أحتاج إليه، فلما كان العِشاء عاد إلى منزله ومعه جماعة من الفرس ممن يُغَنّى، فنزلتُ إليه فجلسنا وأخذوا فى شأنهم وضربوا وغنّوا، فلم أجد فى غناء أحد منهم فائدةً، وبلغت النوبة إلىّ فضربتُ وغنّيتُ، فقاموا جميعا إلىّ فقبلوا رأسى وقالوا : سَخِرتَ بنا، نحن إلى تعليمك إيانا أحوجُ منك إلينا، فأقمتُ على تلك الحال أياما حتى بلغ سليمانَ(٥) بن علىّ خبرى، فوجّه إلىّ

(١) فى الأغانى ج ٥ ص ٣ «فلقب به» .

(٢) ضرب من الثياب . والسمّور دابة معروفة تُسوّى من جلودها فراءٌ غالية الأثمان .

(٣) الزيادة عن الأغانى ج ٥ ص ٤

(٤) فى الأغانى ج ٥ ص ٤ «أخته» .

(٥) كذا بالأصل وفى الأغانى ج ٥ ص ٤ «محمد بن سليمان بن علىّ» .

فأحضرنى وأمرنى بملازمته، فقلت : أيها الأمير، لستُ أتكسّبُ بهذه الصناعةِ وإنما ألتذّ بالغناء فلذلك تعلّمته وأريد العَوْدَ الى الكوفة، فلم أنتفع بذلك عنــده وأخذنى بملازمته وسألنى : من أين أنا؟ فانتسبتُ الى المَوْصل، فلزِمَتْنِي وعُرِفتُ بها، ولم أزل عنده مكرمًا حتى قدم عليه خادمُ المهدىّ، فلما رآنى عنده قال له : أميرُ المؤمنين أحوجُ إلى هــذا منك، فدافعه عنّى، فلما قدم الخادمُ على المهدىّ سأله عمــا رأى



فى طريقه ومَقْصِده، فأخبره بمــا رأى حتى انتهى إلى ذكرى فوصفنى له، فأمره المهدىّ بالرجوع وإشخاصى إليه، فجاء وأشخصنى إلى المهدىّ وحَظِيتُ عنده وقدّمنى. قال : وما سمع المهدىّ قبلى أحدا من المغنين سوى فليح بن [أبى] العوراء وسِياط، فإن الفضل بن الربيع وصفهما له. قال : وكان المهدىّ لا يشرب فأرادنى على ملازمته وتركِ الشرب، فأبيتُ عليه وكنت أَغيب عنه الأيامَ فإذا جئته جئته مُنتشياً فغاظه ذلك منّى وضربنى وحبسنى، فحَذَقت القراءة والكتابة فى الحبس ثم دعانى يوما فعاتبنى على شربى فى منازل الناس والتبذل معهم، فقلت : يا أمير المؤمنين، إنما تعلّمتُ[1] هذه الصناعة للذّتى وعشرة إخوانى ولو أمكننى تركُها تركتُها وجميعَ ما أنا فيــه لله تعالى، فغضب غضبا شديدا وقال : لا تَدخُلْ على موسى وهارون، فوالله لئن دخلتَ عليهما لأفعلنّ وأصنعنّ، فقلت : نعم، ثم بلغه أنى دخلت عليهما وشربتُ معهما وكانا مستَهتِرين[2] بالنبيذ، فضربنى ثلثمائة سوط وستين سوطا، فقلت له وأنا أُضرَب : إنّ جُرْمِى ليس من الأجرام التى يَحِلُّ بها سفكُ دمى، ووالله لو كان سرّ ابنيك تحت قدمىّ ما رفعتُهما عنه ولو قُطِعتا، ولو فعلت ذلك كنت فى حالة أبانٍ العبدِ[3] الساعى، فلما قلت ذلك ضربنى بالسيف فى جفنه فشجّنى، فسقطتُ مغشــيا علىّ وقال لعبــد الله بن مالك : خذه

(١) فى الأصل «فعلت» والتصويب عن الأغانى ج ٥ ص ٤

(٢) فى الأغانى ج ٥ ص ٥ «مستهترين».

(٣) هو العبد الذى سعى به وبموسى وهارون الى المهدىّ وحدثه بمــا كانوا فيه.

إليـك وآجمله فى مثل القبر ، فدعا عبـدُ الله بكبش فذبحه وسلخه وألبسنى جلده ليسكن الضربُ عنّى ، ودفعنى إلى خادم له يقال له أبو عثمان سعيد التركى ، بجعلنى فى قبر ووكّل بى جاريةً ، فتأذيت بنزّكان فى القبر وبقّ ، فقلت للجارية : أصلحى لى مجمرة وكُندُرًا[(1)] ليذهب عنّى هذا البقُّ ، ففعلت ، فلما دخّنتْ أظلم القبر وكادت نفسى تذهب ثم خفّ ذلك وزال البق وإذا حَيّتان مقبلتان نحوى من شَقٍّ فى القبر تدوران حولى ، فهممت أن آخذ واحدة بيدى اليمنى والأخرى بيدى اليسرى ، فإمّا علىّ وإمّا لى ، ثم كُفِيتُهما ، فدخلتا فى الثّقب الذى خرجتا منه ، فمكثت فى ذلك القبر ما شاء الله ، ثم أُخرِجتُ منه وأحلفنى المهدىّ بالطلاق والعتاق وكلّ يمينٍ لا فسحة لى فيها ألّا أدخل على آبنيه موسى وهارون أبدا ولا أُغنّيهما وخلّى سبيلى . قال إبراهيم : وقلت وأنا فى الحبس

ألا طال ليلى أُراعِى النجوم * أُعالج فى الساقِ كَبْلًا ثقيـلا
بدار الهوانِ وشرّ الديار * أُسامُ بها الخسفَ صبرا جميلا
كثير الأخِلّاء عنـد الرخاء * فلمـا حُبِستُ أَراهُمْ قليلا
لطول بلائىَ مَلّ الصـديق * فلا يأمنَنّ خليلٌ خليـلا

قال : فلما وَلِى موسى الهـادى الخلافةَ آسـتتر إبراهيم منـه ولم يظهر له بسبب الأيمـان التى حلف بها للمهدىّ ، فلم يزل يطلبه حتى أُتِىَ به فلما عاينه قال : ياسيدى [فارقت][(2)] أمّ ولدى أعز الخلق علىّ ، ثم غناه

يابنَ خيرِ المـلوك لا تتركنّى * غرضا للعـدوّ يَرمِى حِيالى
فلقد فى هواك فارقتُ أهلى * ثم عَرّضتُ مهجتى للزوال
ولقد عِفتُ فى هواكَ حياتى * وتغرّبت بين أهـلى ومالى

(1) الكندر : اللّبان . (2) الزيادة عن الأغانى ج ٥ ص ٦

قال إسحاق بن إبراهيم : فقوله الهادى وخوله ، وبحسبك أنه أخذ منه مائة ألف وخمسين ألف دينار فى يوم واحد ، ولو عاش لنا لبنينا حيطانَ دورنا بالذهب والفضـــة .

قال حماد بن إسحاق : قال لى أبى : والله ما رأيتُ أكمل مروءة من جدّك ، كان له طعام يُعَدّ أبدا فى كل وقت ، فقلت لأبى : كيف كان يمكنه ذلك؟ قال : كان له فى كل يوم ثلاثُ شياهٍ : واحدة مقطعة فى القدور ، وأخرى مسلوخة معلقة ، وأخرى قائمة فى المطبخ ، فإذا أتاه قوم طَعِموا ممـا فى القدور ، فإذا فرغت القدورُ قُطِّعَت الشاةُ المعلقةُ ووضِعَتْ فى القدور وذُبِحتِ القائمة وأُتى بأخرى فأُقيمت فى المطبخ ؛ وكانت وظيفته لطعامه وطيبـه وما يتخـذ له فى كل شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يُجرِى وسوى كُسوته . ولقد كان مرّة عندنا من الجوارى الودائع لإخوانه ثمـانون جارية ما فيهن واحدة إلا ويُجرِى عليها من الطعام والكُسوة والطيب مثلَ ما يُجرى لأخص جواريه ، فإذا رُدّت الواحدة الى مولاها وصلها وكساها ، ومات وما فى مِلكه إلا ثلاثة آلاف دينار وعليه من الدين سبعمائة دينار قُضِيَتْ منها .

ورُوِى عن إسحاق بن إبراهيم قال : اشترى الرشيد من أبى جاريةً بستة وثلاثين ألف دينار ، فأقامت عنده ليلة ثم أرسل الى الفضل بن الربيع وقال له : إنا آشترينا هـذه الجاريةَ من إبراهيم ونحن نحسَب أنها على صِـفةٍ وليست كما ظننّا وما قَرِبتُها وقد ثَقُلَ علىّ الثمن ، وبينك وبينه ما بينكما فآذهب اليه فسله أن يَحُطّنا من ثمنها ستة آلاف دينار ، قال : فأتاه الفضل نخرج اليه وتلقّاه فقال له : دعنى من هـذه الكرامة التى لا مَئونة فيها ، قد جئتك فى أمر ثم أخبره الخبر ، فقال له إبراهيم : إنما أراد أن يبلُوَ قدركَ عندى قال : هو ذاكَ ، قال : فمالى فى المساكين صدقةٌ إن لم أُضعِفه لك ، قد حططتك آثنى عشرَ ألف دينار ، فرجع الفضل اليه بالخبر فقال : ويحك !

احمل اليه المـالَ بجملته، فما رأيت سُوقةً أمثل[(١)] منه نفسا! . قال إسحاق : وكنت قد أتيت أبى فقلت : ما كان لحطيطة هذا المـال معنى ولا هو قليل يُتغافل عنه، قال لى : يا أحمقُ أنا أعرف الناسِ به ، والله لو أخذتُ المـال منه كَمَلًا ما أخذته إلا وهو كاره ولَحَقَدَ ذلك، وكنت أكون عنده صغيرَ القدر، وقد مننتُ عليه وعلى الفضل وآنبسطتْ نفسُه وعَظُمَ قدرى عنده ، وإنمـا آشتريتُ الجارية بأربعين ألف درهم وقد أخذت بها أربعـة وعشرين ألف دينار ، فلمـا حُمِلَ اليه المـالُ بكماله دعانى  وقال : كيف رأيتَ يا إسحاقُ، مَنِ البصيرُ أنا أم[(٢)] أنت ؟ فقلت : أنتَ ، جعلنى الله فداك . قال : وإبراهيمُ أوّل من علّم الجوارى المثمَّنات الغناء ، فإنه بلغ بالقيان كل مبلغ ورفع من أقدارهنّ .

ومن أخباره مع الرشيد ما رُوِى عن إسحاق قال : حدّثنى أبى قال : إن الرشيد غضب علىّ فقيدنى وحبسنى بالرَّقّة وجلس للشرب يوما فى مجلس قد زينه وحسّنه ، فقال لعيسى بن جعفر : هل لمجلسنا عيبٌ؟ قال : نعم، غيبةُ إبراهيم الموصلىّ عنه ، فأمره بإحضارى فأُحضِرتُ فى قيودى ففُكّت عنّى بين يديه ، وأمرهم فناولونى عودا، ثم قال : غنّ يا إبراهيم، فغنّيته

نَضَوّعَ مِسكًا بطنُ نَعمانَ أن مَشتْ * به زينبٌ فى نسـوةٍ عَطِـرَاتِ[(٣)]

فاسـتعاده وشرب وطرب وقال : هَنَأتَنِى وسَأُهَنِّيك بالصـلة ، وقد وهبتُ لك الهنىء والمرىء[(٤)]، فانصرفتُ، فلما أصبحتُ عُوِّضتُ منهما مائتى ألف درهم .

---

(١) فى الأغانى ج ٥ ص ٧ «أنبل» . (٢) فى الأصل «أو» .

(٣) فى الأغانى ج ٥ ص ٧ «خفرات» .

(٤) الهنىء والمرىء نهران بإزاء الرقة والرافقة حفرهما هشام بن عبد الملك وأحدث فيهما واسط الرقة أنظر ياقوت طبع أوروبا ج ٤ ص ٩٩٤

قال إبراهيم : دخلت على موسى الهـادى فقال لى : يا إبراهيم ، غنّ من الغناء ما ألذُّ وأطربُ عليه ولك حكمكَ ، فقلت : يا أمير المؤمنين إن لم يقابلنى زُحَلُ ببرده رجوتُ ذلك ، فغنّيته

و إنى لتعــرُونى لِذِكراكِ هِزّةٌ[1] * كما انتفض العصفورُ بلّله القطرُ

فضرب بيده إلى جيب دُرّاعته[2] فحطّه ذراعا ، ثم قال : أحسنتَ والله ! زدنى فغنّيت

فياحُبَّها زِدنى جَوًى كلّ ليـلةٍ * و يا سَلوةَ الأيام موعِدُكِ الحشرُ

فضرب بيده الى دُرّاعتــه فحطها ذراعا آخر وقال : زدنى و يلك ! أحسنت والله ووجب حكمك ، فغنّيتُ

هجرتُكِ[3] حتى قيل ما يعرف الهوى * و زرتِك حتى قيل ليس له صــبرُ

فرفع صــوته وقال : أحسنت والله لله أبوك ! هات ما تريد ؛ فقلت : يا ســيدى عينُ مروان بالمدينة ، فدارت عيناه فى رأســه حتى صارتا كأنهما الجمرتان وقال : يابن الحناء أردت أن تُشَهّرَنى بهذا المجلس فيقولَ الناس أطربه فحكم عليه فتجعلَنى سَمَرًا وحديثا ! يا إبراهيم الجذّانى[4] ، خذ بيد هذا الجاهل فأدخله بيت مال الخاصة فإن

---

(١) كذا رويت فى شرح خزانة الأدب ج ١ ص ٥٥٢ والمقاصــد النحوية شرح شواهد الألفية التى بهامش شرح خزانة الأدب ج ٣ ص ٦٧ . وفى الأصول «قزة» . وروى «فترة» وهى رواية فى البيت ذكرها البغدادىّ فى شرح الخزانة ج ١ ص ٥٥٣ ونسبها الى أبى علىّ القالى فى أماليــه و بيّن وجه صحتها ولكن الوارد فى الأمالى ج ١ ص ١٥٠ طبع بولاق «هزة» .

(٢) الدرّاعة جبة مشقوقة المقدّم ولا تكون إلا من صوف .

(٣) جاء هذا البيت فى أمالى القالى ج ١ ص ١٥٠ هكذا

هجرتكِ حتى قلتِ لا يعرف القلى * وزرتكِ حتى قلتِ ليس له صبر

وكتب عليه المصحح بهامش الأمالى هكذا : المشهور «وصلتك» بدل «هجرتك» .

(٤) هكذا فى إحدى النســخ وفى أخرى «الحذانى» بالحاء المهملة وفى الأغانى ج ٥ ص ١٦ «الحرّانى» .

أخذ كلّ ما فيه نخلّه و إياه؛ فدخلت فأخذت خمسين ألف دينار . وهذا الشعر لأبى صخر الهذلىّ وأوّله

عجبتُ لسعى الدهر بينى و بينها * فلما آنقضى ما بيننا سكن الدهرُ

فياحبّها زدنى جَوًى كلّ ليلةٍ * ويا سَلْوةَ الأيام مَوعِدُك الحشرُ

٥ و يا هجرَ ليلى قد بلغتَ بِىَ المدى * و زدتَ على ما ليس يبلغه الهجرُ (١)

و إنى لتعرونى لذكراكِ هِزّة * كما آنتفض العصفور بلّله القطرُ

هجرتكِ حتى قيل لا يعرف الهوى * و زرتكِ حتى قيل ليس له صبرُ

أما والذى أبكى وأضحك والذى * أمات وأحيا والذى أمره الأمرُ

لقد تركَتْنِي أحسُدُ الوحشَ أن أرَى * أليفين منها لا يَرُوعُهما الذُّعرُ

١٠ ذكر نبذة من أخبار إبراهيم الموصلىّ مع البرامكة رحمهم الله تعالى :

كان لإبراهيم الموصلىّ مع البرامكة أخبار مستحسنة سنورد منها طرفا . منها ما حكى عن مخارِق قال : أذِن لنا أمير المؤمنين الرشيد أن نُقيمَ فى منازلنا ثلاثة أيام وأعلَمنا انه يشتغل فيها مع الحرَم، فمضى الجلساء أجمعون الى منازلهم وقد أصبحت السماء مُتغَيّمةً تطشّ طِشِيشا خفيفا فقلت : والله لأذهبنّ الى أستاذى إبراهيم فأعرف خبره ثم أعود ، وأمرتُ مَنْ عندى أن يسوّوا لنا مجلسا الى وقت رجوعى، فجئت ١٥ الى إبراهيم ، فدخلت إليه فإذا هو جالس فى رِواق له والستارةُ منصوبةٌ والجوارى خلفها ، فدخلت أترنّم بعضَ الأصوات وقلت له : ما بالُ الستارةِ لست أسمع من ورائها صوتا ؟ فقال : آقعد ويحك ! إنى أصبحت فجاءنى خبرُ ضَيعةٍ تُجاوِرنى

(١) ورد هذا الشطر هكذا فى الأغانى ج ٥ ص ١٦ وأمالى القالى ج ١ ص ١٥٠ ، وفى الاصل

٢٠ * و زدت على ما لم يكن بلغ الهجر *

قد والله طلبتها زمانا وتمنيتُها ولم أملكها وقد أُعطى بها مائةُ ألف درهم ، فقلت له : ما يمنعك منها ؟ فوالله لقــد أعطاك الله أضعافَ هذا المــال وأكثر ، قال : صدقت ولكن لستُ أطيبُ نفسا بأن أُخرِجَ هذا المــال ، فقلت : فمن يُعطيك الساعةَ مائة ألف درهم ؟ قال : والله ما أطمع فى ذلك من الرشـيد فكيف بمن دونه ! ثم قال : اجلس خذ هذا الصوت ، ثم نَقَرَ بقضيب على الدواة وألقى علىّ هذا الصوتَ

نام الخليّونَ من همّى ومن سَقَمِى * وبِتُّ من كثرة الأحزان لم أنم
يا طالبَ الجودِ والمعروف مجتهدًا * اِعمِد ليحيي حليف الجود والكرم

قال : فأخذت الصوت وأحكمته ، ثم قال لى : انصرف الى الوزير يحيي بن خالد فإنك تجد الناس على بابه قبل أن يُفتح البابُ ، ثم تجد الباب قد فُتح ولم يجلس بعدُ ، فاستأذِنْ عليه قبل أن يصل اليه أحدٌ فإنه يُنكر مجيئكَ ويقول : مِن أين أقبلتَ فى هذا الوقت؟ فحدّثه بقصدك إياى وما ألقيتُ اليك من خبر الضيعة وأعلمه أنى قد صنعت هذا الصوت وأعجبنى ولم أر أحدا يستحقه إلا جاريته فلانة وأنى ألقيته عليك [حتى أحكمته] (١) لتطرحه عليها ، فسيدعوها ويأمر بالستارة فتُنصَبُ ، ويوضع لها كرسىّ ويقول لك : اطرحه عليها بحضرتى ، فافعل وأْتنى بما يكون بعد ذلك من الخبر . قال مخارق : فجئت الى باب يحيي بن خالد فوجدته كما وصف ، وسألنى فأعلمته بما أمرنى به ، ففعل كلّ شيء قاله لى إبراهيمُ وأحضر الجارية فألقيتُه عليها ، ثم قال لى : تقيم عندنا يا أبا المهنّأ أو تنصرف؟ فقلت : بل أنصرف ، أطال الله بقاءك ، فقد علمتَ ما أُذِنَ لنا فيه ، فقال : يا غلامُ ، احمــل مع أبى المهنأ عشرة آلاف درهم واحمل الى أبى إسحاق مائة ألف درهم ثمنَ هذه الضيعة ، فحملتُ عشرة الآلاف (٢) معى ، وأتيتُ منزلى وقلت : أُسَرّ

(١) الزيادة عن الأغانى ج ٥ ص ١٣ (٢) فى الأصل «العشرة آلاف» .

يومى هـذا وأُسُرّ مَنْ عندى . ومضى الرسول بالمـال الى إبراهيم، فدخلتُ منزلى ونثرتُ على مَنْ عندى دراهم من تلك البَدْرة وتوسّدتُها وأكلتُ وشربت وطربت وسُرِرتُ يومى كله، فلمـا أصبحت قلت : والله لآتِينّ أسـتاذى ولأعرفنّ خبره، فأتيته فوجدته كهيئته بالأمس على مثل ما كان عليه، فترنّمت وطربت فلم يتلق ذلك بما يجب، فقلت : ما الخبر؟ ألم يأتك المـال بالأمس؟ فقال : بلى، فما كان خبرك أمس؟ فأخبرتُه بما كان وقلت : ما تنتظر؟ فقال : آرفع السِّجْف فرفعتُه فإذا عشرة بِدر، فقلت : فأىّ شىء بقى عليك فى أمر الضـيعة ؟ فقال : ويحك ! ما هو والله إلا أن دخلت منزلى حتى شَحِحتُ عليها وصارت مثل مَا حويتُ قديمـا، فقلت : سبحان الله ! فتصنع ماذا؟ قال : قم حتى ألقِىَ عليك صوتا صنعتُه يفوق ذاك، فقمت فجلست بين يديه، فألقى علىّ

ويَفـــرَحُ بالمولود من آل برمكٍ * بغاةُ الندى، والسيفُ والرمحُ والنّصلُ
وتَنبسِطُ الآمالُ فيــه لفضـــله * ولا سيما إن كان والدَه الفضـلُ

قال مخارق : فلمـا ألقى علىّ الصـوتَ سمعتُ مالم أسمع مثله قطّ وصَـغُر فى عينى الأوّل ، فأحكمتُه ثم قال : آمض الساعة إلى الفضـل بن يحيى فإنك تجـده لم يأذن لأحد بعدُ وهو يريد الخلوةَ مع جواريه اليومَ، فاستأذِن عليه وحدّثه بحديثنا وما كان من أبيه إلينا وأعلمه أنى صنعت هذا الصوت وكان عندى أرفعَ منزلةً من الصوت الأوّل الذى صنعته بالأمس، وأنى ألقيتُه عليك حتى أحكمتَه ووجّهتُ بك قاصـدا لِتُلقيَه على فلانة جاريتـه ، فصرتُ إلى باب الفضل فوجدتُ الأمر على ماذكر، فاستأذنتُ فوصلت إليه، وسألنى عن الخبر، فأعلمتُه بخبرى وما وصل إلىّ وإليه من المـال، فقال : أخزى الله إبراهيم، ما أبخله على نفسه ! ثم دعا خادما فقال له : اضرب السّتارةَ، فضربها ، فقال لى : ألقِه ، فلما ألقيته وغنته الجارية لم أُتمّه حتى

أقبل يجرّ مِطرفه، ثم قعد على وِسادة دون الستارة وقال : أحسنَ والله أستاذُك وأحسنتَ أنتَ يامخارق، ولم أبرح حتى أحكمته الجـارية فسُرّ بذلك سرورا عظيما وقال : أقِم عندى اليومَ، فقلت : يا سيدى إنمـا بقى لنا يوم واحد ولولا أنى أُحبّ سرورك لم أخرج من منزلى، فقال : يا غلام، آحمل مع أبى المهنأ عشرين ألف درهم وإلى أبى إسحـاق مائتى ألف درهم ، فانصرفتُ إلى منزلى بالمـال ، وفتحتُ بَدرةً ونثرت منها على الجوارى وشربت وسُررتُ أنا ومن عندى يومنا، فلمـا أصبحت بكّرت إلى إبراهيم أتعرّف خبره وأُعَرّفه خبرى فوجدته على الحال التى كان عليها أوّلا وآخرا، فدخلت أترنم وأُصَفّق فقال لى : ادن، فقلت : ما بقى عليك؟ فقال : آجلس وآرفع سَجْفَ هذا الباب فرفعته فإذا عشرون بَدرةً مع تلك العشرة، فقلت : ما تنتظر الآن ؟ فقال : ويحك! ما هو إلا أن حَصلتْ حتى جرت مجرى ما تقدّم، فقلت : والله ما أظن أحدا نال من هذه الدولة ما نلتَ! فلِمَ تبخل على نفسك بشىء تمنيتَه دهرا وقد ملكك الله أضعافه ! ثم قال : آجلس نخذ هـذا الصوتَ، فألقى علىّ صوتا أنسانى صوتىّ الأوّلين وهو

أفى كل يومٍ أنتَ صبّ وليـلةٍ * إلى أمّ بكر لا تُفيـق فتُقصِرُ
أُحبّ على الهِجران أكنافَ بيتها * فيالكَ مِن بيت يُحَبُّ ويُهجَـرُ
إلى جعفرٍ سارت بنا كلُّ جَسْرَةٍ * طواها سُراهـا نحوَه والتهجُّـرُ
إلى واسع للمجتدين فِناؤُه * تروح عطاياه عليهـم وتَبـكُرُ

وهو شعر مروان بن أبى حفصة يمدح جعفرا . قال مخارق : ثم قال لى إبراهيم : هل سمعتَ مثلَ هذا قط؟ فقلت : ما سمعتُ قطّ مثـله ! فلم يزل يردّده علىّ حتى أخذته، ثم قال لى : امض إلى جعفر فافعل به كما فعلتَ بأبيه وأخيه، قال : فمضيت ففعلت مثـل ذلك وأخبرته بمـا كان وعرضت عليـه الصوت فسُرّ به ودعا خادما

فأمره أن يضرب الستارةَ وأحضر الجاريةَ وقعد على كرسيٍّ ثم قال : هاتِ يا مخارق، فألقيت الصوت عليها حتى أخذته فقال : أحسنتَ يا مخارق وأحسن أستاذُك، فهل لك فى المُقام عندنا اليومَ ؟ فقلتُ : يا سيدى هذا آخر أيامنا وإنما جئتُ لموقع الصوت منّى حتى ألقيتـه على الجارية . فقال : يا غلام، آحمل معه ثلاثين ألف درهم وإلى الموصلىّ ثلثمائة ألف درهم، فصرت إلى منزلى بالمال وأقمت ومَن عندى مسرورين نشرب طول يومنا ونطرَب ثم بَكَّرتُ إلى إبراهيم فتلقانى قائما ثم قال لى : أحسنت يا مخارق! فقلت : ما الخبر؟ قال : آجلس، فجلست وقال لمن خلف الستارة : خذوا فيما أنتم عليه ثم رفع السَّجْفَ فإذا المال، فقلت: ما خبرُ الضيعةِ؟ فأدخل يده تحت مِسورة[1] وهو متكئٌ عليها فقال : هذا صكّ الضيعة آشتراها يحيى بن خالد وكتب إلىّ : قد علمتُ أنك لاتسخو نفسُك بشراء هذه الضيعةِ من مال يحصل لك ولو حويتَ الدنيا كلّها، وقد آبتعتُها من مالى، ووجه إلىّ بصكها وهذا المال كما ترى، ثم بكى وقال : يا مخارق، إذا عاشرت فعاشِرْ مثلَ هؤلاء، وإذا آحتكرت فاحتكر لمثل هؤلاء، ستمائة ألف، وضيعة بمائة ألف، وستون ألف درهم لك حصلنا ذلك أجمع وأنا جالس فى مجلسى لم أبرح منه، متى يُدرَكُ مثلَ هؤلاء .

ورُوِى عنه قال : أتيتُ الفضلَ بن يحيى يوما فقلت له : يا أبا العباس، جُعِلتُ فداك هب لى دراهم فإن الخليفة قد حبس برّه، فقال : ويحك يا أبا اسحاق ما عندى ما أرضـاه لك، ثم قال : هَاهْ ! إلا أن هاهنا خصلةً، أتانا رسول صاحب اليمن فقضينا حوائجه، ووجه [إلينا][2] بخمسين ألف دينار يشترى لنا بها محبّتنا، فما فعلت ضياءُ جاريتُك ؟ قلت : عندى جُعلتُ فِداك، قال : فهو ذا، أقول لهم يشترونها[3]

[1] المِسوَرُ والمِسورةُ مُتّكأ من أَدَم .
[2] الزيادة عن الأغانى ج ٥ ص ٢١
[3] هكذا بالأغانى ج ٥ ص ٢١ وفى الأصل «حتى يشترونها» بذكر حتى .

منك فلا تَنقُصْها من خمسين ألف دينار، فقبلت رأسه ثم آنصرفت، فبكّر علىّ رسول صاحب اليمن ومعه صديق له ولى فقال: جاريتك فلانة [عندك][1] ؟ قلت : عندى، قال : اعرضها علىّ، فعرضتها عليه فقال : بكم ؟ فقلت : بخمسين ألف دينار ولا أنقُص منها دينارا واحدا، وقد أعطانى الفضل بن يحيى أمس هذه العطيةَ، فقال : هل لك فى ثلاثين ألف دينار مُسلّمة؟ وكان مشترى الجارية أربعمائة دينار، فلما وقع فى أذنى ذكر ثلاثين ألف دينار أُرْتِجَ علىّ ولَحِقَنى جزع وأشار علىّ صديق الذى معه بالبيع وخفت والله أن يحدث بالجارية حدث أو بى أو بالفضل[2] بن يحيى، فسلمتها وأخذت المال ثم بكّرت على الفضل وإذا هو جالس وحده، فلما نظر إلىّ ضحك وقال لى: ياضيّق العَطَنِ والحوصلة، حرمتَ نفسكَ عشرين ألف دينار؛ فقلتُ له : جُعِلتُ فداكَ، دع ذا عنك فوالله لقد دخلنى شىء أعجِز عن وصفه وخفت أن تَحدُثَ بى حادثة أو بالجارية أو بالمشترِى أو بك أعاذك الله من كل سوء، فبادرتُ بقبول الثلاثين ألف دينار؛ فقال : لاضير، ياغلامُ جِئْ بجاريته، فجىء بها، فقال : خذ بيدها وآنصَرِفْ بارك الله لك فيها، ما أردنا إلا منفعتك ولم نُرِد الجاريةَ، فلما نهضتُ قال لى : مكانك، إن رسولَ صاحب أرمِينية قد جاءنا فقضينا حوائجه ونفذنا كتبه وقد ذكر أنه قد جاء بثلاثين ألف دينار يشترى لنا بها ما نحبّ، فآعرِض عليه جاريتك هذه ولا تَنقُصْها من ثلاثين ألف دينار، فانصرفت بالجارية، وبكّر علىّ رسولُ صاحب أرمينية ومعه صديقٌ لى آخر فقاولنى بالجارية فقلت : لن أَنقُصَها من ثلاثين ألف دينار؛ فقال لى : معى عشرون ألف دينار مُسلَّمة خذها بارك الله لك فيها، فدخَلَنى والله مثلُ الذى دخلنى فى المرّة الأولى

(١) الزيادة عن الأغانى ج ٥ ص ٢١

(٢) كذا فى الأغانى ج ٥ ص ٢١ وفى الأصل : «أن يحدث بالجارية حدث أو فى أمر الفضل» .

وخفتُ مثل خوف الأوّل، فسلّمتها وأخذتُ المال و بكّرتُ على الفضل فإذا هو وحده، فلما رآنى ضحك وضرب برجله ثم قال : و يحك، حرمت نفسك عشرة آلاف دينار، فقلت : أصلحك الله، خفت والله مثل ما خفت فى المرّة الأولى، فقال : لاضير، [أَخْرِجْ][1] يا غلام جاريتَه، فجىء بها، فقال : خذها ما أردناها وما أردنا إلا منفعتك، فلما ولّت الجارية صحتُ بها : اِرجعى، فرجعَتْ، فقلت : أُشهِدُكَ جُعِلتُ فِداكَ هى حرّة لوجه الله تعالى، و إنى قد تزوّجتها على عشرة آلاف درهم، كسبَتْ لى فى يومين خمسينَ ألف دينار فما جزاؤها إلا هذا، فقال : وُفِّقتَ إن شاء الله تعالى .

وأخباره مع البرامكة كثيرة وصِلاتُهم له وافرة، وقد ذكرنا منها ما فيه غُنيةٌ عن زيادة، فلنذكر وفاة إبراهيم . كانت وفاته ببغدادَ فى سنة ثمان وثمانين ومائة، ومات فى يوم وفاته العباسُ بن الأحنف الشاعر وهشيمة الخمّارة، فرُفِعَ ذلك إلى الرشيد، فأمر المأمونَ أن يُصلّى عليهم، فخرج وصلّى عليهم . قال إسحاق : لما مرض إبراهيم مرضَ موته ركب الرشيد حمارا ودخل على إبراهيم يعوده وهو جالسٌ فى الأبزن[2] فقال له : كيف أنت يا إبراهيم؟ فقال : أنا والله يا سيدى كما قال الشاعر

سقِيمٌ مَلَّ منه أقربوه * وأسلَمهُ المداوِى والحمِيم

فقال الرشيد : إنا لله، فخرج فما بَعُدَ حتى سَمِعَ الواعِيةَ[3] عليه .

---

(١) الزيادة عن الاغانى ج ٥ ص ٢١

(٢) الأبزنُ مثلثة الأوّل حوض يُغتسل فيه وقد يُتخذ من نحاس، معرّب آبْ زَنْ .

(٣) الواعية الصراخ على الميت ونعيه .

صورة ما ورد بآخر الجزء الرابع فى أحد الأصلين الفتوغرافيين :

هذا آخر الجزء الرابع من نهاية الأرب فى فنون الأدب .
والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ؛
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

صورة ما ورد بآخر الجزء الرابع فى الأصل الآخر الفتوغرافى :

كمل الجزء الرابع من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب على يد
مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم
البكرى التيمىّ القرشىّ المعروف بالنويرى عفا الله عنهم .

تم الجزء الرابع من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب،
يتلوه إن شاء الله تعالى فى أول الجزء الخامس
ذكر أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ